في تاريخ المغرب
جامع القرويين
المسجد والجامعة بمدينة فاس
موسوعة لتاريخها المعماري والفكري
المجلد الثاني
تأليف
الدكتور عبد الهادي التازي
دار نشر المعرفة - الرباط -


جامع القرويين



الإيداع القانوني رقم : 2000/295

ردمك X - 44 - 808 - 9981

في تاريخ المغرب

جامع القرويين

المسجد والجامعة بمدينة فاس

موسوعة لتاريخها المعماري والفكري

المجلد الثاني

تأليف

الدكتور عبد الهادي التازي

عضو أكاديمية المملكة المغربية

وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

وعضو اتحاد المجامع العربية



الطبعة الأولى 1972 دار الكتاب اللبناني
الطبعة الثانية 2000 دار نشر المعرفة - الرباط - المغرب

الباب الثاني



القرويين على عهد المرينيين والوطاسيين والسعديين

الفصل الأوّل

الزيادات المعماريّة في القرويّين على هذا العهد

ترميم الجدار الشرقي - باب الحدودي وجلب الماء للمرة الثالثة - الجدار الشمالي، اروقة النساء والمخازن التي تحتها - العنزة - تعاويذ ابن عباد - مقصورة الخليفة - الصومعة - الغريفة - الساعات المائية - الاسطرلابات والرمليات والشمسيات - مصرية الموقت في درب المنجانة - منجانة على الشارع العام - الثريات والنواقيس - مكتبة السلطان أبي عنان العلمية - مكتبة المصاحف - خلوة الاسبوع السفلى - مصرية الامام الخطيب - مقصورة المفتي خلوة الاسبوع العليا - صحن القرويين أيام السعديين - الخصة الشرقية وقبتها - الخصة الغربية وقبتها - مصدر جديد للماء - خزانة السعديين العلمية.

اذا كانت هذه العهود قد اتسمت بتشييد المساجد وتوسيعها في مختلف جهات فاس ، فان جامع القرويين كان قد استكمل سائر ما جعل منه الجامع الاعظم في المدينة ، ولهذا لم تكن ببني مرين حاجة الى ان يغيروا من معالم القرويين الكبرى ، كذلك لم يكن في مستطاعهم غير ثلاثة أشياء.أولهـا الصيانة التامة لما بناه الأولون وتعهّده كما يجب ، وثانيها تأثيث البناية المقدسة بما يضمن سيرها ليس كجامع فحسب ، ولكن ايضا كجامعة اسلامية كبرى تعتمد عليها البلاد في تكوين رجالها وقادتها والثالث إنشاء المزيد من المدارس للطلبة الوافدين .

ترميم الجدار الشرقي (٦٨٢ هـ) :

بني هذا الجدار منذ توسعة القرويين الاولى سنة ٣٤٥ هـ ، بَيْدَ أنه لم يستهل القرن السابع الهجري حتى كانت به حاجة ماسة الى الإصلاح ، لتأثره بالامطار وعوارض الجو ، وقد كان يستحق الترميم منذ أيام الموحدين ، لكن الظروف الاستثنائية التي كانت تعيش فيها فاس أيام المسغبة والفتنة (٦١٨ – ٦٣٧ هـ) أخرت النظر في مثل هذا الإصلاح ، فترك الأمر على حاله ، فزاد ذلك من عيب البناء ، لكن بعد استقرار الامر في يد بني مرين استأذن والي المدينة أبو عبد الله الحدودي [١] في سنة ٦٨٢ هـ امير المسلمين أبا يوسف يعقوب بن عبد الحق في نقض الجدار برمته واصلاحه ، فنفذ امره ببنائه واصلاح سائر ما يحتاج اليه الجامع . على ان يكون الإنفاق من مال الجزية والأعشار : أعشار الروم [٢] اذا ما نفد مال الأوقاف . ونحن نعلم أن الأوقاف ما تزال تئن من أزمة ٦١٨ – ٦٣٧ هـ ، وهكذا بني الحائط الشرقي وما وليه من البلاطين المتصلين به [٣] ، وجددت سائر الابواب الممتدة على طول الجدار ، ومنها باب الخلوة ، وباب الصالحين ، وباب ابن حيون ، وباب ابن عمر .. المقابل لفندق ابن حيون [٤] . وفتحت بعض النوافذ في اعلى الجدار ، ونقشت بعض جهاته .

باب الحدودي وجلب الماء مرة ثالثة (٦٨٩ هـ) :

وما دمنا على مقربة من الجدار الشرقي نرى من المناسب أن نتحدث عن الباب الفخم الرفيع الذي أحدثه الوالي الحدودي في الجنوب الشرقي للقرويين .

في أيام أمير المسلمين أبي يعقوب بن أبي يوسف بن عبد الحق سنة تسع وثمانين وست مئة (١٢٩٠ – ١٢٩١ هـ) رأى عامل فاس أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الحدودي أن يحدث باباً جديداً ، ولقد استهواه منظر الباب المدرج الذي بني سنة ٦٠٤ هـ أيام الناصر الموحدي بجوف جامع الاندلس [٥] ، فاراد أن يكسب القرويين باباً مماثلاً تفخيماً لأمرها ، وإعلاءً لمركزها ، فبناه على شكل باب الأندلس المذكور ، وجعل أسفله حوضاً من الخشب ملبساً بالرصاص .

وقد جلب اليه الماء من عين جنوب القرويين كانت تعرف بعيون ابن اللصاد [٦] ، وذلك ليمر به الحفاة كما هو الحال بباب جامع الأندلس ، وصنع في أعلى الأدراج باباً عظيماً ، وجعل عن يمين الخارج من أسفل الأدراج سقاية ، كالحال في الاندلس ، ونمقها بالجص ، والحجر المنحوت ، وأنواع الصبغة ، كل ذلك في صناعة محكمة دقيقة .

ولما أنهى الحدودي العمل في الباب رفع الى أمير المسلمين الخبر ، وكان ينتظر من السلطان أن يشكر له صنيعه ، ولكنه اصطدم بعتابه ولومه ، فكيف يحدث في الجامع ما لا يحتاج اليه بغير إذن أمير المؤمنين ؟ إن أمر القرويين هو

من اختصاص القاضي ، وليس من اختصاص الوالي .. لقد غضب السلطان حتى أقصى عامله على المدينة ، وأصدر أمره بإغلاق الباب الى أن ينظر في أمره ، لكنه غفل عنه ، فظل مغلقاً الى أواخر أيام بني مرين [٧] . وإذْ تحدثنا عن (الباب الملغى) نرى من المناسب أن نحاول الوقوف على النقطة التي كان فيها ، فلقد توالى التبديل والتغيير في هذه المنطقة حتى استعصى على الناس تحديد المكان .

وهناك في الجنوب الشرقي يمين الخلوة ، دكانة من مترين طولاً على متر عرضاً في اعلاها قوس ويشبه أن يكون محلاً لباب قديم [٨] ، وهناك ايضاً يمين هذه الدكانة باب عريض تتوسطه سارية رخام ، يؤدي يساراً الى مصرية الإمام والخطيب بعد أن تمر في رواق عن طريق خوخة فتحت بالمصراع الايمن لهذا الباب ، وقد زخرف باقي الباب بمختلف الأصباغ ، وكتب على لوحة هناك :

بشرى لنا معشرَ الإسلام إن لنا * من العناية ركناً غير منهدم

فهل كان الباب المدرج هنا ؟ إن الذي تميل اليه النفس بعد الوقوف على ما ورد في كتب النوازل [٩] ، وبعد وصف المختصين لهذه المنطقة ، هو هذا الاحتمال ، ولا سيّما ان المخرج من هذا الباب يقرب من سقاية الصفارين التاريخية ولو أننا استطعنا تبين ما نقش على رخامة هذه السقاية ، لكنّا وصلنا الى القطع بالموضوع ، بيد أننا لم نستطع قراءة أزيد من الآية الشريفة : « إنّ الأبرار يَشْرَبُون من كأس كان مِزاجُها كافوراً عيناً يشرَبُ بها عبادُ الله يفّجرونها تفجيرا) صدق الله العظيم ، كمل عمل هذا ..... قعدة.

الجدار الشمالي :

وبعد عشر سنوات من هذا التاريخ ، أي في سنة تسع وتسعين وست مئة ، كان الجدار الشمالي أوشك ان يسقط من سوء الأحوال ، وقد كان هذا الإصلاح باستئذان الفقيه القاضي أبي غالب بن القاضي ابي عبد الرحمن المغيلي لأمير المسلمين أبي يعقوب (ت ٧٠٦ هـ) في اعادة بناء الجدار ، فصدر الأمر ببنائه وإصلاحه ، ولم يكتف الامير بذلك وحده ، ولكن اعطاه أيضاً خلخالين من الذهب زنتهما خمس مئة دينار ذهباً ، وقد خاطب أبو يعقوب قاضيه بهذه الكلمات : « إصرف الخلخالين في بناء الحائط المذكور ، فانهما حلال محض ، فقد منحهما والدي أمير المسلمين لوالدتي مما أفاء الله تعالى عليه من أخماس غنائم الروم من بلاد الاندلس ، فورثتهما عنها ، ولم أرَ لتصريفهما موضعاً أوجبَ من هذا ، فعسى الله تعالى أن ينفع به » .

وهكذا نقض القاضي المغيلي الجدار كله وباب الحفاة وباب الصفر [١٠] وباب الخصة وباب الساباط [١١] ، وبنى الجميع بالمبالغ المذكورة ، وفتحت بعض النوافذ في هذا الحائط الجديد فوق الساباط الذي أصبح بعد زهاء نصف قرن يربط المدرسة المصباحية بالقرويين.

أروقة النساء والمخازن التي تحتها

وقد كانت مناسبة جد مواتية للتفكير في اعادة بناء الأروقة الخاصة بالنساء على امتداد الجدار الشمالي ، وقد

توفق القاضي المغيلي في بناء طبقة مرتفعة لهذا الغرض على (المستودع) الذي أسس منذ عهد الموحدين في الركن الشمالي الشرقي ، بنى عليه رواقاً جعل له مدخلاً خاصاً به للنساء على مقربة من باب الخصة كانت الفضليات من النساء يشرفن منه على بعض المجالس العلمية .

وقد اضاف الى هذا بناء الرواق الموجود وسطَ الصحن ، وليحتفظ بالعلو الذي للرواق السابق بنى أسفل الرواق الأوسط مخزناً جعله بيتاً للقناديل والمصابيح وأزيار الزيت التي يحتاج اليها المسجد طوال السنة .

كما جعل رواقاً يمنة باب الحفاة يمتاز عن سابقه بأنه يتقعر على شكل زاوية ، وقد حفر تحته مخزناً لإيداع الحصر وأدوات تنظيف المسجد من مكانس وقباب (١٢) .

ولا بد من التنبيه على أن العامة تسمي هذه الأروقة نفسها (مستودعات) من قبل المجاز ، لأنها محمولة بالفعل على مستودعات ، وهو ما يوجد في الحوالات الوقفية القديمة .

العنزة (٦٨٧هـ) :

كانت العنزة الى ظهور دولة بني مرين لا تعدو ألواحاً ساذجة من خشب الأرز على ما أسلفناه في الباب الأول من هذا الكتاب (١٣) .

لكن لم تبزغ شمس دولة المرينيين حتى التفت الى العنزة قاضي الجماعة وخطيب القرويين وناظرها الأستاذ ابو عبد الله بن ابي الصبر(١٤) سنة ٦٨٧هـ (١٢٨٨م) أيام يعقوب بن عبد الحق، فهو الذي أزاح من أعلى قبتها تلك الطلسمات التي نصبت فيها منذ زمن ، واستعاض عن تلك الألواح البسيطة بما نراه الى اليوم شاخصاً من غريب الصنعة ورفيع الخشب وجميل النقش ودقيق الزخرفة ، ولقد كان الإنفاق من مال الأوقاف ، وابتدأ العمل فيها أول ذي القعدة من عام سبعة وثمانين وست مئة (٢٧ نوفمبر ١٢٨٨) . وكان الفراغ من عملها وتركيبها في موضعها يوم السبت الخامس من شهر ربيع الأول عام تسعة وثمانين وست مئة ، وهو يوافق اليوم الثامن عشر من مارس العجمي كما قال صاحب روض القرطاس ، أي من سنة ١٢٩٠ م .

وتوجد عنَزة تحاكيها صنعت في تاريخ مقارب في المسجد الكبير من فاس الجديد ، وكذلك في جامع الاندلس ، والعنزة من واجهتها الخارجية للصحن يبدو عليها أنها متأثرة بالامطار والشمس ، ومع ذلك فهناك قوس في وسطها يحتوي على قطعة شعرية (١٥) منقوشة على ما نذكر ، بَيْدَ أن الجهة الداخلية منها مما يلي قاعة الصلاة محفوظة على ما ينبغي ، فطرف هذه الجهة التحتي يتألف من خمس قطع ثلاث منها مستطيلة ، وهي تحيط بقوسين ، وهذه الخمس محدودة من فوق بقطعة، وقد نقش على الخشب من جهة الصحن : (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانيةً : الآية) ، وتحت في جهات من الخشب : (الملك لله – العافية الدائمة) ثم يحيط بها في الدائرة الاولى في الجبس (يا أيها الذين آمنوا هل أدُلّكم على تِجارة : الآية) ، وفي الدائرة الثانية : (إن في خلق السموات والأرض : الآية) ، وقد نقشت ذات اليمين وذات اليسار على العنَزة سورة الاخلاص ، وفي جهة أخرى : (بسم الله – لا قوة الا بالله) . اما على الواجهة التي من جهة قاعة الصلاة ، فقد نقش : (العافية الدائمة – لا حول ولا قوة الا بالله – العز له وحده – الحمد لله . الامر كله لله –) والآية : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الاّ هو) .

تعاويذ ابن عباد :

في السارية الرابعة يسار العنزة زليجة في الاعلى نقش عليها « بسم الله الرحمن الرحيم – وصلى الله على سيدنا محمد وآله » وقد سمعنا من أحد المشايخ أنها كتبت بخط الإمام الخطيب ابن عباد ، وأنها رقية وتعاويذ ضد مرض العينين . وكانت العامة اذا اصيبت بشيء من ذلك ، تعمد الى خصة العين ، فتفتح بصرها داخل الماء ، ثم ترفع به الى حيث الرقية ، لتحاول قراءة ما كتب هناك ، تكرر العملية مراراً ، ولعل اصل هذه الحكاية ما ذكره المقّرى نقلا عن الخطيب القاضي الحاج أبي سعيد السلوى أنه رأى في حائط جامع القرويين أبياتاً مكتوبة بفحم ، بخط الشيخ ابن عباد ، وهي :

أيَّتُها النفسُ اليه اذْهبي   فحبّهُ المشهور من مذهبي [١٦]

مقصورة الخليفة (٧٢٢ هـ) :

وكان مما فكر فيه بعض الامراء من بني مرين إنشاء رواق او مقصورة [١٧] حوالي المحراب ، يستأثر بالصلاة فيه الامراء والملوك [١٨] ، وهكذا أَذِن الامير ابو حفص عمر نجل امير المؤمنين أبي سعيد سنة ٧٢٢ هـ (١٣٢٢ – ١٣٢٣ م) بضربها في المكان المذكور [١٩] ، ومع أنه لم يتول حكماً ، ولكنه كان يحرص على ان يأتي من الاعمال مثل ما تاتيه الملوك [٢٠] ، وطفق العمال يصنعونها من مال الاوقاف على يد الناظر آنذاك أبي عبد الله محمد بن ميمون . لقد كانت من خشب الأرز ، ولقد اعتني بنقشها وتجميلها ، فكانت بديعة رقيقة ، ترتفع كل من جهتيها الغربية والشرقية بنحو خمسة وعشرين شبراً . اما الجهة الثالثة : جهة الشمال ، فقد بلغ ارتفاعها ثلاثين شبراً .

وقد لاحظ الناس أن الصفوف عند الصلاة لا تلتحم [٢١] على النحو الذي يريده الإسلام ، ولاحظوا مع ذلك أن المأمومين لا يكون في مستطاعهم أن يتجهوا الى السمت الذي يختاره الامام ، هذا الى اشياء أخرى « غير ذلك » كما يقول الجزنائي ، فرفعوا شكايتهم الى العلماء ، وأقر هؤلاء ما لاحظته العامة ، فاتصلوا بالأمير أبي حفص ، واوضحوا له وجهة نظر الناس وصوابها ، وأن المصلحة تقتضي منه أن يستجيب لرغبتهم ، فقرر الأمير أن يعدل عن المقصورة ، ففكّتْ أجزائها ، وجُعلت في زاوية من زوايا المسجد ، ولقد فكر الأمير أبو الحسن أخو أبي حفص المذكور أن يحوِّل المقصورة الى جامع القصبة « بوجلود [٢٢] » ليعوض بها تلك التي توجد بها لصغرها أولاً ، ولقدمها ثانياً ، لكن الفكرة لم تتحقق .

الصومعة

في الوقت الذي بدأت فيه الاعمال لترميم الجدار الشرقي ، اتجهت أنظار بني مرين الى الجهة الأهم في جامع القرويين ، تلك الجهة التي يتعالى منها النداء المقدس ، والتي تعدّ دائماً الرمز الحي لعزة الإسلام ، ونعني بها منارة القرويين .

ولا ننسى أنه منذ سنة ٦٧٤ هـ ، وعلى اثر النصر الباهر الذي أحرز عليه السلطان أبو يوسف يعقوب على ذو نونه (Nuno) يوم السبت ١٥ شهر ربيع الاول ٦٧٤ [٢٣] حيث استولى الجيش المغربي على رايات الخصم ، علق الأمير أبو يوسف الرايات منكسةً بمنار جامع القرويين بفاس ، ليشهدها الحاضر والبادي . والرائح والغادي [٢٤] .

كما لا ننسى كذلك أنه منذ سنة ٦٨٥ هـ استطاع العلماء الموقتون بمدينة فاس أن ينصبوا ساعة مائية في الحجرة العليا من المنارة [٢٥] الى جانب ما كان هنالك من ساعات رملية ومزاول شمسية واسطرلابات [٢٦] جعلت من صومعة القرويين قدوة مثلى لسائر مساجد مدينة فاس .

لم تزل الصومعة على ما أسست عليه منذ سنة ٣٤٥ هـ الى تولي الفقيه الشيخ الخطيب أبي عبد الله بن أبي الصبر خطة القضاء مع الخطبة والإمامة بالجامع القروي ، وذلك سنة ثمان وثمانين وست مئة [٢٧] ، فقد لاحظ القاضي أن أسراب الحمام والزرازير تلوذ بالصومعة فتنال من نظافتها وجدتها ، ولهذا استشار أمير المسلمين أبا يعقوب بن أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق ، فاذن له في ذلك ، وامره أن يأخذ من أموال أعشار الروم ما يحتاج اليه ، لكن القاضي أجابه بأنه ما يزال في مال الأوقاف ما فيه الكفاية إن شاء الله ! فشرع في تبييضها ، فلبس الصومعة بالجص والجير ، وسمر المسامير الكبيرة بين أحجارها ليثبت التلبيس والبناء . ويذكر صاحب روض القرطاس أنه دخل فيها من المسامير ثلاثة عشر ربعاً ونصف ربع ، فلما فرغ من تلبيسها دلكها حتى صارت كالمرآة الصقيلة ، وبهذا انقطعت عن الصومعة إذاية الطير .. وبهذه المناسبة غشى بابها بالنحاس الأصفر تحصيناً لها وتجميلا .

الغريفة (٦٨٨هـ)

وقد اقترنت هذه الاصلاحات لجدران الصومعة بإضافة مهمة ، تلك بناء (غرفة) خاصة بالمؤقتين [٢٨] والمؤذنين [٢٩] عوضت القبة العليا التي امست لا تفي بالحاجة وتعرف الى الآن بالغريفة على طريق التصغير ، وقد بنوها بالجهة الجنوبية للصومعة فوق بابها مباشرة بعد أن نصعد ٢٥ درجاً ، وهي مسقفة بقبة ذات اربعة جوانب من البرشلة ، وقد نقشت على هذه الجوانب الآية الشريفة : (إن ربَّكم الله الذي خلَق السمواتِ والأرضَ في ستة أيام : الآية) كما كتب في بعض جهاتها على الجبس كلمات (الملك لله والعزّلله) تطل على الصحن من نافذة ذات قوسين منقوشين ، يحملها تاج وسارية رخامية ، وفي أسفل النافذة شباك من خشب عين حمام .

الساعات المائية

وتعد (الغريفة)متحفاً علمياً وثائقياً يفوق التصور، ومما يزيد في قيمتها ومكانتها أنها الى الآن لم تدرس كما يجب الدرس، لأنها ظلت بمنأى عن عيون الباحثين والمنقبين حتى في الفترات التي تعرضت فيها القرويين لأعمال الترميم الكبرى .

وإن في ابرزما أثار انتباهنا لهذه الغرفة ما فيها الى الآن من آثار ساعة مائية فريدة التركيب .

ولكن لا بُدَّ قبل الحديث عن هذه الساعة أن نعرف شيئاً عن الساعات المائية التي سبقتها في هذه الصومعة ..

١) ساعة ابن الحباك (٦٨٥ هـ) :

ترجع ساعة المعدل أبي عبد الله محمد بن الحباك للأيام التي تولى فيها قضاء فاس الفقيه الخطيب أبو عبد الله محمد بن أبي الصبر أيوب بن كنون ، فقد اقترح القاضي المذكور على المعدل المذكور نصب ساعة مائية تعرّف الناس اوقات النهار والليل ، سواء في ذلك الأيام المشمسة والغائمة ، وهكذا الساعات الشمسية والرملية [٣٠] لم تعد كافية

ولا سيما بعدما وصل من اخبار عن الساعة المائية للمدرسة المستنصرية ببغداد [٣١] مع ما نعلمه سلفا من تنافس بين جناحي العالم الإسلامي مشرقه ومغربه .

لقد برهن ابن الحباك على مقدرته العلمية عندما نصب محراب مدرسة الصفارين على أحسن وجه ، ولهذا لبى ابن الحباك رغبة القاضي وصنع صحناً من فخار بالقبة العليا : المنار الثاني من الصومعة وملأه بالماء ، وجعل على وجه الماء مجرى من نحاس ذا خطوط وثقاب ، يخرج الماء من ذلك المجرى بقدر معلوم الى أن يصل الى الخطوط المرسومة على مختلف ساعات الليل والنهار ، فتعرف بذلك الأوقات كلها ، وكان ذلك سنة خمس وثمانين وست مئة [٣٢] (١٢٨٦ م) ، أي قبل مباشرة أعمال الإصلاح في الصومعة ، بَيْدَ أن نصب الساعة المذكورة في القبة العليا بعيدةً عن الماء كان مما شجع على إهمالها واغفالها ، ومن الملاحظ أن الوصف الذي وُصفت به هذه الساعة يفيدُ أنها كانت تمتاز عن سائر الساعات المائية التي سبقتها ، ومنها الساعة التي ورد الحديث عنها في مخطوطة الجزري [٣٣] ، كانت تمتاز بأنها أصغر حجما ، وأبسط تركيبا ، بحيث إنها كانت – بالنسبة الى الساعات العصرية – كما لو كانت ساعة يد إذْ كان في المستطاع نقلها من جهة الى أخرى.

ساعة الصنهاجي – القرسطوني – ابن العربي [٣٤] ٧١٧ هـ (١٣١٧ م) .

لكن الساعة الأولى التي عرفتها الغريفة هي الساعة الرائعة التي تضافرت عليها جهود عدد من المعدّلين والموقتين. واحتلّت مكانا بارزاً من وصف الجزنائي في جنى زهرة الآس.

ويتعلق الأمر بالمنجانة [٣٥] التي صنعها الشيخ المعدل أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصنهاجي – أيام السلطان أبي سعيد عثمان المريني – ، وقد رسم خطوطَها أبو عبد الله محمد بن الصدّينه القرسطوني ، بعد أن تطوّع بعض المؤمنين بالإنفاق على المشروع من مالهم الخاصّ .

لقد جعل في ركن الغرفة عن يمين [٣٦] المستقبل مِجَنّاً من خشب الأَرْز ، وجعل داخل المجنّ إناءين كبيرين من فخار : أحدهما أعلى من الآخر ، وجعل الماء في الأعلى منهما ، وبأسفله انبوب من نحاس محكم العمل ينزل الماء في الإناء الأسفل بقدر معلوم ، وجعل على الجانب طستًا رسمت على أطرافه خطوط ترمز الى الساعات والدقائق وأوقات الصلاة في الليل والنهار ، ونشبت بها مسطرة عمودية رسمت عليها خطوط تقسيم الوقت [٣٧] ، وقد جعل على وجه الماء الذي يجتمع في الإناء الأسفل جسماً عائماً مجوفاً من نحاس على شكل الأترجة معلقاً في الطرف الذي يلي الغلّور [٣٨] ، فاذا طلع الجسم بطلوع الماء الذي يجتمع في الإناء الأسفل طلع طرف الغلور وطلعت بطلوعه المسطرة ، وكلما طلعت بطول الأزمان ظهر فيها الوقت المطلوب . فاذا تم النهار والليلة المقبلة له ، رد الماء من الوعاء الأسفل الى الوعاء الأعلى ، وعلقت المسطرة كما كانت .

وبمرور الزمن أهملت صيانة الساعة الى أن تقدم للنظر في التوقيت وشؤون الأذان أبو عبدالله محمد بن محمد ابن العربي سنة ٧٤٧ هـ (١٣٤٦ م) ، فقام هذا الشيخ بتجديد المنجانة على وجه متقن يفوق الترتيب الأول ، ولم يزل ابن العربي يجتهد في ذلك إلى صدر أيام السلطان أبي عنان حيث فكّر في أن ينصب على الواجهة الشمالية لذلك المجنّ شبكة أسطرلاب [٣٩] ، ومتى طلعت المسطرة المذكورة تعرف أوقات الليل والنهار بتحرك خيوط الأسطرلاب ورسومه ، وهكذا ربط بحكمته وابتكاره بين الأسطرلاب والسّاعة المائية . وتؤطّر دائرة الأسطرلاب أربع صفائح

تكوّن مربعًا ، طول الصفيحة ٧١ سانتيماً وعرضها لا يتجاوز خمسة سانتيمات ، كل واحدة نشبت بخمسة مسامير. تحمل الصفيحة العليا – بخط رديء – الآية الكريمة : (إن في خلق السّموات والأرض) الى قوله تعالى: (وقِنا عذاب النار). أما المسطرة اليسرى ، فقد نقش عليها : (إن الله وملائكته يصلّون على النبي.. الآية سبحانك ربُك ربّ العزة عما يصفون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد) ، وتحمل الصفيحة اليمنى كلاما[٤٠] ، ختم هكذا : (ولَذكرُ اللهِ أكبر). أما الصفيحة التحتية ، فقد ضاعت ، وبالاضافة الى اثني عشر بابًا صغيرًا في أعلى الأسطرلاب ، ومثلها في أسفله ، نشاهد في داخل الإطار المربع دائرة أسطرلاب قطرها ٤٢ سانتيماً ، وقد احاطت بها ٢٤ قطعة ، كتب على الأولى وهي التي على يسارك وأنت تواجه الاسطرلاب – الساعة الأولى ، وتحت هذه العبارة كلمة شهر يناير (ل) ، وهكذا الساعة الثانية : برج الجدي (يز) ، والثالثة : فبراير (كج)، ثم الرابعة برج الأسد (كج) ، والخامسة شهر مايه (ه) والسادسة برج الحوت (يو) ، والسابعة إبريل ، والثامنة برج الحمل (يز) ، والتاسعة شهر مايه ، والعاشرة برج الثور (يز) ، والحادية عشرة يونيه ، والثانية عشرة برج الجوزاء ، ثم الساعة الأولى شهر يوليه ، والثانية برج السرطان ، والثالثة شهر غشت ، والرابعة برج الأسد ، والخامسة شتنبر ، والسادسة برج السنبلة ، والسابعة أكتوبر ، والثامنة برج الميزان ، والتاسعة نونبر ، والعاشرة برج الأسد ، والحادية عشرة دجنبر ، والثانية عشرة برج الثور[٤١] . وقد رسم وسط الأسطرلاب «البعد في الشمال عن خط الاستواء... وخطوط الساعات من الأولى الى ١٢ ثم اسماء البروج في دائرة أصغر : الصرطان[٤٢] والأسد الخ ... خط العرض، خط الطول ، المغرب ، المشرق .

وبعد الدائرة دوائر صغرى ، ثم صفائح الأسطرلاب الذي ما يزال يحتفظ بنبلاته الصغيرة .

ويتأكد أن الاسطرلاب كان يتصل بساعة الصنهاجي بلولب مركزي يربط بينه وبينها ، وقد كان متصلا في وقت ما ببكرة مرتبطة بالآلة المذكورة .

وقد ذاع أمر (المنجانة) هذه وشاع في المدينة ، وكان هذا مدعاة دون شك لتشجيع السلطان ابي عنان الذي صعد الصومعة لأول مرة.مئة درجة ودرجة ، ووقف على الساعة المذكورة وما اتصل بها . وقد استحسن ذلك، وأنعم على الناظر فيه بمرتّب وسّع عليه فيه ، ليستعين بذلك على التفرغ للعلم، بل كان هذا كما أسلفنا مما حمله على التفكير في إنشاء ساعة مائية كبرى في أحد شوارع فاس العامة بجوار مدرسته العظيمة[٤٣] ، وقد حركت هذه الآلة من شاعرية الأدباء ، ونقرأ من جملة ما نقرأ هذه المقطوعة الشعرية التي تتصوّر الحياة وهي تدبّ في الأنبوب والعائم والمسطرة ، ويتصور الساعة وهي ترشح كأنها باكية ، وهي إذ تبكي تدور دواليبها ، وإن سحت دموعها وقفت حركتها ، تترجم عن المواقيت بالرغم من أيام الغيم فكان ذلك حدثا عظيماً للذين اعتادوا أن يضبطوا الأوقات بظهور الشمس والنجوم.

روح مـن المـاء في جسم من الصُّفُرِ	مولّـد بلطيف الحسّ والنَّظَـــرِ
مستعـبر لم يغـب عن عينه سكن	ولم يبـت من ذوي ضغن عـلى حـذرِ
وفي أعاليـه حبـان يفضلـــه	للناظريـن بلا ذهـــنٍ ولا فكـرِ
اذا بكـى دار في أحشائِـهِ فلك	خـاف المسيرَ ، وإن لم يبـك لم يَدُرِ
مترجم عـن مواقيـت يخبّرنـا	بها فيوجد فيهـا صادقَ الخـبرِ

تقضي بها الخمس في وقت الوجوب وإن	غطّى على الشمس ستر الغيم والمطـرِ
وإن سهرتُ لأوقـات تـؤرقـني	عرفت مقـدار وقت السهـد والسهـرِ
مجـدد كـلّ ميقـات تخـيّرَهُ	ذوو التميُّـز للأسفار والحـضرِ
ومخـرج لك بالأجـزاء ألطفهـا	مـن النهار وقـوت الليـل والسحـرِ
نتيجـة العلـم والأفكار، صوّره	يا حبّذا أبدع الأفكار في الصوّر[٤٤]

ساعة الجاي (٧٦٣) = ١٣٦١

وإذا صحّ أن الذي بقي من ساعة الصنهاجي هو الأسطرلاب مع المسطرة السالف ذكرهما، فان هناك أثراً مهماً ما تزال تحتضنه (الغريفة) الى الآن، ونعني بها الساعة المائية اللطيفة التي صنعها في ٢١ المحرم ٧٦٢هـ ٢٠ نونبر ١٣٦١ أبو زيد عبد الرحمن بن سليمان اللجّائي بأمر سابق من السلطان مولانا أبي سالم إبراهيم بن مولانا أبي الحسن بن مولانا أبي سعيد بن مولانا أبي يوسف بن عبد الحق، أيده الله[٤٥].

حين يدخل المرء الى الغريفة يلاحظ عن يمينه شبه خزانة مستطيلة (مَرْفَع باللهجة المغربية) تعلوعن الارض بنحو مترين ونصف، وعلى مستوى البصر يظهر خشب مزخرف يحمل صفاً مؤلفاً من اربعة وعشرين[٤٦] بُوَيْباً صغيراً، لكل منها فاصل من عود، وأمام كل باب مواضع مهيأة لطاسات (نواقيس) من البرنز، هي الآن مفقودة، تشبه طاسات ساعة المدرسة البوعنانية، وفوق كل موضع من مواضع الطاسات جعبة ملبّسة بالعود، وقد رتب الجهاز بحيث يمكن للكرة أن تقع فوق الطاسة كلّ ساعة من الزمان، وإنه لمن الممتع حقاً أن يعثر المرء حتى يوم الناس هذا على عدد من الأكر المختفية في الشقوق، والأنابيب غير تامة التكوير ومصنوعة من حجر ناريّ، قطر الواحدة منها خمسة سانتيمترات، وفي اعلى المساند توجد لحسن الحظ بقايا القسم الأكبر من الجهاز الذي يساعد على دحرجة الكرات، كما يساعد على فتح الابواب[٤٧]، ويخفيه عن أنظار الناس الإفريز المزخرف. وان العنصر الرئيسي في ذلك هو قناة مستطيلة متدرّجة بوضوح ودقة، وهناك قطعة من خشب الأرز تستقر في فلجة تُسحَب من طرف الى الطرف الآخر بواسطة حبل ينطلق من غمّاز الساعة او البكرة المتصلة بها. إن تلك القطعة تمر من القناة راجعة الى البكرة في الطرف الآخر، ثم تعود ثانية الى ثقالة الميزان في زاوية الغريفة، حين تأخذ هذه القطعة طريقها في القناة، تضغط عند كل باب على رافعة مستورة، لتسحب حبلاً فينفتح الباب، وبترتيب سابق محكم يمكن لكرة واحدة فقط أن تمر عبر الجعبة الملاصقة، ومنها تتدحرج لتقع على الطاسة، ومن هناك أيضاً تنزل من ثقب في وسط الطاسة وخلال انبوب محجوب عن الانظار. وعلى سطح منحدر يدفع بها نحو المستودع المخصّص لها في جهاز الساعة[٤٨].

ويتلاءم هذا التصميم في طبيعته مع كثير من التصميمات الساعاتية التي وصفت في المؤلف الطريف الذي كتبه المعدل الجزري.

وهكذا نجد اليوم أمامنا نموذجاً يسبق بزمن قليل زمن الساعات الأوربية الآلية.

واذا ما علمنا أن سائر الساعات المائية وخاصة الشرقية – قد اندثرت معالمها، يصح القول بأن أقدم ساعة مائية موجودة في العالم هي التي بمدينة فاس[٤٩].

الأسطرلابات والرمليات والشمسيات

وفي الوقت الذي اتجهت فيه أنظار الدولة المرينية الى تجهيز الغريفة بساعة الصنهاجي ، عمد علماء التوقيت الى تأثيث جوانب الغريفة بقطع أخرى ، يستعين بها المؤقتون مع الساعات المائية على تحقيق معرفة الوقت .

وهكذا أعد أبو عبد الله محمد بن محمد بن العربي منذ سنة ٧٤٧ هـ الاسطرلابات الكافية في جوانب الغرفة (٥٠) .

والى جانب الأسطرلاب والرّبع المجيّب ، زينت زوايا الغرفة بعدد من الرمليات ، أعدها الموقت الشيخ ابن العربي ، وقد عهد لمكلف خاص أن يقوم على تبديل وضعها متى امتلأ قسمها الأسفل .

وفي خارج الغرفة ، وعلى جانب من الجوانب العليا للصومعة ، شمسية من صنع الأستاذ المعدل محمد بن عمر المتوفي سنة ٧٩٤ هـ ، وفي جوار الغريفة أربع ساعات من هذا النوع تلاشت جلها اليوم ، وقد كانت في منتهى الدقة بحيث يتمكن المؤذنون من الوقوف بها على مختلف ساعات النهار (٥١) ، وقد اختص الشيخ ابن العربي بصناعة الساعة الشمسية التي بجانب الغرفة خارجها عن يمين الخارج من باب الغرفة النافذ للسطح . وصنع التي باعلى الصومعة الموقت أبو عمر السالف ذكره (٥٢) .

مصرية الموقت في درْب المنجانة (٥٣)

وحتى تضمن الدولة سير المنجانة المذكورة وسائر الآلات التي جعلت رهن اشارة الموقتين في الغريفة ، خصّصت دويرة للموقت على صلة بالقرويين ، وبالصومعة بصفة خاصة .

وهذه الدار تعرف في الحوالات الحبسية (حجج الوقف) باسم (دار المنجانة) ، وهي مصرية محملة على باب الشماعين ، وكان لها مدخل ثان خاص ، من أعلاها ينفذ الى الغريفة مباشرة .

وبجانب دار المنجانة كانت مصرية ابن مسلمة (٥٤) ، ومصرية ابن الرضّاع (٥٥) ، كما تفيد ذلك الحوالات القديمة (٥٦) ، ويتأكد أن لهما صلة وثيقة بوظيفة الموقت ، ونعتقد أن اللّذيْن يسكنانها كانا مساعدين للموقت (٥٧) ، أوكانا ممن يقوم في شهر رمضان بوظيفة النفّار ، والمطلع الى المصريات الثلاث من الدرب الفحل (٥٨) ، الذي في بداية طريق الشماعين .

منجانة على الشّارع العام ؟

من خلال تتبع الحديث في مختلف الحوالات الوقفية القديمة ، وبخاصة التي تعود الى اواخر دولة بني مرين ودولة الوطاسيين ، يستطيع المرء أن يستنتج أنه كانت هناك ساعة مائية في بداية سوق الشماعين من جهة القرويين ، في أعلى المسافة التي تفصل بين الدرب الفحل هناك والزنقة التي تليه والتي تنفذ الى سوق القيسارية ، وكانت تعرف باسم

زنقة السعاة . فقد تردد ذكر « درب المنجانة » « وزنقة المنجانة » ، وتردد قولهم « يسار أو يمين المنعطف من المنجانة » أو المنعطف للمنجانة ، وربما حدّدوه بأنه : « المنجانة التي فيها برج القرويين » ، فعلى غرار منجانة التلمساني التي امر السلطان أبو عنان بنصبها في الشارع العام من الطالعة قبالة باب المدرسة البوعنانية ، نصبت ساعة هنا مماثلة ؟ ولا بدّ مع هذا أن نذكر أن « احد الخبراء في تاريخ مدينة فاس » كان تحدث الى الأستاذ بيل (Bel) عن ساعة مدفونة في جدار قرب برج القرويين[٥٩] فهل الأمر يتعلق بمنجانة زائدة على المنجانة المعروفة بالغريفة ؟ إن كتب التاريخ تظل صامتة حول الموضوع اذا ما استثنينا حجج الوقف القديمة ، وإن الذي يعرف الظروف التي عاشتها مدينة فاس إبان انتقال الحكم من بني وطاس الى السعديين ، لا يستبعد مثل هذا الصّمت ، ومع ذلك ما تزال بنا حاجة الى المزيد من الوثائق التي تثبت أو تنفي وجود ساعة مائية في هذه الجهة ...

برج النّفارين ٨٤٠هـ

وينتصب على مقربة من صومعة القرويين منفصلاً عن الجامع ، شبه منارة بدون قبّة ، تحمل اسم البرج ، اعتاد النفّارون في شهر رمضان المعظم أن ينبهوا منها سكان المدينة على مختلف اجزاء الليل ، وخاصة وقت السّحر .

وعلى رأس الدرجة ١٩ توجد « صالة » . يقال إنها كانت في تصرفّ الموقِّت ، وعلى رأس الدرجة ٢٣ مصريتان ، وكان معهما حمام فسيح يمتد على بعض حوانيت الشماعين والسبطريين ، وهو خاص باستعمال الموقت والمؤذنين الليليين ، وقد سمعت من أحد المقيمين[٦٠] هنا أنه كان للمصريتين – على علوهما – بئر تتزودان منها الماء بجرارة ، وعند الدرجة ٣٥ توجد صالة كان الموقت يستعملها حتى الى ما قبل حريق العطّارين[٦١] ، وعلى الدرجة ٥٣ الرّاحة التي يستريح فيها النفارون ، وعلى الدرجة ٦٧ كان سلم يوصل الى سطح البرج ، ولكن هذا السلم عوض باثنتَيْ عشرة دَرَجة عالية ومتعبة .

وقد حاول كثير من المؤرخين أن يرجع « البرج » الى تاريخ محدّد ، ففيهم من حاول إرجاعه الى عهد الموحدين[٦٢] وفيهم من نسبه الى السلطان ابي عنان المريني نفسه عندما سنّ العَلَم والفانوس[٦٣] والذي يتأكد لدينا من المقارنة بين مختلف الوثائق التي بين أيدينا وفيها العنصران الأساسيان : الحوالات الوقفية والنوازل الفقهية ، أن البرج إنما تم تشييده في أواخر دولة بني مرين ، فقد نعتته حوالة من سنة ٨٩٣ هـ بأنه « البرج الحديث البناء » للتنبيه للسحور في ليالي رمضان ، في حين لم يتردد ذكره قبل في مصدر من المصادر التاريخية التي في أيدينا ، هذا أيضاً الى ما رددته كتب النوازل ، ومن ضمنها المعيار[٦٤] حول الخلاف في استعمال « النفير » والبوق بالمسجد في شهر رمضان كما كان الحال في القيروان وتونس .

لقد كانت العادة في الأندلس استعمال النفار إيذاناً بحلول وقت الإفطار وغروب الشمس ، ولما كثرت هجرة الاندلسيين الى بلاد المغرب ، وكثر اختلاطهم بالسكان المغاربة ، كان في جملة العادات التي اقتنع المغاربة بتقبلها عادة النفار ، بَيْدَ أنهم عوض أن يسنّوها عند الغروب جعلوها – وخاصة اهل تونس والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى – علامة على وقت السحر إبتداءً وانتهاءً ، وهكذا تكون تنبيهاً وتأنيباً في الوقت الواحد .

ولما قبل علماء القيروان السماح للبواقين والنفارين بمزاولة عملهم على رؤوس صوامع المساجد ، ناهض علماء المغرب الفكرة ، مقترحين على الدولة احداث برج خاص لا يبتعد عن الصومعة ، ولكنه ليس في المسجد ، تكون من

مهمته الترحيب بشهر رمضان وتوديعه (٦٥) . وارسال الاشارات الى الصائمين في اجزاء الليل .

وقد كانت مهنة النفار والغياط والدقاق والطبال ، تحتاج الى اذن خاص من لدن ناظر الاوقاف باعتبار انها اجهزة شرعية تؤدى بها خدمات اجتماعية (٦٦) .

والظاهر ان البرج تم بناؤه ايام السلطان عبد الحق بن ابي سعيد حوالي سنة ٨٤٠ هـ (٦٧) .

* * *

الدكّات الثلاث

وتتميماً للحديث عن هذه الناحية . نتحدث عن الدكّات الموجودة عند باب الشماعين ، إحداهما عن يمين الخارج من سوق الشماعين ، والاخرى عن يَسْرَته على اتصال بالبرج المذكور والثالثة قبالة باب الوراقين .

اما الدكة الاولى ، فقد كانت في البداية معدة للاستعانة بها على ركوب المطايا لبعض الكبراء من العلماء ، وقد ورد في حوالة قريبة من هذا التاريخ ما يفيد ان الدكة كانت « ركيبة » ، وانها كانت الفاصل بين الشماعين وبين حانوت العدل عبد العزيز الداعي وجليسه (٦٨) .

واما الدكة الثانية فكانت ايضا للغرض نفسه ، تساعد الناس على ركوب بغالهم ، وامست باباً للبرج بعد ان كان مدخله من درب المنجانة فقط .

وكانت الثالثة لصق الدار التي كانت للشيخ المنجور قبالة باب الكتبيين من الجامع الاعظم (٥) .

الثريات والنواقيس

وكما قام الموحدون بواجبهم في إنارة القرويين بالثريا الكبرى والثريا الصغرى التي كانت في الاصل ناقوساً لكنيسة ، فان بني مرين زودوا جوامع المغرب (٦٩) ، وخاصة جامع القرويين ، بعدد من الثريات ، فيها ما هو في اصله ثريا ، وفيها ما كان في أصله ناقوساً حول الى ثريا في أثر الايام التي كانت للامبراطورية المغربية بالاندلس (٧٠) .

ففي القبة الرابعة ، ابتداء من قبة المحراب وحتى السابعة من جهة العنَزة (٧١) ، ثريا كانت في الأصل ناقوساً في قطره ثمان وخمسون سانتيماً ، وهو لا يحمل اثراً للكتابة على مقبضه ، ولكنه يحمل رسوماً منحوتة لبعض الحيوانات على ظهره وعلى الصفيحة التي كمت فتحة الجرس نقشت كلمات اليمن والاقبال مكررة على طول الدائرة ، وبعد هذه الآية الكريمة : (أعوذ بالله من الشيطان الرَّجيم إن أوّلَ بيت وُضِعَ للناس للذي ببكّةَ مباركاً وهُدىً للعالمين ، فيه آيات بينات) (٧٢) .

وزود هذا الجرس بثلاثة صفوف من حاملات المصابيح ، ذوات اشكال مزهرة ، مقبضه فيه تفاحتان السفلى أكبر من العليا ، ويحتوي اسفلَ الصفيحة التي كمت الجرس على دائرة صغرى ، وقد نشب في وسطها قرص واحد له رأس مستطيل يشبه مرشة زهر .

واذا ما تجاوزنا القبة الخامسة التي فيها الثريا الكبرى التي تحدثنا عنها (٧٣) ، وجدنا في القبة السادسة ، وهي ذات تصميم دائري ، ثريا كانت في الاصل ناقوساً قطره كالسابق ٠,٥٨ ، ومقبضه لا يحمل نقوشاً بالعربية ، لكن ذروته نحتت بهذا النقش (٧٤) بالأحرف اللاتينية التي ترجع في نظر الاستاذ كوميز مورينو الى القرن الثالث عشر المسيحي :

Vox Domini Sonata Domini... ROME FECIT

بمعنى ان صوت الله يتجلى في بيت الله ، صنع هذا الجرس روميو.

وحتى يضفوا على الجرس حلة الثريا ، ركبوا عليه كذلك ثلاث حاملات للمصابيح ، وقد نحت في اسفله بالخط النسخي : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما . قل هو الله احد ... السورة ، ثم سورة الفاتحة) ثم نقش على دائرته التحتية ذات الاقراص الاربعة بالخط الكوفي : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ، وتحت هذا اول ما يقابل بصر المرء وهو يتطلع للرؤية اليه . كلمات : (الملك الدائم العز القائم) .

وقد علق هذا الجرس بواسطة مقبض ساذج ، وقد اغلقت فتحة الجرس التحتية باسطوانة قسمت عشرة قطع ، وركبت وسط هذه الصفيحة دائرة مختومة بأربعة اقراص مخروطة .

وفي القبة السابعة ، وهي من خشب ، جرس كبير في قطره ٠,٧١ وهو لا يحمل نقوشاً في معلقه وقد ركبت عليه ثلاث حوامل للمصابيح : الأولى نقش عليها دائرة بها : (اليمن ، والاقبال والسعادة) .

ونقش في الدائرة الثانية كلمة اليمن والاقبال والغبطة ، وهكذا في الدائرة الثالثة ، اما الصفيحة التي تغلق فتحته فقد ختمت بدائرة ذات ثلاثة اقراص .

اما في القبة الثامنة التي يتقاطع عليها باب الكتبيين القدامى من الجهة الغربية وباب ابن حيون من الجهة الشرقية ، ففيها الناقوس الأكبر الذي كان ضمن النواقيس التي اخذها ملوك فاس من بعض كنائس النصارى على حد تعبير ابن الوزان الفاسي في كتابه وصف افريقية نقلا فيما يظهر من جنى زهرة الآس .

نعم على اثر سفارة من ابن الاحمر لدى السلطان ابي الحسن جهز هذا جيشا بقيادة ابنه الامير ابي مالك عبد الواحد الذي فتح جبل طارق يوم خامس شوال ٧٣٣ (١٩ يونيه ١٣٣٣) ومن هناك جلبوا الناقوس الاكبر ليبقى تذكاراً للواردين على المسجد من المتعبدين يذكرهم ايامهم ويستحث منهم السعي للحفاظ على كيانهم (٧٥) .

يزن هذا الناقوس كما يقول الجزنائي عشرة قناطير على حسب تقدير الذين حملوه . ولما وصل الى فاس ، أمر امير المسلمين أن يعلق هناك بعد أن جعل على جوانبه ١٢ جناحا قائما منقوشا متفرقا ، حتى لا تطمس معالمه كلها ، وقد ركبت على تلك الاجنحة قوارير من الزجاج توقد عند الحاجة .

ولقد اصدر السلطان اوامره بان تكتب على نطاق الناقوس العبارات التالية : (الحمد لله وحده ، أمر بتعليق هذا الناقوس المبارك مولانا امير المسلمين وناصر الدين ابو الحسن بن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ابي سعيد ابن امير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أيد الله سلطانهم واسعد عصرهم وزمانهم وهو الناقوس الملقى بجبل الفتح حرسه الله افتتحه بعون الله وتأييده أميرُ المسلمين أبو الحسن أيده الله ونصره على يد ولده الأمير الأسعد أبي مالك عندما كان مولانا أيده الله محاصراً لمدينة سجلماسة) (٧٦) .

وفي الوقت الذي كان فيه العمال منهمكين في أن يجعلوا من الناقوس ثريا ، كان آخرون يعدون له المحل ، وهكذا بنيت له قبةٌ كلفت الأوقاف سبعين ديناراً ذهبياً على ذلك العهد وتم ذلك بواسطة الناظر الفقيه أحمد بن محمد الأشقر الصنهاجي ، سبقت القبة العلوية الحالية ، وكل ذلك من مال الأحباس ، وتم تعليقه في المحل الذي أعد له في منتصف شوال من سنة ٧٣٧ هـ (١٥ مايه ١٣٣٨ م) أي بعد اربع سنوات من فتح جبل طارق .

وقد علق هذا الجرس بمقبض يحتوي على أكاليل أعدت لحمل مصابيح زائدة ، ويحتوي ظهر الناقوس على نقوش باللاتينية حيث يمكن تبين الحروف التالية :

MENTEM SANCTAM SPONANEUM ONOREM DECET PATRE LIBERACIONEM

التي يمكن أن تترجم بالعبارة الآتية : « جدير بالنفس التقية أن تشكر فضل الله عليها في النجاة من شرور الضلال [٧٧] »

وقد أغلقت فتحة الناقوس بصفيحة كبيرة من النحاس ، وهي تتألف من اثنتي عشرة وصلة منقوشة ، ويتعلق في المساطر التي تفصل بين الأوصال الاثنتي عشرة ، اثنا عشر (غلّورا) [٧٨] . تسند الى دائرة مضلعة ذات اثني عشر لوحة مزينة بأقواس مزهرة ، في كل ركن من هذا الشكل يتعلق فص ، وفي داخل هذه الدائرة التحتية المضلعة حفرت قبة صغيرة ، أو (طبق شبه الخاتم) ، وفي اسفل حرف الطبق بيادق مخروطة من النحاس الأصفر. ونلاحظ ظهر الناقوس بكل وضوح المقبض أوالساق التي تنزع في شكلها لمقبض الثريا الذي يحتوي ايضاً على حاملة صغيرة للمصابيح[٧٩]

وقد نقش على الاثني عشر جناحاً بخط كوفي جميل (الغبطة المتصلة) ، ويلاحظ أن تاء الغبطة صلحت أداةً ايضاً لكلمة المتصلة ، وهكذا بالنسبة الى ستة اجنحة . اما الستة الاخرى ، فقد نقش عليها (اليمن والاقبال) . وكتب على الافريز الاول الملحق بالناقوس : (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد ، اليمن والإقبال والعز لله . . .)

وتجاور هذه القطعة قطع أخرى في اتجاه معاكس ، تبلغ ٢٤ قطعة ، تحتوي على كلمة (الغبطة) .

وعلى دائرة الناقوس تحت المضلعات الآية : (الله نورُ السموات والارض ..) الآيات من سورة النور ، وبعدها من سورة غافر : (هوالحي ، لا آله إلا هو دعوه مخلصين له الدين ..) [٨٠] .

واذا تجاوزنا القبة التاسعة التي تزدان بالناقوس الموحدي ذي الموشور السداسي وجدنا في القبة العاشرة التي تباشر العنزة ثريا ، في مقبضها كرة ، تليها جعبة ، ثم مجسم على شكل دوامة ، وقد ازدانت الثريا بأربع حاملات للقناديل ، وتحتها دائرة تحتوي على أربعة أقراص مخروطة .

وأخيرا نذكر الناقوس الثريا الذي عند مدخل باب الشمّاعين الرئيسي ، وهذا الجرس في قطره ٠,٦٧ ولا نقوشَ على ساقه التي تحتوي على أربع تفاحات ، وقد كسي ظهره بثلاث حاملات للمصابيح.

أما الصفيحة التي أغلقت فتحة الجرس ، فقد نقش عليها : (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد) ، وتحت هذا كلمات (العز لله وحده ، العظمة لله ولرسوله) ، وفي صفيحة أخرى كلمات (الملك لله ، العز لله وحده ولرسوله) . وقد ختم بأقراص أربعة .

ونعتقد أن بعض هذه الاجراس كان مما حمله الجيش البرتغالي عندما اقتحم المغرب بزعامة الملك دون سباستيان.

ولقي الجميع حتفه في وقعة وادي المخازن الكبرى ٩٨٦=١٥٧٨ . لقد كانت ثقتهم بالنصر بالغة إلى حدّ أن حملوا معهم النّواقيس ليرفعوها على المآذن، وبخاصة مئذنة جامع القرويين(٨٠) مكرر

مكتبة أبي عنان العلمية ٧٥٠هـ

امتازت أيام بني مرين بوفرة المصادر التي تحدثت عن الخزائن العلمية التي أنشؤوها بمدينة فاس خاصةً، فبالإضافة الى خزانة أبي يوسف يعقوب بمدرسة الصفارين سنة ٦٧٩ هـ وخزانة أبي سعيد وأبي الحسن ، فكر السلطان أبو عنان في أن ينشئ في الركن الشمالي الشرقي للقرويين خزانة للكتب العلمية ، يستفيد منها طلبة العلم الذين يتواردون على مدينة فاس ، وهكذا أصدر أمره الى العملة ببنائها(٨١) هناك . لقد كانت قبة من نحو خمسة امتار ونصف طولا، وجعل لها مدخلا من أعلى المستودع، يمتاز بألواح منقوشة، وفوق الباب مباشرة كتابة من خمسة عشر سطراً بخط نسخي جميل(٨٢).

(الحمد لله حق حمده ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده ، ورضي الله عن الخلفاء القائمين بالحق من بعده ، مما أمر به من أحيا الله بإيالته الأنام. وتدارك بدولته الإسلام ، أمير المؤمنين ، المتوكل على رب العالمين، قطب / ملوك الزمان، المظفر المنصور المولى أبو عنان، ابن الخلفاء الراشدين المرضيين، أدام الله للمسلمين أيامه، ونصر أعلامه، أنشأ هذه الخزانة / السعيدة، الجامعة للعلوم الحميدة، المشتملة على الكتب التي أنعم / بها من مقامه الكريم، المحتوية على أنواع. العلوم، الواجب لها / التعظيم، والتكريم، جعل ذلك نصره الله وقفا مؤبّداً لجميع المسلمين / حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، حضاً منه أيده / الله على طلبة العلم وإظهاره وإتقانه واشتهاره، وتسهيلا لمن / أراد القراءة والنسخ منها والمطالعة والمقابلة، وليس لأحد أن يخرجها/ من أعلى المودع التي هي فيه، ولا يغفل المحافظة عليها والتنويه، / أراد بذلك وجه الله العظيم، وثوابه الجسيم، ضاعف الله / بذلك حسناته، ورقى في الجنان درجاته، وأطال ملكه، ونظم في الصالحات / سلكه، وذلك في جُمادَى الأولى عام خمسين وسبع مئة، أوصله الله بالبركات الزكية(٨٣).

* * *

لقد كانت الخزانة تحتوي على عدد من النفائس والذخائر (٨٤) ، وما يزال بعضها الى الآن ، طائفة من الكتب كتبت سنة خمسين وسبع مئة ، وقد كتب عليها : « بالخزانة السعيدة التي ابتدع أيّده الله إنشاءها ، ورفع للطالبين لواءها » وهي التي بالجانب الشرقي من صحن جامع القرويين الذي بفاس المحروسة ، وعقب الوثيقة يكتب أبو عنان العبارة التالية بخط يده : (صحيح ذلك وكتب بخط يده عبد الله ووليه أبو عنان أمير المؤمنين بن علي بن عثمان ابن يعقوب بن عبد الحق جار الله سبحانه له ، وأكثر الكتب التي تمت الى الأندلس بصلة وثيقة ، والتي هي الى الآن في خزانة القرويين ، يرجع تاريخ وقفها الى السلطان أبي عنان ، أو إلى والده أبي الحسن أو جده أبي سعيد وربما الى أبي يوسف يعقوب (٨٥) .

وقد عهد العاهل المريني بالخزانة المذكورة الى أحد العلماء الأعلام بالسّهر عليها وصيانتها كان بمثابة القيّم أو الحافظ كما نسميه اليوم ، وخصص له في مقابلة ذلك جراية يستعين بها على القيام بوظيفته.

مكتبة المصاحف (٧٥٠هـ)

وبالاضافة الى المكتبة العلمية ، جعل السلطان أبو عنان مكتبة خاصة بالمصاحف القرآنية في قبلة المسجد وسطاً بين باب حجرة الخطيب وبين الخوخة التي كانت مدخلاً فيما بعدُ للخزانة الأحمدية تنعتها الحوالات الوقفية بالخزانة الصغرى .

لقد كان يريد ان يسهل على الناس تلاوة القرآن ، ولذلك اعد في هذه الخزانة جملة كبيرة من المصاحف الحسنة الخطوط البهية الحسنة ، واعد لها قيّما بجراية كافية ليرضي رغبة الناس ، ويتناول المصاحف بالعناية والصيانة وردّها الى مواضعها ، وقد كتب على كل جزء من المصاحف بخط يده اشارة الى وقفها مدى الاعوام والليالي .

وقد تم بناؤها تقريبا في نفس التاريخ الذي بنيت فيه الخزانة العلمية عرض بابها ١,٢٤ على طول ٢,١٠ ، وقد نقش في أعلى هذه الخزانة ما يلي :

« الحمد لله أمر بانشاء هذه الخزانة السعيدة مولانا أمير المؤمنين [٨٦] المتوكل على رب العالمين عبد الله فارس ، ايد الله امره ونصره بتاريخ شهر شوال سنة خمسين وسبع مئة رزقنا الله خيرها » (١٣ دجنبر ١٣٤٩).

وقد استمرت هذه الخزانة تؤدي وظيفتها عبر العصور المريني والعصور اللاّحقة [٨٧] .

° ° °

خلوة الاسبوع (السفلى) (٧٦٢هـ)

وجدت (خلوة الاسبوع) التي اتخذها الشيخ عبد القادر الكيلاني في بغداد [٨٨] ، وجدت صداها لدى ملوك بني مرين ، فراحوا ينشؤون خلوات أسبوعية هنا وهناك ، وكانت من أوائل الخلوات الخلوة [٨٩] التي تقع في الركن الجنوبي الشرقي للقرويين والمحمولة على ساباط السبع لويات والتي مدّدت من طول الأسكوب الملاصق للمحراب.

واذا كانت الحوالات الوقفية تذكر دائمًا هذا المكان بالاسبوع الأسفل ، فان الجزنائي في زهرة الآس يسميه بزاوية القراء في مناسبتين مختلفتين :

« لقد أمر بانشاء الزاوية البهية مولانا المستعين بالله أبو سالم ابراهيم [٩٠] ، وهي ناطقة بالخير الجامع متشاكلة الأوضاع ، أطبق على حسنها الإجماع ، ولم يسبق اليها أحد من أئمة هذه الأصقاع ، جعل بجنوبها وشمالها من صناعة الخرط والتزيين بالأصبغة ما يبتهج به المار والسالك وقد توسطتها سارية رشيقة من رخام ملون بالأحمر والأبيض [٩١] قال الجزنائي : ورتّب فيها قراء يتلون كتاب الله ، ويختمونه في كل سبعة أيام بطول الأزمان ، وأجرى لهم جراية في كل شهر ينتفعون [٩٢] بها ، وقد تم ذلك في أواخر شهر رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة » (اوائل غشت ١٣٦١).

وهكذا نرى أن (خلوة الأسبوع) بفاس تختلف عن خلوة بغداد [٩٣] بشيء واحد ، هو أن تلك لختم الأوراد طيلة الأسبوع ، وهذه لاختتام القرآن طيلة الاسبوع [٩٤] ، وقد تضمنت الحوالات بيان الأوقات المخصصة للتلاوة والتي يمكن بها ختم الكتاب في أمد اسبوع واحد ، إذ تذكر أن القرآن كان يتلى هنا ضحى وظهراً وعصراً بمعدل

نحو ثلاثة أحزاب في كل وقت من الأوقات الثلاثة .

وقد تحدث عن هذه (الخلْوة) كتاب التقاط الدّرر عند الكلام على أحداث سنة ١١٠٤ هـ فنسب بناءها الى الأمير المستعين بالله ابن أبي الحسن المريني[٩٥] ، وينعتها صاحب الجذوة بأنها «موضع الخزائن[٩٦]».

مصرية الإمام الخطيب (٧٤٠هـ)

خصّص المرابطون للائمة دارا ملائمة شمال القرويين ، هي التي تحدثنا عنها سالفا ، وقد ظلت مقاما لعدد كبير من الأئمة والخطباء الى أوائل القرن التاسع الهجري أيام السلطان عبد الحق بن أبي سعيد آخر ملوك بني مرين ، وذلك عندما اغتيل التازغدري أحد الأئمة الخطباء ، ولما كانت الدولة تعد الخطبة بالقرويين وظيفة سامية ، كان عليها أن تحمي الخطيب والإمام ، ومن هنا جاءت فكرة تخصيصه بدار تتّصل بالجامع حتى لا يكون عرضة للاعتداء ، ففي أي جهة ينبغي بناء هذه المصرية ؟ لم تجد الجهات المختصة أنسب من الطريق الذي كان يفصل بين الباب الداخلي والخارجي لباب الحدودي الذي استغنى عنه على ما عرفنا سابقا[٩٧] ، ولقد كان المكان كما نرى مخصصًا منذ الأول للإمام الذي يقوم في نفس الوقت بوظيفة الخطيب ، كما تقرأ في وثيقة التحبيس التي نقشت على رخامة كبرى من تسعة وعشرين سطراً غرزت على باب المصرية المذكورة عن يسار الداخل في الرواق من خوخة الباب العريض الذي كان بعضا من باب الحدودي السالف ذكره :

«الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. أمر ببناء هذه المصرية المؤسسة على / قواعد الاعتناء بالدين ، المعدة لسكنى الأئمة المهتدين السلطان المؤيد المنصور الخليفة الذي له في الأعمال الصالحة الذكر / الجميل المنشور ، الملك الذي أظهر الله تعالى من جميل الصنع له عجبا ، وسما به الى كل خير سبباً ، وبوأه من المكارم والمعالم رتبا ، وقيض / للقيام بأمره علما يهتدي السراة بأنواره ، وماجداً يقتدي الأماجد السَّراة بآثاره ، وأمده فيما قلده من إعزاز الملك واظهاره ... / السعد وأنصاره ، ليبلغ ما تقدم له في الغيب وينال من سعادة الملك ما هو به إن شاء الله الأهل والأحق ، أمير المسلمين أبو محمد / عبد الحق ابن السلطان الرفيع في الملك قدره الشهير في السلاطين ذكره المؤيد بنور السعد وامداده المثبت في قلوب رعاياه / على طول مدته كريم محبته ووداده المتخلق من أخلاق الحياء والمجد والعلا بما تقصر العبارة في وصفه وتعداده الكريم / السجايا ، العظيم المزايا الجزيل العطايا ، الماجد المجاهد ، الظاهر على كل معاند ، السعيد الشهيد ، الملك الأرضي الخليفة / المرحوم المبرور أبي سعيد[٩٨] ، ابن أمراء المسلمين الكرام ، الذين لهم في ملوك المغرب كبير الشأن ورفيع المقام ، الكبيرة أقدارهم / ، الحميدة آثارهم ، تغمدهم الله تعالى برضوانه ، وعمهم برحمته وغفرانه ، حقق الله أمله ورجاءه ، وأخفق بالنصر / العزيز لواءه ، على يدي وزيره الذي هو تابع سعده ، وناشر لواء مجده ، وكافل ملكه العزيز وامارته / والقائم بحفظ ظلال سلطانه قبل استكمال مآربه ، والجاثم على توفر أسباب ظهوره وطهارته مصائب / الشدائد في نصرته ، والأهوال. ومقارع الكتائب على رعوته ؟ والأبطال ، محيي رسوم المجد الدائرة / ومشييد مباني البر التي تورث المباني الفاخرة في الدار الآخرة . الذي ساير شيوخ المجد شبابه / وأنار تعلق رتبته على رؤساء العصر اقتناؤه للمعالي واكتسابه وسبق الرفق ؟ فيما يذكر ثناؤه وثوابه / فغفر . له القدر من سني الأعمال ما أغلق دون غيره بابه ، السائر الى المعالي ركضا بهمته العليا الناظرة / بعين المصلحة

الجامعة لأمور الدين والدنيا . الرئيس الفاضل الكامل أبي زكرياء يحي [٩٩] بن الشيخ المرفع القدر / والشان العظيم في أعيان الصدر ، وصلب الأعيان ، العزيز الذي أثمرت فروعه و ... عن الملك والسلطان ، الأظهر / الأشهر الأحفل الأكمل المرحوم بالجميل زيان بن عمر الوطاسي أعلى الله تعالى مقدارهم وأبقى في الصالحات آثارهم / أمراً كريماً بعثته الهمة العالية ، وعضدته السعادة الكافية ، فأكدته الرغبة في رضا من لا تخفى عنه / خافية صدر عن اعتناء بالدين وافر الحظ والنصيب واهتمام بما يليق سكنى الإمام الخطيب ، فتخير ما انفق فيها من / بيت مال المسلمين ، مما له وجه يسوّغه الشرع ويرتضيه ، وقرر بناءها على اصل من فتيا علم ؟ كما يوجبه المذهب المالكي / ويقتضيه ، وادّخر ذلك له في حملة ما يرجو أن يقربه الى رضى الله عز وجل ويدنيه ، وأمضى فيها شكر الله قصده ، ونصر جنده / حكَم التحبيس المؤبد على أتم شروطه وأحكامه ، على خطيب جامع القرويين شرفه الله تعالى وإمامه [١٠٠] ، كائنا من كان / على توالي الأعصار والأزمان ، والله سبحانه الذي يسر لهذا العمل بفضله ، ووفق له ابتغاء وجهه ومن أجله ، كفيل بأن / يثيب عليه بسَنيّ العطاء وجزله ، فالكل من خلقه وفعله ، وجوده وطوله ، وهو تعالى حسيب من تعرض لهذا التحبيس / بتبديل أو تغيير وسائله ومتولي الانتقام منه . إنه على كل شيء قدير ، وهو حسبنا ولينا ومولانا ، ونعم المولى ونعم / النصير ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما وكتب بعد الفراغ من بنائها في شهر ذي القعدة / عام أربعين وثمانمائة ، وكان الشروع في بنائها اواسط جمادي الثانية من العام المذكور عرفنا الله بخيره وبره » .

مقصورة المفتي

وكما سبقت الإشارة الى ذلك فانه يفصل بين الخوخة وبين المصرية المذكورة رواق خصص في بداية الأمر لاستقبال الإمام الخطيب لزوّاره على نحو ما يفعل بعض الكبراء عندما يجلسون للحديث مع أصدقائهم عند مدخل الدّار .

وقد صادف أن بعض الأئمة الخطباء كانوا في الوقت نفسه رجال إفتاء ، فاتخذوا من هذا الرواق (مقصورة) لجلوسهم . وقفنا على هذا عندما تولّى الشيخ سيدي يحيي السراج (ت ١٠٠٧ هـ) إمامة القرويين وخطابتها الى جانب الفتوى . فقد سكن في المصرية المعدة للإمام والخطيب بحكم نص وثيقة الوقف ، واتخذ من الرواق الفاصل بين المصرية والخوخة مقصورة لجلوسه ، وأكثر من هذا صادف أحيانًا أن كان (الإمام الخطيب) هو القاضي أيضًا ، ولهذا كانت المصرية محل خلاف في بعض الأحيان بين العلماء لتداخل الوظائف ، وقد شبّ نزاع بين المفتي أبي عنان والقاضي بردلة على (المقصورة) المذكورة ، وكان بردلة الى جانب وظيفة القضاء يؤم ويخطب بالقرويين ، ولكنه لم يسعه الا أن يقتنع بوجهة نظر أبي عنان [١٠١] ويتنازل عن المقصورة لصاحبها.

خلوة الأسبوع العُليا (٩٧٠هـ)

لقد شيِّد في الركن الجنوبي الغربي من المسجد وعلى ساباط نهج السبطريين خلوة أخرى في مقابلة خلوة الأسبوع السفلى التي في الركن الجنوبي ، وعرفت هذه الخلوة في حوالات الوقف بالأسبوع الأعلى ، كان لها مطلع عن يسار الداخل من باب الخلفاء ، ادركناه ووقفنا عليه قبل ان يغير ، وكان يحتوي على خمس عشرة درجة .

وقد ورد في تاريخ الدولة السعدية التاكمادارتية لمؤلف مجهول [١٠٢] أن الذي بنى الأسبوع الأعلى في القرويين

هو السلطان أبو محمد عبد الله الغالب بالله الذي عرف بميله الى تقليد منشئات بني مرين ، وكان ذلك سنة سبعين وتسع مئة ، ومن المعلوم أن الغالب بالله ولي منذ سنة ٩٦٤ هـ.

وهذا أيضا هو ما ورد في جذوة الاقتباس لابن القاضي ، إذْ تقول : «وأما زاوية الحزابين الكائنة بغرب الجامع ، فان الذي أحدثها هو الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي عبد الله محمد الشريف الحسني السعدي . أحدثها بعد السبعين وتسع مئة ، وأعد لها جرايات على ذلك ، نفعه الله بقصده ، ولكن ابن القاضي يضيف الى هذا ما يفيد أن القرآن لم يكن يختم هنا على رأس كل أسبوع كما أطبقت على ذلك المصادر الوثيقة ، وفي صدرها الحوالات الوقفية ، بل إن القرآن كان يختم هناك في نهاية كل شهر على عادة الحزابين في باب المحراب ، كما أن القراء كانوا يتلون سورة الكهف فيها كل جمعة بعد صلاة العصر ، وعددًا من الصلاة على النبي إثر القراءة في كل يوم ، وعددًا آخر بين العشاءين في ليلة الاثنين والجمعة.

والذي يقرأ ما نقش على السواري يتبادر الى ذهنه أن الذي أسس هذه الخلوة هو السلطان ابو فارس عبد العزيز عام ٧٧٠ وان الخلوة كانت معدة كالشأن في الخلوة المقابلة لها لختم القرآن في ظرف الأسبوع [١٠٣]، وأنه من أجل ذلك سميت بخلوة الأسبوع العليا ، وأن ما حدث على عهد السعديين لا يعدو أن يكون ترميماً أو إصلاحًا[١٠٤].

ويظهر لي أن السواري مع ما تحمله من اسم وتاريخ ، ليست بقطعية في أن الخلوة مرينية ، فإن من الجائز أن يكون أبو فارس كان قام بإعداد طائفة من السواري لعمل ما من الأعمال الإنشائية ، ثم أدركته الوفاة قبل أن يحقق رغبته ، فجاء بعده مَن رأى الاستفادة منها في جهات أخرى[١٠٥] .

ولقد كان المكان أربع غرف[١٠٦] ، علو الأولى ٣,٦٥ ، والثانية ٤,٤٥ ، والثالثة التي تلي هاتين من علو ٤,٤٣ سقفها من خشب منحوت .

أما الغرفة الرابعة ، فهي ذات تصميم مثلث ، وهذه هي التي عرفت بخلوة الأسبوع ، علوها ٢,٢٠ ، ويذكر ماسلوف أن مجموع هذه الغرف كان في الأيام الأخيرة مخزناً لأكوام من المخطوطات القديمة [١٠٧] ، وقد نقش على الخشب المجاور للسقف بنقوش بارزة :

يا ثقتي يا أملي   أنت الرجا أنت الولي
إختمْ بخيرٍ عملي   قبلَ حلول الأَجَلِ

كما نقش في جهةٍ أخرى :

وحالفتْك من الأيام أربعةٌ   العزُّ والنصرُ والتمكينُ والظَّفَر

وقد فتحت على الجدار الشمالي نافذة تطل على البلاط العمودي الممتد على طول أبواب الجانب الغربي ، ونافذة على البلاط الأفقي من الجامع يقوم قوساها على ثلاث سوارٍ ، اثنتان مغروس أكثرهما في الجدار ، والثالثة تقوم وسطا .

لقد نقش على الخاتم الأعلى للسارية الوسطى : (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد واله). اما السارية الجنوبية (لجهة القبلة) ، فقد نقش عليها تاريخ نقشها واسم الآمر بصنعها : «أمر بعمل هذه السارية

مولانا السلطان أبو فارس عبد العزيز عام سبع مائة وسبعين» وكذلك نقش على السارية الشمالية أيضا : «أمر بعمل هذه السارية السعيدة مولانا السلطان عبد العزيز ، ومن الزخارف التي في وسطها : «النصر والتمكين والفتح المبين» .

وعلى كل واجهة عليا من الجهات الأربع لكل سارية أربعة أشطار مقطعة شعرية ، بعضها مختوم بالضاد ، وبعضها بالسين . أما القسم الثالث فلا يكاد يظهر ، ونقشت جميعها بخط غير واضح المعالم ولا سيما أن بعض السواري مغروز بالجدار ، الا أن اسم السلطان عبد العزيز واضح المعالم في المنقوشات ، وقد تبينا بعض هذه الأبيات ، وخاصة ما كان منها على السارية المعتمدة على جدار القبلة :

نجمٌ فويق قطعةٍ مِن السحاب الأبيض   كأنَّما مذهّب منها على مفضض
دام أبو فارسَ في عِزّ وفي عيش رضي   مان بها من عوض ؟[١٠٨]

هذا ، وقد عرف هذا المكان عند بعض الناس بأنه (مصرية المفتي) لأن بعض أرباب الافتاء نصبوا في بعض الأحيان انفسهم فيه لحل مشكلات العامة[١٠٩] ، لكن يؤخذ من بعض كتب النوازل وبعض التراجم أن (مقصورة المفتي) كانت عند باب مصرية الإمام الخطيب.

ونعتقد في جملة الأغراض التي بنيت لها الخلوة إعدادها للفضليات والفقهيات من أهل فاس ، ليستمعن منها الى الدروس التي كانت تلقى من أهم كرسي علمي عرفه تاريخ القرويين في الركن الغربي الجنوبي على نحو ما كان في الأروقة الشمالية المطلة على الصحن.

ومن المؤسف أن الإصلاحات التي أدخلت على هذه الجهة في الأعوام الأخيرة تعمدت الإجهاز على هذا الأسبوع الأعلى بما عمدت إليه من حذف الدرج الصاعدة اليه ، والاستغناء عن ذلك بمطلع على يمين الداخل من باب الخلفاء ينفذ الى بعض الأمكنة ، وقد أهمل الأسبوع ، وهدم ساباطه ، فأوحى ذلك بأنه لن يعود بعد الى الظهور[١١٠].

صحن القرويين أيام السعديين...

بالرغم من أن السعديين اتخذوا من مدينة مراكش عاصمة لهم ، فانهم كانوا يدركون فضل جامع القرويين وقوة مركزه ، ولذلك حاولوا أن يظهروا للناس مزيد الاهتمام به ولا سيما بعد أن ترك تصرفهم بازاء أحد العلماء أثراً سيئا في أهل فاس[١١١] .

وهكذا فبعد زاوية الحزّابين بالركن الجنوبي الغربي نراهم يتوجهون هذه المرّة الى الصحن ، لأنه كان يحتاج الى مزيد من العناية تتناسب مع قاعة الصلاة .

الخَصّة الشرقية وقبّتها (٩٩٦هـ)

لا بدّ أن نذكر «الخصّة الحسناء» التي تغنّى» بها الشاعر المغيلي ، وكانت في أصلها من عهد الموحدين ، وثبتت طوال أيام بني مرين.

لكنها بليت على عهد المنصور أبي العباس أحمد السعدي[١١٢] فبعث من مراكش بعد انتصاره في وقعة وادي

المخازن ، بخصّة عظيمة [١١٣] جلب رخامها من بلاد فرنسا كما يفيد ذلك المَقري في روض الآس [١١٤]

ولما تم هذا الاستبدال ، وجدها المنصور فرصة لبناء قبّة رائعة على الخصة . قال المَقّري : وقد رأيت هذه القبّة ، وقد اكملت صنعتها الى الغاية ، وجعل على خارجها وفي داخلها الذّهب الأحمر ، فهي عبرة لمن اعتبر ، وكان ذلك سنة ٩٩٦ هـ ، وفي ذلك يقول ابن القاضي صاحب الجذوة مما يكتب داخل القبة [١١٥] المذكورة المزركشة بأنواع الالوان والنقوش وغير ذلك من أنواع الصناعات . هذه الأبيات مضمّنة التاريخ :

كهف الملوك أبو العباس أنشاني	بحر المكارم من معد بن عدنان [١١٦]
حزت المفاخر بالمنصور أجمعها	ومن علال سنام المجد أرساني
من جاء يشكو الظما يوماً وقبّلني	أغناه ما قد همى من صوب أجماني
لا تنكرنّ وجود الدمع من فَرَحي	فالعين تدمع من إفراط سلوان
واشربْ هنيئاً من السلسال لا حرج	فعين دمع جرى من فيض خلجاني
فخر السلاطين من أبناء فاطمة	أشاع صيتي الى أطراف عُمّان [١١٧]
وقد جرت مقلتي تحكي سحائبها	كف الخليفة من أبناء زيدان
لا زال للدين والدنيا يسوسهما	ما هيجت عاشقاً وُرْقٌ بأفنان
إذْ شادني زَمَنَ التّاريخ وافقه	(للدين) [١١٨] والأجر بحر الجود أجراني

ونقش خارج القبّة شعر الأديب الكتب أبي العباس الغرديس (ت ١٠٢٠ هـ) الذي لم يتضمن تاريخا :

حُسْن سنى منظري يستوقف النّظرا	وفائق الصّنع مني طَرَّزَ الطُّرا
حَباب ماء من الدر النثير غدا	وصوب وردي من ذوب اللّجين جرى
ابن نبيّ الهُدَى المنصور أبدعني	من فيض نعماه ما بين الورى انتشرا
فعَال بِرِّهِ لا يحصى تعدّدها	وخُبْر آثاره يصدّق الخبرا

وقد كان من المفروض أن يشتمل الخد الغربي للقبة الموالي للصحن على البيتين الباقيين من قطعة الغرديس :

لا ينثني راشفٌ ثغريَ من ظمأٌ	إلا ويحمد مني الوردَ والصَّدَرا
من أمَّ قربي بفرضٍ أو بنافلةٍ	يَجِدْ مَعِيني مبيناً للظهور سرى

لكنه ، أي الخد الغربي ، يشتمل على ما يشبه أن يكون بيتين من شعر غريب ، يظهر أنه طرأ عند تجديد القبة أيام العلويين [١١٩] :

أنظر الى صنعي البديع الرائق	متأملاً في منظري الفائق
وارشفْ حبابَ زلالي الفائقْ	كالدّر [إذْ] يبدو ؟؟

قال المَقَّري : « وقد رأيت القطعتين مكتوبتين بالقبة تلك من داخلها ، وهذه من خارجها ». وبمقارنة كلام المَقَّري مع ما ورد عند ابن القاضي في الجذوة نجد أن المَقَّري يؤكد أنه شاهد القطعتين معا على القبّة قبل أن يغادر مدينة فاس ، ونجد ابن القاضي يفيد أن القبة لم تجدد من أجل شعره ، والملاحظ اليوم في القبة الشرقية أنه لا يوجد أي نقش داخلها ، فكيف يوفق المرء بين كلام صاحب الجذوة – والأمر يهمّه أكثر من غيره – إن شعره لم ينقش ، وبين كلام صاحب روْضة الآس إنه شاهد شعره استاذه ابن القاضي ؟ لعل أصوب افتراض ممكن ، أنه بعد أنْ كان ابن القاضي سجّل أن القبة لم تجدّد ، قام المسؤولون عن القرويين فنقشوا شعره داخلها. وهذا ما رآه المَقَّري ، ثم حدثت تغييرات في القبة ، فاختفى شعر ابن القاضي.

والخلاصة أن هذه الخصة الشرقية من عطاءات المنصور السعدي للقرويين . كما أن القبة التي عليها من مآثره ، والشعر الذي يكلل القبة جُلُّه للغرديس .

الخَصَّة الغربية وقبّتها (١٠١٨هـ)

وزع المنصور المغرب بين بنيه الثلاثة : زيدان ، وأبي فارس ، ومحمد الشيخ الملقَّب بالمأمون ، وقد كان فيمن لمع نجمهم بعدُ من الأمراء السعديين الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد الشيخ حفيد المنصور الذي كان يتشبه بملوك بني مرين كما أسلفنا .

فبعد (زاوية الحزّابين) أو (خلوة الأسبوع العليا) نراه يحقق عملاً لا شك أنه كان في نية المنصور، فيسعى لتجميل الجانب الغربي من صحن القرويين بخصة وقبة ربما تفوقان من حيث الفنّ ما كان جدّه المنصور قام به في الجانب الشرقي.[١٢٠]

وهكذا حُملت الى هذا الفِناء صورة طريفة من الأندلس ، من غرناطة بالذات ، من ساحة الأسود حيث تتقابل قباب مثل هذه في التصميم والتركيب[١٢١].

وقد طرزت هذه القبة بباقات من الشعر زاهرة ، نقش في داخلها مما تمكنتُ من تبيّنه بعد تسلق سلّم من عشرين درجة :

يـا واقفاً سَرَّهُ صنعـي وتصويري	(حسن سناي) بديـع غير منكـور
يا مـن ترشَّف عذب المـاء من ظمأ	عليك أقسمت بالأحـزاب والنُّور
تدعو بنصر لمن لاحت محاسنـه	على الدُّنـا كهلال فـوقَ ديجور
خليفة الله من في النبوءة قـد	علـتْ به همّـة بالنصر مغمـور؟
هو الإمام الذي قد حاز منزلـة	عند الإلاهِ بـدار الخلـد والحـور
أبو محمد عبد الله أفضل مـن	حلاّه ربي بسجف ؟ الحسن والنّـور
من لا يزال وعين الله تكلـؤه	من شرّ ما يتقـي وكل محـذور
فاخلص له دعـوة تمحو إساءتـه	بجاه أُمّ القُرى والبيـت والطُّـور

وعلى كل قوس دائرة عن اليمين ، وأخرى عن اليسار ، ثمان دوائر نقش عليها كلمات : (بسم الله ، ما شاء

الله ، لا قوة الا بالله) .

وعلى جوانب القبة من الخارج نقشت الأبيات التالية التي توزعت ابتداءً من الركن الشمالي الى الشرقي الى الجنوبي ، وهي تشير الى تفوّق قبة الحفيد على قبة الجد :

بدائعي نسخت لما تلت سُوَرا	من الجمال الذي أبدى بها صُوَرا
آيات تلك التي قالت مصرحة	«حسن سنا منظري يستوقف النَّظرا»
فحقُّها أن تحط الرأس صاغرة	فالكوثر العذب من ماء المعين جرى
ولي فَخار عليها بانتسابي الى	عبد الإلاه الذي كل الورى بصرا
ابن الامام الرضى المأمون من عظُمَتْ	به قريش وسادت بالعلا مُضَرا
في عام (زهو)[١٣٢] بُعَيد الألف أبدعني	لهجرة من دنا من ربّه وسرى
لا ينثني راشف ثغريَ من ظمأ	الا ويحمد منّي الوردَ والصَّدَرا
من رام قربا بفرض أو بنافلةٍ	يجد معيني مُعينا للطهور جرَى

هذا، وفي القوس الشرقي الذي يلي جهة الصحن تتقابل لوحتان ، نقش عليهما بخط نسخي كلام استعصى علينا التقاطه كله ، ويشبه أن يكون قطعة شعرية مختومة بقافية اللام ، ففي اللوحة الجنوبية من بدايتها : «صلى الله على محمد ...» وفيما قبل السطر الأخير يمكن أن تقرأ : أبو محمد عبد الله أنشأها ؟

وفي اللوحة الشمالية بعد البسملة تتراءى كلمات مثل: الحسن اشكال ...

وعلى واجهة الخصّة في أعلى المصطبة التي خصصت هناك لملقّن الناس نوازل الوضوء[١٣٣] ، نقشت الأبيات التالية :

سَرِّحْ جفونك كي ترى	منّيَ جمالاً أزهرا
أنا روض حسن فائق	بالأنس أضحى مثمرا
ضربت عليَّ قبة	كالشمس تزهو منظرا
في الجامع القَرويّ قد	حزت المقام الأكبرا
انظُرْ شمائل خصّتي	مثل النسيم اذا سرى
إن جئتها متعطشا	فاشربْ هنيئا كوثرا
والقطْ لآلئ مائها	بالثغر منك اذا جرى

وبين اثناء هذه النقوش كلمة «رحم الله عبدا صنع شيئاً فأتقنه»

واذا كانت سواري القبّة الشرقية تخلو من كلّ أثر للكتابات المنقوشة، فان بعض السواري في هذه القبة الغربية امتازت ببعض النقوش التي تحمل أسماء وتواريخ من عهد بني مرين ، ويتعلّق الأمر بالساريتين المتقابلتين اللتين تجاوران جدار الصومعة

لقد نقشت كتابة على دائرة في نهاية هذين السّاريتين، في إحداهما : « هذا مما أمر بعمله السيد الأجل الأمجد الأسعد أبو العلا[١٢٤] ابن خليفة الإمام المنصور أبو يوسف رضي الله عنهم في شهر الآخر » ،

ونقش في القطعة المماثلة من السارية المقابلة : « هذا مما أمر بعمله السيد الأجل الأمجد أبو العلا ابن الامام المنصور أبو يوسف ابن الخليفة رضي الله عنهم في شهر ربيع الأول ؟ ».

وقد وضعت على هاتين الساريتين قطعتان رخاميتان ذوات تيجان جميلة ، وفي أعلى هاتين القطعتين : «أمر بهذه القبّة السعيدة عبد الله علي[١٢٥] أمير المسلمين ابن مولانا أمير المسلمين ابي سعيد بن يعقوب بن عبد الحق، فكملت سنة خمس وأربعين وسبع مائة الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين » ، ونقش كذلك في السارية المقابلة : « أمر ببناء هذه القبّة السعيدة عبد الله أبو الحسن علي أمير المسلمين ابن مولانا أمير المسلمين ابي سعيد بن يعقوب بن عبد الحق ، فكملت سنة خمس واربعين وسبعمائة والحمد لله ربّ العالمين والعاقبة للمتّقين ».

* * *

هذا ، وقد كان بناء هذه القبة الغربية سبباً في اختفاء « التربيعة المقوّسة » التي كانت مغروزة على الجدار الشرقي من الصومعة ، وكانت تحمل اسم أحمد بن سعيد الزناتي ، كما تحمل تاريخ سنة خمس وأربعين وثلاث مئة[١٢٦].

والقبتان السعيدتان كل منهما محمولة على سوارٍ ثمانية ، وتقعان في محور الصحن شأن الأروقة التي توجد في قصر الحمراء[١٢٧] ، وتعتمد واجهتاهما الخلفيتان على الجدارين المتصلين بالجناحين اللذين يكتنفان الصّحن ، واذا كانت السواري في القبة الشرقية ذوات تيجان مُلْس تحتفظ بالطابع المغربي الاندلسي الذي عرف في العهد المريني ، فان السواري في القبة الغربية مضلعة ، وهي مجلوبة من ايطاليا ، وفيها ما هو موشى بزخرف ثريّ ، وفي مؤخر القبة الموالي للصومعة نلاحظ الساريتين الايطاليتين صاحبتي التاجين اللذين يحملان اسم العاهل المريني أبي الحسن واللذين أعيد استعمالهما هنا على نحو ما سلف القول .

وتصميم الرواقين معا لا يكاد يختلف في هذا وذاك ، فكلاهما يحتوي على أقواس مطرزة ، وكلاهما يحتضن خصّة من المرمر : الشرقي يضم خصة المنصور السعدي والغربي يضم خصة حفيده[١٢٨].

مصدر جديد للماء ؟

وبإحداث هذه الخصّة اكتسب جامع القرويين مصدراً خامسا للماء في تاريخه ، فقد دخلها ابتداء من اليوم (ماء الوادي) ، وهكذا بعد البئر ، وبعد ماء وادي حسن الذي جلب للسقاية الطويلة التي بناها المظفر بجنب باب الحفاة ، وبعد عين كرنيز التي جلبت لدار الوضوء ولبيلة باب الحفاة الداخلية وسقاية الشباك ثم الخصة الحسناء وبعد عيون ابن اللّصاد التي جلبت لباب الحدودي[١٢٩] ، نجدها اليوم تتلقى مصدراً آخر أرضى رغبتها على نحو ما يجب ، والى هذا التاريخ فيما يظهر يرجع إنشاء المعدة التي توجد يمين الخارج من سوق الشماعين ، ويجري منها الماء الى الخصّة الغربية[١٣٠].

والى حد الآن كان صحن القرويين جميعه ساحة مفروشة بالزليج. أما اليوم فقد شقت الصحن ساقية[١٣١]

يجري فيها الماء الذي يفضل عن الخصة الغربية ، لينزل الى معدة مقابلة حيث يتوزع على بعض الدور المجاورة[١٣٢].

* * *

هذا ، ولم يحفظ التاريخ عبر مراحله أن القرويين افتقرت إلى الماء ، خلا ما طرأ إثر جفاف كان شمل مدينة فاس ذات مرة ، فتأثرت به القرويين ، ثم لم تلبث الحال أن انفرجت ، بَيْدَ أن الخصص نالها مرة أخرى نضوب شامل سنة ١٠٨٤ هـ[١٣٣].

خزانة السعديين العلمية (١٠١٠ هـ)

وكما أنشأ أبو عنان خزانة علمية وجعل لها حريماً في الركن الشرقي الجنوبي للقرويين ، فقد أسس أبو العباس أحمد المنصور السعدي خزانة علمية في جهة القبلة عن يسار خزانة المصاحف العنانية ، ولم يكن القصد الى الاستغناء عن مبنى الخزانة الأولى ، ولكن ارضاء الرغبات المتزايدة للطلاب ، ولهذا يصح القول إن هذه إنما كانت توسعة لتلك ، وقد سمّتها الحوالة الاسماعيلية بالخزانة الأحمدية الشريفة نسبة الى أحمد المنصور ، وفي المؤرخين من نعتها بالسعدية ، لكن الإمام المَقَّري يسميها «الخزانة العليا»[١٣٤].

وقد جعل (للخزانة العليا) حريم كان المطالعون يجلسون عنده لمراجعة المخطوطات وقد كان هذا الحريم ينفتح على جامع القرويين على مقربة من خزانة المصاحف العنانية ، ومن خوخة هناك ما يزال اثرها مشاهداً الى الآن[١٣٥] وقد كتب فوقها هذان البيتان :

ومن تكن برسول الله نصرته ... إن تلقه الأُسْد في آجامها تجمِ
من يعتصم بك يا خير الورى شرفا ... فالله حافظه من كل منتقم

أما القبة المعدة لوضع الكتب وترتيبها ، فان بناءها مربع من خمسة امتار ونصف متر ، على مثلها : ثلاثين متراً مربعاً ، وعلوها سبعة امتار ، تحيط بها رفوف خشبية متينة توضع عليها الكتب الموقوفة ، وباعلاها من الداخل سقف خشبي من نوع (البرشلة) ، وقد كانت المنقوشات ثلاثة أنواع ، فيها ما نقش على الدائرة الجبسية التي تحيط بالقبة ، وفي هذه كلمات الله ، ما شاء الله ، لا قوة إلّا بالله ! ، وفي الكلوسطرات ما يحمل كلمة (الملك لله الخ) وهذا أيضاً هوما نقش على الطبقات الخشبية ، وقد ظهر اعلاها من الخارج على شكل هرمي مغطى بالقرميد ، وقد فتح عدد من النوافذ لإدخال الضوء والهواء الى القبة . ولها باب مغلف بالنحاس ضربت عليه مسامير ، وهويحتوي على اربعة اقفال ، كل قفل له مفتاحان ، يقال إن مفاتيحها كانت موزعة على اربعة اعوان ، بالاضافة الى (قيمّ الخزانة) ، وذلك زيادة في الاحتياط على الخزانة بحيث انها لا تفتح الا بحضور الجميع ، ولا تغلق الا بحضورهم جميعاً على نهج ما تحدثوا به عند بناء المستودع أيام الدولة الموحدية.

ويرجع تاريخ تأسيس « الخزانة العليا » الى أواخر العشرة الاولى من القرن الحادي عشر ، وهذا ما يفيده نص عثر عليه في تاريخ الدولة السعدية التاكمادرتية[١٣٦] ، ففي اثناء حديثه عن مخالفة المأمون الشيخ لوالده المنصور السعدي ، وإعلانه الثورة عليه ، قال : « ودخل السلطان مولاي احمد لفاس الجديد ، فوجد البلد خرابا خالية الاهرية من الزرع وغيره ، فتأسف لذلك ، فاول شيء فعله أن أمر بالصدقات حيث ظفر بولده من غير قتال ، وامر برد المظالم

وبالنداء على كراء رباع الجامع « القروي » ارضاً وغيرها ، فقبض الناظر ثمانين الفا التي كانت مخصصة للجيش » ، ثم قال : « فاول ما أصلح وبني من هذا المال القبة الجديدة التي فيها الكتب التي تلي المقصورة » .

ومن المعلوم أن خروج المنصور من مراكش لهذا الغرض كان حوالي التاريخ الذي ذكرنا .

لكن الذي اعطى الإفادة كاملة عن تاريخ إنشاء هذه « الخزانة العليا » هو الامام المقري الذي يقول : إنه ترك العمال مشتغلين بسقفها ، وكان المنصور السعدي مهتما بجعل تصحيحاته على الكتب الموقوفة [١٣٧] ، والمعروف أن الامام المقري غادر فاساً الى تلمسان يوم الخميس ١٧ من ذي القعدة عام ١٠١٠ هـ .

وبهذا ترتفع التساؤلات التي ظلّت قائمة في طريق بعض الباحثين في شأن هذا الموضوع ، ومع ذلك فانه بمقارنة مختلف الوثائق التي بين أيدينا ومنها بعض وثائق التّحبيس التي تحمل تاريخ ١٠٠١ هـ ، يتضح أن بناء (قبة الخزانة) أخذ وقتا طويلا ، بسبب من الاحداث المتلاحقة ، وأنه منذ أن تقرر المشروع اخذ المنصور يُعد الكتب الموقوفة على الجامع [١٣٨]

حريم القرويين في آخر بني مرين وبني وطاس والسعديين

وقد بقي الحريم على نفس الترتيب الذي عهد في دولة المرابطين والموحدين الى أن كانت التفاتة دولة بني مرين والوطاسين من بعدهم .

فهنا اكتسبت جهة الحلفاويين . التي عرفت بعد بالصفارين ، مدرسةً علمية للطلاب الذين تكاثر عددهم للدراسة في جامعة القرويين .

كما اكتسبت في الناحية القريبة من سماط العدول مدرسة ثانية ، عرفت بمدرسة العطارين ، وكان الغرض ايضاً من تأسيسها تلبية حاجة الطلاب الذين يتواردون على مدينة فاس .

وبالاضافة الى هذه وتلك كانت مدرسة في الجهة الشمالية من المساجد قبالة باب الخصة بالضبط ، لا يفصلها عن القرويين الا نحو من خطوات ، وقد عرفت هذه المدرسة باسم مدرسة الرخام ، أو المدرسة المصباحية على ما يأتي بيانه .

أما التغيرات التي دخلت في الجهة الجنوبية ، فقد كان اهمها أولا : تعويض باب الحدودي بالمصرية التي انشئت لفائدة الخطيب الإمام الذي يتولى منصبه بجامع القرويين ، ثانيا : تشييد الخزانة السعدية في الناحية الجنوبية للمسجد في المنطقة التي تقع بين الحجرة التي يستريح فيها الخطيب والمصرية المشار اليها ...

تعليقات الفصل الأول

١) لم نقف على تاريخ وفاة والي المدينة هذا ، ويظهر أنه لم يتأخر عن سنة ٦٩٠ هـ .

٢) نلاحظ أن الوجود المريني في ديار الاندلس كان ما يزال قوياً وكانت الاعشار تؤخذ من تجار أهل الذمة ،على تفاصيل ذكرها الزرقاني في فصل الجزية من شرح المختصر (١٨٢,٣) والقلقشندي من صبح الاعشى (٤٨٩,٣) - روض القرطاس ص ٣٥ - ٤٣ .

٣) جنى زهرة الآس ، ص ٧٣ .

٤) هو المسمى فندق التطاونيين الذي أسسه بنو مرين .

٥) تبلغ سعة الباب المدرج بالأندلس عشرين شبراً ، وارتفاعه سبعة وعشرين شبراً ، وهو من أربع عشرة درجة . الآس ص ٩٢ - ٩٣ ، هذا ، وأبو الحسن ذلك هو ابن محمد الذي بنى مسجد فاس الجديد . الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية .

٦) وصفت في روض القرطاس بأنها المعروفة بعيون الكوازين التي يعتقد بعضهم أنها عين البغل من حومة العيون ، ثم إنه أُتي به حتى وصل الى رحبة الزبيب حيث صنعت هناك سقاية ، ثم ساروا به الى باب السلسلة حيث سقاية الكروش ، ثم الصفارين ، ثم الباب المذكور. روض القرطاس ص ٤١ ، الآس ص ٧٤ .

٧) سنرى أنه أبدل بناء مصرية للإمام الخطيب عهد بني وطاس .

٨) كنت سمعت من بعض السدنة الطاعنين في السن أنه كان هنا هُريٌ مما فضل بعد تعويض الباب بمصرية الامام الخطيب . كما فضلت دار سيدي عبد العزيز بن أحمد الجرندي الأندلسي التي تحت فران السبع لويات مع قوس هناك (رسم عدلي في ١٢ شوال ١٢٣٤) .

٩) المعيار الجديد ١ ، ٣١٣ .

١٠) يحتوي هذا الباب على رواق جميل السقف مطرز جميعه بأحسن النقوش الكتابية والزهرية والهندسية ، وقد جددت هذه القبة سنة ٨٤٨ هـ أيام أبي زكريا الوطاسي كما يقرأ ذلك من النقوش في اعلى القبة ، وبهذه المناسبة نتساءل عن المصدر الذي اعتمده طيراس في أن تجديد هذه القبة كان سنة ٧٣٧ - ٧٣٨ هـ ، ١٣٣٧ م .

١١) لما اراد الجزنائي أن يجدد المنطقة المرممة ، قال : من حد الساباط الفاصل بين الجامع وبين الدار الموقوفة لسكنى الائمة الى حد باب الصفر الذي هناك .

١٢) تحدث ابن الوزان الفاسي عن هذه الأروقة في كتابه (وصف إفريقية) ، لكنه تساهل في اعطاء مساحتها . هذا وقد اصبح المخزنان محلين للوضوء ، يستعان بهما عند ازدحام الناس على المسجد .

١٣) راجع فصل العَنَزة .

١٤) يعد القاضي ابو عبد الله بن ابي الصبر من كبار رجالات القرويين ، وكان من بين الأئمة القلائل الذين أدوا صلاة الكسوف بالقرويين . روض القرطاس ص ٢٩٨ .

١٥) تبتدئ القصيدة بعنوان (الله اكبر) :

كتب الحسن في طراز بهـاء	ان شكلي بصان من شركاء
كل فخر قد حزته وانفخام	وعلى الفرقدين طال ازدهائي
بهجتي في الثرى وفوق الثريا	فهي في الأرض تزدهي والسماء
للمصلين قد جعلت شعاراً	موطن الذاكرين والقراء
نظر المتقين عندي سجود	كلهم بي تَوصَّلُوا لاجتباء
إن أقاموا الصلاة راموا صلاة	بصفوف جميلة واعتناء

من يكن في إمامهم خير حسن | اذ رجوا من أرحم الرحماء
فيفوزون بالمنى والأماني | إذ يمدون كفهم للدعاء
قد كان التجديد في عام (خزف) | مقدم الفضل مستحق الثناء

وعام خزف يعني سنة ٦٨٧ هـ . وقد نقش على عنزة فاس الجديد همزية أخرى ، لكنها ترجع الى أيام المولى اسماعيل عام ١٠٨٩ هـ ، تبتدئ هكذا :

انظر لبهجة بيت الله يا رائي | وسرّح الجفنَ فيها بين أرجاءِ

المنوني : البحث العلمي ، جزء مايه ١٩٦٧ .

La mosquée d'Andalus P. 7

١٦) نفح الطيب ٧ ص ٢٦٥ .

١٧) هي غير (أفراك) الذي هو عبارة عن خيمة كبيرة تعد لنزول الملك واهله اثناء تنقلاته . العز والصولة ١ ١٤٢ - ٢١٥ .

١٨) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٢٤ .

١٩) مما ينسب الى الأمير المذكور أيضاً تسع نوافذ في الجدار الغربي للقرويين . جنى زهرة الآس ص ٧٤ .

٢٠) أبو حفص هذا أخ لأبي الحسن علي الذي تملك سنة ٧٣١ هـ وأخ لأبي علي الذي ثار على والده ، وحكم بعد ذلك منطقة سجلماسة . (روض النسرين ص ٧٢) . وليس بغريب أن نرى أمراء كأبي حفص لم يحكموا ، أو قبل أن يحكموا كأبي الحسن يقومون ببعض « المشاريع » كما نرى هنا ، وكما نرى في أبي الحسن الذي اسس مدرسة الصهريج ، وذلك حتى يتدربوا على جلائل الاعمال .

٢١) انظر المجلد ٧ ص ٤٦ من المعيار للونشريسي حول عدم شرعية المقاصير المحدثة . وقد كان الشيخ المساوي لا يرى مانعاً من الصلاة معها بخلاف الصلاة في مقصورة الخطيب أو بيت القناديل الذي في الصحن او مصرية المفتي . نوازل الوزاني ١ ر٩٥ .

٢٢) يسمى هذا الجامع في بعض المصادر بجامع النصر ، لأن العادة جرت بأن يصلي فيه الملك للمرة الاولى بعد تتويجه ، أو زيارته لمدينة فاس . أما تسميته بوجلود فيذكر أن خطيبا من خطبائه كان قد اتخذ موقفاً ضد فرض المكس على الجلود . وكان يدعو في آخر الخطبة بقوله : « يا ودود ، أنزل نقمتك بمن يفرض المكس على الجلود . . . » !

٢٣) روض القرطاس ص ٢٩٥ .

٢٤) الذخيرة السنية ص ١٧٣.

٢٥) ستحدث عن وصف هذه الساعة عندما نتصدى للكلام على (الغريفة) .

٢٦) لا ننسى أن في ضمن المراجع التي كانت تعتمد عليها القرويين كتاب أبي الحسن المراكشي جامع المبادئ والغايات في علم الميقات ، وفيه جوانب تتعلق بصناعة الاسطرلاب ، وجوانب تتعلق بالشمسيات ، .

٢٧) في نسخة من روض القرطاس ، طبعة فاس (سبع مئة) ، وهو خطأ .

٢٨) تعبير روض القرطاس : لغرض مبيت المؤذنين والمخاوصين ، وقد فسرت طرة مخطوطة كلمة المخاوصين بانهم المنجمون . القرطاس ص ٣٤ - جني زهرة الآس ٥١ .

٢٩) لقد كان عدد المؤذنين الذين كانوا يتناوبون على تقسيط الأوقات الليلية أربعة ، ولكن الفاضل المحسن ابن حيون أضاف الى الأربعة ستة ، فاسوا عشرة ، فلقد كانت انتابته أمراض يقضي معها الليل يتقلب على فراش الآلام ، وعرف جدوى أصوات المؤذنين الأربعة على ضناه ، فجعلهم عشرة يتوارثون هذه المنقبة ابناً عن والد ، ولهم نقيب الى اليوم ، واعتاد سكان فاس ممن الفوا الأرق اصوات هؤلاء المؤنسين ، لذلك تجد جانباً منهم يعرف اجزاء الليل من تلك الأصوات ، فهذا صوت ابن عبد الله ، وهذا صوت السداد ، وهذا صوت عزرائيل ، وهذا صوت ابن حمو ، وهذا صوت صاحب السلام الخ كانوا يوزّعون الى أن يحين وقت الفجر ، وذكر الجزنائي أن مجموع المؤذنين في الجامع كان يصل الى عدد الأربعين . جنى زهرة الآس ص ٨٠ .

٣٠) ما تزال بعد الأطراف شاخصة من الساعات الرملية والشمسية القديمة .

٣١) طرائف التراث العربي الاسلامي : المجلد الثالث عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي .

٣٢) جنى زهرة الآس ، طبعة الرباط ص ٥٠ - ٥١ .

٣٣) في خزانة متحف الفنون الجميلة بمدينة بوسطون (امريكا) Massachusets مخطوطة فريدة بعنوان كتاب في الحيل الهندسية ، وقد يسمى أيضاً : الكتاب الجامع بين العلم والعمل ، النافع في صناعة الحيل ، تاليف بديع الزمان ابي العز اسماعيل بن الرزاز الجزري ، صنفه سنة ٦٠٣ (١٢٠٦ م) بأمر السلطان محمود بن محمد الأرتقي الذي حكم دياربكر من سنة ٥٩٧ هـ الى ٦١٩ هـ ، ولهذا الكتاب نسخة خطية ثانية في خزانة أكسفورد

٣٤) في جذوة الاقتباس لابن القاضي (العزفي) بالزاي والفاء بدل الراء والباء . الجذوة ص ٣١ .

٣٥) كلمة منجانة أصلها فارسي حيث يسمى (پنگان) ساعة مائية ، ثم دخلها تغيير يرجع سببه للنطق فقط فصار ماكانة .

٣٦) في سائر النسخ المخطوطة التي بين أيدينا كلمة يسار ، ويتأكد أنه سبق قلم ، وأن الصواب يمين ، فان المجنّ كان فعلا يمين المستقبل ، وما يزال كذلك .

٣٧) عثرنا على مسطرة عمودية من قطعة من نحاس ، طولها ٦٧ سانتيماً ، وعرضها ٤ سانتيمات ، لاصقة يسار الاسطرلاب ، وهي مقسمة مرقمة من الأسفل الى الاعلى ، على أساس أربعة وعشرين قسماً متساوياً لعدد الساعات ، كل قسم منها مقسم خمس عشرة درجة فلكية .

٣٨) الفلوريعني جسماً في شكل مسند . وقد ورد ذكره أيضاً في الآس عند الحديث عن الناقوس الاكبر ، ص ٥١ - ٧٥ .

٣٩) ذكر ابن قنفذ تلميذ اللجائي أن استاذه « اخترع أسطرلاباً ملصقاً في جدار ، والماء يدير شبكته على الصفيحة ، فيأتي الناظر فينظر الى ارتفاع الشمس كم هوكم مضى من النهار ، وكذلك ينظر ارتفاع الكواكب بالليل » ، وأضاف ابن قنفذ أنه وقف على ذلك زمن دراسته على الأستاذ هذا ، وقد التبست ساعة الصنهاجي على الأستاذ طيراس بساعة الجاي الآتي ذكرها ، فذكر أن الغرفة توجد فيها الآن الساعة التي ركبت سنة ٧١٧ هـ (١٣١٧ م) .

٤٠) هو في أغلب الاحتمالات شعر يبتدئ بهذه الكلمات :

يا حاسبي كن بصيراً ، لا يباشرني — إلاّ يدا فيلسوف أو يدا ملك
وفكّ أشكالي اللاتي إن انكشفت — اليك أبصرت نورالشمس في الحلك
واقرأ رسومي وسلّم حذق صانعها — وأنظرْ الى هيأتي تنظرْ الى الفلك .

٤١) يلاحظ أنه أمام كل اسم شهر رقم بالحروف الأبجدية ، وكذلك أمام اسم كل برج ، وقد اختصرنا ذلك تجنباً للتطويل .

٤٢) كذا بالصاد بدل السين .

٤٣) كان هذا مما حدا السلطان ابا عنان على التفكير في نصب ساعة مائية مقابل باب المدرسة التي أنشأها بشارع الطالعة من فاس ، على يد موقته أبي الحسن علي بن أحمد التلمساني ، وما يزال الى الآن أثر من أثارها شاخصاً للناظرين ، وتمكن مشاهدة صف يحتوي على ثلاث عشرة طاسة ، موضوعة على سنادات من خشب الارز ، وثمة اثنتا عشرة نافذة صغيرة تقع فوق هذه الطاسات ، وهذه السنادات مجوفة فهي بمثابة انابيب تمر منها الصنجات الصغيرة التي تقع على الطاسات ، ويكون من نتيجة ذلك ان تسقط الكرة على الطاسة ، فتحدث رنة ، وتكون اشارة الى بداية كل ساعة من ساعات النهار. ونظام وقوع الطنجات على الطاسات هو نفسه الذي نقرأ عنه عند تتبعنا للحديث عن الساعات المائية التي كانت معروفة في العصر الوسيط سواء فيها الذي تحدّث عنه بالمغرب او المشرق ، مثل ساعة جامع الكتبية بمدينة مراكش ، فعلى حسب ما ذكره العمري في مسالك الأبصار يتأكد ان (مكانة) كانت هناك على علو خمسين ذرعا ، في كل ساعة من ساعات النهار يقع ثقل من مئة درهم على الطاسة ، فيحدث رنّة . وكذلك الساعة التي بدمشق تحدّث ابن جبير عنها في رحلته ، وكان أعاد تشييدها محمد بن علي الخراساني سنة ٥٦٤ هـ ، بعد احتراقها سنة ٥٦٢ هـ . وقد ردّد المقّريّ في نفح الطيب أصداء هذه الساعة ذاكراً انه عند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر على طاسي صفر الخ .. ، وكذلك ساعة المدرسة المستنصرية ببغداد التي كانت من طرائف الالآت التي ابتدعها الأقدمون ، فقد كان مما ورد في وصفها : فعند مضي كل ساعة ينفتح فم البازين ، وتقع منها البندقتان ، وكلما سقطت بندقة انفتح باب من ابواب تلك الطاقات الخ .. هذا الى ساعة مائية في غزّة ، واخرى في تلمسان ايام بني زيان مما تنزل فيها الصنجة على الطست. وقد اندثرت معالم تلك الساعات جميعا ومنها ساعة الكتبية ، والمستنصرية ، وجامع دمشق وغزّة ، وتلمسان ، وهكذا يصح القول أن اقدم ساعة موجودة في العالم هي التي بمدينة فاس . المدرسة المستنصرية ص ٤٠ - ٤١ .

تاريخ علماء المستنصرية ١٩٥٩ ص ٢٦٧ .

اقدم ساعة مائية في العالم توجد بمنار القرويين : Deverdun: Marrakouche p. 193.

جريدة العلم المغربية ٢٧ - ١ - ١٩٥٨ ، ٢٨ - ١ - ١٩٥٨ . رحلة ابن جبير ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

نفح الطيب ج ٣ص ١٤٧ - ١٤٨ ج ٩ ص ٢١٦ - ٢١٧ . آثار بني العباس في العراق مجلة الهلال السنة ٤١ يونية ١٩٣٣ ص ١٠٥٧ - ١٠٦٤ .

المدرسة المستنصرية ، سومر ، العدد الاول ، يناير ١٩٤٥٦ ، ص ١٠٤ .

٤٤) يستفاد من (النبوغ) ان القصيدة من شعر ابي العباس احمد بن يحيى بن أحمد الخزرجي . النبوغ ١ ٢٢٨ .

٤٥) يلاحظ أن الأرقام مرسومة بالحروف الابجدية ، ومما يجب ذكره هنا أن أحداً من المؤرخين - ممن نعرف - لم يتعرض لذكر هذه الساعة ، وقد كان المصدر الوحيد الذي اعتمدنا عليه لمعرفة صانع الساعة وتاريخها ، هو الورقة الخطية الحديثة التي ألصقت بجدار الغرفة ، ولا شك أن لها صلة بما وقفت عليه في مخطوطة عن تاريخ مدينة فاس للأستاذ القاضي محمد بن عبد السلام السائح رحمه الله ، ونستغرب من عدم تعرض صاحب زهرة الآس لهذه الساعة ، ومع أنه كان يتحدث عن ابي سالم هذا قائلاً : « رحمه الله » ، وقد كان أبو سالم المتوفي ٧٦٢ هـ من أولئك الذين يتزودون بثقافة عالية ولا سيما فيما يرجع للنجوم والفلك ، حتى لقد أشار ابن الخطيب في تهنئة له بفتح تلمسان الى تلك الهواية :

أطاع لساني في مديحك إحساني	وقد بهجت نفسي بفتح تلمسان
فلم تخش منه القوس صفحة بدرها	ولم تشك فيه الشمس من بخس ميزان

الناصري : الاستقصاء ١٤ ص ٣٤ .

٤٦) هناك ملاحظة نريد أن نلفت اليها النّظر ، وهي أن هناك ١٣ طاسة في ساعة ابي عنان كما أنه كانت هناك ٢٥ طاسة في ساعة الجايّ ، وهكذا نجد عدد الابواب ١٢ في ساعة ابي عنان ، و٢٤ في ساعة الجايّ ، وتزيد الطاسات واحدة ، والسرّ في ذلك هو أن الطاسة الزائدة على ١٢ أو ٢٤ تكون بمثابة نجْدة ريثما تُهيّأ طاسة الساعة الأولى .

٤٧) من الطريف أن نعلم ان هذه النوافذ كانت كما كان الشأن في نوافذ الساعة البوعنانية تفتح بصفة آلية ، واحدة تلو الأخرى ، وتبقى مفتوحة ساعة من الزمن حتى يتمكن الملاحظون من معرفة اجزاء الوقت ، وأدق من هذا أن نذكر أنه حين تفتح النافذة الأولى يكون معنى ذلك أن الساعة في الواحدة ، فيكون انفتاح النافذة على مصراعيها علامة على بداية الساعة ، وانفتاحها على الربع علامة على ربع الساعة ، وعلى النصف علامة على نصف الساعة وهلم جراً .

٤٨) كل ما ذكرناه عن آلية الساعة إنما هو محاولة كانت بمساعدة الدكتور برايس ، ولا بد أن الساعة تحتاج الى دراسة أعمق ونظر أمعن حتى يقف المرء على آليتها .

٤٩) اسهمت المحاولات المتكررة لإصلاح هذه الساعات في زيادة الغموض الذي يحيط بسر آليتها وسيرها !

٥٠) جنى زهرة الآس ص ٥١ - ٥٢ .

٥١) جرت العادة أنه متى حان وقت الاذان أشار الموقت الى مساعده ، فيعمد هذا الى خرصة كبيرة من حديد في ظهر باب الغريفة ، فينزل بها بقوة على مسمار غليظ هناك ثلاث مرات ، وفي هذه اللحظة يكون المؤذن على الصومعة مصيخاً بسمعه ، فعند الوقعة الثالثة يرفع العلم أو الفانوس ، معلناً دخول الوقت ، وهنا تتعالى من كل جانب أصوات المؤذنين من مختلف الصوامع في المدينة .

وهناك خرصة ثانية في ظهر باب النافذة المطلة على الصحن ، وتستعمل هذه عند طلوع الفجر خاصة في شهر رمضان ليسمع صداها مَن في الصحن من المتوضئين الذين يعتزمون الصوم . هذا وما نزال الى الآن نلاحظ بعض المارة يقفون في أماكن معينة من المدينة عندما يحين وقت الزوال ، وقد أمسكوا ساعتهم يترقبون صدع المؤذن بالساعة الناطقة ، ليحكموا على ساعتهم بما تستحقه ، وتكثر هذه الظاهرة في شهر الصوم .

٥٢) لقد كان مما رآه ابو عنان ، وقد صعد الصومعة ، ان يأمر بجعل صارية من خشب باعلى المئذنة . وهكذا جعلوا في نهايتها حبلا يرفعون به علما ابيض يؤذن بدخول اوقات الصلاة بالنهار ، وعلما ازرق كل صباح جمعة الى الساعة العاشرة ، ايذانا بأن اليوم يوم جمعة وعلى الناس أن يستعدوا لما يتطلب

منهم فيه من الاغتسال وارتداء الابيض من الثياب والتطيب والتجمل والتبكير بالذهاب الى الجامع على ما هو معروف في كتب الحديث والفقه ...

ومن الناس ذكر ان فكرة نصب العلم القائم كانت لاظهار الحداد على (الاربعمائة عالم) الذين استشهدوا في اسطول السلطان ابي الحسن المريني عام ٧٥٠ لكن الذي يعرف امر الشهداء عند ربهم ، ويذكر تحمل المسلمين اثناء ما مر بهم عند تداعي قواعدهم في الاندلس يستبعد ان يكون الغرض من نصب العلم الازرق هو ذلك . وان الحالة الوحيدة التي حزن فيها المغاربة بلبس غير البياض كانت بمناسبة احتلال العرائش .

اما الشئ الثالث الذي امر ابو عنان برفعه ليلا على الصاري فهو الفانوس الذي يستدل به في الليل على دخول المواقيت الليلية ليترتب على ذلك ما يترتب عليه من الصلوات والامساك لمريد الصيام .

نـور به علم الايمـان مرتفـع	للمهتدين بـه للحق ارشـاد
يأتون من كل صوب نحـوه ، ولهـم	لديه للرشد اصـدار وايـراد

لكن الصارية ظلت طيلة اعوام هدفا للفح الشمس ، واتلاف المطر ، فابدلت بعد بصارية من حديد اثبت وامكن ، وكان هذا على عهد الدولة العلوية .

٥٣) كلمة (مصرية) تجمع على مصاري في الاصطلاح المغربي تميزاً لها عن التي تجمع على مصريات جمع مصرية بمعنى المنسوبة الى قطر مصر ، والمصرية تعني بيتا صغيراً محمولا على احد مرافق دار كبيرة او على حانوت ونحوه مجاور ، يكون مدخله من ممر الدار ويصعد اليه بدرج يتوفر في الغالب على منظرة او ما نسميه في المغرب بالقبّ يطل منه على الوارد للزيارة حتى تعرف هويته ، وبالمصرية يستقبل سيد الدار ضيوفه الذين ينزلون عليه ... ويرى روزي ان اصل الكلمة باللاتينية .

Suppliment II 197 Moçriya – Fez Avant le protectorat p. 246 – 266 – 299

٥٤) نسبت هذه المصرية أيضاً الى أشخاص آخرين في حوّالات أخرى ، وذلك كالموقت سيدي ابو الطيِّب الظريف التونسي ، وقد كانت تتصل في جدارها الفوقي بدار عبد الرحمن المركني التي مدخلها قبالة باب الكتبيين القدامى من القرويين .

٥٥) نسبت هذه المصرية الى سيد أحمد القلصادي وابن أدبية في بعض حجج الوقف ، وربما نعتت بأنها مصرية البوّاقين ، أو مصرية برج الأنفار ، أو النفارين ، وهم الذين يوقظون الناس لأوقات السحر في ليالي شهر رمضان على ما سنرى في الحديث عن برج النفارين ...

٥٦) راجع على سبيل المثال حوالة عام ٩٦١ هـ ، ومنها نسخة في المكتبة العامة بالرباط .

٥٧) ان المتتبع للحوالات الوقفية سيقف على طائفة من اسماء الفقهاء الذين اعتمروا دار المنجانة ، ونذكر منهم على سبيل المثال الفقيه الاستاذ سيدي محمد العدّي (حوالة ٩٦١ – ٩٧١) ، وسيدي ابن الحاج .

٥٨) يرد في الحوالات القديمة نعت الدرب أحياناً بالفحل ، ويعنون بذلك الدرب الذي لا ينفذ فاذا كان ينفذ الى زنقة أخرى لا ينعتونه بذلك .

٥٩) Les Inscriptions de Fez

٦٠) هو النفار محمد بن عبد الرسول الذي له مدة طويلة في المهنة مع صاحبه عبد الرحمن الصايغ .

٦١) تعرضت هذه المنطقة للحريق عدة مرات كما سلف ، وكان من بينها حريق عام ٧٢٣ هـ : روض القرطاس ص ٣٠٠ ، فرانس ماروك ١٨ مارس ١٩١٨ .

٦٢) يرى بعض المؤرخين أن (برج القرويين) عوض برج الكوكب الذي كان خارج باب عجيسة من فاس قبلة سيدي علي المزالي قصد رصد الاصلة .

٦٣) Note sur le nfir ; Hes 1927 P. 376

٦٤) أنظر الحديث الطويل عن النفير والبوق بين البرزلي وشيخه الغبريني والمنجور والرجراجي وابن عبد السلام وابن عرفة .. وقد حكى المعيار ان الخلاف قبل اليوم بأزمان طويلة . أما اليوم فقد تقرر الاجماع عليه بالمغرب . المعيار الجديد للوزاني المجلد الثاني ص ١١٧ ص ١٦ وص ١١٧ .

٦٥) امتدت عادة النفار حتى اقصى بلاد آسيا ، وما يزال المسلمون في الروسية يستقبلون ضيوفهم ويودعونهم بالنفار . دعوة الحق ، مايه ١٩٦٤ .

٦٦) يظهر أن كل هذه الادوات عوضت الطبل الذي كان معروفاً على عهد الموحدين لتنبيه الناس لاوقات الصلاة او ما يشابه ذلك ، ويعرف سكان المغرب الشئ الكثير عن الدور الاجتماعي الذي يكون للغياط والدقاق فان الاول يقوم بالعمل الذي يقوم به النفار نفسه بالاضافة الى حضوره عند التشهير

بالاعراس والولائم . اما الدقاق فقد كان يطوف على البيوت ليدق الابواب حتى يستيقظ الناس للسحر ، ولكل من النفارين والغياطين والدقاقين امين بمثابة النقيب ، وغالبا ما يتصدى نفاران على برج القرويين . وفي امثال المغرب اذا ما ارادوا التعبير عن عدم المبالاة قولهم : « غيطٌ وطبّل ونفّر ! » .

٦٧) على عهد عبد الحق هذا بنيت (مصرية الخطيب والامام) وسقاية سوق سيدي فرج اول جمادى الاولى عام ٨٤٠ .

٦٨) يلاحظ ان الدكة هذه غدت معدة لمياه الوادي التي جلبت الى القرويين عند بناء الخصة التي تحت الصومعة على عهد السعديين .

٦٩) نذكر على سبيل المثال الثريا الكبرى للجامع الأعظم بمدينة تازة الذي شيد عام ٦٩٣ هـ . الاستقصاء ٣/٧٥ - ٧٦ .

٧٠) نذكر أن الموحدين كانوا قد جلبوا معهم في إحدى غزواتهم بالأندلس عدداً من النواقيس ، وكذلك كان الامر بالنسبة الى بني مرين ، وقد وزعت على مختلف المساجد بالمغرب ، وكان منها القرويين ، وكان منها جامع تازة . المن بالامامة ص ٤٩٦ - - La mosquée de Taza -

٧١) كانت هناك على فم المحراب - ثريا قديمة بسيطة ذات فروع ، وقد عوضها اليوم الملك الحسن الثاني بثريا جديدة ، وفي القبة الثالثة المستطيلة التي تلي هذه ثريا ذات طبقات ، الطبقة الاولى ذات خمسة فروع ، والثانية ذات ستة أغصان ، والثالثة لها ١٢ فرعاً ، وكل فرع من هذه الفروع ٢٣ تحمل ثلاثة مصابيح (رسم عبد الرفيع التازي)

٧٢) سنرى عن إصلاح جرى هنا في عهد العلويين . في الباب الثالث ...

٧٣) راجع الباب الأول إنارة المسجد .

٧٤) يذكر طيراس انه يوجد هنا على هذا الجرس نقشان اثنان ، وهو لا يتفق مع الواقع ومع ما عند كوميز مورينو من ان النقشين هما على ناقوسين مختلفين : Das Inscriptions de campahas. Al-Andalus 1953 P. 451.

٧٥) جنى زهرة الآس ص ٧٥ ، الوزان - وصف افريقية ٩ ص ١٨٥ - الاستقصا ٣ ، ١٢٢ . عن التازي - تاريخ المغرب الدبلوماسي .

٧٦) ذكر الجزنائي أن ذلك النقش أملاه وقاد الجامع القروي ، ويلاحظ أن هذا النقش اختفى جميعه ، ولا يبعد أن يكون ذلك تم عند الاصلاحات التي جرت ولم تكن عليها رقابة من اصحاب البلاد ، ولا سيما أن معظمها تم أيام اختطاف الملك محمد الخامس : ويحضرني بهذه المناسبة قول أمير الشعراء (أحمد شوقي) :

أمَن سَرَقَ الخليفة وهو حيٌّ   يَعِفُّ عن الملوك مكفّنينا ؟ !

٧٧) نستغرب من إنكار الأستاذ طيراس وجود كتابات منقوشة على هذا الجرس ، مع أنها يمكن أن تظهر حتى من الصورة . عبد الهادي التازي : « جامعة القرويين » طبعة فضالة المحمدية ص ١٩ - ٢٠ Al-Andalus : 1953 P- 430, 432

٧٨) جنى زهرة الآس ص ٧٥ ، ٥٣ .

٧٩) نعتقد أنه وقع خلط عند إرادة إرجاع هذه المقابض الى مكانها بعد إصلاح الثريات والنواقيس ، وعلى سبيل المثال نذكر أن مقبض هذا الجرس كان فيما يظهر لنا مقبضاً لجرس الثريا الذي نصب على عهد الموحدين في القبة التاسعة ابتداءًا من قبة المحراب ..

٨٠) لقد أحدث تعليق هذه النواقيس - على العادة - حديثاً بين رجال الدين ، فالى جانب ما عرفناه من تأييد بعضهم له باعتباره رمزاً لانتصار المسلمين ، نجد طائفة منهم ترى أن بعض هذه الأجراس يحمل أشكال الصلبان مما لا يتفق وحرمة المسجد . أنظر نوازل سيدي عبد القادر الفاسي ص ١٣ .

(٨٠) مكرر : د. التازي الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب الباب السابع.

٨١) أخذت الخزانة من رواق النساء ، وجعل بينهما حاجز من خشب ، وقد استأثر صاحب جنى زهرة الآس بالحديث عن هذه الخزانة وذلك يؤكد أنها لم تكن في عهد صاحب روض القرطاس ، والى جانب هذا تردد ذكر الخزانة المرينية بتواتر عندما تعرض المؤرخون للنسخة القيمة من كتاب العبر ، التي اهداها المؤلف ابن خلدون نفسه الى السلطان أبي فارس عبد العزيز اخي السلطان أبي عنان : ابن خلدون ١ / ١٠ - ١١ ، انظر هيسبرس ١٩٢٣ الاشهر الثلاثة ، الرابعة ، وسنة ١٩٣٤ - الفصلة الأولى محمد الفاسي مجلة المغرب ، اكتوبر ١٩٣٤ . مجلة معهد المخطوطات مايه ١٩٥٩ صلاح الدين المنجد .

٨٢) نعرف أن هناك ثلاثة مستودعات : مستودع باب الحفاة ، والمستودع الوسطي ، والمستودع الذي اشتهر باسم مستودع ابن عباد (ت ٧٩٣ هـ) يلاحظ أن هذه الخزانة تعتبر الأولى في العالم كله هي التي نقشت على بابها الشروط الأربعة لسير الخزانة : التسهيل على القارئ، وحق النسخ، وعدم اخراج الكتب. وصيانة المخطوط...

٨٣) عثرت في بعض المقيّدات عندي أن هذه الكلمة المنقوشة على الخزانة كانت من انشاء المهدي المعطى ، ضاعف الله له الأجر والثواب ، وأدام في ملكه مع النظام والرخاء ...

٨٤) ورد في جنى زهرة الآس أن الخزانة المذكورة محتوية على أنواع من علوم الأديان والأبدان والاذهاب واللسان وغير ذلك من العلوم على اختلافها وشتى ضروبها واجناسها . جنى زهرة الآس ص ٧٦ .

٨٥) الخزانة العلمية بالمغرب ، طبعة ١٩٦٠ م .

٨٦) لاحظ بعض المعلّقين هنا كما سلفت الاشارة الى ذلك ان المعروف عن بني مرين انهم كانوا يلقبون بامير المسلمين مجاملة منهم للحكام في الشرق . . . واستنتج من ذلك ان هذه الخشبة ربما كانت قد جددت لأن ابن القاضي في الجذوة نقل النص وفيه « امير المسلمين » ، ويتأكد لدي انها ملاحظة في غير محلها فان امر بني العباس كان قد صار الى زوال منذ سنة ٦٥٦ هـ على اننا علمنا ان المغاربة لم يكونوا يولون اهتماماً بالتفريق بين استعمال هذه الالقاب : احيانا امير المسلمين واحيانا امير المؤمنين واحيانا الخليفة . واذا كانت هذه اللوحة قد جدّدت فماذا نقول في الخشبة الكبرى المنقوشة على باب الخزانة العلمية ؟ ثم ماذا نقول في النقش الذي على خزانة جامع الاندلس : امر بعمل هذه الخزانة السعيدة المباركة مولانا امير المؤمنين عبد الله ابو سعيد عثمان سنة ست عشرة وثمانمائة .

٨٧) ما تزال الحوالات الوقفية تحتفظ بلائحة للعدد الوافر من المصاحف التي كانت الخزانة تحتضنها كما أن تلك الحوالات تحتوي على طائفة من الاوقاف الخاصة المحبسة على هذه « الخزانة الصغرى » .

٨٨) الأصل في الخلوة أن عمر رضي الله عنه اتخذ رحبة في ناحية المسجد ، وقال : من اراد أن يلفظ أو ينشد شعراً أو يرفع صوتا فليخرج الى هذه الرحبة .. وقد جاء في ترجمة القطب الكيلاني (٥٦١ هـ) أنه بنى مدرسته ببغداد على هيئة بحيث اتخذ منها مسجداً من ناحية القبلة لأداء الصلاة ، وجعل فيها منبراً للخطبة ، ومقصورة للامام ، وخزانة للكتب ، وجعل فيما بينه وبين الصحن ملوحا من الخشب ، واتخذ يسار هذا المسجد خلوة الاسبوع ، وبناها لاعلى هيئة مسجد الصلاة ، وجعل بينهما طريقاً يمر عليها الى باب الاسبوع المقابل لباب مسجد الصلاة ، وجعل في خلوة الأسبوع بابا آخر الى الشارع ، وخص بالجمع في هذه (الخلوة) الفقراء من أصحابه ، فلا يدخل اليها غيرهم ، يجتمعون فيها على مداولة حزب التسبيح صباحاً وحزب الفلاح مساء ، يتلونهما جميعا بصوت واحد كقراءة شخص واحد طيلة الاسبوع .. فكانت الخلوة للفقراء عبادة ، وللطلاب مدرسة ، وللمعتكفين رياضا .. وقد كان له على الخلوة مقدّم بمثابة القيّم اسمه أبو السعود أحمد البغدادي ، ويتحدث فيها الشيخ الى أصحابه ثلاث مرات . أقول : وهذه الخلوة اليوم هي التي فيها مرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني نور الله ضريحه ، وقد تبركنا بها مرارا وتكراراً خلال السنين التي أمضيناها في بغداد . وقد وردت الاشارة الى الخلوة الكيلانية في مقدمة (درر الجواهر في ذكر مناقب سيدي عبد القادر) . وهو جزء من كتاب طبقات الاولياء لابن الملقن التكروري الذي يعده للطبع الاستاذ عبد الله الجبوري ببغداد . وليست الخلوة خاصة بالشيخ الكيلاني بل هي معمول بها عند جميع الصوفية للتفرغ من الشواغل . : التحفة القادرية في التعريف بشرفاء اهل وزان (مخطوط) المجلد ٢ ص ٨٤ (ب) ثم ٨٥ .

٨٩) كانت اول (خلوة اسبوع) بفاس هي التي انشأها السلطان أبو عنان فارس بالمدرسة المتوكلية من حومة الطالعة ، وتحتفظ الحوالات بلائحة الاوقاف المحبسة على القراء بها ، وقد عرفت في حجج الوقف باسم (أسبوع المدرسة المتوكلية) ، وبعد هذا كانت خلوة الاسبوع السفلى ، ثم خلوة الأسبوع العليا بالقرويين ، ثم خلوة أسبوع فاس الجديد بأمر من السلطان عبد العزيز بن أبي العباس سنة ٧٩٨ هـ ، ثم بجامع مكناس على أعلى الساباط لكون القراء يجتمعون فيه لقراءة القرآن كل اسبوع . الروض الهتون ص ٣٩ .

٩٠)نودي بابي سالم ملكا سنة ٧٦٠هوقتل في ذي الحجة سنة ٧٦٢ هـ في اثناء بناء هذه الزاوية ، ولهذا كان تكميلها او تجديدها فيما يظهر من نصيب أبي محمد عبد الله بن محمد الشريف الحسني ، الأمر الذي اقتصر عليه ابن القاضي في الجذوة . الآس ص ٧٧ ، السلوة ٣ ص ١٦٦ .

٩١) اهتمت العامة بامر هذه السارية التي عند مدخل خلوة الاسبوع ، فأخذوا يتبركون بها ، ويعلقون عليها تمائمهم ، ويطلبون عندها أغراضهم . فلما ولي العلامة العربي بردلة قضاء المدينة والخطابة والامامة بجامع القرويين (١١٣٣ هـ) وسمع أن العامة تروي أن الشيخ الكيلاني كان يرى متكئاً على هذه السارية وسمع عنهم اتيانهم اليها بالهدايا والنذور ، خاف أن تنسب العامة الى هذه السارية بمرور الزمن ما هو أعظم واتفق أن ميضأة جامع اللبارين كان بها قوسان محمولتان على سارية واحدة تشبه السارية التي كانت بباب الأسبوع الأسفل ، واشار المعلمون بحمل القوسين ثلاثاً ، والاستعانة بسارية ثالثة حتى لا يعيب المكان ، وهنا اغتنم القاضي الفرصة فأمر الناظر بنقل سارية الخلوة الى ميضأة اللبارين ، قاصداً التدليل على أنه لا يوجد لها فضل ، وعوضها بأخرى نقش عليها : (لا آله الا الله – محمد رسول الله) بالخط النسخي .

وعلى العادة تحرك الخصوم : خصوم بردلة ، وعلى رأسهم الشيخ أبو عنان ، وكتبوا بيّنة وقع عليها زهاء ٧٥ من وجهاء البلاد يستنكرون فيها تصرف

القاضي ، لأنه « بالغ » في تحقير أمر السارية . فمن الصف الأول في القرويين الى ميضأة اللبارين ! ورفعوا الأمر الى السلطان المولى اسماعيل ، فرأى المصلحة في اعفائه وتولية الشيخ أبي عنان مكانه إماماً وخطيباً .

وقد كان من جملة ما تحيّل به أبو عنان للتأثير على السلطان أنه – وقد بلغه أن المولى اسماعيل يبني قبة على ضريح العارف الصالح رضوان الجنوي – صحب معه الحَجَرة التي كان يتيمم بها سيدي رضوان ، وقد كان حصل عليها من حَفَدة ابنه أولاد بن مبارك ، وأهداها الى المولى اسماعيل . أما السارية المنقولة فقد اختفت من ميضأة اللبارين مرة أخرى ، وقد قيل إن الظروف تبدلت ، وان أنصار الشيخ بردلة عادوا للظهور ، فحوّلت لتوضع ممراً بين المدرسة المصباحية وجامع القرويين . نشر المثاني ٢ ص ١٥٦ ، السلوة ١ ٢١٩ – ٢٢٠ .

٩٢) كل الحوالات الحبسية تحتوي على لائحة للموقوفات على سير خلوة الاسبوع هذه ابتداء من الحوالات في آخر عهد بني مرين الى العهد الوطاسي والسعدي والعلوي . جني زهرة الآس ٧٦ – ٧٧ .

٩٣) كان بعض العوام يسمي هذه الخلوة بخلوة الشيخ عبد القادر ، ولا ندري مبدأ هذه التسمية ، ومن المعلوم المعروف عدم وصول الشيخ الكيلاني الى فاس ، وان كان التاريخ قد تحدث عن وصول عدد من تلامذته الى المدينة .. ، ويظهر أن التسمية جاءت من كون العوام كانوا يزعمون أن السارية التي بها كانت متكأً للشيخ الكيلاني على حسب ما رآه بعضهم في المنام ! وقد قيل مثل هذا عن المكان الذي يسمى بفاس (حانوت النبي) بالزقاقين ورأس التّيالين ...

٩٤) لا بد أن نعرف الى جانب هذا أن للصوفية خلوات ثلاثاً : خلوة الايام الثلاثة الاثنين والخميس والجمعة ، وخلوة الاسبوع التي تمتاز بالصوم والعزلة والسهر وترك التفكير في متاع الدنيا ، ثم خلوة الاربعين . النشر الاول ص ٢٣٤ .

٩٥) المجلد ٢ ص ١٥٦ من نشر المثاني . السلوة ١ ص ٢١٩ .

٩٦) يتساءل المرء هل ماذا كانت الخلوة قد استغلت في زمن ما كحريم للخزائن العلمية ، ويظهر أن هناك خطأ مطبعياً في الموضوع حيث حرفت كلمة (الحزابين) بكلمة (الخزائن) . الجذوة

٩٧) ورد في بعض كتب النوازل أن « أصلها أي مصرية الامام الخطيب » – باب عظيم من أبواب الجامع أحدثه بعض الولاة بدون اذن السلطان ، ثم بنيت المصرية في محله ليكون مسكن الخطيب على مقربة من مقر الخطبة بعد اغتيال التازغدري (ت ٨٣٣) ، وقد كان الإمام العبدوسي أول من سكنها . المعيار الجديد ١ – ٣١٣ .

٩٨) الناصري الاستقصا ٤ ص ٥٩ – ٩٦ – ٩٧ – ١١٨ – ١١٩ .

٩٩) يلاحظ مدى استبداد الرئيس الحاجب بالحكم حيث خصص جل الوثيقة للثناء عليه ، وعلى يد الحاجب هذا بنيت سقاية سيدي فرج بسوق الحنا القريب من المارستان السابق . وكان ذلك في فاتح جمادي الاولى عام ٨٤٠ هـ .

١٠٠) أصبحت هذه (المصرية) في بداية عهد النظام بالقرويين مكاناً لاجتماع أعضاء المجلس العلمي بعد أن كانت قبيل ذلك داراً للقاضي سيدي عبد الله بن خضراء . وقد حكى لي ولده الفقيه سيدي ادريس قاضي سلا الذي نشأ مع والده في تلك المصرية انها – خلافاً لما يظن – كانت من الضيق بحيث اذا غضضنا الطرف عن الحديقة التي كانت تمتد حتى الى خزانة المصاحف لابي عنان ، نجدها لا تتجاوز بيتاً واحداً وفناء الى جانب خزانة كتب يستعين بها القاضي ، ولضيقها فكّر أمين المستفاد في اسكان القاضي ابن خضراء في مكان أوسع في حي سيدي بوجيدة بيد ان القاضي امتنع محتجاً بانه لن يرضى مغادرة مكان ظل محل تنافس بين جهابذة العلم ورجال الصلاح في هذه المدينة . هذا ، وقد اشتهر لدى بعض العامة تسمية بيت صغير يسار الداخل لهذه المصرية ، بخلوة ابن عباد ، وفي الناس من يذكر أنه كانت هناك جرارة في سقفه تحمل (سبحته) التي يذكر الله بواسطتها . ومن المعلوم أن ابن عباد يتقدم زمانا عن بناية هذه المصرية . فهل الامر يتعلق بخلوة أخرى كانت في المستودع الذي يحمل اسمه ؟ أو أن تلك المصرية طرأت على الخلوة التي كانت هناك زمن ابن عباد ؟

١٠١) « نشر المثاني حوادث العام الثاني من العشرة العاشرة من الالف الثاني » ٢ – ص ٧٦ .

١٠٢) نشر كولان ، راجع ص ٣٠ .

١٠٣) تحتفظ الحوالات الوقفية بذكر لائحة مفصلة لمختلف أنواع العقار المحبس على القراء بالاسبوع الاعلى من الجامع . هذا ، وقد وقفت في بعض المقيدات على أن بعض الامراء المتأخرين من بني مرين كانوا يؤدون صلاتهم في الاسبوع الاعلى هذا .

١٠٤) نسبت بعض كتب التاريخ جملة من الامكنة المرممة الى الذين أصلحوها دون أن تذكر للذين كان لهم فضل التأسيس اول الامر ، ونذكر على سبيل المثال ، لا الحصر ، ما ذكروه من أن السلطان السعدي أبا محمد عبد الله الغالب بالله بن السلطان الشيخ هو باني المدرسة التي بجوار جامع بن يوسف بمدينة مراكش ، مع أنه انما قام باصلاحها وجدد بناءها ، والا فان الباني هو أبو الحسن المريني كما ذكره ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة : ٤ / ٣٧٥ - الاستقصا ٥ / ٣٩ .

١٠٥) ليس ببعيد أن يكون القصد بزاوية الحزابين التي في غرب الجامع ، المكتب المعلق الذي يتعلم فيه الصبيان ، وقد تحدثت عنه الحوالات الوقفية أوائل الدولة العلوية .

١٠٦) Les mosques de Fez P. 169-170

١٠٧) الخروم من المخطوطات التي كانت هنا انما نقلت الى هذا المكان عند تنسيق الخزانة العلمية عام ١٣٣٣ هـ كما يأتي . العراقي : مجلة المغرب ، عدد مارس ١٩٣٤ م - ١٣٥٢ هـ . الخزانة العلمية بالمغرب ص ٧٤ - ٧٥ .

١٠٨) وعلى بعض واجهات السارية الوسطى يمكن أن تقرأ : (لا زال عبد العزيز يجلو سناه كل ظلام لبس) ، وعلى بعض واجهات السارية التي على الجدار الشمالي : (ادام الله سعد ، وساعد امره عبد العزيز ...) .

١٠٩) يعتقد بعض الناس أن تلك الحجرات الثلاث كانت مخصصة لسكنى المفتي ، وأن الحجرة الرابعة كان يتخذ منها مجلساً له لعرض فتواه على العامة . وقد وقفت في بعض التقاييد على أن سيدي أحمد بن يوسف كان ممن باشروا خطة الفتوى في هذه المصرية ، ويظهر أن هذا كان بعد أن استبد الامام الخطيب برواق مصريته .. السلوة ١ ص ٢١٩ .

١١٠) لقد أطبق على نافذته المطلة على الصف الاول من بلاطات الجامع ، ونتمنى أن تكون هذه الاجراءات قد اتخذت بصفة مؤقتة للعودة اليه .

١١١) الاشارة الى الامام عبد الواحد الونشريسي الذي استشهد على أحد أبواب القرويين .

١١٢) لما تحدث صاحب الجذوة عن الخصة الحسناء ، قال : وقد بليت وبُدّلت بغيرها وهي التي تقدّم ذكرها ، يعني خصة المنصور السعدي . الجذوة صفحة ٢٤ .

١١٣) قال اليفرني في النزهة ص ١٣٦ : « وذكر ابن القاضي في المنتقى المقصور أن المنصور بعث سنة ٩٩٦ هـ بخصة عظيمة مع كرسي من المرمر توضع عليه ، وزنتهما معا مئة قنطار ، قال : وهي التي تحت منار الجامع . ومثل هذا في كتاب الدولة السعدية التاكادرتية ، فقد قال ايضاً : تحت منار الجامع ، قلت : وقد رجعت الى المنتقى ، فلم أجد في النسخة التي بين يدي كلمة : « وهي التي تحت منار الجامع » ، فلعلها مقحمة من أحد النساخ ، فقد رأينا أن المقرّي ، وهو شاهد عيان ، يروي أن الخصة المرسلة كانت هي الشرقية ، ويستفاد هذا أيضاً من ابن القاضي صاحب الجذوة ومعاصر المنصور السعدي . المنتقى ، مخطوط بالخزانة العامة مصوّر منقول عن مكتبة ابن زيدان .

١١٤) كذا يقول المقري ، وهو أصح ما ينبغي ان يعتمد عليه في هذا الصدد ولا سيما امام تساهل صاحب النزهة الذي ينقل أن القصد بالخصة ما يوجد تحت المنار وأمام إيهام صاحب الجذوة بان القبة كانت قبل المنصور السعدي وأنها لم تجدد من أجل الخصة ؟ ؟ ولا بد أن نجعل في اعتبارنا أن لصاحب النزهة بعض الاخطاء التي عرفت عنه . كما أن هناك متابعات على صاحب الجذوة . راجع الفريد بيل ترجمة جنى زهرة الآس ص ١١٩ راجع الجذوة ص ١٤٦ الهامش . روضة الآس ، المطبعة الملكية بالرباط سنة ١٩٦٤ .

١١٥) وليست الابيات منقوشة على الخصة ذاتها كما فهم بروفنصال :

Les Historiens des Charfas P. 108

١١٦) في نزهة الحادي : إمام دين الهدى المنصور شيدني .

١١٧) في بعض النسخ اضافة بيت هكذا :

فخر السلاطين من أبناء فاطمة   إنسان عين غدا من كل إنسان

الاستقصا ، طبعة البيضاء ٥ ، ص ١١٨ في تاريخ المغرب الدبلوماسي . دعوة الحق مارس ١٩٧١ .

١١٨) الحرف المضعّف من حرفين . وتحسب في الدين لام الجر ولام التعريف .

١١٩) الراجح أن هذا الاصلاح تم في عهد السلطان المولى يوسف بن السلطان الحسن الاول ، ولعله من نظم الفقيه محمد بن المفضل عرنيط . الدرر

الفاخرة – اليمن الوافي في امتداح الجناب المولوي اليوسفي . (ص ١٥٧) .

١٢٠) تاريخ الدولة السعدية التاكمادرتية . ص ٣٠ . الناصري : الاستقصا ٦ ، ص ٦٠ .

١٢١) Plan, èlèvations, details de l'Alhamra.

١٢٢) كانت هذه أيام السلطان زيدان بن المنصور سنة ١٠١٨ هـ ، ومن المعلوم أن الامير عبد الله الشيخ توفي في عام ١٠٣٣ هـ ، وقد ورد في النزهة ص ٢٠٥ أن القبة التي في أسفل المنار هي من آثار عبد الله الشيخ ، وأنه لم يكن في القديم الا القبة التي على الخصة المقابلة لها شرقي الجامع .. يعني انها من عهد المنصور السعدي .

١٢٣) توجد هنا دكانة كان يتردد عليها بعض العلماء إذا قرب وقت الصلاة المكتوبة ، ليلاحظ عن كثب وضوء العامة فيعلّم جاهلهم وينبـه غافلهم مبيناً لهم الكيفية بالاعمال لا بالاقوال ، ويصير الجميع على بصيرة من أمر دينه ولو كان على ضعف في تفكيره وذهنه ، ويعتقد طيراس أن تشيد هذه الجهة يرجع الى القرن الثامن عشر يعني عهد العلويين .

١٢٤) ينظر هل يمكن ان يكون هو ابو العلاء المريني وهو ادريس بن عبد الله بن عبد الحق وولده عثمان كان قام بغمارة ووقعت معه حروب زمن يوسف وابي ثابت الى ان هاجر للاندلس فتولى مشيخة الغزاة هناك الى ان توفي سنة ٧٣٠ ؟

١٢٥) هذا هو السلطان أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، صاحب المدرسة المصباحية ، وقد بويع في سنة ٧٣١هـ الى سنة ٧٥٢ هـ ، وهكذا يتضح أن تاجي هاتين السـاريتين منقولان من جهة أخرى .

١٢٦) روض القرطاس ص ٣٤ – جنى زهرة الآس ص ٤٩ .

ابن خلدون : طبعة لبنان ، ١٦ / ٢٩ – ابن القاضي : الجذوة ، الاستقصا ١ ، ١٧٥ .

١٢٧) بين الآثار الاسلامية ص ٢٨ .

١٢٨) Le plan de l'Université Qarawiyin a Fez Hes 1923 4e Trim. P, 517.

١٢٩) لا نذكر طبعاً الصهريج الذي تحدثت عنه الكتب من طول (٨) امتار طولاً على (٨) عرضاً ، واكتشف يسار الداخل للمسجد من باب الشماعين حيث وجدت السلحفاة الكبيرة ، لأن هذا الماء لم يكن له استعمال بالمرة كما عرفنا . الأنيس ص ٣٧ ص ٦٥ راجع ص ٩٩ .

١٣٠) يلاحظ أن عدد الحوانيت يمين الخارج من سوق الشماعين كان سبعة قبل إنشاء الخصة الغربية ، وأصبح عددها في الحوالات العلوية ستة فقط فلعلّ الحانوت السابعة جعل فيها معدة الماء . وقد كانت المعدة على عهد كتابة الحوالة الاسماعيلية متصلة بحانوت العدل عبد العزيز الداعي وجليسه ، ولم تتحدث المصادر التي بين أيدينا عن عملية كبرى لجلب الماء كما سمعنا في المناسبات الماضية ، الامر الذي يحمل على الظن بان الخصة كانت مناسبة لتحويل ماء الوادي اليها ، في حين اختص باب الحفاة بماء العين . هذا وانما تعددت مصادر الماء للقرويين تحسباً مما قد يحدث من عطب في بعض المنابع ، وكما قلنا سابقاً فانّ فاساً منذ عرفت وهي تنعم بشبكة مياه محكمة التنظيم ، وقد عرفت في جملة المهن المشهورة بفاس حرفة (القوادسية) الذين يعرفون مسالك هذه الشبكات ، وقد اشتهرت فاس بالناعورتين الجميلتين اللتين ترجعان الى عهد بني مرين على يد المهندس الغرناطي محمد بن عبد الله بن الحاج (ت ٧١٤ هـ) ، واحدة في باب حومة مولاي عبد الله ، والثانية في جنان السبيل. ومن اهتمام بني مرين بامر الماء بفاس أن السلطان ابا سعيد بن ابي يوسف شيد على مركز رأس الماء قصراً مشرفاً على خروج الماء كان يقصد حراسة المنبع قبل أن يكون القصد الى بناء بيت ريفي له ، وما تزال آثار هذا البناء اليوم على بعد ٤ كم . وقد ورد ذكرها في الحوالة الاسماعيلية سنة ١١١٥ روض النسرين . نشر المثاني ١ ص ١٥ هيسبيرس ١٩٣٤ مجلد ١٨ جزء ١ الزركلي ٧ / ١٧٤ .

١٣١) ورد في ترجمة الشيخ ابي مدين الحديث عن الساقية التي تشق صحن جامع فاس ، وقد فهم بعض أن القصد الى جامع القرويين ، والحقيقة أن جامع الاندلس هو المقصود من النص المتعلق بأبي مدين . ومما يؤكد ذلك أن القرويين في ذلك التاريخ لم تكن فيه خصة . هذا ما ورد في نص للبكري يقول : ان بعدوة الاندلس جامعاً حسناً فيه صحن فسيح ، به ساقية غزيرة الماء ... التشوف ص ١٥٦ – ٣١٧ – ٣١٩ البكري ١١٥ – ١١٦ جنى زهرة الآس ص ٩٢ المنوني : الكتاب الذهبي ص ١٨٥ .

١٣٢) سنرى أن الخصة وسط الصحن كانت تتزود ايضاً من ماء الوادي ، وتذكر الحوالات الاسماعيلية ان فيض خصتي جامع القرويين الوادي ، يجري بعضه الى دور درب ابن حيون : دار السقاط – المزدغي – علي الزين – ابن زاكور اولاد منصور ، جسوس – ابن القاضي – الشيخ المريني كما يجري

بعضه لدور السبع لويات : القسمطيني – احمد ادراق ، ثم سقاية الصفارين بعد دار الحاج أحمد الجرندى ، وذلك عن طريق (المعدة) التي بباب ابن عمر ، وتذكر تلك الحوالات أن فيض خصة العين يجري الى السبع لويات .. دار جسوس – العربي الزرهوني – الفيلالي – ابن يحيى . أنظر الحوالات الاسماعيلية والسليمانية ، ونشير هنا الى المعدة التي على يسار الخارج من درب السبع لويات والتي صلح مكانها كحانوت ، وقد ورد في حوالة اسماعيلية ان هذه المعدة يقسم بها الماء الآتي من خصتي الصحن الوادي .

١٣٣) النشر ، الثاني ص ١٥ .

١٣٤) روضة الآس ص ٢٢ .

١٣٥) استغني عن هذه الخوخة عندما فتح للحريم بويب في الممر الذي يؤدي الى حجرة الخطيب . هذا ، وقد ظلت هذه المنطقة هدفاً لتغييرات عديدة ومن المفيد أن نأتي بوصف لما كان عليه هذا الحريم قبل أن يصير الى ما هو عليه الآن ، وذلك حسب تقرير ماسلوف الذي اشرف على اعمال الترميم عام ١٩٢٩ في هذه الجهة : عندما تدخل الحريم من البويب في الممر المؤدي الى حجرة الخطيب ، تجد حجرة أولى ، وقد قسمت جناحين ، أولهما عن يمينك وقد صلح داراً للوضوء ، والثاني عن يسارك وقد قسم ايضاً في اتجاه العلو طبقتين : طبقة عليا ويصعد اليها بسلم محاذ لجدار القبلة ، وكان فيها عدد من المخطوطات ، ويدخلها الضوء من نافذة اعلاها . أما الطبقة السفلى فقد كانت حجرة طولها ثلاثة أمتار وخمسين سانتيماً . أما الحجرة الثانية فقد فصلت عن الاولى بحاجز من خشب ، وتصلح كقاعة للمطالعة ، وعلى حدّها شرقاً تقع قبة الخزانة الاحمدية .

٢) راجع ص ٨٣ .

١٣٦) طبع بالرباط ص ٧٤ – ٧٥ .

١٣٧) عرف المنصور السعدي بجلب عدد كبير من غريب المخطوطات ، أو بانتساخها خصيصاً لهذه الخزانة : المقري : روضة الآس ص ٦٩ – ٧٠. من الوثائق التاريخية المغربية في بغداد . دعوة الحق ، ابريل ، ماي ١٩٦٧ .

١٣٨) احتفظت لنا بعض الوثائق النادرة من العهد الاسماعيلي بلائحة لبعض المخطوطات النفيسة التي كانت في الخزانة السعدية مما ستعرض له في أيام الدولة العلوية الشريفة .



الفصل الثاني

مدارس القرويين

مدرسة الحلفاويين – مدرسة العطارين – مدرسة الصهريج – المدرسة المصباحية – المدرسة العنانية.

مدارس القرويين

لو لم تتحدث المؤلفات عن الحركة الثقافية في مدينة فاس ، ولو لم تنقل الينا اخبار المجالس العلمية التي عرفتها جامعة القرويين طوال هذه المدة . ولو لم نجد صدى لكل تلك المحافل في أية زاوية ، فانه يكفي لتسجيل كل ذلك هذه المقطعات الشعرية الفاخرة الرائعة في تطريزها ووشيها ، الجميلة في شكلها ومنظرها ، الدقيقة في أبعادها ومقاييسها .. ليست من النظم الذي يتكلّف فيه الشاعر الوزن والقافية ، ولكنها شعر مرسوم منظور ، يشهد بما كانت تنعم به جامعة القرويين : من حب في القلوب مكين ، ومنزلة في النفوس رفيعة . إنها هذه المعالم التاريخية التي نطلق عليها اسم « مدارس » . وتعد بحقّ اصدق تعبير عن الظروف الحسنة التي كان يعيش فيها طلابنا ايام كان يعاني فيها طلبة أروبا المتاعب والمحن من اجل الحصول على راحة البال ... جولة منك واحدة في مدرسة العطارين ، او في مدرسة ابي عنان ، ستغنيك عن كثير من القول إن كنت لا تميل الى الاعتماد على الاقوال .

* * *

المدارس العلمية في هذا العهد

لقد اتّجه بنو مرين . أولَ ما اتّجهوا . الى بناء المدارس الداخلية لتقبل المزيد من طلاب العلم من سائر جهات المملكة . فان المدارس الموحدية لم تعد صالحةً لنشر المبادئ التي قامت عليها الدولة المرينية الجديدة .

وقد كان للطلبة الحق في سكنى البيوت متى برهنوا على أنهم أهل لذلك ، بما يحصلون عليه من مبادئ ضرورية في مختلف العلوم والفنون . وحدث في بعض الظروف التي تعرضت فيها البلاد لأزمات عابرة أن كان الطلاب يحصلون على البيت بالشراء :

واشتر بيتاً مفرداً ذا ضَوْءِ   يقي متاعك سيول النَّوْءِ (١)

وقد كان الطلبة والأساتذة وأعوان المدارس ينعمون حقاً بما يغدق عليهم من أموال الأوقاف ولا سيما عندما يرتفع كراء الدور والأرضين (٢) .

وهكذا اسست مدرسة الحلفاويين (٦٧٠ هـ) ، ومدرسة دار المخزن (٧٢١ هـ) ، ومدرسة الصهريج (٧٢١ هـ) . ومدرسة السبعيين (٧٢١ هـ) . ومدرسة الوادي (٧٢١ هـ) ، ومدرسة العطارين (٧٢٣ هـ) . والمدرسة المصباحية (٧٤٥ هـ) ، والمدرسة العنانية (٧٥٥ هـ) .

ثلاث من هذه المدارس ، يحيط بالقرويين مباشرة : هي مدرسة الحلفاويين ، ومدرسة العطارين ، والمدرسة المصباحية ، والاربع الباقية وزعت على بعض فروع القرويين ، فشيدت بجوار جامع الاندلس ثلاث مدارس ، هي

مدرسة الصهريج ، وبلصقها مدرسة السبعيين ومدرسة الوادي ، وشيدت اخرى في فاس الجديدة على مقربة من قصور بني مرين ، هي مدرسة السلطان ابي سعيد ، وشيدت الثانية وسطا في الطريق الذي يربط فاس العتيقة . بفاس الجديدة ، وكانت هي مدرسة السلطان ابي عنان .

ولم تكن مدارس فاس بمخصصة لايواء الطلاب فحسب ، ولكنها ايضا كانت محل درس كما يعطي ذلك اسمها : « مدارس » وكما يدل عليه تزويدها بقاعة اوقاعتين خاصتين مزودة في الغالب بخزانة تضم عشرات المخطوطات مع العلم ان جل المدارس لا تحتوي على صومعة ، الامر الذي يشير الى ان تلك الامكنة مهيأة للدرس اكثر مما هي مهيأة للسكنى (٣) ، على ان هناك دليلا ثالثا يعتبر القول الفصل في الموضوع ، ذلك ان الوثائق المغربية تتضافر جميعها على نقل العديد من النصوص التي تؤكد ان هذا العالم او ذاك كان يعطي دروسه في قاعة مدرسة الصهريج اومدرسةالعطارين او المدرسة المصباحية او العنانية مما سيمر بنا في مختلف مقاطع الكتاب (٤) .

ولكل مدرسة قيم اومقدّم يتعهد مع اعوانه شؤون المدرسة وتنظيفها وانارتها وتوزيع المؤنة على الطلاب (٥) والسهر على مراقبتهم كذلك ، والمقدّم يتبع اداريا شيخ القرويين ، وغالبا ما يتم اختياره بتزكية الطلبة بعد ان يصادق على ذلك قاضي المدينة .

مدرسة الحلفاويين (٦٧٠هـ) (١٢٧١م)

لقد كانت هذه هي المدرسة الاولى التي اسسها بنومرين ، فقد بناها سنة (٦٧٠ هـ) (٦) ، ابويوسف يعقوب ، وتعرف في الحوالات الحبسية القديمة باسم مدرسة الحلفاويين كما تحمل اسم « المدرسة اليعقوبية » وقد عرفت اليوم باسم مدرسة الصفارين .

ويدخل الى المدرسة من طريق أسطوان ينفذ الى صحن مستطيل الشكل ، في وسطه صهريج مربع كانت بيوت الطلبة تحيط به ، وتجاه المدخل بنيت قاعة للدرس والعبادة وهي مربعة ، ما تزال لحسن الحظ تحتفظ بآثار فنية بديعة جميلة . ويعد محراب هذه القاعة أقوم محاريب مساجد فاس . وكانت توجد الى جانب قاعة الصلاة في يسار الواقف امامها خلوة ذات محراب خاص بها كانت مسكناً للامام محمد بن سليمان الجزولي(٧) . كما سنلاحظ عن يسار باب قاعة حجرة ناتئة مغروزة في الجدار . يقال إنها جلبت من مكة المكرمة . وهي ثالثة مدرسة لها صومعة صغيرة(٨) غيرَّ دخان سوق الصفّارين من ملامحها والوانها .

وقد كانت المدرسة تتوفر على خزانة كتب علمية مهمة .. وفي هذه الزاوية ميضأة تحتوي على صهريج وعدة بيوت للوضوء .

ومنذ أسست المدرسة اليعقوبية خصّصت لها أوقاف كثيرة . لسدّ حاجاتها ومتطلبات نفقة طلابها ومجالسها العلمية (٩) .

مدرسة العطارين (٧٢٣ هـ)

وبعد مدرسة أبي سعيد بفاس الجديدة(١٠) ، ومدرسة الصهريج(١١) ، والسبعين(١٢) والوادي(١٣) المشيدة قريباً من جامع الاندلس ، عاد بنومرين الى منطقة القرويين ، ليؤسسوا مدرسة عدت حتى الآن أعجوبة مدينة فاس ، وقد سميت بالعطارين لانها تقابل سوق العطارين ، وقد وضع حجرها الاساسي السلطان أبو سعيد نفسه في جماعة من الفقهاء ، واهل الخير يوم الجمعة غرة شعبان سنة ٧٢٣ هـ (٥ غشت ١٣٢٣) ، ولم ينته العمل فيها الا بعد سنتين . وقد جرى العمل تحت إشراف أبي محمد عبد الله بن قاسم المزوار ، ورتب السلطان فيها إماما ومؤذنين وقَومة يتعهدونها و«شحنها بالطلبة» ، وخصص لها الفقهاء لتدريس العلم وحبس عليها عدة املاك كما يؤخذ ذلك من رخامة التحبيس المغروزة في الجدار ، والمدرسة من حيث الفن الذي تحتويه جوانبها تعد متحفاً رائعاً وبديعاً ، وكل قطعة منها كانت مثار انتباه رجال الفن الذين سمّوها أعجوبة فاس ، ففيها تبدو بهجة الفن المغربي في الخطوط والنقش والتركيب والأقواس .

وحين تدخل من باب المدرسة تجد عن يمينك مطلعاً الى الطبقات العليا حيثُ غرفُ الطلبة ، كما تجد عن يسارك دار الوضوء ، وامامك المدخل الى صحن المدرسة ، وفيه خصة عين ، وقبالتها قاعة الدرس التي لا تحتوي على بلاطات وانما على جانب في المؤخر يشتمل على ثلاث اقواس محمولة على ساريتين من رخام ، كتب على تاجهما : (قل هو الله أحد) ، وبقية السورة في التيجان الباقية المغروسة ، ونعتقد أن هذا الجانب كان محل خزانة للمخطوطات في ذلك العهد ، كالشأن في بعض المدارس الباقية .

وفي هذه القاعة ثريا مثمنة الزوايا ، كتب عليها محيطا بها قول الله تعالى : (الله نور السموات والارض الآيات) . ومن بين ما نقش على هذه الثريا اسم مشيد المدرسة ابي سعيد ، إلا أن التاريخ زال جانب منه في الثريا ، ولم يسجل الا سنة سبع مئة ، غير أنه يمكن الوقوف على هذا المسوح في الرخامة حيث تقرأ عام خمسة وعشرين وسبع مئة قبل ذكر اللائحة العريضة للمحبسات (١٤) .

ونرى من الفائدة أن ننقل هنا النص الكامل لرخامة التحبيس المشار اليها آنفاً ، لتكون فكرة عن جانب من الحوالات الوقفية التي كانت معروفة في العهد المريني :

« الحمد لله رب العالمين رافع درجات العالمين ، ومجزل ثواب العاملين حمداً يكون كِفاء لآلائه ، وأداء لواجب شكر نعمائه ، متصلاً الى يوم الدين ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد . وبعد ، فهذا ما حبس وامر بتخطيطه وانشائه مولانا الإمام أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، واسطة سلك ملوك بني مرين ، أبوسعيد ابن مولانا الإمام أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، أبويوسف يعقوب بن عبد الحق جعلهم الله من أئمة المتقين ، برسم المدرسة التي اتم بناءها في عام خمسة وعشرين وسبع مئة ، وهي المقابلة لسماط العطارين من فاس القرويين ، فمن ذلك ثلاثة عشر حانوتاً متصلة بباب الفرج ، ومن ذلك دار الصابون مع الحوانيت الثلاثة المخرجة منها بالشراطين والدار والمصرية واربعة حوانيت ، مع الطراز المحمل عليهم بعين إيصليتن وثلاثة حوانيت مع المصرية المحملة عليهم بالصفارين القدماء ، وسبعة اثمان فندق الحدودي مع الاربعة حوانيت المخرجة منه بالدرب الطويل وتربيعة ابن

جيدة بالبليدة ، والحانوت الرابع بالعطارين عن يمين المار من المدرسة والحانوت الثاني بالقسرية ، وعن يسار الداخل من الحرارين والحانوت بالسبيطريين ، وهي الاولى عن يسار الخارج من فندق الزيت ، والحانوت الثالث عن يسار الخارج من الجزارين وبيت أرحى مصالة بشيبوبة والحجر الثاني مع القاعة المتصلة به ، ونصف شايع بقاعة الزرع بالبيت الموالي لحمام الزيات ، والفرن بجرنز ، ودارتلاصق فرن الكوشة ودارعلو بالصباغين ، ودارعلوبجزاء ابن زكوم ، ودار يبرزح تلاصق دارأمن الله ، ومصرية بعين الخيل محملة على الصابة ونصف فندق الرضّاع شرق جامع القرويين ».

هذا وتعد المدرسة محلّ رياسة وتخصص لدراسة الفقه والنحو كما يفهم من ترجمة الشيخ ابن العباس بن البناء المراكشي (ت ٧٢٣) لما دخل مدينة فاس . وترجمة الشيخ المكودي (ت ٨٠٧) . وترجمة ابن الفتوح (ت ٨١٨) والمشترائي الدكالي (ت ١٠٣٣) .

المدرسة المصباحية (٧٤٧هـ)

وقد شيد السلطان المريني أبو الحسن[١٥]. مدرسة اخرى على مقربة من القرويين، لا يفصلها عنها الا طريق من نحو خطوات، وكان ذلك سنة ٧٤٧هـ (١٣٤٦م) كما هو منقوش في أعلى رخامة الوقف[١٦].

وقد سميت بالمدرسة المصباحية لأن الأستاذ ابا الضياء مصباح بن عبد الله اليالصوتي[١٧] (٧٥٠ هـ) كان هو أول من تصدّى للتدريس فيها [١٨] ، وتسميها حجج الوقف مدرسة الخصة لأن بيلة من المرمر الابيض تحتل وسط فنائها ، وكان ابو الحسن جلبها من المرية (Al-Meria) بالاندلس ، من طريق البحر حتى العرائش الى قصر عبد الكريم ، حيث حملت على مركب الى أن وصلت الى ضواحي فاس ، ومن ثمت حملت على عجلات من الخشب تجرها القبائل والرؤساء [١٩] الى أن وصلت اولاً الى مدرسة الصهريج ، ثم حولت منها الى المدرسة المصباحية[٢٠] حيث ما تزال الى الآن ، طولها ٣,٢٠ م على عرض ١,٠٥ .

والمدخل اليها عن طريق باب يقابل باب القرويين الشمالي المسمى باب الخصة ، وقد كانت هناك قطعة من الرخام بين القرويين والمدرسة ، يعبر عليها الطلبة الذين يفضلون الحضور للدرس بدون أحذية [٢١] .

وعلى يسارك وأنت داخل الى المدرسة منفذ الى دار الوضوء ، وكذلك المطلع الى الطبقتين العلويتين اللتين يسكنهما الطلاب، حيث يوجد في وسط الدرج مسجد صغير له محراب الى الآن ، وكان هذا المسجد في ظروف ما مركزاً لقاضي القضاة .

وتحتوي الطبقة الارضية كذلك على عدد من البيوت الطلابية التي يبلغ مجموعها بين الفوقي والسفلي زهاء سبعة عشر بيتا ومئة بيت ، وقبالة المدخل باب قبة الدرس والصلاة ، تتوسطها سارية من رخام ، والقاعة لا تشتمل على محراب .

وقد عرف في التاريخ جم غفير من العلماء والطلبة الذين كانوا يأوون في هذه المدرسة ويدرسون بها النحو والفقه [٢٢] من امثال الكلالي ومولاي عبد الله الشريف الوزّاني ، والشيخ عبد القادر الفاسي ، وسيدي حدّو السوسي والسلطان المولى الرشيد [٢٣] .

وقد كانت المدرسة آية في الحسن والجمال ، لولا ما أصابها من تصدّع وخراب اديا الى اغلاقها نهائياً ، بالرغم مما تتوفر عليه من أوقاف عديدة (٢٤) .

* * *

ولم تكن (المصباحية) هي خاتمة المدارس المرينية فان السلطان العظيم ابا عنان رأى ضرورة إنشاء مدرسة باسمه في سوق القصر الذي يحمل اليوم اسم الطالعة الكبرى (٢٥) ، فكانت تحفة فائقة لا بما تضمه من عدد الغرف فقط ولكن بما اشتملت عليه من تجهيزات وبما فاقت به سائر المدارس الاخرى ايضاً ، اذ اشتملت ، بالاضافة الى بهوين متقابلين للدرس ، على صومعة تشرف على المدينتين : فاس القديم وفاس الجديد ، وعلى قاعة الصلاة ، ازدانت بمنبر رائع بديع ، أغرى رجالاً من الاجانب بسرقته ! ! كما اشتملت على ساعة مائية كانت حديث الناس ردحاً من الزمان ، نصبت قبالة باب المدرسة الرئيسي في الطالعة الكبرى غير بعيدة عن دار الوضوء(٢٦) التي تعد متحفا رائعا ، وكل خلية من خلايا المدرسة قطعة من القطع الفنية التي تستدعي منك امعان النظر(٢٧) .

ويروي ليون الافريقي أنه سمع من عدة اشخاص سمعوا مَن قبلهم أن السلطان ابا عنان اطلع عند انتهاء بناء المدرسة على دفتر الحسابات ، فوقف على ما يبهر من المصاريف ، ولكنه عوض أن يستكثر الارقام عدل عن تتبع الحساب ، ومزق الدفاتر ، والقى بها في الوادي الذي يشق المدرسة ، وانشد هذا البيت الذي حكي ايضاً عن ملك مصر لما قدمت اليه حسابات الجامع الازهر ، وعن المنصور الموحدي لما قدمت له حسابات منارة جامع الكتبية بمراكش وعن ابي الحسن لما أخبر بمصاريف مدرسة العطارين من مكناسة الزيتون ، أنشد :

ليس لما قرّت به العين ثَمَنْ لا بأسَ بالغالي إذا قال حَسَنْ ! (٢٨)

قالوا : ولقد احصى بعض امناء السلطان تلك المبالغ ، فوجدها تصل الى اربع مئة وثمانين الف دكة (Ducats) . أي ما يعادل اربعة ملايين وثمان مئة واثنين وسبعين الفا وتسع مئة وستين فرنكا بحسب تقدير « ماسينيون » الذي يفيد أن الدكة تساوي ١٠,١٥٢ .

وقد اصلحت المدرسة على ممر الاعوام إصلاحات متوالية ،(٢٩) .

* * *

هذا ويجب التنبيه على أن المدرسة البوعنانية المبنية داخل فاس هي غير الزاوية المتوكلية التي انشأها السلطان ابو عنان خارج المدينة والتي وقع التنويه بعمارتها أول الامر عام ٧٥٦ = ١٣٥٥ في رحلة ابن بطوطة في السفر الأول وفي السفر الرابع عندما نعتها بالعظمى قائلا : "انها ابدع زاوية رآها في المشرق وانها تفوق زاوية سرياقص فهذه الزاوية ذهبت بها الأيام وقد الهمني الله لاكتشاف بقاياها على شفير وادي فاس(٢٩).

وبعد بني مرين حاول بنو وطاس أن يسهموا بعمل ما في هذا الباب، فانشؤوا سنة (٨٤٠هـ) فيما يظهر مدرسة على اتصال بجامع باب الجيسة شمالي القرويين(٣٠).

تعليقات الفصل الثاني

١) « الابتهاج بنور السراج » للعلامة البلغيثي ، ٢ / ١٠ – ١٥ .

٢) من المشكلات الطريفة التي اثارها تناقص مرتبات الاساتذة ومنح الطلبة وأجور المقدمين (الاعوان) في بعض السنين العجاف ، ان سئل اعيان علماء فاس وائمة تلمسان عن كراء العقار المحبس على المدارس اذا نقص : هل يدخل النقص على العلماء والطلبة والاعوان او يدخل على العلماء دون الطلبة ، او بالعكس ؟ كلام نفيس يدل على مدى العناية بمصير هذه المؤسسات ، فكان من حجج الذين قالوا بادخال النقص على الاساتذة وحدهم ان المدرسة مشتقة من الدرس والدارسون هم الطلبة ، فهم الاولى اصالة بالكراء وغيرهم تابع ، وقد جاء في تعقيب القاضي ابراهيم اليزناسني تصحيحه لفتوى القاضي ابن عطية وفتوى الاستاذ التازي اواخر القرن الثامن ، وذلك بفتوى ثالثة طويلة صوّب فيها ما افتى به القاضيان من تقديم الطلبة قائلاً : « ان اسوأ حال الطلبة محاصّتهم ... » المعيار ٧ – ٢٤٦ – ٢٤٩ ...

٣) ورد في كتب النوازل التنصيص على أن المدارس مشتقة من الدرس وانها من أجل ذلك ، تكتسب طلابها حق الاولوية في تعويض الاوقاف دون الاساتذة ، كما ورد فيها ايضاً التنصيص على ان قاعات الصلاة انما بنيت بهذه المدارس دفعاً لوصف الفندقية عنها بدليل تعمّد عدم بناء المآذن بجل المدارس يضاف الى هذا ما ورد بصريح العبارة في نصوص الوقف المنقوشة على رخامة التحبيس بمدرسة دار المخزن في فاس الجديد .. وكذلك بمدرسة العطارين ، فسنقرأ فيهما « ... حبس على تدريس العلم بمدرسته المباركة .. » (... وخصص لها الفقهاء لتدريس العلم..) على ما سنرى ...

٤) لا بد ان تتذكر ان بعض الاسر من مدينة فاس كانت تتبنى طائفة من الطلاب يعيشون معها في بيتها وفي اكثر الاحيان يصاهرونهم بعد ان تظهر عليهم مخايل النجابة ... ابن الوزان ١ ، ١٨٧ .

٥) يذكر الحرشاوي ان توزيع الخبز لا يتم يوم الثلاثاء ، لانه يوم عطلة لأصحاب الافران .

٦) لعل الكتاب الوحيد الذي اعطى تاريخ بناء هذه المدرسة ، هو جنى زهرة الآس ص ٨١ ، وتذكر بعض النسخ ان ذلك تم سنة ٦٧٥ هـ .

٧) جذوة الاقتباس ، الكراسة ٢٦ ص ٣ . Manuel d'art musulman II P. 803.

٨) المدرستان الباقيتان اللتان تشتملان على الصومعة هما – مدرسة دار المخزن ومدرسة أبي عنان . والمعروف عن الأثبات الثقات انها انما كان يصلي بها جماعةً الظهر والعصر ، وقد ورد في كتب النوازل أن المساجد انما بنيت في المدارس ، دفعاً لوصف الفندقية أو الخانية عنها ، والدليل على ذلك ما نراه من عدم وجود صومعة في معظم المدارس . المعيار ٧ ، ص ٢٥١.

٩) احتفظت الحوالات الوقفية القديمة بلائحة تحتوي على ٢٥ بقعة في البلايغيين (وهي الطريق التي تمتد من باب مولاي ادريس المجاورة لباب القيسارية الى السقاية والمزارة) وفي البراطليين (وهي الطريق التي تمتد من المعراض : جهة المضايميين الى باب القيسارية ، وخزائن دار الدبغ من شوارة) حومة البليدة .

هذا وقد دخل تغيير مهم على تصميم المدرسة المذكورة منذ العهد الاول للملك محمد الخامس ...

١٠) أمر السلطان أبو سعيد سنة ٧٢٠ هـ كما يقول ابن ابي زرع وأبو الحسن ، وكما نقش على الرخامة ، ببناء هذه المدرسة على مقربة من دار المخزن لايواء الطلبة وتدريس العلم . وكمل بناؤها وبدئ بالإقراء فيها وسكناها في ذي القعدة من عام ٧٢١ هـ ، كما نقش على نهاية رخامة التحبيس (١٣٢١ م) ، وهي على ما وقفنا عليه ذات فناء طوله أكثر من عرضه ٢٥,٩ / ٣٠,٦ ، في وسطه صهريج كما كان الحال في مدرسة الحلفاويين ، وبيوت الطلبة على كلا الجناحين ، ولا توجد هناك طبقة عليا للمدرسة ، وتحتوي المدرسة كذلك على قاعة للدرس والعبادة ، عرضها أكثر من طولها تحتوي على بلاطين من خمس أقواس ، وكانت بذلك أول مدرسة انشئت بعد تأسيس فاس الجديدة عام ٦٧٤ هـ ، رتب فيها السلطان الطلبة لقراءة القرآن ، والفقهاء لتدريس العلم ، واجرى عليهم المرتبات والمؤن في كل شهر ، وحبّس عليها الرباع والمجاشر.

ومن الخصائص التي عرفت منذ هذا التاريخ في عادات بني مرين انهم لكي يضمنوا قطع دابر السطو على أوقاف هذه المدارس ، عمدوا الى نقش لائحة الموقوفات على رخامة يغرزونها في قاعة المدرسة ليقف عليها العادي والبادي .

واذا كانت رخامة مدرسة الحلفاويين قد غابت عنا لسبب ما فان مدرسة فاس الجديدة تحتفظ بالرخامة التي هي الى الآن في قاعتها من متر على ٥٥ ، وقد أمر بذلك الأمير أبو الحسن نجل السلطان أبي سعيد « دفعاً وردعاً لأيدي المعتدين » كما نقش ذلك عليها .

وقد عرف عدد من مدرسيها القدامى ، نذكر منهم أبا العباس أحمد الجذامي الفاسي الملقب بالقباب (ت ٧٧٨ هـ) . وقد اتخذ منها السلطان محمد الرابع إثر موقعة ايسلي مدرسة لتكوين المهندسين والفنيين حيث تخرج فيها جماعة توجهت بعد الى عواصم أروبا لتتميم تخصصها .. ومما ينبغي ذكره هنا أن الصومعة الحالية لهذه المدرسة هي من عمل السلطان المولى الحسن الأول ، وكانت تقع قبل في مكان حال دون فكرة تربيع ساحة المشور وتجهيزه بالبنائق اللازمة ، وقد دخلت من دون شك بعض تغييرات على وضع المدرسة أيضاً ، ومما يلاحظ كذلك أنه لا يوجد ذكر لهذه المدرسة في الحوالات الوقفية ، وكذلك عندما تحدث المعيار عن المدرستين الوحيدتين اللتين لهما صومعة: الصفارين والعنانية ، وذلك لكونها كانت تابعة مباشرة لادارة القصور الملكية . روض القرطاس ص ١٣٢ - ٢٩٤ - ٢٩٩ . الاتحاف المجلد ٣ ص ٣٦٧ ، الدرر الفاخرة ص ٢٧١ .
Inscriptions De Fèz P.P. 85 - 115 G. Marçais Manuel P.505
Arehives marocaines P.226 - 284 حول فاس الجديد (البحث العلمي دجنبر ١٩٦٧) .

١١) شيد هذه المدرسة الأمير أبو الحسن بن السلطان أبي سعيد لما كان ولياً للعهد ، شرع في بنائها سنة ٧٢١ هـ (١٣٢١) . وكمل بناؤها وابتدئ الإقراء فيها في شهر ربيع الأول من عام ثلاثة وعشرين وسبع مئة (١٠ مارس ٩ ابريل ١٣٢٣ م) . وتسمى كذلك لأن صهريجاً مستطيلاً يقع وسط فنائها جلب اليه الماء من عين بخارج باب الحديد ، وكان الصهريج جلب من اسبانيا من ألمرية Al – Meria وزنه ١٤٣ قنطاراً قبل أن ينقل الى المصباحية وهي تساوي في مساحتها مدرسة فاس الجديد ، بَيْدَ أن طول الساحة أكثر من العرض ، وقد حدّد الفناء بجناحين حيث بيوتُ الطلاب ، كما تشمل دار وضوء . أما قاعة الدرس والعبادة ، فان عرضها يزيد على طولها ، والقاعة تحتوي – من جهة المحراب – على الخزائن التي كانت توضع فيها المخطوطات التي وهبت للمدرسة ، في شهر ربيع الأول ٧٢٨ هـ . وكان منها نسخة مهمة من كتاب البيان والتحصيل ، ونسخة فريدة من التاج للجاحظ (اربعة أجزاء على الرق أواخر شعبان عام اثنين وسبعين) وهي تنفذ الى الفناء بواسطة ثلاثة منافذ : قوس كبيرة يكتنفها مدخلان صغيران ، وتمتاز عن مدرسة فاس الجديد بأن لها طابقاً علوياً ذا عدد من حجرات الطلاب . كما تحتوي على نوافذ جميلة تطل على ساحة المدرسة .

وانّ الفن المعماري الذي ما تزال المدرسة تحتفظ ببقاياه ، ولائحة الموقوفات التي نقشت على رخامة التحبيس ، وتحتفظ بها الى الآن بعض الحوالات الوقفية . كل ذلك يدل على ما كان لهذه المدرسة من قيمة ، لقد أنفقت عليها أموال جليلة « تزيد على مئة الف دينار » أي ما يبلغ زهاء مليون ونصف المليون بحسب تقدير أوائل القرن العشرين .

ولقد حملت هذه المدرسة في بعض المصادر التاريخية اسم « المدرسة الكبرى » ، تمييزاً لها عن « المدرسة الصغرى » التي تتصل بها والتي تجاور مقاماً هناك كان يعرف باسم (دار الضيوف) ، كما حملت في بعض الحوالات الوقفية اسم مدرسة أشيخن باسم الزنقة القديم .

وعلى العهد السعدي قام العاهل عبدالله بن محمد الشيخ بترميمات مهمة في المدرسة ، فأوهم ذلك بعض الناس بأنه هو الذي اسسها ، ثم قام بتجديدها كذلك السلطان محمد الثالث .

هذا ، وقد ذكر الفقيه بن سودة أنه وقف في بعض التقاييد على أن هناك تأليفاً حول هذه المدرسة اسمه (التبريج في بناء مدرسة الصهريج) يشتمل على سابقة وعدة فصول . ولاحقة ، ومما جاء فيه : أن ارض المدرسة كانت مقبرة ، استفتى أبو سعيد المريني علماء وقته في استعمالها لهذا الغرض ، وقد اشتملت المقدمة على حيثيات الفتوى وأولوية الأحياء على الاموات ... ، روض القرطاس ص ٣٠٠ ، الحوالات الوقفية – الاستقصاء ٨ ، ص ٦٩ .

Encyclopedie de l'islam (Madrassa) دليل المؤرخ ص ٤٨ .

١٢) أسست مدرسة السبعين في الزمن الذي أسست فيه مدرسة الصهريج ، أسسها الأمير أبو الحسن ، وسميت كذلك لأنها كانت خاصة بالطلبة الذين يقرؤون القرآن بالروايات السبع ، وقد كانت في الحقيقة ملحقة بمدرسة الصهريج كما في رخامة التحبيس ، التي تشترك فيها مع المدرسة السابقة . والمدرسة تحتوي من روائع الفن على الشئ الكثير بالرغم من إهمالها ، وما يزال في إمكاننا أن نقف على نوع الرسوم التي كان المرينيون يهوونها ، ونذكر على سبيل المثال زهور السوسن التي نقشت على قطعة من الرخام عند أنبوب السقاية .
Inscription arab de Fèz encyclopedie msdjide
Manuel P.508
وقد أحيطت ساحتها بأربع واجهات مسقفة حيث توجد بعض الغرف ، وللمدرسة طبقة عليا . أما قاعة الدرس والعبادة ، فانها عبارة عن حجرة كبيرة ، وقد اكتفى للاشارة الى قبلتها بقوس عوض المحراب المعهود ، وقد ورد ذكر هذه المدرسة في عدد من المصادر ، منها رسالة الكلالي . البحث العلمي ص ٢٥٠ .

١٣) التبست مدرسة الوادي على كثير من الناس ، لقلة المصادر التي تحدثت عنها ، ولاختفاء معالمها منذ زمن ، والحقيقة أنها غير مدرسة الصهريج ، وقد سميت كذلك لأن هناك وادياً كان يشق صحنها ، وقد ورد في المسند لابن مرزوق عند الحديث عن أبي الحسن المريني أنه أي ابا الحسن بنى بقرب جامع الأندلس مدرستين عظيمتين ، وهما أولاً مدرسة الصهريج مع محلقتها مدرسة السبعين ، ثانياً مدرسة الوادي . ولما تكلم أبو علي اليوسي على الملوك الذين أحيوا العلم في المغرب ، وذكر أبا عنان ونظراءه ، قال : « وكانت مدرسة الوادي بفاس – وهي اليوم خربة – تحتوي على نحو سبع مئة أستاذ » .

قال : « وكان لا يعطى البيت فيها الا لمن يحفظ جميع المختصر الحاجبي » . وقد وقفت في الحوالة الإسماعيلية على الحديث عن مجلس لدراسة الفقه كان هنا ، كما وقفت على أن الشيخ ابن هارون كان يدرس المدونة في مدرسة الوادي في حياة ابن غازي ، وهكذا نجد أن تاريخها يعود الى عهد بني مرين والى سنة ٧٢١ هـ بالذات ، وأنها غير مدرسة الصهريج كما تؤيده الحوالات الحبسية الاسماعيلية التي تذكر أوقاف هذه المدرسة وأوقاف تلك ، كلاً على حدة ، وينسب الى السلطان المولى سليمان إصلاحها وتغييرها الى ما هي عليه . وورد في فواصل الجمان : أن مسجد الوادي كان مدرسة في القديم الى ان خربت ، وعثر فيها على قتيل فأزعج ذلك السكان ، فهدمت البيوت والأركان ، ثم جعلت مسجداً جامعاً ، وكان هذا على عهد الباشا الأرشد الحاج عبد الله بن أحمد أيام السلطان المولى الحسن الأول .

المسند) الثلاثة الأشهر الأولى . السلوة ٣ ص ٢٣١ . فواصل الجمان ص ٢١٥ حوالة عام ١١٠٥ هـ . Hes. 1925 1er T.

١٤) روض القرطاس ، ص ٣٠٠ ، Description de L'Afrique ، الحوالات الوقفية لعام ١١٠٥ Inscription de Fèz تنبيه الصغير من الولدان .

١٥) أبو الحسن هذا هو الذي بنى القبة التي على صهريج سيدي حرازم ، حيث توجد المياه المعدنية . هذا ، وينسب ابن مرزوق بناء هذه المدرسة الى ابي سعيد ؟ Inscription de Fèz hesp 1925 P.68 – 69

١٦) مما يوجد في رخامة التحبيس : « وبعد ، فهذا ما أمر بتخطيطه وإنشائه دفعاً ودرعاً لايدي المعتدين مولانا أبو الحسن علي بن مولانا أبي سعيد .. » ثم لائحة المحبسات ، وذلك كله المسمّى باسم الخطيب أبي الفضل المزدغي ، حبس ذلك كله وخلده تحبيساً دائماً وتخليداً مؤبداً ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .. وقد كان أبو الفضل المزدغي خطيباً بالقرويين ، ثم صرف عن ذلك ، لكن السلطان أبا الحسن لم يلبث أن أرجعه الى منصبه بعد أن وقف على شعره :

أأبعد عنكم دون فعل كبيرةٍ وأمنع قسراً من صعود المنابر ؟ !

جنى زهرة الآس ص ٦١ – ٦٢.

١٧) بني يالصومن قبائل غمارة على مقربة من شفشاون ، ويذكر بعض الكتاب أن مصباحاً هذا كان هو الطالب الذي وقعت له قصة فريدة مع بنت الشيخ عبد الله بن مليح (ت ٧٤٥)...

١٨) السلوة ٢ ص ٥٦ – Manuel P.510

١٩) يذكر بعض المؤرخين أنها تزن مئة قنطار وثلاثة واربعين قنطاراً – جنى زهرة الآس ص ٣٧ .

٢٠) جني زهرة الآس ، ص ٣٧ – ٣٨ .

٢١) يقال ان هذه الحجرة بقية من سارية خلوة الاسبوع السفلى – الصفوة ١٥ – السلوة ٣ ص ١٤٢ .

٢٢) كان للونشريسي فيها كرسي لتدريس المدونة ، وربما ناب عنه ولده بحضرة أعيان الطلبة من أمثال ابن غازي . نزهة الحادي ص ٣٠ – الحوالات الوقفية .

٢٣) نشر المثاني ٢ ص ٥ الديباج ١٨٨ ، تحفة الاخوان للقادري ، السلوة ١ ص ١١٠ .

٢٤) تذكر الحوالات الاسماعيلية من أوقافها ١٩ عقاراً و (١٤) غابة من الزيتون و (٣٩) بقعة فيها الجنات وخزائن الدبغ و (٥٠) أروى وعدداً من الحوانيت بحيث تعدّ المدرسة المصباحية أغنى مدرسة من حيث الموقوفات .

٢٥) يصر ألفريد بيل على تسمية الطالعة الصغرى باسم زقاق الحجر ، اعتماداً على بعض النصوص التاريخية القديمة ، وهي الشارع الذي يربط بين باب سينما بوجلود اليوم ، وينزل على سويقة بن صافي الى زقاق الحجر . أما الطالعة الكبرى فكانت تحمل في القديم اسم سوق القصر .

٢٦) راجع الحديث عن الساعات المائية بالقرويين .

٢٧) شرع السلطان ابو عنان في بناء هذه المدرسة يوم الاثنين ٢٨ شهر رمضان ٧٥١ هـ (نونبر ١٣٥٠) ، ولم تتم الا في أواخر شعبان المكرم من سنة ٧٥٦ هـ (٨ شتنبر ١٣٥٥) . وقد جاء في رخامة تحبيسها : « أمر بانشاء هذه المدرسة المسماة بالمتوكلية المعدة لتدريس العلم المفضلة باقامة فرض الجمعة ابو عنان فارس بن ابي الحسن .. قصد أيده الله تعالى ببنائها وجه الله تعالى في إحياء رسوم العلوم ، وتجديد العناية بالمنقول والمفهوم .. حبس أيده الله على

هذه المدرسة أرفاقاً لطلبة العلم وارفادا . وإعانة لهم وإسعادا . وكان ابتداء بنائها في الثامن والعشرين لشهر رمضان المعظم عام احد وخمسين وسبع مئة ، والفراغ منه في آخر شعبان المكرم عام خمسة وخمسين وسبع مئة ، وكان بناؤها على يد الناظر في الحبس بحضرة فاس ، حرسها الله تعالى ، أبي الحسن بن أحمد بن الأشقر . . » .

وكان هذا المسجد المدرسة رابع مسجد بفاس ، تقام فيه صلاة الجمعة بعد القرويين والاندلس وفاس الجديد ، وهي المدرسة الوحيدة التي بناها السلطان أبو عنان . وقد تسمى المدرسة المتوكلية . ومن الطريف أن نعرف أن هذه المدرسة ، وهي أقرب الى فاس الجديد من أية مدرسة أخرى كانت تعدّ في عدد من الحوالات الوقفية والوثائق التاريخية تابعةً لأوقاف فاس الجديد أو (فاس العليا) كما تقول الحوالة الاسماعيلية ، لتبقى في عداد القصور الملكية ، وهذا ما في مخطوط (بيوتات فاس) وما في الحوالة الإسماعيلية لفاس العليا .

وللمدرسة منفذان المنفذ الرئيسي من الطالعة الكبرى ، والثانوي من الطالعة الصغرى ، وانت اذا طلعت من الباب الاول وجدت عن يمينك وعن يسارك أروقة تشتمل على بيوتات الطلبة ، وورد في تعريف ابن غازي لشيخه ابن الفتوح أن هذا كان يقرئ الفية ابن مالك في هذه المدرسة . ويقيم أوده بالجامكية المرتبة عليها ، كما تجد مدارج للطبقات العليا التي تحتوي على حجرات عديدة ، وكان ممن درس فيهما أبو العباس المقّري . أما الصحن فان طوله اكثر من عرضه ، وجميعه مفروش بقطع الرخام ، وسطه خصّة يتقابل عليها قاعتان كانتا مجلسين للفقه والنحو ، وعلى حدّ قاعة الصلاة يوجد ممر للماء الجاري من الوادي .

وأراد أبو عنان أن يستوعب حاجة الطلاب ، فبنى لهم دار وضوء رائعة ، وبالرغم من أن العادة تفرض أن لا يفكر المرء في اقتحام دور الوضوء الا عند الحاجة الملحة ، فان ميضأة أبي عنان تسترعي منك الالتفات بل تسيك . وأنت تتجول ببصرك في قبتها ، أنك بين بيوت لم يأذن الله برفعها ! .

وعلى مقربة من باب المدرسة الرئيسي نصبت الساعة المائية ذات الأجراس الثلاثة عشر ، الوحيدة من نوعها . وعلى الساباط هناك شيدت خلوة الاسبوع التابعة للمدرسة

٢٨) روى عن زبيدة زوجة الرشيد عندما قدم لها حساب مشروع إسالة الماء إلى مكة قالت : « اتركوا الحساب ليوم الحساب » . . .

(٢٩) د. التازي : اكتشاف موقع الزاوية المتوكلية بظاهر مدينة فاس : محضر جلسة أكاديمية المملكة المغربية الخميس ٢٨ شعبان ١٤١٨ = ١٧ دجنبر ١٩٨٨ – زيارة ذ. عبد الهادي التازي الى اطلال بوادي فاس : وكالة التخفيض من الكثافة وانقاذ مدينة فاس ٦–٥–١٩٩٨– د. التازي : بين زاوية فاس وزاوية سرياقوص بمصر إسهام في تكريم الاستاذ مصطفى زبيس. المعهد الوطني للتراث تونس ١٩٩٩

٣٠) اذا كان تاريخ انشاء تلك المدارس قد حفظ على العموم . فان الظروف التي تم فيها بناء هذه المدرسة كانت من القلق بحيث لم تساعد على تسجيلها .

ويظهر لي أنها ترجع الى نفس الزمن الذي بنيت فيه مصرية الإمام الخطيب أيام الوطاسيين عهد أبي محمد عبد الحق بن أبي سعيد حوالي سنة (٨٤٠هـ).

ومن المعلوم أن جامع باب الجيسة مؤسسة مرينية كما هو ثابت . ومن القريب الى الواقع أن تكون المدرسة قد أسست في زمن واحد مع المسجد .

ومما يزيدنا اعتقاداً في أن المدرسة قديمة أنه ورد ذكرها في بعض الحوالات الوقفية مما يرجع الى سنة (٩٧٣ هـ) . أي قرنين من الزمن قبل عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي تنسب المدرسة اليه .

والذي نميل اليه أن الملك محمداً الثالث إنما قام بتجديدها ، فنسبت اليه . ولعل تعبير بعض المؤرخين صريح ، في أن العاهل العلوي إنما قام بعملية إصلاح ، لما كان رحمه الله يقوم بترميم جهات أخرى .

ويظهر أن بناء المدرسة كان وليد حاجة سريعة ، ولذلك سوف لا نلاحظ فيها كبير عمل فني من شأنه أن يطيل الوقت ، ويفوّت المصالح الملحة ، ولا سيما أن موقعها هو على مقربة من أحد أبواب المدينة الشمالية بعيداً عن صميم العاصمة .

وقد وقفت من أوقاف مدرسة باب عجيسة على عدد من العقار ، كان منها عرصة ابن الصغير بدرب العامر التي كانت بيد الفقيه محمد بن عبد السلام العلمي . الحوالة العبدرحمانية ص ١٤٩ . الاستقصا ج ٨ ص ٦٩ السلوة ٣ ص ٢٣٢ . الدّرر الفاخرة .

الفصل الثالث

التاريخ الفكري للقرويين على عهد المرينيين والوطاسيين والسعديين

القسم الاول

فاس على هذا العهد – المجالس العلمية – عدد الكراسي العلمية – وضع الكراسي وترتيبها في جامعة القرويين – فروع القرويين بالمدن الأخرى.

عرض تاريخي

نقدم لموضوعنا كما فعلنا في المرحلة السابقة عرضا موجزا للاحداث التي مر بها المغرب لما ان نشاط القرويين كان متأثرا بتلك التطورات في حياة البلاد .

لم يستطع الموحدون ان يثبتوا امام حملات بني مرين الذين كانوا ينتقدون عليهم اقصاءهم للأئمة وللخطباء الذين لا يحفظون التوحيد بلسان البربر ، ومعاداتهم للمذهب المالكي باحراقهم الكتب المدونة وتشجيعهم للمذهب الظاهري ، وسماحهم باستخدام عسكر الافرنج في الارض المغربية (١) .

وهكذا تملك المرينيون زمام الامر بفاس ، واسسوا هناك باعاليها « المدينة البيضاء » مقرا لبلاطهم ، وقد حرصوا منذ البداية على انشاء المدارس الداخلية التي مكنتهم من فرض كتب الامام مالك ، والاشراف على سير التعليم ، علاوة على ما وجدوا في تشيدها من حلول لمشكلة سكنى الطلاب الذين اخذوا يتواردون اكثر من قبل على مدينة فاس .

وقد كانت سياسة المرينيين كسياسة اسلافهم المرابطين والموحدين تتجه الى الاحتفاظ بما تبقى من الاندلس ، فكانت لهم هناك مواقف تحدث عنها التاريخ ، خاصة في ايامهم الاولى .

وبالرغم من ان الحروب في الاندلس قد اثقلت كاهل الدولة ، واستنزفت مواردها ، ظل الملوك المرينيون يشيدون المعاهد هنا وهناك ، وامست العاصمة موئلا لمعظم رجال الفكر ، وجاء دور ابي عنان فترك آثاراً علمية عظيمة الى جانب المدارس .

لكن الحُجّاب استبدوا اواخر الدولة بالامر دون الملوك ، والاندلس بين هذا وذاك تسلم النفس الاخير والهجرات تتوالى من ثمة على المغرب .

ثم كانت كارثة سنة ٨١٨ هـ (١٤١٥ — ١٤١٦) حيث سقطت سبتة المغربية في يد البرتغال ، وانصرفت جهود المغاربة عن بكرة ابيهم الى طرد الاجنبي من « المدينة العالمة » ، وتحولت « الدروس » في المساجد الى محاضرات في البطولة والغزو والهاب الحماسة ، وامتدت الايدي الى اوقاف القرويين للاستعانة بها من اجل الدفاع عن الحوزة .

وخلافا لما اعتدناه قبل اليوم من قيام الممالك على اساس نشر مذهب معين من المذاهب ، على عكس ذلك اخذنا نشاهد انها — اي الممالك — تقوم على اساس المنافسة من اجل محور عار عام ٨١٨ هـ ! وكثر المتطوعون والمقاومون ، كل يرى نفسه جديرا بقيادة المعركة الحاسمة ، ثم كانت (وقعة وادي المخازن) التي قوّت من امل المغاربة في النصر ، فازدهرت الحياة ، بَيْدَ أنه بعد وفاة المنصور السعدي رجعت الأحوال الى أسوأ مما كانت عليه ، ورأت فاس أياما حُمْراً .

وعبثاً حاول ابناء المنصور السعدي أن يسترجعوا الهدوء الى البلاد ، فان الاحتجاجات توالت ضد تسليم العرائش للاسبان سنة ١٠١٩ هـ من قبل المأمون ، وتجددت الاشتباكات بين اللمطيين والاندلسيين ، ولبس المواطنون المغاربة « النعال السُود » حداداً على هذه الايام ، وضاعت في هذه الفترات العابسة خزانات علمية متنقلة ، وتعرض نفر من العلماء لمساومة المتزعمين ، فقتل بعض ، ولاذ آخرون باذيال الفرار .

فاس على هذا العهد

يظل الحديث عن العالم الإسلامي وعن الحرف العربي بدون ذكر للمغرب ، حديثاً يابساً لا اثر فيه للحياة ، والعناية بالمغرب دون الالتفات الى فاس عناية بالهيكل وغفلة عن السرّ . أما الكلام على فاس دون القصد الى القرويين بالذات ، فان ذلك بمثابة الحديث عن كائن مجهول الهوية !

ومن أجل ذلك ، كان الفضل في كل ما سمعناه عن فاس من مناقب ومحامد يرجع الى هذا المركز الثقافي الاسلامي الذي اشع على هذه الجهات .

ولا بد أن نرجع الى ما نعتها به اليعقوبي ، والإدريسي ، وما خلعه عليها صاحب المعجب من جميل الصفات ، وما نقله صاحب الاستبصار ، وابن عبد الملك ، وابن ابي زرع ، والعمري ، وابن جزي . ثم ابن الخطيب ، وابن خلدون والعقباني ، والونشريسي ، والغماري ، وابن الوزان ، وابو المحاسن ، وابن القاضي ، والقادري ، والمقرئ ، وغير هؤلاء من عيون العلماء والادباء والشعراء ممن عرضنا لهم في صدر الحديث عن التاريخ الفكري في القسم الأول من هذا الكتاب [٢] .

ان كل ذلك كان يعني الإشادة بتلك المعلمة التاريخية التي ظلت عبر التاريخ مفخرة لرجال الفكر . واذا كانت المرحلة الاولى من حياة القرويين الدراسية تمتاز بشيء من الغموض والاجمال فان هذه المرحلة – وهي تبتدئ من اوائل الدولة المرينية الى اوائل الدولة العلوية – نالت على العكس من ذلك حظاً وافراً من اهتمام المؤرخين سواء منهم ممن زاولوا دراستهم بالقرويين أو ممن أتيحت لهم الفرصة لزيارتها .

واذا كنا نشعر بان القرون الاربعة التي سبقت عصر بني مرين بقيت تحت الظل فيما يتعلق بدار العلم : فاس ، وأن المصادر التاريخية في الفترة الاولى زهيدة وأحياناً مرتبكة ، فاننا في هذه المرة سنرتاح بعض الارتياح [٣] لوفرة الوثائق .

ولا نعني هنا بالوثائق ما حررته اقلام المؤلفين فقط ولكن نعني كذلك المستندات الشاخصة التي تستلفت النظر على الرغم من تطاول الزمان .

لقد كتب الناس ، وكتابتهم في شأن هذه الفترة لم تقتصر على طائفة من المواطنين ولكنها تعدتها الى كتاب اجانب امكنهم الاتصال برجال القرويين وأجواء القرويين .

والملوك الذين كانت زيارتهم للقرويين تذكر عرضاً فقط ، امسوا يذكرون كزائرين عن قصد ، وتذكر الأهداف التي من اجلها زاروا المكان نفسه ، علاوة على الصلاة والعبادة ، فهذا ابو عنان يقف على الساعة المائية التي تسير بمقتضاها مواقيت القرويين ، وتعد من اقدم الساعات المائية في الدنيا ، وهذا ابو الحسن يحضر في جماعة من العلماء والمشايخ لوضع حجر الاساس لمدرسة داخلية لا تبعد عن القرويين إلا ببضع خطوات . وهذا الأمير ابو سالم يجمّل الغرفة بساعة مائية ثالثة ظلت آثارها شاخصة الى اليوم .

وعن الندوات العلمية والادبية نرى من خلال التاريخ أنها تتابعت ، فان سيف الامام إدريس اثار جمهرة من الشعراء للتباري في التحدّث عنه [٤] ، وان وضع المحراب بالقرويين بعيداً عن سمت القبلة ، كان مما استدعى تبادل الرأي بين علماء اهل فاس واستشارة علماء المشرق .

والرحلة الى البلاد المشرقية التي كانت تأتي عفواً من جانب طائفة من الناس ، تاقت نفوسهم للعتبات المقدسة أمست منظمة تتم في مواكب رسمية وفي بعثات دبلوماسية تحمل معها عيون المخطوطات ، لتأتي بدلها بنفائس الكتب وهكذا لم تكن رحلات مقتصرة على الزيارة ، ولكنها تتعداها الى الاحتكاك بمختلف الافكار مما يكون له الاثر الكبير على الجو الثقافي بالبلاد .

واذا كان الوقوف على اسرار الخزائن العلمية العامة مما قد يصعب على الباحث تدوينه في الفترة الاولى ، فاننا سنستطيع بكل يُسر هنا أن نستعرض أمامنا عدة مكتبات سواء منها الخاص أو العام .

المجالس العلمية

هناك أمور بارزة في تاريخ الحياة الثقافية بالمغرب وبفاس على الخصوص . تعطي دلالات واضحة عن الجو الذي كانت تعيش فيه جامعة القرويين بما تضمه من عشرات المدارس ومئات من الاساتيذ وآلاف الطلاب .

وفي معرض حديث المؤرخين عن نكبة الاساطيل المغربية ، وهي عائدة من تونس في ركاب السلطان ابي الحسن ، لم يفتهم أن يسكبوا عبرات الاسى والألم على الاربع مئة عالم ، فيهم الفقيه والطبيب والشاعر والاديب ، قدر من العلماء لا يعرف نصفه ولا ربعه في بلاط احد من الملوك المعتنين بالعلم في حالة الإقامة والأمن ، فكيف في حالة السفر وحالة الحرب والبحر . واذا كان هول الكارثة قد اتى على ذكر ذلك العدد الضخم ممن كانت تزدان بهم عاصمة المغرب ، أو بالاحرى معاهد العلم بها ، فان المصادر تذكر منهم على كل حال أبا عبد الله محمد بن سليمان السطي شارح الحوفي وشيخ ابن خلدون ، وأبا عبد الله محمد بن الصباغ المكناسي الذي أملى في مجلس درسه أربع مئة فائدة في حديث : «يا أبا عُمَيْر ، ما فعل النُّغَيْر [٥] ؟ .

وقد عرفت فاس بعد ابي الحسن هذا ، السلطان ابا عنان الذي كان « يعقد – كما يقول ابن بطوطة – مجالس العلم كل يوم بعد صلاة الصبح ، ويحضر لذلك أعلام الفقهاء ونجباء الطلبة ، فيقرأ بين يديه تفسير القرآن العظيم وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وفروع مذهب مالك رضي الله عنه وكتب المتصوفة [٦] ... » .

وكانت مجالس أبي عنان نموذجاً رائعاً لم يتحدث التاريخ عن مثلها ولا عما يضاهيها في اي بقعة من بقاع الارض المعمورة .

فقد شهد الجامع الاعظم من فاس الجديد ، أو (حمص) كما يسميها العُمَري [٧] حلقات متسلسلة ضمت مشاهير رجال الفكر في ذلك العهد ، من أمثال : الإمام السفير المفتي القاضي أبي عبد الله محمد بن محمد المقّرى القرشي التلمساني (٧٥٨ هـ) . والفقيه المعدل المهندس الرياضي أبي الحسن علي بن احمد الصنهاجي الحميري التلمساني المعروف بابن الفحام (٧٥٨ هـ) ، والاستاذ العارف النحوي المقرئ المتصوف محمد بن ابراهيم الموحدي

اليتملي المراكشي المعروف بابن الصفار (٧٥٩ هـ) ، والامام المفتي ابي عبد الله محمد بن احمد بن علي الحسني التلمساني ، والفقيه الإمام المتكلم ابي عبد الله محمد بن احمد المعافري التلمساني (٧٧١ هـ) ، والقاضي المفتي ابي إسحاق ابراهيم بن محمد بن الفقيه المفتي ابراهيم بن عبد الله بن عبد الرحيم اليزناسني (٧٧٥ هـ) ، والإمام السفير القاضي المفتي الخطيب ابي عبد الله محمد بن الفقيه القاضي الخطيب احمد بن عبد الملك بن شعيب الفشتالي الصنهاجي الحميري ، والقاضي الخطيب المفتي ابي العباس احمد بن محمد بن قاسم الجذامي الفاسي المعروف بالقباب (٧٧٨ هـ) والخطيب السفير الرحالة القاضي محمد بن بطوطة الطنجي (٧٧٩ هـ) ، والفقيه الخطيب ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن مرزوق العجيسي (٧٨١ هـ) ، والشيخ النحوي سيبويه زمانه أبي عبد الله محمد بن علي بن حياتي الغافقي الغرناطي (٧٨١ هـ) ، والفقيه القاضي الموثق أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الأوربي الفاسي (٧٨٢ هـ) ، والقاضي الخطيب الكاتب الفقيه المحدث النحوي الاديب أبي القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري الخزرجي (٧٨٣ هـ) ، والخطيب السفير القاضي أبي القاسم محمد بن يحيى بن محمد الغساني البرجي (٧٨٦ هـ) ، والفقيه الخطيب العالم بكتاب ابن الحاجب الفرعي علي بن منصور بن هدية القرشي التلمساني (٧٩١ هـ) ، والفقيه المدرس المفتي أبي إسحاق ابراهيم بن الفقيه ابي زيد عبد الرحمن بن محمد الحميري التلمساني المعروف بابن الامام (٧٩٧ هـ) والقاضي الخطيب ابي عثمان سعيد بن محمد الخزرجي التلمساني المعروف بالعقباني (٨١١ هـ) ، والقاضي العارف البليغ ابي يحيى محمد بن أبي البركات العياضي السكاك (٨١٨ هـ) ، وأمثال المفتي المدرس الفقيه الفرضي أبي الحسن علي بن احمد الصرصري ، والقاضي المفتي ابي محمد عبد النور بن محمد العمراني الحسني ، والاستاذ النحوي أبي عبد الله محمد المجكيسي ، والفقيه المفتي القائم على حفظ المدونة عبد الرحمن النفزي المعروف بابن عائشة ، والفقيه المدرس المؤرخ أبي العباس احمد بن ابي الفضل بن الصباغ الخزرجي ، والقاضي العارف بكتاب ابن الحاجب الفرعي ابي عبد الله محمد القسطنطيني المعروف بالتمتام ، والشيخ الصوفي محمد بن شاطر الجمحي المراكشي ، والفقيه العارف أبي عبد الله محمد بن الحسني السدراتي ، والفقيه الخطيب أبي علي عمر بن محمد البطوئي المعروف بابن البحر، والقاضي النوازلي الفقيه ابي عبد الله محمد المدعو بأبي خريص الياباني المريني [٨]

ذلك هو مستوى مجالس السلطان أبي عنان ، واولئك الرجال وامثالهم هم الذين ينتشرون في بقية المجالس لاداء الرسالة المنوطة بهم .

وقد نقل التاريخ عن مجالس أخرى في المدرسة التي شيدها أبو عنان وسطاً بين فاس القديمة وفاس الجديدة ، والتي اختار لتصدر القراءة بها الشيخ الصرصري السالف ذكرها . هناك حيث جرت المناظرات والمناقشات الحادة حول مسائل « التهذيب » التي انفرد الشيخ باتقانها وحفظها .

ولقد خاطب ابو عنان ، وهو يخفف من الشعور بالقلق الذي تملك استاذ كرسي المدرسة العنانية « إنما أمرت بالمناظرة ، لكي تعلم ما عندك وعند الناس ، وتعلم أن دار المغرب – يعني مدينة فاس – هي كعبة كل قاصد .. » .

هناك حيث جرى النقاش في مجلس ثان حول الحديث الشريف : « الخلافة في قريش والغير متسلط » ، فقال الشيخ المقّرى : القرشي اليوم مظنون [٩] .

هناك حيث جرى في مجلس آخر حديث عن قول الرسول « خمس رضعات يحرمن [١٠] » .

ولم يقتصر أبو عنان على حضور مجالس العلم بمسجد فاس العليا أو بالمدرسة العنانية ، وهما — فرعيان — ، ولكنه كان ينزل الى جامع القرويين الأم ، ليشهد مجالسها ، ويقف بنفسه على ما تم فيها مما يضمن سيرها ونظام المواقيت بها ، وما يزال التاريخ يردد أصداء صعود السلطان أبي عنان الى صومعة القرويين ، ليرقب الساعات المنصوبة بها . وما يزال كذلك يردد تدشينه للخزانة العلمية التي شيدها في الركن الشمالي الشرقي .

وقد كانت كل هذه الحركات تعبيراً صادقاً عن تقدم العلم وازدهاره في كل جهات المدينة ، وبخاصة في الجامع الأم التي أحيطت بهالة من التقدير والعناية .

المدينة ذات الاربعين والمئة كرسي

ولئن كانت هناك امة استطاعت ان تحتفظ بتراث المشرق كما يجب الاحتفاظ ، فهي دولة المغرب ، وعلى الخصوص بلاد المغرب الاقصى ، لا لما تتميز به من تقدير زائد وحب عميق لذلك التراث منذ الايام الاولى التي احتضنته فيها . ولكن ايضا لان بلاد المغرب الاقصى ظلت الجهة الوحيدة التي استطاعت ان تحمي كيانها من أي تأثير خارجي كيفما كان شكله ونوعه .

امامنا عدد كبير من الاقطار التي خضعت لعامل او آخر لمختلف القوى التي كانت تبرز احيانا في العصور الوسطى او العهود المتأخرة . هناك عدد من البلاد استهدفت لزحف المغول ، وهناك عدد منها ان لم نقل جلها استسلم امام المد العثماني ، على ان منها طائفة غير قليلة انهارت منذ قرن او يزيد امام الغزو الاوربي .

لكن المغرب الاقصى ظل البلاد الوحيد الذي استعصى الوصول اليه على كل الفاتحين بالرغم مما بذلوه ، حتى الغزو الاوربي الذي ركعت امام قوته ودهائه وتحايله دول إثر دول في الشرق والغرب ، لم يكن له حظ يذكر في هذا المغرب الاقصى الا لفترة جد محدودة وجد مرهقة بالنسبة الى الاستعمار ، وربما كانت منذرة الشؤم بالنسبة الى القضاء على وجوده بالمرة في كل الجهات . ولاجل ذلك ، فان « التراث » الذي يتوفر عليه المغرب ، ومن حقه ان يفتخر به ، ينبغي الالتفات اليه على انه التعبير الصادق الامين للعصور الزاهية الاولى ، واذا كان هناك في بلاد المشرق من يريد الوقوف على ملامح المجتمع الاسلامي في بهائها وجمالها ، ومعالم الحضارة العربية في رونقها واصالتها فلينتقل الى هاتيك الديار في المغرب ليشاهد كل ما قرأه عن ذلك الماضي المجيد ، فلينتقل الى تلك المغارب ليتزود من انفاس الأعراس التي كانت تتأرج بنسماتها ، وتتضوّع بعطورها هذه المشارق الفيحاء .

• • • •

كانت المجالس العلمية تعني وجود كرسي يصعد عليه الاستاذ ليتمكن من تبليغ رسالته ، وخاصة منها المجالس التي يناهز عدد الحضور فيها المائتين والثلاث مئة من الطلبة .

وقد علمنا ان المغاربة الوافدين على المشرق في العصور الاولى كانوا يتأثرون بما هناك روحا وشكلا ، كيف لا وقد كانوا يرون في تلك الجهات مصدر إشعاع لهم ؟ .

وهكذا فكما عرفنا عن المجالس العلمية الكبرى في السنين السابقة ، نعرف اليوم بمزيد من الايضاح والتفصيل الشيء الكثير عن الكراسي في العصور اللاحقة بالرغم من ان بعض العلماء كان يرى في نصب الكراسي ابتداعاً يشجع على العجب والخيلاء [١١] . لقد كانت ولاية الكرسي بالقرويين أمرًا ذا بال وبالغ الأهمية ، لأنه كان بمثابة ولاية حكومية لا تقل عن منصب القضاء والفتيا والوزارة ، ولذلك كان الحصول عليه يستدعي عدة مؤهلات.

وسنأخذ فكرة دقيقة عن مواقع هذه الكراسي ما كان منها بالجامعة الأم ، وما كان موزعاً على بعض فروعها الثلاثة والثلاثين وثلاثمائة وكذلك كراسي الوعظ والإرشاد التي عليها حبس والكراسي العلمية الخاصة بالطلاب الذين كانوا يتهيؤون للمناصب التي تحتاج اليها أُطُر الدولة .

وسنجد أن بعض الكراسي يختص به أصحابه الذين يتولونه صباح الخميس أو الجمعة ، أو بعد الظهر والعصر ، أو بين العشاءين ، أو في فصل الشتاء . إن ذلك حديث عن كراسي لها أحباس خاصة ومقاصد معينة ، ولا يمكن أن يفهم بحالٍ أن الكرسي ظل معطلا طوال الأيام والفصول والأوقات الأخرى ، وبين أيدينا عدد لا يحصى من الوثائق يؤكد أن الطلاب كانوا لا يعرفون الراحة في كل ساعات النهار. فمن درس الى درس ، ومن مجلس الى مجلس ، ومن نِصاب الى نِصاب ، على ما يذكر الكلالي وغيره من شهود العيان [١٢] .

وضع الكراسي وترتيبها في المسجد الجامعة

تضافرت المصادر التي بين أيدينا ، المغربية منها والأجنبية ، على أن الكراسي كانت تتخذ أمكنتها بعيدةً عن وسط القرويين ، وأن المشايخ كانوا يتعمدون بمجالسهم المحراب وما عن يمينه وشماله ، ثم تصفّ على طول الجدار الغربي والشرقي ، ليكتمل عددها على الأروقة المرتفعة التي تحاذي الجدار الشمالي ، ثم توزع الكراسي الباقية على طول البلاط الأوسط ، من المحراب الى العنزة ، وتأخذ كذلك خطا ذات اليمين وذات الشمال عن العنزة على حدّ بداية قاعة الصلاة .

وكان في أبرز الكتب التي وصفت أوضاع هذه الكراسي ، كتاب وصف إفريقية لابن الوزان المعروف بليون الافريقي ، فقد قال : « إنها تمتد على طول جدار المسجد وفي صدره ». وهذا بالضبط تؤيده المخطوطات القديمة. وكذلك حجج الوقف التي عُنيت بتحديد مواضع الكراسي ، ومن المهم أن نعيد الى الذاكرة أن ابن الوزان درس في القرويين في بداية القرن العاشر الهجري ، فهو شاهد عيان جدير بالاعتماد عليه [١٣] .

وقد أدركنا القرويين على هذا الوضع ، وكنا نتنقل على مختلف الكراسي المرتبة على امتداد جدران الجامعة غرباً وشمالاً وشرقاً وجنوباً ، وكان الفارق بين ما كان منها هنا او هناك أن كراسي الناحية الجنوبية (القبلة) تختص بالدراسات العليا ، وكراسي الجدار الشرقي والشمالي للدروس الثانوية ، وكراسي الجدار الغربي للدروس الأولية... هذا كله على سبيل التقريب.

١) كرسي المحراب :

كانت أول إشارة الى هذا الكرسي هي ما ورد في جنى الآس ، فبحسب المعلومات التي قدمها الينا الجزنائي

نرى أن تاريخ إنشاء هذا الكرسي يرجع الى سنة إحدى وخمسين وست مئة ، ويظهر أن هذا هو المجلس العلمي الذي كان يدرس فيه ابن ابي عبيدة الأنصاري[١٤] (٥٨٢ هـ) ، والمؤرخ الجزنائي وان لم يلفظ بكلمة «كرسي» لكنه - فيما نعتقد - لم تكن به حاجةٌ الى ذلك بعدما ذكر أن المجلس يضم «آلافاً من الناس» ، فان هذا العدد من طلاب العلم ورواد المعرفة لا يمكن أن يستغني عن الكرسي حتى ينتفع بما يجب الانتفاع[١٥] به .

وكان الأصل في ذلك أن بعض أئمة الجامع في أول بداية دولة بني مرين اعتاد أن ينصرف عند الصبح الى ركن خاص من الجامع في جماعة من تلامذته ليعطي دروساً في تفسير القرآن للثعلبي (٤٢٧ هـ) وحلْية الأولياء لأبي نُعَيْم (٤٣٠ هـ) .

وقد رأى الأستاذ أن يغير مكان الدرس الى المحراب حيث يتسنى استيعاب عدد أوفر من الذين اعتادوا حضور القرويين بعد الفجر منتظرين طلوع الشمس .

ولقد استقبل هذا الصنيع من خلفاء بني مرين باستحسان كبير ، فقرروا بذل الجراية[١٦] ، وتخصيص الأوقاف عليه ، لما فيه من مصلحة في شد الناس الى الاستفادة صباح كلّ يوم ، بعد أن كانوا يضيعون أوقاتهم في الأحاديث العادية .

وأمام الإقبال الشديد على هذا الكرسي فكر المشرفون عليه في أن يضيفوا الى التفسير والحِلْية كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي . ولمّا تولى السلطان أبو عنان الحكم في البلاد ، أمر بزيادة كتاب الشفاء للقاضي أبي الفضل عياض .

وقد توالى على هذا الكرسي عدد من العلماء والفقهاء ، كان منهم في أواخر دولة بني مرين أبو زيد عبد الرحمن ابن أحمد بن محمد بن عبد الله العطار بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن أحمد المليلِي المعروف بالورَاق الذي كان يتناول على التوالي أربعة كتب كل يوم : تفسير الثعلبي ، والشفاء لعياض ، والبُخَاريّ ، والحريفش[١٧] ، وقد كان حسن الصوت ، يجيد القراءة بالطبوع ، يؤثر بها في النفوس بطيب نغمه[١٨] ، وكان فقيهاً بصيراً بالعربية شاعراً محسناً لغويا ...

ووليه كذلك في أول القرن الثاني عشر بعض الأشراف الصقليين ، وصار بعدُ إلى سيدي العربي قصارة[١٩] ، ثم إلى أبي محمد عبد الله أبي يخلف الفاسي[٢٠] ثم الأشراف العراقيين ابناء المحدث أبي العلاء إدريس بن محمد بن إدريس العراقي الحسيني الذي كان يلقي فيه بين العشاءين وبعد طلوع الفجر دروساً في خمسة كتب : شرح الإمام ابن عباد على الحكم ، وصحيح الإمام مسلم . علاوة على الثعلبي والبخاري والحريفش .

وقد ظل الكرسي المذكور بيد عقب الشيخ العراقي أكثر من مئة سنة ، وإلى جانب تلك الكتب الموقوفة على كرسي المحراب نذكر الرسالة لابن أبي زيد (ت ٣٨٦ هـ) ، وكتاب الاكتفاء للكلاعي[٢١] وكتاب التَّسهيل والتقريب للرصَّاع[٢٢] .

وقد تبارى الناس على طول الزمن في الاقتداء بأولئك الذين خصصوا الجرايات والأوقاف لهذا الكرسي المقدس ، فتسابقوا إلى البذل والعطاء على الكرسي المذكور ، وقد تضمنت الحوالات الوقفية لوائح المحبسات التي وهبها الأولون لمن يتأهل لشغل منصب كرسي المحراب[٢٣] .

وقد استمر هذا الكرسي مثار تنافس بين العلماء ، لأنه يقع في قلب المسجد الأعظم ، وتعاقب على الجلوس عليه كثير من رجال الفضل، ولم يعرف التعطل، لا في أيام الشتاء ولا في الصيف، ولكثرة التنافس عليه اضطر المشرفون على القرويين أن يجعلوا منه اثنين ، يتناوب عليه في أوقات مختلفة ، وعلى كتب متعددة . اثنان من الفقهاء يعطي أحدهما حصته في الصباح ، ويعطي الآخر حصته في المساء .

٢) كرسي الإمام الورياكلي (٨٨٠ هـ) :

ولم يزاحم كرسي المحراب في أهميته الا الكرسيّ الذي كان عن يسار الداخل من باب الرواح الأعلى المجاور لباب الخلفاء وعن يمين الداخل من باب الصفر الأعلى أو باب السبطريين في الركن الجنوبي الغربي في قاعة الصلاة.

اختص ذلك الكرسي على باب المحراب بالتاريخ والسير ، في حين اشتهر هذا بالعلوم والفنون ، كان الإمام عبد العزيز الورياكلي الملقب بالصاعقة[٢٤] (٨٨٠ هـ) من أوائل من ارتبط تاريخهم بهذا الكرسي[٢٥] ، ثم صار الى الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد ابن غازي العثماني المختاري المكناسي (٩١٩ هـ) ، وبعد وفاته صار إلى تلميذه العلامة أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد الغزال ، وانتقل بعده الى العلامة أبي العباس أحمد ابن محمد بن محمد المعروف بابن جيدة المديوني الوهراني (٩٥١ هـ) نزيل فاس، ومنه تقلد القراءة عليه العلامة المشهور الشيخ المنجور (٩٩٥ هـ)[٢٦]، وبعد وفاة هذا، اتفق أن كان في مدينة مراكش – وهي آنذاك عاصمة السعديين – أبو القاسم بن ابي النعيم (ت ١٠٣٢ هـ) . وأبو القاسم بن سودة (ت ١٠٠٤ هـ)، فوزع السلطان بينهما ما كان لشيخهما المنجور ، وكان ولي عهده بفاس الأمير محمد الشيخ المأمون[٢٧] قد أعطى ما كان بيد المنجور للقاضي الحميدي (١٠٠٣ هـ) والشيخ يحيى السراج (١٠٠٧ هـ) .

وبعد أن رجع الفقيهان الى فاس وعرفا ما كان ، اتفق المشايخ على أن يأخذ ابن أبي النعيم الكرسي القديم لسيدي يحيى السراج ، ويتوزع السراج وابن سودة كرسي الشيخ المنجور ، التفسير للسراج ومختصر ابن الحاجب وصغرى الشيخ السنوسي لابن سودة فيما بعد الظهر ، ويستقل الشيخ الحميدي بكرسي الونشريسي الآتي خبره[٢٨] .

وكل هذا التنافس يدل على ما يتمتع به كرسي « الاسبوع الأعلى » من مركز لدى رجال القرويين.

والواقع أنه يعد بحسب الروايات التاريخية من أهم الكراسي التي توالت عليها كبار الشخصيات ، وكان هدفا لكثير من المنازعات .

وقد تحدث كتاب « الروضة المقصودة » كثيرًا عن هذا الكرسي ، ففي باب العلوم التي درسها الشيخ محمد التاودي بن سودة (١٢٠٩ هـ) جاء ما يلي : « وفي سنة سبع بعد الستين ومئة وألف ، ولاه سلطان الوقت أبو الحسن علي المدعو بالأعرج[٢٩] تدريس علم الحديث بجامع القرويين ، ونفذ له الكرسي المعين له هناك عند الأسبوع الأعلى[٣٠] يمنة المحراب الجامع لناحية باب الصفر ، وهو من جملة ما كان نفذه السلطان الأعظم أبو العباس أحمد المنصور السعدي لجد بني عمه من بني سودة أهل درب القاضي من عدوة فاس القرويين ، الشيخ ابي القاسم بن سودة ، واستمر بيد أعقابه[٣١] يتوارثونه الى أول المئة الثانية عشرة عهد المولى إسماعيل ، فصار إلى

الشيخ العلامة الوارد على فاس أبي عبد الله محمد بن أحمد الكماد القسنطيني الشريف[٣٢] (١١١٦ هـ) ، ثم الى بعض بني القسنطيني أبي العباس أحمد ، وقد كان لا يقل ملكةً عن الشيخ والده ، والى زمن هذا السلطان أبي الحسن مولانا علي بن اسماعيل في التاريخ السابق أحيا بتنفيذه لشيخنا هذا (محمد التاودي) رسمه لينشر في الناس علمه عن كمال الاستحقاق.

وقد عاد هذا المصدر نفسه الى الحديث عن هذا الكرسي في باب تلامذة الشيخ التاودي بن سودة ، في ترجمة ولده القاضي أبي العباس أحمد (١٢٣٥ هـ) فقال : « ... مع ما ورثه عن أبيه من المناصب الدينية والتدريس بالكرسي المجاور للأسبوع الأعلى من جامع القرويين ، وهو كرسي مبارك جليل ، يعلم ذلك كل الناس جيلا بعد جيل ، فقد جلس عليه من العلماء العاملين والأولياء الصالحين ما يكل الناس عن حصرِهم وتعجز القريحة عن عد مآثرهم وفخرهم ... ».

وممن تولى التدريس في هذا الكرسي القاضي أبو عيسى محمد المهدي بن سودة المري (١٢٩٤ هـ) ، وقد جاء في ترجمته من «الأنباء المنشودة[٣٣] » : « أن هذا الكرسي هو نفس كرسي ابن غازي ». ويستفاد من الوثائق التي بين أيدينا أن هذا الكرسي الجليل لم يكن مخصصًا بفن معين في الزمن القديم ، ولهذا نعرف أن نعته من لدن الحوالة السليمانية بأنه (كرسي البخاري) إنما هو نعت لاحق.

* * *

ولكثرة الأهمية التي كانت للتصدي في هذا الكرسي ، نجد المسؤولين يوزعون العمل فيه على أوقات الصباح والظهر والعصر والمساء . وقد عرفنا من الفنون والكتب التي كانت تدرس على هذا الكرسي كتب التفسير صباحاً وصحيح البخاري ومسلم بين العشاءين ، ورسالة ابن أبي زيد ، والكلاعي ، ومختصر ابن الحاجب بعد الظهر ، والمنذري بعد العصر والعمدة للعيني ، وام البراهين للسنوسي ... وهكذا عرفنا من رجاله الورياكلي (٨٨٠ هـ) ، وابن غازي (٩١٩ هـ) ، وابن جيدة (٩٥١ هـ) ، والدكالي المشترائي (٩٦٢ هـ) ، والمنجور (٩٩٥ هـ) ، والحميدي (١٠٠٣ هـ) وأبا القاسم بن سودة (١٠٠٤ هـ) ، وابن القاضي (١٠٠٦ هـ) ، ويحيى السراج (١٠٠٧ هـ) ، والقصار (١٠١٢ هـ) ، وابن ابي النعيم (١٠٣٢ هـ) ، وأبا محمد عبد الله المدعو ابن يخلف الانصاري الأندلسي الفاسي (١١٦٢ هـ) ، والشيخ التاودي بن سودة (١٢٠٩ هـ) ، وولده أبا العباس (١٢٣٥ هـ) ، ثم المهدي بن سودة (١٢٩٤ هـ) .

وقد أدركنا به من مشايخنا الذين أخذنا عنهم الشيخ مولاي عبد الله الفضيلي رئيس المجلس العلمي وكان يعطي دروساً في النحو العالي ، والشيخ سيدي محمد بن عبد السلام بناني وكان يعطي دروساً في الفقه العالي[٣٤].

ولا تتجلى أهمية هذا الكرسي في الوجوه اللامعة التي عرفها فقط ولكن أيضاً في الأوقاف المهمة التي كانت معينة لمن يستطيع التصدر له ، ومن الجدير بالذكر أن نعلم أن سائر البقاع التي كانت محبسة على المرضى القاطنين ببرج الكوكب[٣٥] - وعددها ثمان وسبعون بقعة - كل ذلك استحال بعد تعطيل البرج فيما يظهر الى كرسي الإمام الورياكلي ، كما أن في جملة الأوقاف عليه نحواً من اثني عشر عقاراً للذين يدرسون في الصباح ، ونحوًا من سبعة عقارات وبعض الأرحية للذين يتصدرون له في الظهر ، وزهاء ست بقاع لمن يتولى التدريس به في العصر والمساء .

ونعتقد أن بناء خلوة الأسبوع العليا عام ٩٧٠ هـ مشرفةً على هذا الكرسي الخطير كان بدافع من الرغبة في لفت النظر إلى هذه الناحية ، ولا يبعد في نظرنا – كما أشرنا لذلك – أن الخلوة كانت تحضرها بعض النساء الفضليات العالمات ، ليستمعن الى دروس مجالس العلم الكبرى التي عرفها هذا الكرسي الأعلى .

٣) كرسي باب الرواح الأدنى :

وبين كرسي باب المحراب وكرسي باب الرواح الأعلى السالف خبرهما كرسي ثالث عن يمين الداخل الى جامع الجنائز من باب الرواح الأدنى ، وسطا بين هذا الباب وباب الرواح الأوسط .

وقد تصدر للتوريق على هذا الكرسي عدد من رجال العلم والفضل ، عرفنا منهم بحسب بعض الحوالات الحبسية سيدي عبد السلام المري ، وسيدي أحمد بن جعفر الكتاني[٣٦] .

ومن الكتب التي كانت موقوفة عليه الشفاء للقاضي عياض – والنصف من (أبو فتح الناظر) على ما في الحوالة الاسماعيلية .

وقد أطبقت حجج الوقف التي بين أيدينا على أن المتصدر للتوريق عليه كان يتمتع بغَلّة ثلث جنان النخلة من باب الجديد ، وهي بقعة كانت مرغوبة معروفة لدى الناس .

٤) كرسي النحو :

وهذا كرسي رابع عن يمين الداخل من باب الصفر الأعلى الذي تسميه بعض الحوالات الحديثة باب الكتبيين الجديد ، أو باب السبطريين ، في بداية البلاط العمودي الذي يرتفع قليلا عن بقية أرض الجامع ، وهو غير «كرسي الورياكلي» الذي لا يبعد عنه إلا بضعَ خطوات ، لأن بعض الحوالات تحدد موقع هذا الكرسي بأنه في «بداية البلاط (الأفقي) الثاني» ، ونحن نعلم أن كرسي الورياكلي في بداية البلاط الأفقي الأول ، وهو وقف على تدريس النحو. وممن كان بيدهم ، الأستاذ سيدي محمد بن ادريس بن حمدون العراقي الحسيني (١١٤٢ هـ) الذي نعتته كتب التراجم بأنه «سيبويه زمانه[٣٧]» .

وقد عرف كذلك من أساتذته ، الفقيه أبو الحسن علي المدعو سيدي زيان (١١٩٤ هـ) ، وكان من تلامذته محمد بن عبد الصادق بن ريسون العلمي. وممن كان بيدهم هذا الكرسي ، الفقيه سيدي عبد الرحمن بن عمران على ما تذكر الحوالة السليمانية.

وقد اهتمت حجج الوقف بتسجيل لائحة العقارات والأماكن التي خصصت للعلماء الذين يتصدرون للتدريس على هذا الكرسي ، وكان منها ستة أماكن معروفة بأعيانها إذا ما راجعنا حوالات الدولة العلوية.

٥) كرسي باب الصالحين (الأيمن) :

وعن يمين الداخل من باب الصالحين بينه وبين باب الصفر الأعلى كرسي خامس ، وُقف في الأصل على قراءة شهاب الأخبار للقضاعي (٤٥٤ هـ) ، والعمدة للعيني (٨٥٥ هـ) كل يوم خميس وجمعة ، وقد عرفنا من أوقاته متجرين وطرازاً .

وكذلك أربعة متاجر، وبستاناً فسيحاً بناحية سيدي بوجيدة.

٦) كرسي باب الصالحين (الأيسر) :

وعن يسار الداخل من باب الصالحين كذلك كرسي سادس بين هذا الباب وباب الكتبيين القدامى الذي يلي باب الشماعين.

وكان مما يدرس عليه بين العشاءين صحيح الإمام مسلم، ورسالة ابن أبي زيد (٣٨٦ هـ) ليلا، والترغيب والترهيب للمنذري (٦٥٦ هـ) بعد الظهر، وكذلك العمدة للعيني (٨٥٥ هـ) كل صباح. وقد عرفنا من أعيان اساتذة هذا الكرسي الشيخ الدكالي المشترائي، وكان يختص بالرسالة، والامام المنجور وكان يختص بصحيح مسلم[٣٨].

٧) كرسي باب الشماعين :

يوجد عن يمين المدخل الرئيسي للجامع ودائمًا على[٣٩] البلاطة المرتفعة قليلا عن أرض الجامع، ومما كان يدرس عليه رسالة الشيخ ابن ابي زيد (ت ٣٨٦ هـ).

وقد ظل هذا الكرسي ردحاً من الزمان هنا قبل أن تنتقل بعض حصصه الى الكرسي المهم الذي في ظهر صومعة القرويين على ما تقوله الحوالة الاسماعيلية.

وقد عرفنا من أوقافه بعض الحمامات التابعة لممتلكات القرويين.

٨) كرسي ظهر الصومعة :

ويعد هذا الكرسي من أهم الكراسي العلمية التي تعاقب عليها عِلْيَةُ القوم بالقرويين، وهو المعني بقولهم : « كرسي ما بين باب الشماعين وباب الموثقين ».

ومن أقدم من عرفنا من أساتذته اللامعين ابن جامع الانصاري الجياني (٥٤٦ هـ)[٤٠]، ثم أبو العباس احمد بن علي الزموري الفاسي (١٠٠١ هـ) وهو شيخ للكلالي[٤١]، ثم كان تلميذه أبو الحسن علي بن عبد الرحمن ابن عمران السلاسي[٤٢]، وكان ايضا بيد القاضي سيدي علي البوعناني الشريف الحسني، وكذلك سيدي المهدي أبو عنان، وسيدي العربي قصارة كذلك، وصار لأبي الفضل أحمد بن الحاج (ت ١١٠٩ هـ)، ثم للأستاذ أبي محمد عبد الله بن يخلف الفاسي عام ١١٦٢ هـ بالاضافة الى كرسي التفسير بباب المحراب، وكرسي الترغيب بالركن الجنوبي الغربي على ما سلف. وفي صدر الذين تولوه أبو عبد الله محمد التاودي بن محمد الطالب بن محمد ابن سودة المري الفاسي (ت ١٢٠٩ هـ) وكان يقري فيه بين العشاءين[٤٣]، ومن آخر القضاة الذين تصدروا للتدريس فيه أبو محمد عبد الله بن الهاشمي بن خضراء السلوى[٤٤]، وقد أدركت فيه الشيخ مولاي أحمد العمراني يدرس الرسالة[٤٥].

والواقع أن هذا الكرسي كان محل تعاقب من السادة العلماء على ما يظهر، لأنه كان كرسياً للتفسير احياناً وللفقه احياناً وللتاريخ وللسير تارة وللوعظ تارةً أخرى.

فقد خصصت اوقاف ليدرس عليه صحيح الإمام البخاري، ورسالة ابن ابي زيد، وتفسير القرآن للثعلبي (٤٢٧هـ) وحِلْية الأولياء لأبي نُعَيْمْ (٤٣٠ هـ)، والشفا لعياض (٥٤٤ هـ)، والتحبير للسمعاني (ت ٦١٥ هـ)، والاكتفاء

للكلاعي (٦٣٤ هـ) ، والحكم العطائية (٧٠٩ هـ) ، والروض الفائق للحريفش (٨٠١ هـ) ، والتسهيل والتقريب للرصاع (٨٩٤ هـ) ، وسائر الكتب الاخرى التي كانت موقوفة على كرسي المحراب بحيث كان هذا هنا يوازي ذاك هناك .

وكما اشترك هذا الكرسي مع كرسي المحراب فيما يلقى عليه ، اشترك معه كذلك في العقارات الموقوفة ، فان جلّ ما عرف لكرسي المحراب يشترك معه فيه كرسي الصومعة ، وجل ما عرف لهذا يشاركه الآخر فيه .

وتعد هذه الأوقاف من الأهمية بمكان ، ففيها أحد عشر مكاناً ، كانت في عهد السلطان المولى إسماعيل بيد سيدي العربي قصارة كما في حوالة عام ١١١٥ هـ ، وهناك من أحباس (كرسي الحلية) هذا . مصرية شرقي الجامع تجاور فندق التجار ، ودار الوضوء للنساء ، وبعض الحمامات ايضاً التي كانت لهذا الكرسي الهام .

وهكذا فهناك أوقاف خاصة به وحده ، كما أن هناك أوقافاً أخرى عديدة يشترك فيها مع كرسي المحراب .

واذا عرفنا بعد كل هذا ما نص عليه من أن هذه الكتب يدرس بها يومي الخميس والجمعة اللذين هما يوما عطلة ، عرفنا اذن أهمية ما يلقى على الكراسي العلمية في سائر أيام الاسبوع التي يتمخض فيها النشاط للطلبة على ما أشرنا اليه سابقاً .

* * *

٩) كرسي مستودع باب الحفاة :

يعرف هذا الكرسي في رسالة الكلالي بأنه الكرسي الكائن عن يسار الداخل من الباب المقابل لباب القراقين ، وتصفه الرسالة مرة أخرى بأنه يقع يمين الداخل من باب الحفاة .

وهذا ايضا من الكراسي المهمة التي كانت مقصد الخاصة والعامة معاً ، ويكفي أن نعرف من رجال هذا الكرسي الشيخ سيدي يحيى السراج المعروف بتعليقاته وتحقيقاته .

وقد ظل في يد الشيخ السراج هذا الى أن فرغ الكرسي الاول للإمام المنجور بوفاته ، هذا الكرسي الذي كان على ما عرفنا في الركن الجنوبي الغربي للجامع ، فهنا حصلت مراضاة بين الشيخين : أبي القاسم ابن ابي النعيم وابي القاسم ابن سودة من جهة . وبين الشيخ السراج والقاضي الحميدي من جهة أخرى ، على ما سلف ، ويأتي في الحديث عن كرسي الورياغلي والونشريسي على أن ياخذ السراج كرسي المنجور ، ويتنازل عن كرسيه هذا بالمستودع لابن أبي النعيم [٤٦] .

وهو من الكراسي التي كان الشيخ المنجور يعطي دروسه عليها قبل أن ينتقل الى حيث عرفناه ، وكأنما كان هذا الكرسي المرحلة الاولى للترقي الى ذاك ، وقد كان بالفعل أقل أوقافاً من كرسي المنجور .

وكان الشيخ المنجور يدرس عليه ، في جملة ما يدرس ، علم التفسير ، وشرحه قصيدة الشيخ أحمد بن زكري (ت ٨٩٩ هـ) في التوحيد [٤٧] بعد صلاة صبح كل خميس وجمعة .

اما الشيخ يحيى السراج ، فقد كان يقرئ فيه الرسالة أيام الشتاء ، وصغرى السنوسي ، علاوة على منظومة ابن زكري .

وقد عرف من اساتذة هذا الكرسي الشيخ محمد بن قاسم القصار (١٠١٢ هـ) قبل أن يصير الى ابن القاسم بن أبي النعيم (١٠٣٢ هـ) ، وكان يتناول فيه كذلك نظم ابن زكري . ثم صار بيد الفقيه عبد الرحمن الحريشي ، وتولاه العلامة أبو الحسن علي الحريشي (ت ١١٤٣ هـ) ، وعبد الرحمن الشديد – وولد سيدي محمد الشديد .

وعرف من تلامذته سيدي علي بو لعراب صهر الشيخ المنجور ، وسيدي يوسف السبع القصري ، وسيدي الحسن الزياتي [٤٨] ، والفقيه سيدي يوسف السريفي الذي كان يسكن في مسيد الكتبيين ، والشيخ عبد الرحمن اعراب المكناسي [٤٩]

وقد كان من أوقاف هذا الكرسي أرحِ بوادي العظام ، وعقاران آخران ، وثلاث بقاع ، ومتجران .

١٠) كرسي مستودع ابن عباد : (كرسي التعديل)

وهذا كرسي عاشر من كراسي القرويين ، وهو يقع على الرواق المحمل على « المستودع » الذي بني هنا منذ عهد الموحدين كما سلف ، والمعروف باسم مستودع ابن عباد . وقد علمنا أن لهذا الرواق مطلعين ، أحدهما من باب الخصة ، والآخر من ظهر الصومعة .

ويعد هذا الكرسي من الأهمية بمكان ، لأنه كان يجاور خزانة السلطان أبي عنان ، بل إنه في حريمها ، وهذا الحريم كان ينفذ الى دار الإمام ابي عباد التي كانت تقع عن يسار الخارج من المدرسة المصباحية .

ونعتقد أن من أوائل من كان يلقي درسه هنا ذلك الإمام الجليل الذي كانت له دالّة على تاريخ القرويين المادي والروحي على عهد بني مرين كما نعلم ، وقد كان من أساتذة الكرسي الفقيه الغزواني غيلان ومحمد الندرومي .

وهذا هو الكرسي الذي عرف في بعض المصادر بأنه كرسي التعديل ، حيث كانت تلقى منه دروس في التوقيت والتعديل ، وقد كان من أواخر من تصدر للتدريس فيه العلامة المعروف الحاج صالح التادلي [٥٠] ، وأدركنا به نحن علامة الوقت الشيخ سيدي محمد العلمي الذي كان عمدة أهل المغرب في التوقيت والتعديل .

وكانت لهذا الكرسي عدة عقارات موقوفة على من يدرس فيه ، كانت ما تزال معروفة على عهد الحوالة السليمانية : عقاران وأروى .

١١) كرسي ظهر الخصة :

كان هذا الكرسي عن يمين الطالع للمسجد من باب العمدة أول باب في الجهة الشرقية الجنوبية ، وذلك بحسب ما تفيده حوالة ترجع الى عهد السلطان المولى اسماعيل ، وهو من الكراسي المهمة جدا .

وقد عرفنا من أساتذته القدامى ابن نموي الفاسي (٦١٤ هـ) ، ثم الرحالة ابن رشيد [٥١] ، والشيخ الحاج القاضي ابن البلفيقي (٧٧١ هـ) ، وأيام السعديين الشيخ محمد الشريف المري التلمساني [٥٢] (١٠١٨ هـ) . ثم صار الى الشيخ أبي الفضل العربي بن الحاج (١١٠٩ هـ) ، ثم محمد فتحا بن الحاج (١١٢٨ هـ) ، ثم أحمد الحفيد (١١٣٣ هـ) ، ثم لأبي عبد الله محمد (فتحا) بن الخياط الدكالي المشترائي المعروف بابن ابراهيم (١١٨٤ هـ) . وقد أحياه السلطان المولى سليمان بتنفيذه لسيدي حمدون بن الحاج (١٢٣٢ هـ) ، ثم صار الى ولده أبي عبد الله

محمد (١٢٧٤ هـ) [٥٣] ، وممن كان هذا الكرسي بيدهم الفقيه محمد بن عبد العزيز طاهر الحسني الشريف .

وعرف من تلامذته الأساتذة المشايخ : أبو سالم ابراهيم الكلالي صاحب (رسالة تنبيه الصغير من الولدان) ، وأبو علي محسن بن مهدي الزياتي الساكن في مدرسة الحلفاويين ، وأبو الحجاج سيدي يوسف الوزروالي ، وأبو عبد الله محمد البطيوي ، وسيدي محمد الشريف القصري الساكن في مدرسة العطارين ، وأبو القاسم الفيلالي ، وسيدي أحمد الفركلي ، وكذلك الزمراني .

وقد تعددت المواد والكتب التي كانت موقوفة على هذا الكرسي ، وإن كان تمحض على عهد الدولة العلوية ، لدراسة التفسير والصحيحين وغيرهما من الكتب الستة .

وكان في صدر هذه الكتب رسالة الشيخ ابن أبي زيد القيرواني بعد الصبح من كل يوم ، والحلية لأبي نُعَيْم قبل صلاة العصر ، والاكتفاء للكلاعي ، وكتب ابن الجوزي ، والترغيب والترهيب للمنذري – بعد صلاة العصر ، والروض للحريفش .

• • •

ويمتاز هذا الكرسي بأنه مقصود السماع من لدن فضليات المدينة وفقيهاتها اللاتي كن يشرفن عليه من الرواق الخاص بهن في مستودع ابن عباد ، وبهذا يشارك الكرسي الذي بنيت على مقربة منه خلوة الأسبوع العليا على ما سلف الحديث عنه .

ويتمتع هذا الكرسي بثروة مهمة من العقارات والبقاع الموقوفة عليه ، فقد ذكرت بعض حجج الوقف على عهد السلطان المولى اسماعيل اثنين وعشرين بقعة الى جانب ثلاثة رباع في ظهر غالب ، ومتجر بسوق (القبيب الناقص) الذي كان وقفاً خاصاً على قراءة الرسالة به ، وحانوت كامل على قراءة ابن الجوزي ، ونصف حانوت بالقبة البالية من القيسارية ، حبس على الترغيب ، وعشرة امكنة أخرى في جهات مختلفة من المدينة .

١٢) كرسي الونشريسي :

وبعد هذا يأتي الكرسي الثاني عشر الذي نعطيه اسم الشهيد عبد الواحد الونشريسي ، لأن آخر درس له كان على هذا الكرسي على ما علمنا ، وقد اشتهر في وقته بأنه كرسي الشيخ الأشقر على ما كان يردده سيدي يحيى السراج .

وقد ورد وصفه بأنه الكرسي الذي عن يمين الخارج من الباب المقابل لدرب ابن حيون بانحراف يسير ، أو بأنه يمين الداخل من الباب الذي بأعلى زاوية ابن بكار ، يعني باب الصالحين الشرقية ، أو باب السبع لويات ، وهو بالذات الباب الذي أعطيناه سابقا باب ابن حيون .

وقد انشأ هذا الكرسي أبو العباس أحمد بن الشيخ الوطاسي ، وخصصه في بداية الأمر لدراسة الجامع الصحيح للبخاري بشرحه فتح الباري ، وحبس عليه لهذه الغاية نسخة من الكتاب المذكور سنة ٨٤٧ هـ بخط الحافظ محمد بن عبد الله التنسي ومنقولة من خط الشارح الامام ابن حجر نفسه [٥٤] .

ومن فوق هذا الكرسي قبض على الشيخ الونشريسي ، وأخرج من الباب المقابل في الجهة الغربية حيث نفذ فيه

قدر الله (٢٧ ذي الحجة ٩٥٥ هـ) بعد أن رفض أن يخلع عنه بيعة أبي العباس الوطاسي لصالح السعديين [٥٥] .

وقد صار الكرسي بعد هذه الحادثة الى القاضي الحميدي ، وأمسى مهتماً بعلوم القرآن ، وقد كان منها في فصل الشتاء قراءة التفسير [٥٦] الذي كان يعتمد فيه الاستاذ الحميدي على مصدر غريب نادر : ذلك تفسير الامام ابن عرفة (ت ٨٠٣ هـ) [٥٧] ، الى جانب رسالة ابن أبي زيد ، والحكم لابن عطاء الله ، في حين اعتاد القاضي في الصيف قراءة المختصر الفقهي للإمام ابن الحاجب .

ويرجع تاريخ تسلم القاضي له الى ما بعد وفاة الشيخ المنجور ، فقد علمنا أنه بعد أن وصلت اخبار وفاة المنجور الى العاصمة مراكش ، وزع المنصور السعدي ماله بين ابن ابي النعيم وابن سودة ، وكانا آنذاك في زيارة العاهل ، وقد صادف الحال أن وزع ولي العهد بفاس (ما) للمنجور بين السراج والحميدي ، فلما عاد الأولان تم الاتفاق على تسوية بين الاربعة بإشراف الأمير المأمون ، تمسك السراج بحصة من كرسي المنجور إرضاء لولي العهد ، وأعطيت الحصة الباقية لابن سودة إرضاء للعاهل ، وتمت ترضية ابن أبي النعيم بإعطائه كرسي السراج في مستودع باب الحفاة ، وترضية الحميدي بإعطائه الكرسي الذي كان يقصده خواص الطلبة والفقهاء حيث اعتادوا سماع الدروس المطرزة بالنكت والغرائب والبحوث [٥٨] . وقد شهد هذا الكرسي مساجلات ومناظرات ومماحكات . كذلك حكى عنها بإسهاب أبو سالم ابراهيم الكلالي الذي كان في جملة طلاب الحميدي [٥٩] ، كما عرف من أساتذته الفقيه محمد بن أحمد الوهراني (١٠١٣ هـ) .

والواقع أن هذا الكرسي يعد من الوجهة المادية أيضاً من أثرى الكراسي العلمية واغناها بالقرويين ، ولذلك كان معروفاً لدى الناس بكرسي القاضي ، وقد نعت في الحوالة السليمانية بأنه كرسي باب الصالحين [٦٠] .

فقد وجدت من أحباسه اثني عشر حانوتاً بالقيسارية والعطارين ، وتسعة بالسطريين ، وستة بعين علون ، واربعة بالسقاطين ، وسبعة بالصفاح ، وأحد عشر عقاراً ، الى ثمان وثلاثين بقعة موزعة في أهم جهات المدينة ، يكون المجموع تسعاً واربعين عتبة . وهو قدر يقرب من « الثمانية والسبعين » الموقوفة على كرسي الورياكلي كما تقدم .

١٣) كرسي الركن الشمالي الشرقي :

يقع هذا الكرسي على مقربة من الباب ذي الخوخة ، الذي ينفذ الى (مصرية الامام والخطيب) والذي كان المفتي يتخذ من الرواق المؤدي اليها مقصورة يجلس فيها للفتيا [٦١] .

ومن الكتب التي كانت تدرس عليه رسالة الشيخ ابن ابي زيد في فصل الشتاء ، وقد عرفنا من الأساتذة الذين ترددوا على هذا الكرسي في عهد السلطان المولى اسماعيل القاضي الإمام الخطيب سيدي علي البوعناني (ت ١١٥٣هـ) [٦٢]

ولا شك أن البوعناني هذا كان يسكن في مصرية الإمام الخطيب ، لأنه كان بالفعل إماما وخطيباً ، وهو الى هذا كان يتصرف في ثلاثة عقارات موقوفة على هذا الكرسي الى جانب ثلاثة أرباع فندق رحبة الزرع .

١٤) كرسي الثريا الكبرى :

وبعد أن خلصنا من الكراسي المحيطة بجدار الجامع ، نصل الى الكراسي التي كانت في البلاط الاوسط ، ويأتي في صدرها الكرسي الرابع عشر الذي كان يقع على مقربة من الثريا الكبرى بوسطي القرويين . كما تدقق الحوالات ،

وهو من الكراسي المهمة التي كانت تجمع من حواليها مئات من الطلاب والدارسين .

وفي ضمن الكتب التي تناهى الينا خبرها ، مما كان يدرس على هذا الكرسي ، صحيح الإمام البخاري ، ونوادر الاصول في احاديث الرسول للترمذي (ت ٢٩٥ هـ) ، والرسالة للقشيري (ت ٤٦٥) والعمدة للمقدسي (ت ٦٠٠) والترغيب والترهيب للمنذري ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (ت ٩١١) .

وممن حفظ التاريخ أسماءهم ، ممن كانت بيدهم الوراقة على هذا الكرسي بعد صلاة العصر ، الفقيه سيدي محمد الندرومي ، والفقيه سيدي حدّو حنيش .

وقد عرف من العقارات الموقوفة على هذا الكرسي المبارك عدد يبلغ اثني عشر مكاناً ، عرفت بأعيانها في الحوالة الاسماعيلية والسليمانية .

ولا شك أن كرسي الثريا هو غير « الدكة » التي كان تحت الثريا الكبرى ، فقد ورد ذكرهما معا في وثيقتين منفردتين ، وذلك يدل على أن مهمة الكرسي كانت غير مهمة الدكة [٦٣] .

* * *

١٥) كرسي العنزة :

وقد عرف الكرسي الخامس عشر المستند الى العنزة بدروسه في الفقه ، ويتأكد لدي أنه كان في صدر الكراسي التي اهتمت بتدريس الرسالة ، ثم مختصر الشيخ بعد وصول نسخة الى مدينة فاس ، وممن كان بيدهم من العلماء : الشيخ منديل بن آجروم (ت ٧٧٢) الذي كان يدرس المقامات بين العِشاءين زمن الصيف [٦٤] ، وسيدي عبد الرحمن الدكالي (٩٦٢ هـ) الذي كان يعطي دروسه بين العشاءين وبعد صلاة الصبح من الخميس والجمعة [٦٥] ، وسيدي محمد ميارة ، ثم صار بعده الى قاضي الحضرة الفاسية ، ثم الى الشيخ العباس التازي .

ونعرف عن اوقافه نصيبين من متجرين في المدينة بالاضافة الى عدد من أنصبة في الدور والفنادق والحمامات ، فاننا نعرف مدى اهتمام المغاربة بالأوقاف على الفقه المالكي .

وعلى مقربة من خصة العين القديمة قبالتها بينها وبين العنَزة ، تتوزع ثلاثة كراسي على التتابع :

احدها : كرسي البلاط الاول لقراءة الكلاعي قبل صلاة العصر وبعدها ، وهو الكرسي المذكور في الحوالة السليمانية ، وقد وقفنا على لائحة بالاوقاف المشتركة بينه وبين كرسي الحلية في ظهر الخصة .

ثانيها : كرسي البلاط الثاني الذي يلي الأول ، وقد كان في جملة الكتب الموقوفة عليه كتاب الحلية لأبي نُعَيم قبل صلاة العصر وبعد الصلاة .

ثالثها : كرسي البلاط الثالث الذي يلي البلاطين السابقين ، وهو من الكراسي القديمة ، وقد ورد ذكره منذ عهد الحوالة الاسماعيلية التي قالت إنه كان بيد الفقيه سيدي محمد بن عبد الله اللاّيريني الذي كان يسكن في رائقة ابن الغرديس .

هذه ثمانية [٦٦] عشر كرسياً كانت في جامعة القرويين ، فيها ما كان له حصص من الوقت في الوعظ ، بيد أن فيها ما كان له كتب معينة موقوفة عليه . ومع هذا تظل تلك الكراسي باستمرار ملاذاً للطلبة من كل ناحية ، يستمعون فيها الى دروس علمية صرفة ، على ما ورد في المصادر القديمة التي تحدثت عن حالة الدراسة بالقرويين .

المجالس العلمية الأخرى :

ونحن لم نعد طبعا « المجالس التي عرفتها بعض الجهات في القرويين مما لم يرق الى درجة الكراسي ! وان المتتبع لكتب النوازل ، والتاريخ ، والحوالات الحبسية » سيقف على عدد من تلك الأمكنة الموصوفة ، وسيقف على عدد من السواري الخاصة التي كان يقصدها الطلاب للتحليق حول أساتذتهم .

ومن بين تلك المجالس الارضية مجلس لتدريس كتاب الإمام ابن الحاجب (٦٤٦ هـ) المعروف بالمختوم او الفرعي الفقهي هذا المجلس الذي – لم يكن على الكرسي – كان يضم حوالي سنة ٩٩٧ هـ عشرات من الأعلام ، امثال الشيخ عبد العزيز الفيلالي [٦٧] والفقيه سيدي محمد الشريف التلمساني ، والفقيه سيدي عبد العزيز بن القاضي [٦٨] ، والحافظ سيدي عثمان الدفدوني [٦٩] ، وسيدي محمد بن بكار ، وابي القاسم بن ابي النعيم ، وابي القاسم بن سودة هذا الى جماعة من أعيان الطلبة الذين حضروا من مدينة مراكش ، من أمثال سيدي ابراهيم الشاوي [٧٠] ، وسيدي محمد بن عبدل او بوعبدلي [٧١] ، والقاضي الشاطبي [٧٢] ، والمفتي سيدي عبد الواحد الشريف [٧٣] .

وقد كان السارد في هذا المجلس سيدي ابراهيم المنصوري من عدول سماط القرويين .

ومن بين تلك المجالس مجلس وراء ظهر خصة العين عن يمين الداخل من باب المعدة وهو غير الكرسي الذي يوجد في هذه الجهة .

كان هذا المجلس بيد الشيخ القاضي عبد الواحد الحميدي ، وكان يدرس فيه العقيدة الكبرى للشيخ السنوسي (٨٩٥ هـ) .

ومن بين تلك المجالس الارضية مجلس في كل صباح للشيخ سيدي يحيى السراج ، كان يلقيه قرب مقصورته في شرح مختصر الشيخ خليل ، وهو مستند الى حائط القبلة بين الخزانة السعدية وباب المصرية ، وفي الشتاء يضيف الى هذا درساً في التفسير .

وقد كان السارد في هذا المجلس الفقيه سيدي عبد الرحمن بن عثمان المكناسي . وممن كان يحضر هذا المجلس الشيخ الفقيه سيدي محمد بن سيدي محمد الشامي المدعو بالقويضي [٧٤] ، وكذلك الفقيه الحسيب أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن عبد الحليم [٧٥] ، والإمام أبو القاسم بن القاضي [٧٦] الذي كان يجلس في مقابلة الشيخ السراج ممتداً الى السارية المقابلة بانحراف يسير الى جهة اليمين ، وكان إمام زمانه في النحو . والشيخ ابو القاسم بن ابي النعيم ، وأبو القاسم بن سودة ، والفقيه محمد الحسناوي ، وسيدي يوسف الشريف الزروالي ، وسيدي علي بن احمد الفزكازي ، وسيدي عبد الرحمن اعراب ، ومحمد الوهراني [٧٧] .

ويعرف كل الطلبة عن السراج أنه كان لا يجلس للإقراء الا بمفاتيح المقصورة بيده يستعين بها على الاشارة والتنبيه على نحو ما يفعله الآن بعض العراقيين بسُبحهم مثلا .

ومن تلك المجالس الأرضية ، مجلس بظهر خصة العين ، كان يلقي فيه الشيخ سيدي محمد الشريف التلمساني صغرى الشيخ السنوسي وكبراه كذلك ، وكان يحضرها الفقيه أبو حفص عمر بن عبد العزيز الخطاب . كما كان يدرس احيانا الفية ابن مالك بشرح المكودي على حسب ما يتبرع به زائداً على حبسه .

ومن تلك المجالس مجلس للرسالة عند باب الرواح الاوسط بيد سيدي يعقوب البدري (٩٩٩ هـ) ، وكان ممن حضر مجلسه هذا الكلالي .. ومن تلك المجالس نذكر مجلساً عن يمين الداخل الى القرويين من باب الشماعين في الموضع المنسفل هناك على الحد الذي يستمر للعنزة ، وقد كان هذا المجلس أيام السعديين بيد الشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن أحمد بن عثمان المكناسي ، وكان يلقي فيه درسه ، في مختصر الشيخ خليل ، على الأرض امام جماعةٍ من الطلاب تحلق حوله من نداء الظهر الى الصلاة[٧٨] .

ومن الاماكن ؛ التي عقدت عقدت فيها مجالس علمية ، سارية لم يحدد موقعها بالقرويين ، وقد ذكر أستاذها قاسم ابن القاضي في كتابه فهرسة تنوير الزمان[٧٩] ، وسماه سيد يعيش وقال إنه توفي عام ٩٨٠ هـ ، وبحسب رواية هذا المصدر كان الشيخ المذكور يعلم الطلبة تجويد القرآن .

ومن تلك المجالس سارية أخرى تقع يمين عنَزة القرويين ، وجدد الوقف عليها الشيخ سيدي أحمد بن محمد الشاوي (ت ١٠١٤ هـ)[٨٠]، وقد كان يشرف عليه أبو العباس أحمد بن بوشعيب الفاسي (ت ١٠١٥ هـ)[٨١] .

ومنها مجلس بسارية أيضاً، ولعلها السارية التي كانت بيد أبي العلاء إدريس المنجرة الحسني الادريسي (ت ١١٣٧هـ) ثم بيد ابنه أبي زيد عبد الرحمن . وبقي من أوقافها المعروفة أربع بقاع كما في الحوالة الاسماعيلية .

ومنها مجلس كان في صدر جامع القرويين ، كان من أساتذته أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن يخلف الأنصاري الأندلسي (ت ١١٦٢ هـ) ، ومما كان يقرر فيه التجويد[٨٢] .

ومنها مجلس بظهر الصومعة ، وممن كان يشرف عليه أبو العلاء إدريس الودغيري الملقب بالبدراوي (ت ١٢٥٧ هـ) ومما كان يدرس فيه تجويد القرآن كذلك عند الأذان الثاني للظهر .

ومنها مجلس بسارية لم يعين موضعها ، وكانت لتدريس الرسالة القيروانية ، وقد تعاقب عليها عدد من العلماء ، نذكر منهم أبا عبد الله محمد بن قاسم بن علي بن عبد الرحمن بن أبي العافية المكناسي الشهير بابن القاضي (ت ٩٦١هـ) ثم ولده أبو عبد الله محمد (ت ٩٦٥ هـ) . وقد وقفنا على عدد من الرباع الموقوفة على هذا المجلس .

ومن تلك المجالس الأرضية ، مجلس على يسار الداخل الى القرويين من باب الكتبيين ، وممن تصدر للتدريس فيه أبو عبد الله محمد بن حمدون الشديد الاندلسي (ت ١١١٠ هـ) ، وولده أبو العباس أحمد المتوفى في العشرة السابعة من المئة الثانية عشرة ، وحفيده سيدي حمدون وعبد الكريم بن علي الزهني اليازغي (ت ١١٩٩ هـ) . هذه ثلاثة عشر مجلساً مما استطعنا أن نقف عليه ، ولا شك أن هناك عشرات أخرى سيكشف عنها البحث ، فاذا أضفناها الى الثمانية عشر كرسياً ، وجدنا واحداً وثلاثين مجلساً .

° ° °

الكراسي العلمية في فروع القرويين

وبعد هذا نأخذ في تتبع الكراسي في المعاهد الأخرى التي كانت تابعة للقرويين ، ونعتمد فيها على ما وقفنا عليه من مختلف الوثائق التي بين أيدينا ، وتعد في صدرها حجج الوقف ، وبخاصة الحوالة العبد رحمانية في سنة ١٢٤٥

سنعرف حقيقة السر في ازدهار هذه (المدينة العالمة) التي كان صناعها وتجارها وكَتَبَتُها وفلاحوها يجدون في هذه الكراسي أندية لهم ، يحضرونها بعد صلاة الصبح ، وقبل استقبال عملهم اليومي ، وعند توديع اعمالهم بعد صلاة المغرب ، فهم يتثقفون ويتعلمون على الدوام حتى لَتشعر اذا اجتمعت بأحد هؤلاء أنك أمام عارف بالأمور بصير ، فهو يملأ الجو بما يتوفر عليه من معلومات ، وما يسمع من تجارب وما يتلقاه من توجيه .

* * *

سنزور بعض الكراسي الفقهية المنبثَّة في خلايا الأزقة ، وأعماق الدروب . لكي توفّر على الناس الخروج – وخاصة في فصول البرد والحر – الى المساجد الكبرى ، ولتخفف الازدحام عليها . ولكي تضمن في الوقت نفسه صلتهم التامة بمعلوماتهم العامة .

* * *

سنورد هذه الكراسي بحسب ترتيب الحروف ، لا بحسب اشتهارها أو ظهور مشايخها .

١ – ٢) كرسي مدرسة الحلفاوين : للفقه والنحو

ويعتبر كرسي مدرسة الصفارين او الحلفاوين كما هو الاسم القديم من اقدم الكراسي العلمية بمدينة فاس .. كيف وهي « المدرسة القدوة » لسائر ملوك بني مرين ، كيف وهي المدرسة التي توفرت منذ ايامها الاولى على خزانة علمية فائقة حوت من العلوم والفنون ما كان حديث المؤرخين المغاربة .

وقد كان حظ هذا الكرسي من التاريخ ضعيفاً ، وهو ولو انه لم يحتفظ لنا بكثير من اسماء الاساتذة الذين تعاقبوا على هذا الكرسي لكنا مقتنعون ان القاضي مفضل العمري كان ممن لهم جولات عليه ، سواء في الفقه او في النحو قبل الشيخ ابي عبد الله محمد المديوني (٨٥٦) .

وقد كان من جملة الاساتذة الاعلام على كرسي مدرسة الحلفاوين الشيخ سيدي يحي السراج الذي كان يدرس عليه كتاب المدونة .. وله عليها اوقاف كما كان يدرس هناك مختصر الشيخ خليل .

٣ – ٤) كرسي مدرسة الخصة : للفقه والنحو

عرف كرسي مدرسة الخصة او المدرسة المصباحية كما يسميها الناس عددا مهما ايضا من عيون الفقهاء الاعلام الذين كانوا نبراسا يهتدى بهم في القرويين .

ونذكر في صدرهم الاستاذ الذي سميت المدرسة باسمه ابا الضياء مصباح بن عبد الله اليالصوتي (ت ٧٥٠)[٨٣] كما عرفنا من اساتذته الامام المزكلدي (ت ٨٦٤) والامام احمد الونشريسي صاحب المعيار وولده عبد الواحد ثم صار الكرسي الى قاضي الجماعة عبد الواحد الحميدي الذي كان يدرِّس هنا بقبة المدرسة قبل صلاة الظهر التهذيب في اختصار المدونة للامام خلف بن ابي القاسم المعروف بابن البراذعي (ت ٤٠٠) .. وبعد صلاة الظهر يأخذ في تدريس مختصر الشيخ خليل لجماعة اخرى من الطلاب الى نداء العصر...

وقد كان قارئ المجلس « السارد » في المدونة والمختصر الشيخ ابوزيد عبد الرحمن بن احمد بن عثمان المكناسي[٨٤] .

ومن الملازمين للمجلس المذكور الشيخ ابو علي الحسن الزياتي الذي كان يسكن مدرسة الصفارين والشيخ ابو الحجاج سيدي يوسف القصري وسيدي علي بن جلون[٨٥] وسيدي احمد الفركلي وسيدي احمد الشريف الشفشاوني[٨٦] الذي كان يقيم بمدرسة الصفارين ، وسيدي عبد الرحمن الفاسي[٨٧] وسيدي محمد مخشان الشفشاوني وسيدي يوسف الزروالي وسيدي عيسى الاشتكي الجزولي وسيدي داود وكانا يسكنان بنفس المدرسة قبل ان ينتقلا لمصرية الكتبيين وسيدي احمد التجني الذي تولى خطة القضاء باصيلا . .

ومن المشايخ الذين صار اليهم كرسي الفقه بها ممن استأثرت بذكرهم الحوالات الوقفية سيدي محمد ابن عبد العزيز طاهر الحسني . اما عن كرسي النحو فقد كان هو الاخر من الاهمية بمكان لانه كان يتناول كتب النحو العالية التي لا يعرفها الا حذاق الطلاب ، ويكفي ان نعرف ان في صدر المؤلفات النحوية المدروسة كتاب سيبويه والسيرافي وابن مالك وابن آجروم وابن هشام والمكودي ...

وقد كان قاضي الجماعة عبد الواحد الحميدي يتولى تدريس كتاب المغني ...

كما ان في عيون العلماء النحويين الذين تصدروا للدرس هنا الاستاذ سيدي محمد بناني الذي كان يتقاضى حقه في اوقاف المدرسة بالمحاصة بعد اصلاحها واصلاح الرباع التابعة لها ...

٥) كرسي المدرسة المتوكلية (الفقه) :

يرتبط تاريخ الكرسي في العنانية بتاريخ انشاء المدرسة نفسها فقد ورد انه لما كمل غرض السلطان ابي عنان من بناء مدرسة المتوكلية بفاس ، وكان بعيد الصيت في علو الهمة ، قال انظروا من يقرئ بها الفقه ، فوقع الاختيار على الشيخ الصرصري الحافظ ، ولما جلس بها واتسع صيته وجه اليه ابوعنان من يسأله في مسائل « التهذيب » التي انفرد باتقانها وحفظها وطالبه بتحقيق ذلك واتقانه وحسن تلقينه ولما اضجره ذلك نزل عن كرسيه .. ولما اشتهر ذلك عنه وجه اليه ابو عنان فآنسه وسكنه ثم قال له : انما امرت بذلك كي تعلم ما عندك من العلم وما عند الناس وتعلم ان دار الغرب هي كعبة كل قصد[٨٨] .

وقد تعاقب على هذا الكرسي خيرة العلماء واعيانهم ليس فقط من مدينة فاس ولكن فيما يتأكد لي من سائر

اجزاء المغرب الكبير ، من تونس الخضراء بالذات . والتاريخ ولوانه ظل صامتا حول هذا الموضوع لكن ذلك الصمت نفسه يوشك ان يكون هو وصفا لتلك المجالس الزاخرة .. فنحن نعرف ان المدرسة العنانية علاوة على قاعة الصلاة الفسيحة التي تتوفر على مجالس علمية على ما نرى فانه توجد بفناء المدرسة قاعتان متقابلتان مختصتان بالدروس العلمية الامر الذي يفسر الحديث عن المدارس التي تعتبر « القرائن الناطقة » .

وقد عرفنا من اساتذة هذا الكرسي – حسب الحجج التي بين ايدينا – الفقيه ابا العباس احمد الحباك (ت ٨٧٠)[٨٩] والفقيه ابا عبد الله محمد بن عبد الرحمن البكري الدلائي .

كما عرفنا من اوقافه عددا من العقار ، فيه ما كان بالمحاصة في خراجها بعد اصلاح ريعها واداء ملازمها .

٦) كرسي المدرسة المتوكلية (النحو) :

وفي مقابلة كرسي الفقه كان هناك كرسي ثان للنحو توالى عليه عدد من علماء العربية ممن عرفهم العهد المريني والعهود اللاحقة .

وقد عرفنا من خلال الوثائق ان في جملة من كان بيدهم الكرسي المذكور العلامة ابا الفتوح التلمساني (ت ٨١٨) الذي كان يقرأ الفية ابن مالك في مقابلة الجامكية المرتبة على ذلك [٩٠] ثم الفقيه البكري الدلائي السالف الذكر ، والذي كان يتصرف في اوقافه على نحو ما كان يفعل بالنسبة لكرسي الفقه .

ونعتقد ان كلا من الكرسيين كان يتقابل مع الاخر في القبتين المتسامتتين هناك ...

٧) كرسي المدرسة المتوكلية (التفسير والحديث) :

اما الكرسي الثالث فيوجد بداخل قاعة الصلاة عند القبلة وقد كان بالدرجة الاولى للتفسير والحديث ، ولكنه الى جانب ذلك كانت هناك كتب اخرى موقوفة عليه ، فيها ما كان معينا للتوريق ، عند اجتماع الناس لحضور صلاة الظهرين .

وقد عرفنا من اوائل العلماء الذين تصدروا للتدريس على هذا الكرسي قاضي القضاة السفير المقّري (ت ٧٥٨) ثم الفقيه سيدي محمد الخديم [٩١] .

* * *

وقد اقتصرنا على الكراسي العنانية دون ان نتحدث عن « المجالس » الاخرى التي كان يقتصر فيها على تحليق الطلاب على الاساتذة لمدارسة بعض الفنون الضرورية التي يسميها المشايخ « مفاتيح » الكتب الكبرى ، ونذكر من هذه الأنصبَة مجلسا للتجويد كانت اوقافه بيد الفقيه سيدي عبد الرحمن المنالي ، وكانت بالمحاصة .

٨ – ٩) كرسي مدرسة الصهريج : للفقه والنحو

وقد نصت المصادر التاريخية ان مجلس هذه المدرسة ابتدأ العمل فيه منذ سنة التأسيس ٧٢٣ هـ وعرفنا ان من بين المخطوطات التي كانت تتوفر عليها خزانة القاعة « البيان والتحصيل » لابن رشد .. وقد ذكرت الحوالات الحبسية

هذا الكرسي تماما كما ذكرت كراسي المدارس السابقة « يوزع وقفهما بالمحاصة بعد اصلاحها واصلاح الرباع التابعة لها » .

ومن الطريف أن نعرف ان في اوائل العلماء الاعلام الذي اعطوا دروسهم هنا الاستاذ السفير سيدي ابراهيم التازي (ت ٧٤٨) الذي كان يدرس هنا التهذيب والرسالة ، كما نعرف من تلامذة المدرسة ابن الخطيب [٩٢] .

١٠ – ١١) كرسي مدرسة العطارين : للفقه ، والنحو

وتقوم بجانب جامعة القرويين مدرسة العطارين التي كانت محل تنافس بين العلماء والطلبة ، أولئك للتدريس بها ، وهؤلاء لسكناها . وقد كان كرسيها قبالة الداخل على قبتها ، أعني عن يمين المحراب [٩٣] .

وقد وزع كرسيها على مادتين أساسيتين ، على أنه كان في المدرسة مجالس لتناول علوم أخرى على ما ينقل التاريخ : الفقه وقد كانت حصته تعطى صباحا ، والنحو وكان وقته بعد صلاة العصر .

وقد علمنا من الفقهاء الذين كانوا يترددون على هذا الكرسي ، منذ أيام الدولة المرينية ، الأستاذ محمد بن احمد الفشتالي (ت ٧٧٧ هـ) الذي كان يدرس هنا المدونة وغيرها ، وكان من تلامذته في هذه الفترة ابن الاحمر .. وفي أيام الدولة الوطاسية ابن هارون (٩١٠ هـ) الذي كان يدرس هنا المدونة كذلك ، وفي أيام الدولة السعدية الشيخ العلامة سيدي يحيى السراج وقد كان يدرس هنا كل صباح – بعد فراغه من مجلس المختصر بصدر القرويين – يقصد مدرسة العطارين لقراءة كتاب المدونة [٩٤] ، ومن أساتذة هذا الكرسي ابو العباس سيدي أحمد الأخضر بن أحمد ، وكان يقسم الوقف سوية أنصافاً مع أستاذ النحو بالمحاصة فيما يبقى بعد اصلاحها وإصلاح الرباع الموقوفة عليها مما عرفنا في الفصل الخاص بالمدارس .

ولا شك أن عدداً عديداً آخر من العلماء الأعلام ترددوا على هذا الكرسي الذي كان في صميم المدينة ، نذكر في صدرهم العلامة الرياضي المشهور ابن البناء (ت ٧٢٣ هـ) [٩٥] .

أما كرسي النحو ، فقد اشتهرت به مدرسة العطارين أكثر من اشتهارها بكرسي الفقه نظراً لما تعاقب عليه من أعيان النحاة من أمثال الشيخ أبي زيد عبد الرحمن المكودي (٨٠١ هـ) وكان يدرس كتاب سيبويه في آخر ايامه .

وقد درس هنا بالاضافة الى كتاب سيبويه كتاب الشيخ الإمام بدر الدين المرادي (٧٤٩ هـ ، ومؤلفات الشيخ خالد الأزهري (٩٠٥ هـ) المعروف بالوقاد .

وممن عرفناه من أساتذة (كرسي المرادي) أبا العباس احمد بن علي الزموري (ت غرة رجب ١٠٠١ هـ) ، وبعد وفاة الزموري تولاه الشيخ الفقيه المعقولي الأصولي أبو عبد الله محمد بن قاسم القيسي القصار (ت ١٠٠٢ هـ) .

ومما كان بيدهم كرسي النحو الفقيه سيدي احمد بن محمد بن الحاج [٩٦] كما عرفنا من تلامذته الأعيان الحافظ ابا الحسن سيدي علي بولعراب وسيدي محمد بن ابي القاسم بن عمران وسيدي ابا عبد الله محمد بن ابي بكر المراكشي [٩٧] أما موارد الكرسي فكانت تقسم سوية بينه وبين كرسي الفقيه السالف ذكره بعد اصلاحها واصلاح الرباع الموقوف عليها كما تقول حجج الوقف .

كما نعرف من أساتذتها ايضاً ابن العجل الوزروالي (ت ٨٥٧ هـ) .

١٢ – ١٣) كرسي مدرسة فاس الجديد : للفقه والنحو

وهذا الكرسي لم ينله ذكر في الحوالات الوقفية ، لكون المدرسة تقع في حرم القصور الملكية ، لكن ذكر منقوشاً على مرمرة التحبيس التي غرزت في قاعة المدرسة ونصت على أن الإقراء فيها ابتدأ منذ عام ٧٢١ هـ . وقد رتب السلطان الفقهاء لتدريس العلم ، وأجرى عليهم المرتبات والمؤن في كل شهر . ويكفي أن نعرف من أوائل المدرسين اللامعين في هذه المدرسة جماعة أبي العباس أحمد بن قاسم الجذامي الفاسي المعروف بالقباب [٩٨] شارح مسائل ابن جماعة وشارح قواعد الاسلام للقاضي عياض . وقد كان يدرس هنا كتاب التهذيب لابن البراذعي . وكذلك اسم أبي يعقوب يوسف بن مبخوت أستاذ البلد الجديد .

١٤ – ١٥) كرسي مدرسة الوادي : للفقه والنحو

وكان لكرسي مدرسة الوادي ذكر في التاريخ لا ينسى . وناهيك بمدرسة كان يحتوي مجلسها على سبع مئة استاذ كما يقول أبو علي اليوسي ! وناهيك بمدرسة كانت السكنى فيها لا تمنح الا للطلبة الذين يستظهرون مختصر ابن الحاجب !

وقد عرفنا من اساتذة كرسي الفقه هنا الشيخ ابن هارون الذي كان يدرس كتاب المدونة في حياة شيخه الامام ابن غازي .

وقد نصت الحوالة الإسماعيلية على أن أوقاف الكرسي ترجع الى المتصدر له بعد بالمحاصَّة بعد إصلاح المدرسة وإصلاح الربع التابع لها .

° ° °

١٦ – ١٧) كرسي مسجد الأبارين : للتفسير والحديث

وقد شهد مسجد الابارين حركة علمية نشيطة ، لأنه على مقربة من جامع القرويين ومدرسة العطارين ، ولأنه كان ايضاً مأوى يفضّل عدد من الطلاب السكنى في شقلابيته [٩٩] .

ويعرف التاريخ نفراً من العلماء الذين كانوا يلقون هنا دروسهم المختلفة في التفسير والحديث ، وفي مختلف العلوم والفنون .

وقد عرفنا ممن كان بيدهم كرسي التفسير قديماً أبا القاسم بن محمد الغماري القشتالي (ت ٧٢١ هـ) ، كما عرفنا ابن الكماد (١١١٦ هـ) . ثم سيدي عبد السلام بن زيان الذي كان يتصرف في أربع بقاع موقوفة على الكرسي المذكور

كما عرفنا من اعيان العلماء الذين درسوا صحيح الامام البخاري هنا على كرسي الحديث العلامة الكبير القاضي احمد بن القاضي (١٠٢٥ هـ) الذي كان من تلامذته الشيخ عبد الواحد بن عاشر صاحب المرشد المعين ، وسيدي احمد بن يوسف الفاسي . والإمام احمد المقّري صاحب النفح وغيرهم [١٠٠] . ثم كان من مشايخ هذا الكرسي كذلك العلامة سيدي محمد ميارة الذي كان يتصرف في أوقاف معمل للنسيج كان نصفه وقفا على الكرسي المذكور .

وبالاضافة الى الكرسيين المذكورين كان يدرس هنا كتاب الشفا ، والحريفش ، على ما تذكر الحوالة العبد رحمانية .

١٨) كرسي مسجد الأرازين :

وقد رددت حوالة ٩٧٤ كرسياً بمسجد الارازين الذي يقع في (عين علون) بين المتاجر والمصانع ، وقد كانت هناك أوقاف معروفة على الكرسي ، وعلمنا أن من الكتب التي كانت تقرأ عليه شهاب الاخبار في الحديث الشريف للقضاعيّ، وكذلك شرح الحكم العطائية لابن عباد .

١٩) كرسي مسجد الازدع :

وهذا ايضاً من أقدم الكراسي التي عرفها أحد المساجد الفرعية ، ونعني به جامع الأزدع ، او الاصدع ، الذي يقع في فندق اليهودي . ويمكن أن نتصور دلالة وجود هذا الكرسي في ذلك المسجد الصغير منذ هذا التاريخ ، فان أقرب ما تدل عليه الرواية وجود العدد العديد من تلك الكراسي في جامع كالقرويين ، يتمتع بمركز القيادة بين مختلف المساجد الأخرى .

واذا كان التاريخ قد بخل باعطائنا تفصيلات اكثر دقة عنه ، فانه مع ذلك مكّننا من معرفة أحد أعيانه في أواخر القرن السابع وبداية الثامن ، وهو الإمام أبو الحسن الزرويلي المعروف بأبي الحسن الصغير المتوفى سنة ٧١٩ هـ .

ومن الكتب التي كان يدرسها هنا التهذيب لابن البراذعي[١٠١] ، وقد نقل أنه ، أي الزرويلي ، كان يفتح في مجلسه ما يزيد على ثمانين ديواناً .

٢٠) كرسي مسجد الاندلس (باب أشنيخن) :

اما جامع الاندلس ، فقد عرف منذ فجر تاريخه بعدد مهم جداً من المجالس التي تناولت مختلف العلوم والفنون ، وبطائفة كبرى من العلماء الأعلام من أمثال جبر الله بن القاسم الاندلسي ، وابن محسود الهواري ، وابن النحوي ، وابن وشون ، والشيخ منديل بن آجروم ، الذي كان مدرساً ايضاً بالقرويين على ما تقدم. [١٠٢]

وهو الامر الذي جعله ثاني مركز للتدريس بعد القرويين ، وقد كان في صدر الكراسي الصباحية هنا كرسي التفسير الذي كان موضعه في الجانب الغربي من المسجد ، عن يمين الداخل من باب أشنيخن الذي يقابل الزنقة التي فيها مدرسة الصهريج ، وعن يسار الباب المقابل لمدرسة السبعيين في البلاط الأفقي الرابع .

ونعتقد أن هذا الكرسي كان هو نفسه مجلس الفقيه جبر الله بن القاسم الاندلسي ، فقد روى التاريخ أنه كان بالجانب الغربي للجامع [١٠٣] .

ولذلك ظل محل تنافس بين أعيان العلماء الذين كانوا يرحلون اليه من جامعة القرويين ليسجلوا أنهم أعطوا به درساً ، ونذكر في صدر هؤلاء الأستاذ الفقيه الشيخ سيدي أحمد بن علي الزموري [١٠٤] الذي كان يحضر مجالسه التفسيرية مشايخ من أمثال سيدي عبد الواحد الحميدي وسيدي يحيى السراج [١٠٥] .

وقد كان التفسير الذي يعتمده الأستاذ الزموري هو تفسير الإمام الفخر الرازي ، وصار للشيخ القصار ، وقد وردت في الحوالة الإسماعيلية لائحة باسماء الكتب الأخرى الموقوفة على هذا الكرسي ، نذكر منها الاكتفاء للكلاعي الذي كان يعطي كل مساء ، والتسهيل والتقريب للإمام الرصاع الذي كان يدرس كل يوم جمعة .

ونصت حوالة علوية على أن هذا الكرسي صار بعض الوقت الى يد الفقيه محمد الرندة وابن سودة ، وعبد الكريم. وقد عرف من أوقافه عدد من البقاع ، حُدِّد منها بقعتان باقيتان .

٢١) كرسي مسجد الأندلس (باب أشنيخن)[١٠٦] :

وقد كان موضع هذا الكرسي بالجدار الغربي أيضاً ، ولكنه في البلاط الثاني يمين الداخل من باب أشنيخن .. وقد كان مهتماً برسالة الشيخ ابن أبي زيد فيما بين العشاءين ، ويظهر أنه هو الكرسي الذي عرف بكرسي العبسي (ت ٩٦٥ هـ) الذي ذكر المنجور أنه كان يحضره ويقرأ فيه الألفية بنقل المرادي ، ومختصر الشيخ خليل والدرر اللوامع للكمال بن ابي شريف[١٠٧] ، وعرفت من أوقافه اليوم خمس بقاع .

٢٢) كرسي مسجد الاندلس (باب المحراب) :

وهذا المجلس أيضاً من أقدم المجالس العلمية بجامع الأندلس ، وهو الذي كان يختص به في أول القرن السادس الهجري الشيخ أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف بن النحوي (ت ٥١٣ هـ) ، وقد عرفنا ممن صار اليه بعض ما كان يدرس على هذا الكرسي الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن اللآيريني ، وسيدي أحمد المزوار.

وقد بلغت العقارات الموقوفة على هذا الكرسي عشر بقاع .

٢٣) كرسي مسجد الاندلس (باب مصرية الخطيب) :

هناك عدد من العلماء المشايخ ممن تصدروا للتدريس على هذا الكرسي الذي ذكره الشيخ المنجور في الفهرسة ، في ترجمة الراوية عبد الرحمن سقين ، وقد صار بعد الى الشيخ القصار.. وممن صار اليهم في الأزمان اللاحقة سيدي الكبير بن الطالب بن سودة .

ومن المؤلفات التي كان يدرسها الشيخ سقين على هذا الكرسي : كتاب العمدة للمقدسي ، والموطأ للإمام مالك وهما من اوقاف الشيخ الورياكلي ، وقد عرفنا من العقار الموقوف على هذا الكرسي خمس بقاع معروفة في حوالات الأوقاف .

٢٤) كرسي مسجد الاندلس (بالمستودع) :

وهذا الكرسي كانت الفضليات من نساء البلد يستفدن من الاستماع الى بعض الكتب الموقوفة عليه ، نذكر منها كتاب الترغيب والترهيب للمنذري ، وقد كان قريباً من الخزانة العلمية هناك تحت مستودع النساء بحيث يمكنهن الإنصات اليه .

وممن عرف التاريخ تصدرهم لهذا الكرسي أبو العباس سيدي أحمد المزوار ، وكان يتصرف في ستة رباع موقوفة على الكرسي المذكور.

٢٥) كرسي مسجد الاندلس (العنزة) :

وهذا الكرسي الذي كان يستند الى ظهر العنزة كان الكرسي الثاني الذي وقف على قراءة الفقه ، ونعتقد أنه الكرسي

الذي كان لأبي الربيع سليمان الونشريسي الفاسي (ت ٧٠٥ هـ) ، وكان يقوم على التفريع والمدونة كما تقول الجذوة [١٠٨]. وهو الكرسي الذي كان تعطى فيه رسالة الشيخ ابن ابي زيد القيرواني كما تذكر الحوالات الحبسية .

وممن عرف لهم كرسي الرسالة الفقيه أبو العباس أحمد بن سيدي الخياط بن إبراهيم ، وكان يتصرف في ثلاث بقاع هامة .

٢٦) مجلس بمسجد الاندلس :

وكما رأينا في جامعة القرويين العدد الكثير من المجالس الأرضية زيادة على الكراسي المرتفعة ، نجد أيضاً معنا في جامع الاندلس عدداً آخر من تلك المجالس . وقد احتفظ التاريخ باسم أبي عبد الله محمد بن الحسين بن محمد بن حمامة الأوربي النيجي الفاسي الشهير بالصغير (ت ٨٨٧ هـ) . وقد ورد في ترجمته أنه ختم عليه القرآن بالقراءات السبع ثلاث مئة طالب [١٠٩] ، ولا توجد صلة بين النيجي الصغير هذا وبين الزرويلي الصغير[١١٠] . (ت ٧١٩ هـ)

• • •

٢٧ – ٢٨) كرسي مسجد باب عجيسة : (للحديث والفقه)

وقد عرف مسجد باب عجيسة بكرسيين ، أحدهما عن يمين المحراب وكان موقوفاً على قراءة التسهيل والتقريب للامام الرصاع وعرف من أحباسه بقعتان ، وثانيهما كرسي لقراءة الرسالة ، وقد عرفنا من اوقافه فداناً كان يتصرف فيه شيخ المجلس كما تذكر الحوالات الوقفية .

٢٩) كرسي مسجد سيدي تميم :

وهذا من الكراسي المتغلغلة في دروب فاس الضيقة الملتوية ، يوجد بكرنيز ، في درب الغرباء بالذات ، لا يكلف قاصديه من سكان الدرب وما حواليه إلا خطوة أو خطوات . وقد كان موقوفا في الأساس على إقراء رسالة الشيخ ابن أبي زيد .

٣٠) كرسي زاوية التيجاني :

يعد من الكراسي الحديثة ، لأنه كان بعد أن بني المسجد محيطا بمشهد الشيخ أحمد التيجاني (ت ١٢٣٠ هـ) الذي في حومة البليدة [١١١] .

٣١) كرسي مسجد سيدي جبل :

وهذا الكرسي في مسجدٍ يقع بأعلى الشاكين من الشرابليين مقابل درب زقاق الماء ، وممن مر بيدهم هذا الكرسي أبو العباس سيدي أحمد شنيفر . وقد ضاعت احباسه فيما ضاع .

٣٢) كرسي مسجد جزاء بن عامر :

وكان هذا الكرسي وقفاً على إقراء رسالة ابن أبي زيد كسائر المساجد الفرعية التي توجد جوار البيوت الآهلة لتفقيه الناس في دينهم .

٣٣) كرسي مسجد بوجلود :

وهذا من الكراسي القديمة التي لازمت المسجد منذ إنشاء القصبة الجديدة التي كانت هنا ، واذا كان التاريخ لم ينقل لنا تفصيلات عن الكرسي ، فان الحوالات احتفظت لنا بعقود اكرية يستفيد منها القائمون عليه .

٣٤) كرسي مسجد سيدي حبيب :

هذا أحد الكراسي المتعددة التي تحتضنها حومة المخفية ، وقد نعتته الحوالات بأنه حديث . وقالت إنه يختص بالتوريق ، لكنها لم تعط بيانات عن الكتب التي كانت تورق عليه .

٣٥) كرسي مسجد حلق النعام :

وعلى مقربة من مدرسة أبي عنان فوقها في الطريق لأبي الجنود مسجد حلق النعام الأعلى ، الذي اسسه السلطان أبو الحسن المريني ، وأنشأ معه كرسياً للتدريس لم نقف على المادة التي كانت تدرس به . ولا على أحد من مشايخه .

٣٦) كرسي مسجد حمام القلعة :

يقصد بالحمام حمام ابن عباد في أعلى القطانين ، والمسجد قبالته ، وبه كرسي لتدريس العلم ، ولكنه يختص في الشهور الثلاثة : رجب وشعبان ورمضان بقراءة صحيح الإمام البخاري .

٣٧) كرسي مسجد الحمراء :

وهذا المسجد في صميم الشارع الرئيسي بفاس الجديد ، وهو يحتضن هذا الكرسي الذي كان يساعد الطلبة في هذه الناحية على الالتحاق بالقرويين . وقد أدركنا الطلبة ينزلون يومياً من فاس العليا لحضور مجالس العلم بالمدينة .

٣٨) كرسي مسجد ابن خبة :

في درب ابن عتيق في زقاق الرمان حيث يكتظ السكان ، وقد عرفنا من الكتب التي تدرس عليه كتاب تنبيه الغافلين لأبي الليث السمرقندي (ت ٣٧٣ هـ) كما احتفظت حجج الوقف باسم بعض الحوانيت المحبسة عليه ، ونعتقد أنه هو الكرسي المعروف بمسجد درب ابن عتيق .

٣٩) كرسي مسجد سيدي خليل :

هو كرسي للفقه بدون شك ، أجمعت المصادر على أنه كان في البداية لقراءة رسالة الشيخ ابن ابي زيد القيرواني ، ووقفنا على أنه كان أيضاً ينتفع به للتوريق ، كما علمنا أنه كان محلا لدراسة مختصر الشيخ خليل ، وأنه عرف بذلك الاسم لأجل هذا [١١٢] .

٤٠) كرسي مسجد دار الدبغ :

وحتى بعض المعامل الكبرى كانت تتخذ لها أستاذا لتثقيف عمالها وصناعها اذا ما قصدوا المسجد للعبادة . ولهذا نجد أن على هذا الكرسي أوقافاً ، وله علاوات ، ونجد أن الفقيه الذي يتصدره كان يحظى من لدن العمال وأرباب العمل بحظوة وتقدير ما عليها من مزيد .

٤١) كرسي مسجد درب الاجاصة :

يقع هذا الكرسي بمسجد في الزنجفور قريباً من باب عجيسة ، ويأخذ المرء العجب أن يكون هنا ايضاً كرسي علم ، ومع أن أكثر هذه الجهة كان بساتين وحقولاً ، وكان المتقدمون يتلمسون هذه الامكنة ايضاً نظرا لما فيها من طبقات معينة من السكان . والذي يثير الانتباه كذلك وجود سبعة وعشرين حظاً من عقارات مختلفة وقفاً على هذا المسجد بكرسيه مع مصرية ونصف حانوت .

٤٢) كرسي مسجد درب البواق :

هذا من الكراسي التي تقع في كرنيز كالذي سبق في مسجد سيدي تميم ، وقد اختص كسابقه بإقراء رسالة ابن أبي زيد ، بالاضافة الى التوريق قبيل إقامة الصلوات .

وممن تصدروا له الفقيه سيدي محمد الشريف العربي بن حمدان التلمساني . وقد عرفنا من أوقافه التي ما تزال قائمة نصف طراز من طُرُز فاس [١١٣] ..

٤٣) كرسي مسجد درب الخضار :

يقع المسجد بحومة العدوة ، في درب الخضار ، أو الخطار بالطاء كما تحرفه العامة . وقد اختص في البداية باقراء رسالة الشيخ ابن أبي زيد في فصل الشتاء ، إضافة الى التوريق .

وقد عرفنا ممن كان بيدهم الكرسي الإمام أبو الحسن علي بن محمد الشريف . ومن اوقافه ثلثا دار موصوفة في الحوالات الحبسية .

٤٤) كرسي مسجد درب ابن زيان :

في الطريق الذي يربط سويقة ابن صافي بمسجد سيدي الهبطي ، ويسمى قديماً زقاق ابن فرقاجة [١١٤] ، يحتوي على مسجد ، وفي المسجد كرسي عليه أوقاف خاصة على ما يدرس فيه ، كما تقول الحوالة العبدرحمانية .

٤٥) كرسي مسجد درب الشيخ :

هذا الكرسي أوقافه تنص على أن الأستاذ فيه يورق في ثلاثة كتب : كتاب تنبيه الغافلين للسمرقندي (٣٧٣ هـ) ، وكتاب الترغيب والترهيب للمنذري (٦٥٦ هـ) ، وكتاب الروض الفائق للحريفش (٨٠١ هـ) .

٤٦) كرسي مسجد الدرب الطويل :

وهذا الكرسي في منطقة القرويين من حومة البليدة ، وقد كان حبسا في الأصل على تدريس الرسالة .

٤٧) كرسي مسجد الديوان :

وهذا من الكراسي المهمة نظراً لموقع المسجد الذي بين سوق الديوان والأسواق المتفرعة من العطارين ، وقد كان مختصاً بتدريس رسالة الشيخ ابن ابي زيد القيرواني .

٤٨) كرسي مسجد راس الجنان الاعلى :

وقد ذكرت الحوالات أن هذا الكرسي كان له وقف على قراءة الرسالة طوال أشهر الشتاء الثلاثة .

٤٩) كرسي مسجد رحبة الزبيب :

وقد كان هذا الكرسي في مسجد معلق هناك ، عرفنا ممن درسوا فيه العلامة سيدي عبد الواحد الونشريسي ٩٥٥ هـ علاوة على كرسيه الذي عرف به في جامعة القرويين على الجدار الشرقي كما تقدم [١١٥] ، وعلاوة كذلك على درسه بالمدرسة المصباحية .

٥٠) كرسي ضريح سيدي ابن رحمون :

وقد كان هذا الكرسي لتدريس رسالة الشيخ ابن ابي زيد ، وللتوريق كذلك ، وكانت له أوقاف خاصة به ، آخر من انتفع بها شيخنا الشريف مولاي أحمد العمراني

٥١) كرسي مسجد الرصيف :

ومما صحب المسجد ، منذ تأسيسه ، كرسي في الفقه ، درس عليه في جملة ما درس رسالة الشيخ القيرواني بالاضافة الى الاكتفاء للكلاعي (ت ٦٣٤ هـ) ، لكن الحال لم يلبث ان تطور في هذا الجامع ، وغدت له كراسي أخرى ومجالس ، فيها ما كان خاصاً بالنحو ، ومن أبرز أساتذته الأستاذ سيدي محمد التازي ، وقد أدركناه فرعا مهماً من فروع القرويين أيام نظامها [١١٦] .

٥٢) كرسي مسجد زقاق الرواح :

واذا كنا لا نتوفر على لائحة أوقاف هذا الكرسي ، فان الحوالات ذكرت أن الاوقاف كانت على التوريق بالكرسي المذكور ، ولكن من غير أن تعين كتابا ما من الكتب .

٥٣) كرسي مسجد زقاق الماء :

وهذا الكرسي من أقدم الكراسي بمدينة فاس . وقد عرفنا من الفقهاء الذين كانوا يدرسون فيه أبا بكر بن عثمان بن مالك الفاسي من أساتذة ابي الحسن علي بن حرزهم [١١٧] .

ومما عرف من اختصاص الكرسي التدريس والتوريق معاً ، وقد نصت الحوالات على كتاب الشفا للقاضي عياض وقد بقي من محتويات الخزانة العلمية التي كانت بهذا المسجد لفائدة الكرسي ، كتابُ حِلْيَة الأولياء لأبي نُعَيم الإصبهاني (٤٣٠ هـ) ، وكتاب الاكتفاء في مغازي الرسول والخلفاء لأبي الربيع الكلاعي (٦٣٤ هـ) ، وكتاب الروض الفائق للحريفش (٨٠١ هـ) كما تقول (الحوالة العبدرحمانية) .

٥٤) كرسي مسجد سيدي السفياني :

وهذا الكرسي مما اختصت به عين ايصليتن ، وقد كانت أوقافه على قراءة صحيح الإمام البخاري ، واكتفاء أبي الربيع الكلاعي . وممن كان هذا الكرسي بيدهم الطالب سيدي محمد الشريف العربي التلمساني الذي كان يتصرف في ست بقاع من المدينة ونصف طراز . وتوجد لائحة المخطوطات التي كانت في خزانة سيدي الحسن السفياني [١١٨] .

٥٥) كرسي مسجد السمّارين :

وهو المعروف عند العامة بجامع البستيونية بين الرصيف و بين قنطرة الطرافين ، وقد كان لقراءة الرسالة وللتوريق ، وممن عرف الكرسي بيده الطالب عبد الرحمن هارون [١١٩] .

٥٦) كرسي مسجد ابن سمعون :

يوجد المسجد برشم العيون جوار كتّاب مرفوع هناك ، وقد كان مختصاً بقراءة رسالة الشيخ القيرواني . يظهر أن من أساتذته الأولين الأستاذ ابن سمعون (٧٠٠ هـ) ، وقد كان بيد سيدي محمد الشريف العراقي .

٥٧) كرسي الشيخ التاودي :

كان بالمسجد الذي بني جوار مشهد الشيخ التاودي بن سودة ، وقد حبست أوقاف على تدريس (الرسالة) فيه ، وهذا المسجد هو المعروف بزاوية المعادي .

٥٨) كرسي مسجد سويقة الدوح :

وهو كرسي ما يزال بالمسجد المذكور ، قال محمد بن يوسف المكيلدي : إنه لا يعلم له أحباساً معينة .

٥٩) كرسي مسجد سويقة ابن صافي :

وقد عرف هذا الكرسي بأنه كان لتدريس الفقه والرسالة وكذلك للتوريق [١٢٠] .

٦٠) كرسي مسجد سيدبوس :

وقد كان الكرسي وقفاً على التدريس والتوريق ، وآخر من كان بيده الأستاذ سيدي محمد السراج رحمه الله .

٦١) كرسي مسجد الشاوي :

اقترن هذا الكرسي ببناء المسجد الذي بني في مشهد الرجل الصالح سيدي أحمد الشاوي ، وقد كان من أهم الكراسي في هذه الجهة من المدينة .

وقد عرفنا من الفنون المهمة التي كانت تدرس فيه الفقه ، ومن كتبه رسالة ابن ابي زيد ، وكتاب المورد العذب في المواعظ والخطب للإمام ابن الجوزي (٥٩٧ هـ) [١٢١] ، وفن التفسير ومن كتبه الدر المنثور للامام السيوطي ، هذا الى التوريق في بعض الكتب التي تحتضنها خزانة سيدي أحمد الشاوي .

٦٢) كرسي مسجد الشرابليين (الصغير) :

هناك مسجدان في الشرابليين ، أحدهما صغير ويتوفر على كرسي لتدريس الفقه ، وقد علمنا من الكتب التي كانت اساساً بالاول رسالة الشيخ ابن ابي زيد .

٦٣ – ٦٤ – ٦٥) كرسي مسجد الشرابليين (الكبير) : للفقه والنحو والتجويد

عرف هذا المسجد في الحوالات الوقفية القديمة باسم مسجد الصفّارين القدماء الذي يقع بالشناكين ، وهو من

المساجد المهمة من الجهة التعليمية ، لوقوعه في نقطة متحركة من المدينة .

وأول هذه الكراسي كرسي للفقه بكتاب الرسالة حبسه بالمحاصة ، وقد تعطل في بعض الأوقات للخراج الذي أخذ يضعف بمرور الزمن مع كثرة الصاير على الجامع ، وفي جملة الذين عرفوا بهذا الكرسي أبو عبد الله محمد بناني .

وثانيها كرسي النحو وقد كان حبسه بالمحاصة كذلك .

وثالثها كرسي التجويد الذي كان حبسه بالمحاصّة كذلك .

٦٦) كرسي مسجد الشرشور :

كان هذا الكرسي خاصاً بقراءة الرسالة ، شأن جل الكراسي المتطرفة التي قصد بها شدّ السكان الى التفقه في دينهم بمعرفة العقائد والعبادات واحكام المعاملات وفرائض التركات واداب الاسلام ... ، ونعتقد أنه هو المقصود بكرسي زاوية سيدي الخياط الرقعي(١٢٢) .

٦٧) كراسي مسجد الشرفاء :

ويعد جامع الاشراف المعروف الآن بضريح مولاي إدريس ، ثالث مركز فرعي بعد جامع الاندلس من حيث نشاطه العلمي ، ويرجع سبب ذلك الى ان المسجد كان في الاصل ثاني مسجد اسس في المدينة بعد مسجد الانوار بعدوة الأندلس .

٦٨) كرسي القبة : للتفسير والحديث والفقه والنحو

كان أهم كرسي هو الكرسي الذي بداخل المشهد الإدريسي ، وقد تعاقب عليه عدد من أعيان العلماء ، كان من أوائلهم الفقيه المساري (ت ٩٨٤ هـ) (١٢٣) ، ومنهم أبو عبد الله محمد المدعو الكبير بن محمد السرغيني العنبري نزيل فاس (١١٦٤ هـ) (١٢٤) الذي كان بعد صلاة الصبح يبتدئ تفسير الثعلبي ثم بعد انتهاء مجلس القرآن يأتي مجلسه في الفقه بكتاب مختصر الشيخ خليل ، وبعد صلاة الظهر يأتي دور الحديث الشريف حيث يدرس صحيح الإمام البخاري ، وربما أضاف درساً ثانياً في الفقه بعد صلاة المغرب على مستوى آخر حتى يستفيد منه الطلبة الاخرون ، كان يعتمد في الدرس الليلي الرسالة القيروانية أحياناً ، والمرشد المعين حيناً آخر ، وربما غير أحياناً بكتاب آخر . ومن أساتذة هذا الكرسي أيضاً الإمام الخطيب أبو زيد عبد الرحمن بن ادريس بن محمد المنجرة الحسني الإدريسي الفاسي (١١٧٩ هـ) الذي تولى التدريس بعد وفاة السرغيني ، وقد اختلف توقيته قليلاً عن الأستاذ الأول حيث كان يعطي في الصبح التفسير والحديث ، وبعد طلوع الشمس يتفرغ للفقه بالمختصر الخليلي (١٢٥) .

وممن تولى التدريس في هذا الكرسي الإمام الخطيب ابو عبد الله محمد بن الحسن بن مسعود البناني الفاسي (١١٩٤ هـ) ، وكان يدرس فيه كذلك التفسير وصحيح البخاري والمختصر ، وفي الاوقات السابقة نفسها .

لكنه أضاف مادة جديدة الى سابقه ، هي مادة النحو حيث كان يقرئ الفية ابن مالك وغيرها (١٢٦) .

وقد صار الى ولده أبي عبد الله محمد (ت ١٢٤٥ هـ) ، ثم الى الشيخ محمد الطالب بن حمدون بن عبد الرحمن ابن الحاج الفاسي (ت ١٢٧٣ هـ) بتولية من السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام .

وممن صار لهم التوريق في هذا الكرسي قبل صلاة الصبح الطالب الشديد الذي كان يتصرف في ست بقاع .

٦٩) كرسي يمين القبة : السنوسية – والشفا

يقع هذا يمين الداخل من الباب المقابل لجامع المقلقة ، وقد ذكرت (حوالة الاشراف) أن هذا الكرسي كان بيد أبي عبد الله محمد القسنطيني المعروف بالكماد ، والغالب أن الذي أنشأ هذا الكرسي هو السلطان المولى الرشيد العلوي إذ وَقَفَ أوقافا على من يقرئ في الروضة الإدريسية العقيدة السنوسية الصغرى(١٢٧) ، والى جانب هذا كان للكرسي أوقاف على من يقرأ كتاب الشفا عند صلاة العصر ، تلك الأوقاف التي بلغت سبع بقاع كانت في بعض الأحيان بيد الفقيه الذّويب .

٧٠) كرسي يسار القبة : للحديث والفقه ايضا

وعن يسار الداخل من باب المجادليين كرسي آخر ، كان في البداية لرسالة الشيخ القيرواني . وقد عرفنا من أساتذة هذا الكرسي الشيخ عبد القادر بن أحمد بن أبي جيدة الكوهن الفاسي المتوفى في المدينة المنورة عام ١٢٥٤ هـ ، ثم محمد الطالب بن الحاج بتوليةٍ من السلطان مولاي عبد الرحمن ، وأبا حفص عمر بن محمد الطالب بن سودة المري الفاسي (ت ١٢٨٥ هـ) بتنفيذ من السلطان المذكور أيضاً .

وقد عاد هذا الكرسي الى تدريس الحديث الشريف بصحيح الإمام البخاري ، وممن كان بيدهم الفقيه سيدي محمد الحسناوي الذي كان يتصرف في خمس بقاع ، كما تذكر الحوالات (١٢٨) .

٧١) كرسي القبلة : للرسالة أيضاً ، والإحياء ، والروض الفائق .

وهذا هو الكرسي الرابع الذي كان يقع يسرة الداخل من الباب المجاور لباب قبة القيسارية الذي يجاور السقاية هناك ، وقد كان وقفاً على من يقرأ الرسالة القيروانية بين العشاءين طوال ثلاثة أشهر الشتاء من كل عام ، وتحتفظ (حوالة الاشراف) بالوقفية الخاصة بمن يتصدر للإقراء في هذا الكرسي (١٢٩) .

وبالاضافة الى هذا ، عرف الكرسي تدريس الاحياء للإمام الغزالي ، والروض الفائق لأبي مدين الحريفش ..

وممن كان بيدهم هذا الكرسي الفقيه أبو عبد الله محمد الندرومي .

٧٢) كرسي مسجد الشوك :

وهو في حومة بين المُدُن ، وقد كان الكرسي للتوريق في كتاب المديوني (١٣٠) .

٧٣) كرسي مسجد ابن صكون :

وهذا كرسي آخر من كراسي حومة سيدي العواد ، وقد عرف من الكتب الموقوفة عليه تنبيه الغافلين لأبي الليث السمرقندي ، والتسهيل والتقريب للقاضي الرصّاع .

وقد كان من أوقافه دار بالقطانين ، ومن العلماء الذين تصدروا للتدريس فيه أبو عبد الله محمد بن احمد بن زكري .

٧٤) كرسي مسجد سيدي طلوق :

وهذا من الكراسي التي أدركناها ، وكان من آخر من تصدر لتدريس الفقه فيه الشيخ أبو الشتاء الصنهاجي .

٧٥) كرسي مسجد العبادسة :

من كراسي العُدْوَة على مقربة من درب مشماشة ، وقد كان للحديث الشريف في صحيح الإمام البخاري ، وقد كانت خزانة المسجد - على صغره - تضم نسخة من البخاري في عشرين جزءاً .

٧٦) كرسي مسجد زاوية ابن عبد الله :

كان هذا الكرسي في زاوية سيدي أحمد بن عبد الله بأقصى المخفية ، وكانت عليه اوقاف لقراءة السير ... التي كانت منها عدة مخطوطات في مكتبة المسجد نفسه .

٧٧) كرسي مسجد العقبة الزرقاء :

وقد اختص هذا الكرسي بقراءة التفسير ، وصحيح البخاري ، ورسالة ابن ابي زيد ، وشرح الحكم لابن عباد .

وعرف من أساتذته الأولين الفقيه المساري (ت ٩٨٤ هـ) كما عرف من أوقافه دار وتربيعة وحظ ثالث فيها ما كان وقفاً على التفسير ، وفيها ما كان خاصاً بالحديث ، ومنها أوقاف على الرسالة كانت بيد سيدي حدو حنينش .

٧٨) كرسي مسجد عقبة بن صوال : للحديث والفقه

يقع هذا المسجد أعلى هذه العقبة ، وهو المسمى سيدي ابن عمران ، وهو غير مسجد سيدي (بغداد) في درب تريال وقد كان مجاوراً لدار مولاي إدريس بن عبد الهادي العلامة المعروف ، وكان الكرسي معدا لقراءة الفقه (الرسالة) والحديث (البخاري) ، وقد عرفنا من أوقافه دويرة ومصرية .

٧٩) كرسي مسجد عقبة بن صوال : للشمائل

وهذا كرسي ثان في المسجد ، كانت له أوقافه على حدة عبارة عن ثلاث بقع ، وحانوت وهو لقراءة الشمائل النبوية بشهر المولد النبوي .

٨٠) كرسي مسجد بو عقدة :

وهنا كان كرسي للتوريق في بعض المؤلفات الحديثية التي تضمها خزانة المسجد .

٨١) كرسي مسجد عقبة الفيران :

اختص هذا المجلس بقراءة كتاب الإحياء للإمام الغزالي ، وكتاب الروض الفائق لابي مدين الحريفش .

ومن الطريف أن نقرأ في حوالات الوقف التنصيص على أن هذا الكرسي لم يكن له أوقاف في الأصل ، وإنما يتطوع العلماء بالدرس فيه احتساباً لله .

٨٢) كرسي مسجد سيدي العواد :

كانت للكرسي أوقاف عليه ولتدريسُ رسالة الشيخ ابن ابي زيد ، ولعله هو بالذات مسجد سيدي نوار [١٣١] .

٨٣) كرسي مسجد عين الخيل :

هذا هو المسجد المعروف بالمسجد الأزهر ، وهو من الكراسي القديمة المهمة ، وقد كان من أوائل أساتذته أبو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي ، وكان من المع تلامذته الشيخ الاكبر أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الذي اخذ عن التميمي كتاب (المستفاد) [١٣٢] .

٨٤) كرسي مسجد الغازيين :

وقد كانت أوقافه على تدريس رسالة ابن ابي زيد القيرواني .

٨٥) – ٨٦) كراسي مسجد فاس الجديد الاربعة : للتفسير ، والحديث ، والفقه ، والتصوف .

ويعد الجامع الكبير بفاس الجديد من الفروع الكبرى للقرويين منذ بنائه من قبل يعقوب المريني (ت ٦٧٧ هـ) . وقد جاء التصريح بهذا في رحلة ابن بطوطة حيث ورد فيها لدى الحديث عن أبي عنان : « وأما اشتغاله بالعلم ، فها هو – ايده الله تعالى – يعقد مجالس العلم في كل يوم بعد صلاة الصبح ، ويحضر لذلك أعلام الفقهاء ونجباء الطلبة بمسجد قصره الكريم ، فيقرأ بين يديه تفسير القرآن العظيم ، وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وفروع مذهب مالك رضي الله عنه وكتب المتصوفة . »

هذا حديث شاهد عيان ، ومنه يمكن للمرء أن يتصور نشاط الجامع في غير أوقات الصبح وفي غير الدروس الملكية ، نتصوره في دروس النحو والأدب والتاريخ ، ولا سيما أن المسجد كان يتوفر على خزانة علمية زاخرة [١٣٣] .

٨٧) كرسي الزاوية الفاسية :

كان هذا الكرسي في زاوية الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي ، وقد عرفت عليه أوقاف كثيرة ، وهو من الكراسي التي بقيت الى العهد القريب .

٨٨) كرسي مسجد فران كويشة :

وقد علم من الكتب التي كانت له أوقاف خاصة بهذا الكرسي كتاب العمدة للمقدسي ، وقد كان ممن تصدروا للتدريس فيه منذ أوائل القرن الثامن الشيخ ابن عبد الواحد الذي كان معاصراً ليحيى الدكالي [١٣٤] (ت ٧٢٣ هـ) .

٨٩) كرسي مسجد سيدي محمد ابن الفقيه :

كان هذا الكرسي معروفاً بتدريس رسالة الشيخ ابن ابي زيد [١٣٥]

٩٠) كرسي مسجد القصبة :

وبجوار باب الشريعة (باب المحروق) توجد قصبة النوار [١٣٦] (القديمة) التي كان محمد الناصر الموحدي بناها عام ٦٠٠ هـ ، وفيها كان هذا الكرسي ، ولذلك يعدّ من الكراسي القديمة .. وهذا غير كرسي مسجد بوجلود .

٩١) كرسي مسجد قميمة :

هذا هو جامع الزليج برحبة التبن ، كان فيه كرسي لتدريس تفسير الثعلبي ، وصحيح الإسلام البخاري ، وقد عرفت من أوقافه خمس بقاع ، من جملة من تصرف فيها الحاج أحمد بن سليمان .

٩٢) كرسي مسجد القوري :

وقد كان بالزنجفور ، ونعتقد أنه كان لتدريس الفقه برسالة الشيخ القيرواني .

٩٣) كرسي الزاوية القادرية :

أنشأ بعض المغاربة زوايا ببعض مدنهم الكبرى ، ونسبوها الى الشيخ عبد القادر الجيلاني دفين بغداد ، وقد زودوا زاويته بفاس بكرسي علمي وقف على دراسة المؤلفات التي كانت تحتضنها الخزانة العلمية القادرية هناك (١٣٧) .

٩٤) كرسي مسجد اللزاز :

لا يبعد عن المدرسة العنانية إلا بضع خُطُوات ، وقد كان للتوريق .

٩٥ – ٩٦) كرسي مسجد ماشان :

وفي زقاق الحجر المنعرج المؤدي الى كرنيز . كان هذا المسجد الذي يحتضن كرسيين اثنين : أحدهما لتدريس الفقه برسالة الشيخ ، والآخر للتوريق .

٩٧) كرسي مسجد المخفي :

وكان هذا الكرسي مهتماً بالتوريق ، بالاضافة الى كتاب ابن النحاس (ت ٦٩٨ هـ) في السيرة النبوية .

٩٨) كرسي زاوية المخفية :

القصد الى زاوية سيدي يوسف الفاسي ، وقد كان يدرس به منذ أوائل القرن الحادي عشر ، درست عليه الرسالة وعدد من الكتب ، وكان من أوقافه تربيعة الفخارين وثلاثة ارباع حوانيت (١٣٨) .

٩٩) كرسي مسجد المزدغي :

المزدغي من أعيان علماء القرويين القدامى ، وقد نسب المسجد اليه ، لأنه كان يلقي فيه دروسه ، وقد اقتصر الكرسي في الاعوام الأخيرة على التوريق .

١٠٠) كرسي مسجد الملاحفي :

من المساجد التي بدرب الحرة من الطالعة ، والكرسي وقف على قراءة الحكم لابن عطاء الله ، والروض الفائق لأبي مدين الحريفش .

ومن أوقافه المعروفة بستان كبير خارج باب عجيسة .

١٠١) كرسي مسجد المليلي :

القصد الى سيدي عبد الرحمن المليلي ، وقد كان في البداية لرسالة ابن ابي زيد . وكان أستاذه شيخنا سيدي الحسين العراقي .

١٠٢) كرسي مسجد سيدي موسى :

المسجد يقع قبالة الفرن هناك ، وكان كرسيه موقوفاً على تدريس الرسالة القيروانية . وقد عرفنا من فقهائه أبا عبد الله سيدي محمد بناني ، كما عرفنا من اوقافه ثلث دار بدار بدرب الأمانة تقابل جامع سيدي خالد .

١٠٣) كرسي مسجد الميزاب :

يعد هذا الكرسي من الكراسي القديمة ، فان هذا المسجد هو المجدّد من قِبَل أبي الحسن علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني القرطبي الطليطلي الأصل ، الذي استوطن فاس وعرف بابن حنين (ت ٥٦٩ هـ) .

وقد كان لتدريس الفقه : (الرسالة والمرشد) بالاضافة الى التوريق . وممن كان بيده من الفقهاء السيد أحمد سكيرج الذي كان يتصرف في خمس بقاع .

١٠٤) كرسي مسجد النارنجة :

كان هذا بحومة الكدان شرقي جامع القرويين ، وسمي كذلك لأن صحنه كان مظللاً بنارنجة .

١٠٥) كرسي مسجد النارنجة :

كان يقع شمال القرويين ، في فندق اليهودي عند مدخل الزنجفور على يمينك .

١٠٦) كرسي زاوية سيدي أحمد بناصر :

يقع في الزنقة المعروفة بوطا ابن فرقاجة الغنية بمساجدها التي يعد منها مسجد الخطبة هذا . وقد كان كرسي هذا المسجد وقفاً على التوريق ، لكنه كان ايضاً مركزاً لإلقاء دروس في النحو كذلك ، وقد أدركنا فيه مجالس علمية للشيخ سيدي محمد بن الحاج الملقب بالاعرج وكان خطيباً في الجامع .

١٠٧) كرسي مسجد الهبطي :

وهو من الكراسي المقصودة وهو ينتسب الى الامام الهبطي (ت ٩٦٣ هـ) ، وقد يحمل اسم الجامع المزلجة على ما سنعرف في الفصل الخاص بفروع القرويين . وممن كان بيده الكرسي أبو فارس عبد العزيز المري . . ونصت الحوالات نقلاً عن إمام المسجد أن العلماء يتصدرون للكرسي احتساباً ، لأن الكرسي لا يعلم له وقف .

١٠٨) كرسي مسجد وادي رشاشة :

ويقع هذا الكرسي ايضاً في مركز مكتظ بالبيوت من مختلف المستويات ، وتنص الحوالات على أنه كان في الأصل للتوريق ، ولكنها ذكرت أن خزانة المسجد كانت تتوفر على عدة مخطوطات منها السمرقندي (٣٧٣ هـ) وأبو نعيم (٤٣٠ هـ) والغزالي (٥٠٥ هـ) وابن الجوزي (٥٩٧ هـ) والشعراني (٩٧٣ هـ) .

١٠٩) كرسي مسجد ابن يحيى :

وهو في أحد الفروع التي تصعد الى باب عجيسة من جهة النواعريين (حومة فندق اليهودي) .

وقد خصصت أوقافه بمن يدرس به صحيح الإمام البخاري .

١١٠) كرسي مسجد بني يزناسن :

وفي عقبة السبع تحت السقاية هناك هذا المسجد الذي كان يتوفر على كرسي لتعليم سكان الحارة .

١١١) كرسي مسجد سيدي يعلى :

هذا من المساجد التي بالطالعة الكبرى ، وهو من الكراسي القليلة من التي لم تعرف لها أوقاف ، وانما كان الناس يتطوعون فيها بإلقاء دروسهم احتسابا لله .

° ° °

اذا اضفنا هذا العدد الى ما عرفناه في الجامعة الأم ، بلغنا الى ازيد من اربعين كرسيا ومئة كرسي ، كلها كانت تؤدي رسالتها في التثقيف والتعليم ومحاربة الامية في خبايا الأزقة وخلايا الدروب ، بين الشيوخ والكهول والشباب ، من التجار والعمال والصناع ، والسيدات في بعض الاحيان .

ان وجود اربعين كرسيا ومائة كرسي متغلغلة في مسالك فاس ومنعرجاتها ومرتفعاتها ومنخفضاتها هو الذي يفسر لنا القولة الصادقة المأثورة : «انك لو حاولت ان ترجع كل اعراف فاس وعاداتها الى اصل من الشرع لما اعوزك ذلك ، بل هو الذي يعطي المدلول الكامل لوصف فاس بانها «كرسي المملكة» ! !

ان جل سكان المدينة ، وهم يتحدثون ويتناقشون ، يتعاملون او يتبايعون اعتادوا ان يستعينوا في كلامهم العادي بآيات من القرآن الكريم[١٣٩] وعيون من الحديث الشريف ، او فقرات من متون الفقه او النحو ، يستشهدون بذلك في مواضعه ، ويوردونه ايراد خبير بالمعاني ودقائقها ، متمرس فيها متفرس عليها[١٤٠] .

فروع القرويين في المدن الأخرى

وكما كانت هذه المساجد في فاس بمثابة فروع لجامعة القرويين ، فقد تاقت همم الملوك ، الذين تعاقبوا على الحكم على هذه العهود ، لإحداث مساجد أخرى على غرار القرويين في مختلف مدن المغرب .

وهكذا نرى العاهل المريني أبا الحسن يشيد مدرسة علمية بمدينة مراكش الى جانب الجامع ، وثانية بمدينة سلا .. وكلتاهما آية في الابداع . وقد شفع أبو عنان مدرسة سلا بثانية هي التي تحمل اليوم اسم « فندق أسكور » ، كما بنى بمكناس مدرسة تحاكي في بعض جوانبها مدرسة فاس .. هذا الى مدرسته « تازة » التي اختصت بأمرين اثنين : احدهما تعرض حجج الوقف التابع للقرويين للحديث عنها لكونها كانت تستمد نفقاتها من أوقاف القرويين[١٤١]

والآخر : الحديث عن أساتذتها وبعض المواد التي كانت تدرس فيها ، ويتعلق الأمر بالشيخ ابي الحسن الذي كان يقرئ كتاب التهذيب لابن البراذعي[١٤٢] .

وهكذا اصبحت للقرويين أخوات ، خففت عنها بعض العبء ، وإن كانت الدراسة في القرويين ظلت مفخرة بين الأوساط ، اذ كان يكفي لان يعرف أن المرء متضلع من العلم أن يقال : « إنه « أخذ من القرويين » .

ولكثرة ما طابت الألسن بذكر القرويين ، كان الناس – وممن يقيمون بمراكش أو سلا أو تازة أو فجيج[١٤٣] أو مكناس – يشدون الرحلة اليها اعتقاداً منهم بأن علمها هو العلم .

ويكفي للتدليل على تفوق القرويين الأم وأصالتها على سائر أخواتها أنها كانت تتوفر على ذلك العدد العديد من المدارس ، والعدد العديد من الشيوخ ، وعلى تلك الخزائن التي تحدث عنها الناس – ذلك العهد – على أنها فريدة في بابها ، وحيدة في نوعها .

ان مصافحة عابرة لأولئك الأعلام الذين كانت لهم صلة بهذا المركز الثقافي الأول في بلاد المغرب ، تكشف لك عن أن هذا المركز احتضن سائر الناس من كل الجهات سواء من أقاليم المغرب أو من خارج المغرب كذلك ، فسنجد هنا الغماري والصنهاجي والتازي والفجيجي والطنجي الخ كما تجد التلمساني والسوداني والإشبيلي .

وفي اختصار مقتضب تذكر أن كل قضاة المغرب بدون استثناء وعلماءه وفقهاءه ، لهم صلة مباشرة أو غير مباشرة بالقرويين .. إسأل عن العلماء في الجبال ، وعنهم في السهول والشعاب ، تجدهم منتسبين الى مكان بفاس ، اسمه القرويين .



تعليقات الفصل الثالث

القسم الاول

١) وجدت المعارضة في هذه البادرة مادة خصبة للطعن في الموحدين ولا سيما بعد ان تبعها الاذن باقامة كنيسة في العاصمة مراكش لهذه الخمسة عشر الف جندي ، وقبول سفير عن البابا اينوصانت للاشراف على مصالح الافرنج ... مشاهير فاس : البحث العلمي دجنبر ١٩٦٤ ص ٥٢ الكنيسة المسيحية بمراكش في القرن الثالث عشر (Hes: 1926 ler Trimar) الاستقصا ٢ ر ص ٢١٢ - التازي - تاريخ المغرب الدبلوماسي ص ١٢ .

٢) راجع بحث (فاس حاضرة المغرب) .

٣) نقول ، بعض الارتياح ، لأننا في هذه المرحلة لم نتمكن من معرفة كل شيْ ، وذلك يؤكد وجود آثار مستمرة لإهمال المغاربة لتاريخ رجالهم .. ونذكر هنا مثلا بسيطاً ، ولكن له دلالة مباشرة ، فقد عرف التاريخ اسم زوجة المقّرى التي تزوجها في المشرق ، وعرف والدها وأولادها ، ولكن تاريخ المغرب يجهل كل شيْ عن زوجته الفاسية . : نيل الابتهاج ص ٤ - مرآة المحاسن ص ٤ - المحاضرات ص ٥٩ الجيش العرمرم ١ ص ٢ .

٤) راجع الحديث عن صومعة القرويين .

٥) مما قاله شاعر تونس الرحوي في العلماء الذين صحبوا السلطان أبا الحسن المريني :

هم القوم كلّ القوم : أما حلومهم	فأرسخ من طودَيْ ثَبيرٍ ونَهْلان ،
فلا طيش يعروهم . وأما علومهم	فأعلامها تهديك من غير نيران
بفقه يشيم (الأصبحيّ) صباحه	و(أشهب) منه يستدل بشهبان
وحسن جدال للخصوم ومنطق	يجيئان في الأخفى بأوضح برهان
سقت روضة الآداب منهم سحائب	سحبن على (سَحْبان) أذيال نسيان
فلم يبق ناي (ابن الامام) شماخة	على مدن الدنيا لأنف تلمسان
وبعد نوى (السطيّ) لم تسطُ (فاسه) .	بفخر على (بَغْدانَ) في عصر بَغْدانِ
وبالآبلي استقتِ الأرض وبلَهـا	ومستوبل ما قال عنه لأظعان
وهامت على (عبد المهيمن) (تونس)	وقد ظفرت منه بوصل وقربان
وما علقت منّي الضمائر غيره	وإن هويت كُلّاً بحب (ابن رضوان)

الاستقصا ٣ ر ١٧١ - الكتاب الذهبي ، ص ١٦٤ .

٦) تحفة النظار ٤ ر ٣٤٢ .

٧) البحث العلمي ١٩٦٥ ص ١٣٩ .

٨) الخزانة العلمية بالمغرب ص ٢٦ نقلاً عن أبي زيد عبد الرحمن الجادري مختصر شرح ابي الوليد اسماعيل بن الاحمر لبردة البوصيري لدى قوله : « لعلّ رحمة ربي حين يقسمها » . ازهار الرياض ٣ ر ص ٢٧ - ٢٨ - ٣٧ - ٣٨ .

٩) كذا ذكر المقّرى مؤكداً أن القرشي اليوم غير مقطوع به ، واستنتج من ذلك أن الخلافة تسقط في القرشيين مضيفاً الى هذا أن الذي يعد اليوم هو كمال الشروط الستة ، وقد تخلص من هذا الى أن إمامنا هذا - يعني ابا عنان - يتوفر على الشروط . وقد أثارت هذه النظرية من الشيخ المقّري نكيراً متوالياً من العلماء ... مشاهير فاس عند الحديث عن بيت بني ابي مدين : البحث العلمي يناير ١٩٦٥ ص ١٠٠ - الاستقصا .

١٠) ورد عن الابلي : ان ابا عنان اورد على فقهائه الجلة في قول عائشة (رض) في حديث مسلم « فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مما يقرأ « خمس رضعات يحرمن » قال : يلزم على هذا الخلف في خبرها اوعدم حفظ القرآن وكلاهما محال ، قال : فقلت : القرآن على قسمين : متحدّي به وهو المعجز ، وغير متحدي به ، والاول هو المحفوظ بخلاف الثاني بدليل هذا الحديث قال فقبله الحاضرون كلهم ...

ازهار الرياض ٣ ر ٢٧ - ٢٨ .

١١) ورد في المدخل لابن الحاجّ : « ما رأيت أحداً من علماء المغرب يقعدون على حائل دون جلسائهم » ، وورد في المعيار للونشريسي : « أن اتخاذ الكراسي في المساجد للإقراء من أعظم البدع » ، ومن المعلوم أن الامام الونشريسي لم يكن على اتفاق معهم ، ونعرف أن له كرسياً بجامع الأندلس . المدخل : طبعة الاسكندرية : عام ١٢٩٣ ج ١ ص ١٦٤ ، المعيار ٢ ص ٣٨٠ – الجذوة ص ٣٢٠ .

١٢) ورد في رسالة الكلالي عن الشيخ المنجور : « ... وفي بعض الأوقات كان يقرأ الفية ابن مالك ، وفي بعض الأوقات كبرى الشيخ السنوسي على اختلاف أغراض الطالبين ، بعد الفراغ من حسه ... » . البحث العلمي – يناير ١٩٦٦ ص ٢٤٩ .

١٣) Jean Leon, L'african : (Le long des murs, on yoit des chaires de diveres sortes) ete – T.I P.185

تنبيه الصغير من الولدان . في البحث العلمي عدد يناير ١٩٦٦ ص ٢٤٤ . . . دعوة الحق يبراير ١٩٦٦ – ص ٩٢ .

١٤) سلوة ٣ ص ٢٤٣ .

١٥) الجزنائي : جنى زهرة الآس ص ٨٠ – ٨١ – المخطوط رقم ٢٩٢٩ .

١٦) ليست هذه أول اشارة الى إعطاء الجرايات للعلماء والفقهاء ، فقد عرفنا عن العهد المرابطي والموحدي حالات كثيرة من أنواع البذل والسخاء التي كان الملوك يغدقون بها على العلماء .. وعرفنا كذلك بعض هذا في الفصل الخاص بموارد العلماء .

١٧) هو الشيخ أبو مدين شعيب عبد الله بن سعد بن عبد الكافي المصري المكي العمراوي القفصي المشهور بالحريفش . كان عالماً زاهداً صوفياً واعظاً مشهوراً بالخير ، وللناس فيه اعتقاد زائد ، جاور بمكة أكثر من ثلاثين سنة مات أول سنة ٨٠١ هـ . معجم المطبوعات .

١٨) كتاب ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم ، لمؤرخ مجهول ، البحث العلمي عدد يناير ١٩٦٥ ص ١٩٤ .

١٩) كان ذلك سنة ١١١٥ .

٢٠) كان ذلك عام ١١٦٢ .

٢١) هو سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري المكني أبا الربيع ، محدث الأندلس وبليغها في عصره ، من أهل بلنسية ، ولي قضاءها . قال النباهي : كان هو المتكلم عن الملوك في مجالسهم ، والمبين عنهم لما يريدونه .. صنف كتباً ، منها (الاكتفاء بسيرة المصطفى والثلاثة الخلفا) في أربعة أجزاء ، الأول منها مطبوع والبقية مخطوطة ، توفي عام ٦٣٤ هـ شهيداً في وقعة أنيشة على ثلاثة فراسخ من بلنسية – قضاة الاندلس .

٢٢) محمد بن قاسم الانصاري أبو عبد الله الرصاع ، قاضي الجماعة بتونس ، اقتصر في آخر أيامه على إمامة جامع الزيتونة والخطابة فيه ، متصدراً للافتاء واقراء الفقه والعربية ، وعرف بالرصاع لأن أحد جدوده كان نجاراً يرصع المنابر . له كتب ، منها : التسهيل والتقريب والتصحيح لرواية الجامع الصحيح وتذكرة المحبين في شرح أسماء سيد المرسلين ، والكلام على الآيات الواقعة في شواهد المغني لابن هشام ، وفهرست وكتاب في الفقه المالكي توفي سنة ٨٩٤ .

٢٣) بلغ عدد العقار المحبس على هذا الكرسي أكثر من واحد وعشرين عقاراً : ١٢ للقراءة صباحاً ، و ٩ للقراءة مساء .

٢٤) الوريا كلي هذا هو الذي أسقط دولة بني مرين بسبب أن عبد الحق آخر ملوكهم عين وزيرين يهوديين ، فاستطالا على أهل فاس ، ويعد هذا الكرسي من أوقافه ، كما كان من أوقافه أيضاً غابة زيتون على من ينادي في المصلين بتعديل الصفوف ، الضوء اللامع ٤ ص ١٦٤ ، مشاهير أعيان فاس البحث العلمي يناير ١٩٦٥ ص ١٠١ ، دعوة الحق يبراير ١٩٦٦ ص ٩١ ص ٩٣ .

٢٥) يدل هذا على أن الكراسي العلمية في القرويين عرفت قبل العهد الوطاسي . دعوة الحق يبراير ٦٦ .

٢٦) ورد في فهرست الشيخ أبي العباس المنجور ، في ترجمة ابن جيدة أحمد بن محمد بن محمد المديوني الوهراني نزيل فاس أنه كان يدرس في كرسي ابن غازي ، وليه بعد موت أبي عبد الله الغزال تلميذ ابن غازي . تنبيه الصغير من الولدان على ما وقع في مسألة الهارب مع الهاربة من الهذيان .

٢٧) ابن ابراهيم الاعلام بمن حل مراكش من الأعلام ٤ / ٢٤٠ – ٢٦٣ .

٢٨) في الحوالة الاسماعيلية في عاشر شهر رجب عام ١١١٥ إضافة البخاري (٢٥٦ هـ) ومسلم (٢٦١ هـ) بين العشاءين ، ورسالة ابن ابي زيد (٣٩٠هـ) والكلاعي (٦٣٤ هـ) . وكان بيد العربي قصارة . والعمدة للعيني (ت ٨٥٥ هـ) وعلم الفرائض . هذا وقد ذكر الكلالي في رسالته أن أبا القاسم ابن سودة تولى هذا الكرسي لما مات الشيخ القصار ، وكان يقرئ بين العشاءين صحيح مسلم . وللجمع بين هذا وبين الرواية التي تذكر أن الكرسي كان للمنجور .

نؤكد أنه كان يستعمل على فترات متعددة من الزمان ، في الصباح وبعد الظهر ، وفي المساء .. ولهذا فان الجهة التي تولاها ابن سودة حصة ثانية زيادة على الحصة الأولى . دعوة الحق يبراير ١٩٦٦ .

٢٩) النص يفيد أن السلطان المولى علي ابن اسماعيل كان أخذ بناصية الحكم في مدينة فاس في تاريخ ١٩٦٧ ، وهو يضيف دون شك معلومات جديدة على مَّا عرف عن حياة المولى علي من خلال كتب التاريخ ، الاستقصا ٧ ص ١٣٧ - ١٤٠ - ١٨٦ .

٣٠) نلاحظ أن كلمة « الاسبوع الاعلى » أخذت تستعمل عند تحديد هذا الكرسي ، وكانوا يقولون قديماً كرسي باب الرواح ، أوكرسي باب الصفر الأعلى .

٣١) ورد في الروضة أنه بعد أن ولي أبو القاسم بن سودة القضاء بمدينة مراكش نفذ الكرسي لولده أبي عبد الله محمد (ت ١٠١٥ هـ) ، وبعد وفاة هذا صار الى ولده محمد (ت ١٠٧٦ هـ) .

٣٢) السلوة ٢ ص ٣٠ - ٣١ .

٣٣) الأنباء المنشودة في شمائل رجال بيت بني سودة ، تاليف ابي عبد الله محمد العابد بن القاضي احمد بن سودة نسخة المكتبة الاحمدية ج ١ ص ١٨١ - السلوة ١ ص ١١٦ - ١١٧ - ٣٠٣ - ٣٠٤ .

٣٤) لقد حَظيت بالقائي دروساً من فوق هذا الكرسي ردحاً من الزمان . أثناء الخمسينيات .

٣٥) هو الذي يسمى اليوم سيدي علي المزالي . تعريف الخلف برجال السلف ٢ ص ١٧ .

٣٦) انتقل هذا الكرسي مؤخراً الى سارية في البلاط الثالث الأفقي قبالة باب الرواح ، وقد أدركنا ولده الأستاذ ابراهيم بن أحمد الكتاني يورق على هذا الكرسي بعد صلاة الجمعة .

٣٧) فهم بعض الكتاب المتأخرين من اهتمام العراقي بكتاب سيبويه أنه كان يدرس الكتاب نفسه . السلوة ٢ ر٢٨ - ٢٩ .

٣٨) كان من عادة الشيخ المنجور أن يستريح بين فترات دروسه بجانب باب الصفر الأعلى يمين الداخل منه يجتمع هناك بأصحابه ، وكانت قريبة من باب داره التي كانت فيا يظهر قبالة باب الصالحين . هذا ، وقد وصف ابن أبي محلى طريقة المنجور في تدريس صحيح الإمام مسلم ، انظر (الإصليت) الخزانة الملكية بالرباط رقم ١٠٠ راجع ص ١٠٩ .

٣٩) هذا فيما يتعلق بالكرسي . وقد كان هناك مجلس علم آخر في الموضع المسفل ، كان خاصاً بمختصر الشيخ خليل ، يلقي دروسه فيه أبو زيد عبد الرحمن بن عثمان المكناسي . رسالة تنبيه الصغير من الولدان

٤٠) التكملة ٤ ص ١٩٣ رقم ٦٦٨ الذيل والتكملة مخطوط ٢٦٦٥ / د مجلد ٥ ، الجذوة ١٦١ - ١٦٢ .

٤١) تنبيه الصغير من الولدان ، البحث العلمي يناير ١٩٦٦ ، ٢٥٠ - ٢٥١ . السلوة ١ ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

٤٢) سلوة ٣ ص ٣١٢ .

٤٣) الروضة المقصودة ، دعوة الحق مارس ١٩٦٦ ص ٩٣ .

٤٤) ادركته وفاته قاضياً بفاس ، عام ١٣٢٤ هـ وبها دفن .

٤٥) عددت من دلائل سعادتي أن يتم القاء أول درس في تلامذتي بالقرويين على هذا الكرسي وكان ذلك يوم السبت ١٩ ذي القعدة ١٣٦٦ (٤ اكتوبر ١٩٤٧) .

٤٦) البحث العلمي ص ٢٤٧ - ٢٤٩ ، دعوة الحق يبراير ١٩٦٦ .

٤٧) هي المعروفة بمحصل المقاصد ، وقد شرحها المنجور هذا شرحين : شرح كبير ، سماه : « نظم الفرائد ومبدي الفوائد في شرح محصل المقاصد » ، وشرح مختصر صغير ، ومن هذا الأخير نسخة في المكتبة الملكية بالرباط تحمل رقم ٤٤٤٧ ، وهي في مجلد من حجم يميل الى الصغر .

٤٨) يظهر أن لهذا علاقة عائلية بالحسن الزياتي المشهور بأسم الحسن بن الوزان ، أوليون الإفريقي ، سمي هكذا الحسن باسم والده عندما شعروا بفقده .

٤٩) درة الحجال رقم ١٠١٣ النشر ١٢ ص ٣١ ، الاتحاف ج ٥ ص ٢٧٩ .

٥٠) ترك الحاج صالح هذا خزانة علمية كبرى اضطر أبناؤه الى بيعها لبعض الأكابر ممن صودرت خزائنهم بعد الاستقلال ، وهو جد الأستاذ محمد السراج من جهة الأم . Hes. 1932 T. 12

٥١) التكملة ٢ ص ٧٤٠ ٢٠٩٩ الذخيرة ٥٣ الجذوة ٣٤٥ .

٥٢) الكتاب الذهبي ص ١٦٥ .

٥٣) « رياض الورد الى ما انتهى اليه هذا الجوهر الفرد » وضعه الشيخ الطالب ابن حمدون بن الحاج في التعريف بوالده أبي الفيض حمدون المذكور ، وذكر فيه أفراد أسرته ، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ، رقم د ١١١ ، دعوة الحق مارس ١٩٦٦ ص ٩٢ .

٥٤) اذا لم يقع غلط في الارقام يكون وصولها للمغرب وتحبيسها في حياة مؤلف شيخ الحفاظ ابن حجر ، المتوفى بعد ذلك سنة ٨٥٢ في ثاني عشرة ذي الحجة .

٥٥) ورد في تاريخ الدولة السعدية لمؤلف مجهول أن موضع هذا الكرسي كان في ناحية باب الكتبيين ، ويحتاج الى تحرير ، فقد كان الكرسي في الجهة المقابلة ، وتم الاخراج من باب الكتبيين أو باب الشماعين على ما سلف الحديث عن الأبواب .

٥٦) كان سارده فيه سيدي إبراهيم المنصور من سماط العدول : الكلالي ص ٢٥٤ البحث العلمي ١٩٦٦ .

٥٧) هناك ثلاثة من تلاميذ ابن عرفة ، قيدوا عنه تفسير القرآن الكريم ، وهم : أبو القاسم الشريف الإدريسي السلوى ، ومحمد بن عمر التونسي الوشتاني الشهير بالأبي ، وأبو العباس أحمد بن محمد بن احمد البسيلي .. البحث العلمي يناير ١٩٦٦ ، التعليق رقم ٣٤ .

٥٨) رسالة تنبيه الصغير من الولدان . راجع ص ٢٨٨ – ٢٩٤ .

٥٩) البحث العلمي ، عدد يناير ١٩٦٦ ص ٢٥٢ – ٢٥٣ – ٢٥٤ .

٦٠) نعلم أن هناك بابين يسميان باسم باب الصالحين ، احدهما غربي ، والآخر شرقي ، وهما متقابلان ، ونعتقد أن لوجود كرسي الشهيد الونشريسي قرب هذا الباب علاقةً بالتسمية .

٦١) تقول بعض الحوالات إن الكرسي قبالة المصرية ، ومعلوم أن القصد الى أنه يقع على مقربة منها كما يؤيده وصف الوضع العام للكراسي .

٦٢) السلوة ١ ص ٢٠١ .

٦٣) أمر السلطان المولى اسماعيل عام ١١٢٠ بنصب دكة تحت الثريا الكبرى كان القصد منها تمكين راوي الحديث من تذكير المصلين عند اعتلاء الخطيب المنبر يوم الجمعة بالحديث الشريف الوارد حول ضرورة الانصات التام اثناء الخطبة .

٦٤) الكتاب الذهبي ص ١٦٩ – سلوة ٢ ر ص ١١٢ – ١٥٦

٦٥) دعوة الحق يبراير ١٩٦٦ .

٦٦) ذكرت بعض المصادر الفرنسية أن عدد الكراسي العلمية في القرويين كان بلغ في بداية القرن الرابع عشر حوالي العشرين كرسياً ، وهو دون الحقيقة كما نرى . ARCHIVES MAROCAINES T.18 P.317

٦٧) الصفوة ص ١٠٢ – نشر المثاني ١ ص ٩٨ – ٩٩ .

٦٨) النشر ج ١ ص ٤٩ .

٦٩) نزهة الحادي ، طبعة فاس ص ١٤٦ – نشر المثاني ١ – ٣٨ .

٧٠) درة الحجال رقم ٢٧٧ .

٧١) الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ص ٢٦٦ .

٧٢) درة الحجال رقم ١٣٣٨ - ١ ص ١٤ - ١٦ .

٧٣) نشر المثاني .

٧٤) نشر المثاني ١ ص ٥١ .

٧٥) الصفوة ١٠٢ ، نشر المثاني ج ١ ص ١١٤ .

٧٦) روضة الآس ص ٢٢٥ - ٢٢٦

٧٧) النشر ١ ص ٨٩

٧٨) ورد في رسالة الكلالي أن الشيخ المكناسي هذا عندما يصلي الظهر بقصد مع تلامذته مجلس الشيخ الحميدي في المدرسة المصباحية ، البحث العلمي يناير ١٩٦٦.

٧٩) قاسم بن محمد بن محمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضي النحوي الفاسي : فهرست تنوير الزمان بقدوم مولاي زيدان في مجموع بالمكتبة الملكية بالرباط ص ٢٥٥ .

٨٠) تذكر الحوالة السليمانية الأوقاف المهمة التي حبسها سيدي أحمد الشاوي على الدرس المذكور : ستة فدادين : عين العرب ، فدان ابن فيلو الصغير، وفدان الغدائر ، فدان ركية العلك ، وفدان الفرس ، وفدان الكوشة .. دعوة الحق مارس ١٩٦٦ ص ١١٨ ، السلوة ١ ص ٢٧٤ - ٢٧٩ .

٨١) المنجرة : النهج المتدارك في شرح دالية ابن المبارك مخطوط رقم ٥٩٩٤ .

٨٢) نشر المثاني : نسخة المكتبة الاحمدية ورقة ٣١٧ (ب) . راجع صفحة ٢٨٩ - ٢٩٣ .

٨٣) نسبة لقبيلة بني يالصو قرب شفشاون كما أسلفنا.

٨٤) درة الحجال رقم ١٠١٤ .

٨٥) سماه في مرآة المجالس ابن جلون بالامام ص ١٦٤ .

٨٦) مرآة المحاسن ص ١٦٨ - ١٨٩ نشر المثاني ج ١ ص ١٣١ - ١٣٢ .

٨٧) نشر المثاني ج ١ ص ٢٩ .

٨٨) ازهار الرياض في اخبار عياض ٣ ص ٢٩ راجع ص ٢٨٢ .

٨٩) روض الهتون في اخبار مكناسة الزيتون ص ٥٨ - ٥٩ .

٩٠) نيل الابتهاج ص ٦٧ ، الروض الهتون ص ١١ - ١٢ .

٩١) راجع الحوالة السليمانية ص ١٣٨ .

٩٢) نفح الطيب ٧ ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

٩٣) رسالة تنبيه الصغير من الولدان .

٩٤) نثير الجمان لابن الأحمر الباب الحادي عشر ، تنبيه الصغير من الولدان ٥٧ .

٩٥) الجذوة ص ٧٣ - ٧٤ .

٩٦) السلوة ١ ص ١٥٣

٩٧) رسالة تنبيه الصغير من الولدان

٩٨) شفاء السائل ص ١٢٧ - ؛ فاس الجديد . البحث العلمي دجنبر ١٩٦٧ ص ١٩١ - ٢٠٢ .

٩٩) الشقلابية : اشبه ما تكون ببيت محمول على غيره Dozy

١٠٠) النزهة ص ٢٠٤ الكتاب الذهبي ١٧١ .

١٠١) الديباج المذهب ص ٢١٢ – الجذوة ص ٢٩٧ الكتاب الذهبي ١٦٤ .

١٠٢) ابن الحسني : الكتاب الذهبي ص ١٦٩ .

١٠٣) الجزنائي : جنى زهرة الآس ص ٩٥ .

١٠٤) السلوة ٣ ص ٣١٨ .

١٠٥) البحث العلمي ، يناير ١٩٦٦ ص ٢٥٠ .

١٠٦) دعوة الحق ، يبراير ١٩٦٦ ص ٩٥ .

١٠٧) المصدر السابق

١٠٨) جذوة الاقتباس ، ص ٣٢٠ – ٣٢١ .

١٠٩) السلوة : ٢ ص ٦٥ – ٦٧ ، دعوة الحق ، مارس ١٩٦٦ ، ص ١١٩ .

١١٠) الزرويلي شيخ الفقهاء ، والتيجيّ شيخ القراء . ولا يوجد ما يثبت صلتهما في سلسلة الآباء كما نرى ، وبين وفاة الأول سنة ٧١٩ وولادة الثاني سنة ٨٠٣ اربع وثمانون سنة .

١١١) الاستقصا ٨ ر١٢٩ .

١١٢) السلوة ج ١ ص ٣٣٦ .

١١٣) رسالة الكلالي . البحث العلمي ص ٢٤٨ .

١١٤) مشاهير أعيان فاس في القديم ، البحث العلمي يناير ١٩٦٥ ص ٧٩ .

١١٥) تحكي الجذوة : أنه اتفق أن مر ذات يوم هودج تحت نافذة المسجد ، يحمل عروساً ، وتصحبه جوقة من الغياطين والطبالين ، فأخرج الشيخ راسه من الطاق وهويقول : ما تآلى هذا لأصحابه حتى أنفقوا فيه مالاًكثيراً ، ونحن نسمعه مجاناً ، فكيف لا نفعل ؟ الدوحة ٤١ – ٤٣ ، السلوة ٢ ص ١٤٦ راجع صفحة ٢٩٧ .

١١٦) السلوة ١ ر٢٦٢ .

١١٧) الجذوة ص ١٠٣ .

١١٨) تنبيه الصغير من الولدان .

١١٩) دعوة الحق ، مارس ١٩٦٦ ص ٩٦ .

١٢٠) ادركنا هذا الكرسي بالمسجد المذكور وتعاطينا فيه على الشيخ العباس الامراني .

١٢١) عبد الحميد العلوجي : مؤلفات ابن الجوزي ، بغداد ص ٢٢ – ١٩١ .

١٢٢) دعوة الحق ، مارس ١٩٦٦ ص ٩٦ .

١٢٣) الجذوة – السلوة .

١٢٤) محمد الزبادي : سلوك الطريق الوارية ، دعوة الحق ، مارس ١٩٦٦ ص ٩٤

١٢٥) السلوة ج ٢ ص ٢٧٠ – ٢٧٢ .

١٢٦) الكتاب الذهبي ١٧٢ .

١٢٧) ورد ذكر هذه الأوقاف الرشيدية في الأزهار العاطرة الانفاس ص ١٦٧ .

١٢٨) ادركنا في آخر المحدّثين الذين كانوا يزاولون دروسهم هنا الشيخ محمد بن الحاج .

١٢٩) المنوني : دعوة الحق ، مارس ١٩٦٦ ص ٩٤ - ٩٥ .

١٣٠) نسبة الى مديونة ، وفي (معجم القبائل المغربية) المخطوط للاستاذ عبد الكريم ابن الحسني ان مديونة من زناتة كبني مرين وبني زيان ، قبيلة جبلية من اعمال فاس ، وعين مديونة قرب تاونانت ومديونة قبيلة بالشاوية تقرن غالبا باولاد زيان وانه ينسب الى مديونة اعلام من الجزائر والمغرب منهم أبو عبد الله محمد بن محمد المديوني صاحب شرح ...مة السلالجية وغنيمة المريد لشرح مسائل ابي الوليد وفتح الجليل في ادوية العليل وهو شرح على نظم ابي زيد عبد الرحمن الرقعي الفاسي المتوفي سنة ٨٥٩ لمقدمة ابن رشد في العقائد وقواعد الاسلام والزكاة .

١٣١) مرآة المحاسن ص ٢٣٦ - السلوة ج ١ ص ٣٠٧ .

١٣٢) جنى زهرة الآس ص ٨ - دليل مؤرخ المغرب الاقصى ١ - ٦١ - الكتاب الذهبي ١٦٣ .

١٣٣) البحث العلمي ، دجنبر ١٩٦٧ ص ١٨١ .

١٣٤) الجذوة صفحة ٣٤١ .

١٣٥) محمد بن الفقيه بن محمد بن عيسى عالم أصولي سني (ت ١١٣٦) ، سلوة ١ ر٢٩٢ .

١٣٦) البحث العلمي ، دجنبر ١٩٦٧ ص ١٧٩ .

١٣٧) يجتمع في الزاوية أصحاب طريقته لذكر اوراده وتعرف زواياه بالقادرية ، ويقال لأتباعه الجيلانية او جيلالة باللأم . راجع صفحة ١٤١ من الحوالة العبدرحمانية .

١٣٨) مرآة المحاسن ص ٤١ .

١٣٩) الكلمات القرآنية الجارية مجرى الامثال بالمغرب : دعوة الحق ، يناير ١٩٧٠ .

١٤٠) عندما تسلم على قوم منهم وهم يتناولون أكلهم لا بد ان يجيبوك هكذا : « لا سلام على طعام » وهم يقصدون دون شك الرجوع بك الى «الحالات» التي يكره فيها افشاء السلام بين الناس ومنها حالة تناول الطعام . وعندما يزدحم الناس على باب سفّاج مثلاً ويحدث ان يؤثر البائع للسفنج بعض الناس ، تسمع صيحات الناس بالاستدلال بنص الشيخ خليل : « قضي للسابق » . وعندما تدعو صديقاً الى غذاء مثلاً قد يجمل اعتذاره في كلمة قصيرة من مختصر الشيخ خليل : « وعفى عما يعسر » كما يقال كثيراً قوله : (وصحّ إن قدم أواخر) .

١٤١) حوالة عام ٩٦٢ هـ .

١٤٢) المقرى : ازهار الرياض ٣ ص ٣٣ .

١٤٣) من مراكز العلم المهمة بالمغرب ، معهد فجيج الذي كان يشرف عليه بنو عبد الجبار ، وكان يضم خزانة علمية عظيمة ، وورد ذكرها في جل الرحلات وقال فيها الشيخ التاودي : إنه قضى فيها يومين لم يتمكن فيهما من الإتيان على مجرد تصفح المخطوطات التي تحتويها ... فهرست الفهارس ٢ ر٢٦٣ .

الفصل الثالث

التاريخ الفكري للقرويين على عهد المرينيين والوطاسيين والسعديين

القسم الثاني

القرويين في حديث ثلاثة من خريجيها

الغماري - الزياتي - الكلالي

القرويين في حديث ثلاثة من اعلام خريجيها – القرويين في حديث ثلاثة من علماء أوربا – شروط الالتحاق بالقرويين وامد الدراسة بها – المواد الدراسية – المؤلفات المغربية المستعملة – السند – طريقة التدريس لدى العلماء – حلقات الدروس وتقاليدها – الإجازات العلمية – شهور الدراسة – أيام العطل – موارد العلماء – لباس العلماء – الرئيس والقيّم والمفتي – اثار الحرب على الدراسة – نصيب المرأة المغربية من التعليم بالقرويين – العلماء والسياسة – علماء القرويين والرحلة الى الخارج – السفراء من العلماء – اثر القرويين على الاستشراق – خزانة القرويين الكبرى – الخزانة الفرعية – وظيفة المحافظ – كيفية استعارة الكتاب – سجلاّت الاوقاف.

هناك نصوص عربية ثلاثة تعطي فكرة أكثر دقة عن حالة الدراسة بالقرويين على الخصوص خلال قرن من الزمان ، اولها لابن ميمون الغماري (ت ٩١٧ هـ) ، وثانيهـا للزياتي الشهير بابن الوزان اوليون الافريقي (ت ٩٢٦هـ) وثالثها لأبي سالم الكلالي (ت ١٠٤٧ هـ) .

وقد اخترنا الثلاثة لأنهم جميعهم شهود عيان ، كانوا ضمن تلامذتها ، ولا شك انهم كانوا يحكون عن ظروف هي بالذات او قريبا منها ظروف بني مرين الاولى .

مع الغماري في رسالته :

يقول ابن ميمون في كتابه « الرسالة المجازة في معرفة الاجازة [١] » في معرض حديثه عن فاس : ما رأيت مثلها ومثل علمائها في حفظ ظاهر الشرع العزيز بالقول والفعل وغزر الحفظ لنصوص مذهب امامهم الامام مالك رضي الله عنه ، وحفظ سائر العلوم الظاهرة من الفقه والحديث والتفسير ، وحفظ نصوص كل علم مثل النحو والفرائض والحساب وعلم التوقيت والتعديل والتوحيد والمنطق والبيان والطب وسائر العلوم العقلية ، كل ذلك لا بد فيه عندهم من حفظ نص ذلك الفن ، ومن لم يستحضر عندهم النص في مسألة ما في علم ما إن تكلم فيه لا يلتفت الى كلامه ، ولا يعبأ به ، ولا يحسبون من طلبة العلم الا من يأتي بالنص في كل مسألة يتكلم فيها عن ظهر قلب ، يحفظ النص كما يحفظ الآية من القرآن ، وان كان على غير هذه الصفة بحيث يقول من الكتاب او يقرئ من الكتاب ، فانهم يسمونه « وراقاً » وعبارتهم في حق من لا يحفظ النص حسبما ذكر : « من لم يحفظ النص فهو لص » .

وفي جملة ما يقول في سياق آخر : « فمذ خرجت من فاس في جمادى الثانية من سنة احدى وتسع مئة (١٦ يبراير – ١٥ مارس ١٤٩٦) الى تاريخ هذا الكتاب (عام ٩١٦ – ١٥١٠ – ١٥١١) ما رأيت مثلها ومثل علمائها فيما ذكر في سائر مدن المغرب ، ولا في تلمسان ، ولا بجاية ، ولا تونس ، ولا اقليم الشام بأسره ، ولا بلاد الحجاز ، ولا مصر ، على ما تقرر عندي من العلم اليقيني بمشاهدة اناس من أهلها ، وبرؤية كتب بعض أرباب الوقت وأحوالهم واشتغالهم في العلم ...

« دخلت هذه المدينة المباركة فاس ، فالتزمت علماءها ، وبقيت في المدرسة متجرداً نحواً من سبعة أعوام .. وفي حال التجريد في المدرسة زمن الشتاء.كان اكلنا من وقت العشاء الى وقت العشاء ، لا يمكننا الأكل في النهار ، لكثرة المجالس في أنواع العلوم .

فأول ما يستفتح يومنا بمجلس شيخي [٢] الذي أخذت عنه معظم ما يسّر الله لي فيه من الفقه والحديث ، وله ثلاثة مجالس في مجلس واحد، يبدأ اولاً بالحديث بالنقل الغزير الكثير لكل ما يحتاجه الحديث من معرفة

نسب الراوي ، ومكانته في اللغة والإعراب والفقه وغير ذلك .. ثم بعده مجلس في رسالة ابن ابي زيد بالنقل الكثير ايضاً من شارحيها ، ومعظمهم الشيخ الجزولي ، وبه كان يقرأ شيخنا المذكور ، ويذكر من غيره شيئاً كثيراً ...

ثم بعده مجلس المدونة بالنقل الكثير المفرط من كلام مشايخ المدونة من أولهم الى آخرهم ، فيشرع عند شروق الشمس ، ويفرق أحياناً قرب الزوال ، فنخرج في الحين الى مجلس أستاذ المقارئ السبع : نحضر عنده التفسير ، ثم الإعراب الكبير والصغير ، ثم الفية ابن مالك الطائي في النحو ، ثم يأتي بالفور مدرس هذه المدرسة التي يعلم فيها الأستاذ المذكور ، يجعل مجلساً في المدونة ، ينقل كلام شيوخ المدونة وعلماء المذهب ، كما كان عمل شيخنا المذكور قبل إلى ان يؤذن أذان الزوال ، فننصرف من هناك ، ونأتي مجلس أستاذ آخر دون الأستاذ الاول على طريقته ، وثاني سفر منه ، وهو شيخه ، فنحضر عنده مجلسين في النحو : أولهما في كتاب يقال له المدخل للإمام الصالح الجرومي المصمودي ، وبعده في الفية ابن مالك المذكور قبل أن يقرب العصر ، فننصرف ، وتأتي خزانة الكتب التي يطالع فيها طلبة العلم فيها ما يحتاج اليه المشايخ وغيرهم ، كل واحد على ما يشتهي ، وذلك لأن فاس المذكورة فيها خزانتان عظيمتان مشهورتان لهذا الامر في جامعي الجمعة ، وهما المسجدان الأعظمان ، بل ثلاثة ، كل خزانة فيها كتب موقوفة على طلبة العلم للمطالعة كل يوم على يد وكيل ناظر على ذلك حافظ له ، يجلس المطالعون بين يديه في موضع خاص ، حتى اذا قضى غرضه يردّ الكتاب الى الوكيل ، فيرده الوكيل الى الخزانة من صلاة الظهر الى صلاة العصر .. والكتب كثيرة لا تكاد تحصى الا بمشقة من كل فن في فنون العلم ، وهذا ايضاً ما رأيته في بلاد المشرق والشام والحجاز وبلاد الترك الذي هو دونهما فيمكن عدّ كتبه بلا مشقة .

وننصرف بعد صلاة العصر الى بيوتنا بالمدرسة ، فنتسبب فيما نأكل ، فنفرغ أحياناً بعد المغرب ، ثم ناتي بعد لمجلس شيخي المذكور الاول ، فنقعد عنده في مجلس موطأ مالك بن أنس رضي الله عنه في الحديث بنقل مشايخ العلم من مذهب مالك الى أذان العشاء الأخيرة ، ثم نشتغل بعد ذلك بالمطالعة أحياناً ، وأحياناً نشتغل بتعلم الحساب ، وله ولعلم الفرائض مجلسان في كل يوم خميس ويوم جمعة ، فنستمر على ذلك حتى لا ننام الا غلبة ، ونستيقظ آخر الليل بوقت ، كل على قدر همته .. هكذا أيام الأسبوع كله ، الا يوم الخميس والجمعة ، فنحضر ثلاثة مجالس غير مجلس الفرائض والحساب المذكورين . ومن اراد غير ذلك ، وكان مجتهداً ، يجد هذا الامر في زمن الشتاء كله . فاذا فرغ الشتاء ، يخف هذا الكد شيئاً ما .. وكان غيري له من الجد والاجتهاد اكثر من هذا . وكان بعض مشايخنا ممن قرأت عليه القرآن بالمدينة المذكورة تجويداً على رواية الإمام نافع يقول : « ما أنتم على شيء مما كان عليه من قبلكم من الطلب والجد قديماً ! » وذكر لنا شيئاً من ذلك نعجز نحن عنه ... » .

هذه بعض اقوال شاهد عيان ممن عاشوا في جو القرويين زهاء سبع سنوات ، بين أحضان علمائها : المحافظة على ظواهر الشرع ، وغزارة الحفظ سواء لنصوص العلوم الشرعية أو علوم الآلة والعلوم الرياضية ، لا اعتماد في كل ذلك على اوراق يتأبطها الأستاذ ، وانما على الذاكرة فقط ، فعلمهم معهم ، حينما كانوا كان ، ويرحل معهم متى ارتحلوا .. ثم إنها – على ما يقول – تفوق سائر البلاد ، فلا تلمسان ولا بجاية ، ولا تونس ، ولا الشام ، ولا بلاد الحجاز ، ولا مصر كذلك بمقتضى العلم اليقيني ...

ونبادر الى القول بأنه لا اثر للعاطفة في إفادة أبي الحسن بن ميمون ، والسبب واضح ويسير كذلك ، فان المغرب

ظل كما أشرنا – بعيداً عن الرجات السياسية الخارجية التي منيت بها جل البلاد الإسلامية على ذلك العهد ، ولهذا بقي محتفظاً بكل المقومات التي عرفها في عصوره الأولى .

ومع ابن الوزان في وصفه :

« ... وبالمدينة مسجد أعظم ، يسمّى « جامع القرويين » توجد بداخله ، وعلى طول جدرانه الأربعة سلسلة من الكراسي العلمية لمختلف الفنون ، يتصدرها الفقهاء والأساتذة لتثقيف الشعب والطلبة في شؤون الدين والحقوق الواجبة ، وفي هذه الدروس ما يبتدئ يومياً بعيد صلاة الصبح لينتهي بعد ساعة من طلوع الشمس [٣] ، وفيها ما يشرع فيه على أثر ذلك ، ولا بد في الأستاذ المشرف على هذه الدروس ان يكون مستوعباً للمادة التي وكلت اليه ...

وهذا هو توقيت الدروس في الفصول المعتدلة.أما في فصل الحر ، – والحر في فاس شديد – فان المجالس العلمية تتحول – يقول ليون الإفريقي – الى ندوات ليلية بحيث إنها تبتدئ في المساء وتستغرق طيلة ساعات الليل [٤] الى منتصفه .

وجدير بالذكر أن الدروس الليلية يقوم بها اشخاص بصفتهم الخاصة ممن يشعرون بالتعب في العمل نهاراً ، كما أن الذين يحضرونها يكونون ممن لا تسمح لهم مشاغلهم بالمشاركة في النهار .

وكل طبقة من طبقات العلماء ، سواء منهم الذين يشتغلون نهاراً أو ليلاً ، لهم مخصصات مشرفة ومهمة ، لا لحاجاتهم وحدها ولكن للترفيه عنهم أيضاً ، هذا بالاضافة الى تزويد الدولة لهم بالمخطوطات والكتب اللازمة ، وتمكينهم من الإنارة طيلة القاء الدروس بالليل .

وقد وضعت رهن إشارة عميد الجامعة موارد وهبت في الاصل للضعاف من الطلبة ، من تلك الموارد ما يوزع نقداً ، ومنها ما يوزع عيناً ، موادّ غذائية ، في الأعياد ، كلّ على قدر تكاليفه العائلية .

وقد زود العميد بتعويضات يومية ملائمة ، من شأنها أن تساعده على السهر على ميزانية الجامع وما يتبعه من فروع أخرى منتشرة في مختلف جهات المدينة .

وعلاوة على مئتي مدرسة أولية ، ففي فاس إحدى عشرة مدرسة داخلية ، يقيم فيها الطلاب الذين يردون عليها من مختلف الآفاق ، وتعد هذه المدارس من أتقن البناءات فيها واحكمها ، وبخاصة مدرسة السلطان أبي عنان .

يقول ابن الوزان : وقد سمعت من عدد متواتر من الأساتذة الذين كانوا يعلمون في هذه المدرسة نقلاً عن مشايخهم أن السلطان أبا عنان قال عندما عرضت عليه المبالغ الباهظة التي كلفها بناء المدرسة : « لا بأس بالغالي اذا قيل حسن »

وفي كل مدرسة من تلك المدارس عدد من الأساتذة في شتى المواد ، بينهم من يلقي دروسه صباحاً ، وفيهم من يفضل القاءها مساء ، والكل يتقاضى أجوراً مغرية .

ومع أن حروب السلطان أبي سعيد بن أبي العباس أرهقت ميزانية القرويين ومدارسها ، لأن الدولة كانت تقترض منها ، فقد ظل الأساتذة يحتفظون بمرتباتهم الأصلية ، واعتمد الطلبة على سكان المدينة نفسها الذين آووهم تعويضاً لهم عن المخصصات التي كانت لهم بمقتضى الأوقاف والمتأثرة بتلك المغازي .

وانطلاقا من أن القرويين هي المحور لكل مرافق المدينة ، فان البيوت الأكثر احتراماً والحرف الأكثر أهمية توجد حواليها .. هنا ثلاثون حانوتاً للكتبيين ، وهنا ثمانون دكاناً للموثقين ، كل منها يحتوي على عدلين ...

الى أن يقول : « هذه المدينة التي نشأت فيها وتعلمت تعتبر خلاصة ما بافريقيا كلها ، بما تضمه من عيون العلماء الذين بلغوا الغاية في المعرفة واللياقة ... [٥] » .

هكذا تحدث ابن الوزان عن الحياة الفكرية بفاس التي عاش فيها تلميذاً وطالباً وكاتبا .. وهو وصف يعطي فكرة عن الملامح الجميلة التي احتفظت بها المدينة حتى أواخر دولة بني مرين .

ومع الكلالي في مذكراته :

وتعد رسالة أبي سالم الكلالي (ت ١٠٤٧) ، من أدق الرسائل التي عُنيت بوصف الدراسة بالقرويين أيام المنصور السعدي [٦] ، فقد أعطت بياناً دقيقاً عن أن الطالب الملتحق بالقرويين لا بد أن يكون مسبقاً ذا ثقافة مناسبة حتى يستحق الانخراط في سلك طلبتها ، ويتمتع بالمخصصات المعينة لطلابها ، وهو في هذا نسخة طبق الأصل مما ذكره أيضاً ابن ميمون .. لقد كان في جملة ما تحدث به الكلالي الذي قضى وقتاً غير قصير طالباً بها مقيماً بمدارسها :

« قدمت من بني ورياجل مع أخي وشقيقي سيدي أحمد للحضرة الفاسية بقصد القراءة والتعليم في شهر ربيع الأول من عام أربعة وتسعين وتسع مئة ، واستوطنت بيتاً في المصباحية وأنا في سن المراهقة ، وكنت حفظت القرآن العظيم والفية ابن مالك والكراريس ببادية ، وكنت حفظت في ذلك الوقت رسالة الشيخ (ابن أبي زيد) [٧] فأدركت حينئذ جماعة من شيوخ فاس .

فمن جملتهم رئيس المحققين وآخر المصنفين الفقيه المعقولي الأصولي أبو العباس سيدي أحمد بن علي المنجور ، قرأ احباسه شتوة ذلك العام ، كان أصحابه يأتون به بين أيديهم ، كان يقرئ التفسير على الكرسي الكائن عن يسار الداخل من الباب المقابل لباب القراقين من جامع القرويين ..

ومن عادته الاشتغال بتحقيق النقل وتدقيق معانيه وتنقيحه . وكان يقرئ صبيحة يوم الخميس ويوم الجمعة قصيدة ابن زكري في التوحيد على الكرسي يمين الطالع للمستودع الكائن عن يمين الداخل من باب الحفاة لجامع القرويين . وكانت جماعة من الطلبة المعتبرين بمجلسه المذكور في ذلك اليوم ، ومن جملتهم شيخنا سيدي يوسف السبع القصري ، وشيخنا سيدي الحسن الزياتي ، والفقيه سيدي يوسف السريفي . وشيخنا سيدي عبد الرحمن اعراب . كان بين المغرب والعشاء يقرئ صحيح مسلم على الكرسي القريب من الكتبيين من الجامع المذكور . وكان له كرسي يقرئ عليه بعد صلاة الظهر أسفل الاسبوع الكائن عن يسار الداخل من مسجد الجنائز للجامع المذكور . وكنت في ذلك اليوم ملازماً لمجلس شيخنا سيدي محمد الشريف التلمساني في رسالة الشيخ أبي زيد بالكرسي الكائن بظهر الحصة من الجامع المذكور بعد صلاة الصبح كل يوم ، وكان من الطلبة الملازمين للمجلس المذكور إذ ذاك شيخنا الفقيه النحوي العروضي الأديب أبو علي سيدي الحسن بن مهدي الزياتي . وكان مأواه حينئذ بمدرسة الحلفاويين وأخونا أبو الحجاج سيدي يوسف بن محمد الشريف الوزروالي ، والفقيه أبو عبد الله سيدي محمد البطيوي مخشان

الشفشاوني ، وابو عبد الله سيدي محمد الشريف القصري المستوطن بمدرسة العطارين الخ ...

وكان اذا فرغ من الرسالة ينزل الى الأرض ، يقرأ صغرى الشيخ السنوسي ، فمن الطلبة من ينصرف ، ومنهم من يجلس . وكان يحضرها الفقيه أبو حفص سيدي عمر بن عبد العزيز الخطاب ، وفي بعض الأوقات كان يقرأ الفية ابن مالك ملتزماً لسيدي المكودي ، وفي بعض الاوقات يقرأ كبرى الشيخ السنوسي ، كل ذلك على اختلاف أغراض الطالبين فيما يتبرع الشيخ المذكور بقراءته بعد الفراغ من حبسه .

ومن جملة من أدركته الأستاذ الحافظ سيدي أحمد بن علي الزموري ، كان من أفصح فقهاء وقته وأحفظهم ، كان له تفسير يقرؤه بجامع الأندلس ، ولما أراد ختمة التفسير هنالك ، طلب من السلطان مولانا الشيخ رحمه الله أن يحضر له خروجها .

وكان له في القرويين كرسي السير خلف ظهر الصومعة ، فولاه لتلميذه شيخنا سيدي علي السلاسي ، كما كان بيده كرسي المرادي بمدرسة العطارين بعد صلاة العصر ، كان يقرئه ويحضر عنده فيه جماعة من أعيان الطلبة المعتبرين.

ومن جملة من أدركته شيخنا الفقيه العلامة القاضي أبو محمد سيدي عبد الواحد الحميدي الذي حاز درجة السّبق في العلم والرياسة ، كان في فصل الشتاء يقرأ التفسير على الكرسي الكائن عن يمين الخارج من الباب المقابل لوجه الخارج لدرب ابن حيون ، وبعد التفسير يقرأ رسالة ابن أبي زيد وحِكم ابن عطاء الله ، وكان يحضر مجلسه خواص الطلبة والفقهاء ، يطرز تفسيره بنكت وغرائب مفيدة من أبحاث الإمام ابن عرفة . وكان يقرئ تهذيب ابن البراذعي للمدونة بقية المدرسة المصباحية قبيل الظهر . وبعد صلاة الظهر في المدرسة المذكورة ، يقرأ مختصر الشيخ خليل الى نداء العصر وصلاتها ، الا أن قراءته للمختصر كانت على الدوام طيلة فصول السنة . وكان يقرأ بعد المختصر مغني ابن هشام في آخر عمره .

كان حريصاً على محبة الطلبة ونفعهم بعلمه ودنياه ، فكان يمازحهم في بعض الأوقات بحكايات ومسليات مناسبة . وكان يشتري لهم في أول فصل الشتاء عدة عديدة من الحيّاك ويوزعها عليهم . وتطارح عليه ذات يوم – وهو بالمجلس – أحد الذين يستوجبون العقاب ، فهمس في آذان الطلبة : « تشفّعوا فيه أقبل شفاعتكم ! » وكان قارئ مجلسه في المدونة والمختصر شيخنا أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد بن عثمان المكناسي ، وجماعة أخرى فيها أساتذة يعطون دروسهم في المختصر بالقرويين مع جماعة من الطلبة كالأستاذ علي بن عمران .. وممن كانوا يلازمون درسه سيدي محمد مخشان الشفشاوني الذي يحضر معه كراريس التوضيح ، ويسرد نصفها للفقيه إن احتاج لذلك في بعض الاحيان .. وكل هؤلاء الطلبة كانوا أكبر منا سنا . أما من كان مساويا لنا في السن ، فقد كادت قبة المدرسة أن تمتلئ بهم .

كان يقرئ مختصر ابن الحاجب الفرعي في زمان المصيف بالأرض ، بموضع كرسي تفسيره ، ويستحضر عليه توضيح الشيخ باللفظ . واتخذ للطلبة مجلساً في كبرى الشيخ السنوسي وراء خصة القرويين ، حضرها عنده جماعة من الطلبة المعتبرين من اهل فاس . وكان حافظاً لفروع التوضيح ، وغالبا أمره أنه كان لا يقرأ يوم الأربعاء من اجل حضوره ديوان السلطان ، ويرجع من وقته الى باب المدرسة ، ينزل عن فرسه ويبعثها ، ويدخل الى الإقراء .

ومن جملة من أدركته من شيوخ فاس مفتي بلاد المغرب في حينه الإمام سيدي يحيى بن محمد السراج ، كان

يقرئ التفسير على الكرسي الكائن عن يمين الداخل من باب عقبة السبطريين للقرويين . انتقل له الكرسي بعد وفاة الشيخ المنجور ، وبه خرجت ختمة تفسيره التي حضرها الخاص والعام ، وكان يقرأ بعد تفريق .

مجلس تفسيره مختصر الشيخ خليل قرب باب المقصورة ، كان يحضر مجلسه اعيان الطلاب والفقهاء ، وفيهم من كان يحضر الشارح بهرام (ت ٨٠٥) الكبير ، المشرقي خطا وتفسيراً المحبس على الفتوى . وقراءته في الموضوع المذكور على الدوام صباحاً ، وفي الشتاء بعد التفسير . وكان كثير الصياح على من يتكلم في مجلسه بكلام غيّ او ملحون .

ومن عادته في فصل الشتاء اذا فرغ من اقراء المختصر قرب المقصورة أن يمشي لمدرسة العطارين ، يقرئ هناك المدونة على الكرسي المقابل وجه الداخل لقبتها ، فاذا فرغ يرجع الى المقصورة ، ثم يسير الى مدرسة الحلفاويين ، يقرئ هنالك المدونة التي كان له عليها حبس آخر .

وكان يحفظ مختصر الشيخ خليل وسائر تقاييده ، ويستحضر مسائل ابي الحسن الصغير على المدونة وفروع المتيطي في النهاية [٨]

° ° °

لقد تعمدنا ان نسوق جل هذه النصوص لنأخذ صورة صادقة عن تلك الحركة الدائبة التي كانت تهيمن على الحياة الفكرية في القرويين ومدارسها في مختلف فصول السنة ، ومن اول ساعة في النهار الى اخر ساعة في الليل ، ولنستطيع ان نقارن بين النقول المتعلقة بهذه المرحلة على اختلاف اصحابها .

علماء القرويين في حديث ثلاثة من علماء أوروبا :

أندري – وكلينار – وكْوليوس

وسوف لا نغفل مع هذا الحديث بعض الذين زاروا مدينة فاس العاصمة من المسيحيين ممن وردوا في مهمات خاصة : تبشيرية او دراسية او دبلوماسية ، وذلك من امثال الاسقف اندري (ت ٩٣٨ هـ) ، وكلينار (ت ٩٤٩ هـ) . وكوليوس (ت١٠٣٢هـ). مع تحفظ في المبالغة الظاهرة في حكاية الاول .

مع الاسقف اندري في مناظرته :

يظهر ان تمسيح ابن الوزان ، ان صح ، كان مما شجع بعض رجال الدين على ان يتوجهوا الى بلدان الشمال الافريقي في محاولة تبشيرية .

وفي هذا الاطار وصل الاسقف اندري ، وقد احاله السلطان ابو العباس الوطاسي على العلماء . وكان ان ضمه جمع بعلماء القرويين بمحضر العاهل ووزيره ابراهيم .

سأله العلماء عما يتوفر عليه من براهين تؤكد دعواه ، فاخذ يشيد بعدالة رسالته ، ثم تعدى هذا الى الاستخفاف

ثم طفق يعدد ان باستطاعته أن يقدم هوبعض الخوارق مثل بعث الاموات من القبور ، واعادة البصر الى العمى ، وان يجعل من الاسود المتوحشة خرفاناً أنيسة ... ! !

ولا شك أن علماء القرويين كانوا في مستوى اعلى من أن يتقبلوا مثل هذه الترهات . فسخروا من هذه الدعاوى، ونصحوا السلطان بأن يقصي هذا الكاهن من البلاد حتى لا يتعرض لنقمة الشعب . فاشار اليه العاهل بانه عهد الى وزيره أن يسهل عليه مغادرة البلاد ، لكن الاسقف أصر على المقام مذكراً ان في استطاعة العاهل ان يسمل منه العينين . فاذا لم يرجعهما الله اليه حقت عليه كلمة العذاب ! وقال :

« اوقدوا ناراً حامية ، وليتقدم اليها عالم من القرويين ، وحبر من اليهود ، وساقتحمها انا معهما ، ثم تكون الكلمة للنار . فمن نجا كان على حق ! » .

وايضاً كان موقف العلماء على ما يتطلبه الدين منهم ، فلا جري وراء التهلكة ، ووافق الأحبار فقهاء القرويين ، فسخروا من أندري .. ويظهر أن نوبةً ألمت بالكاهن ، فخرج الى الشارع يذم الاسلام والعلماء ، ويؤكد أنه سيلقي بنفسه في اللهب !

وانذره السلطان ، وكانت إنذارات الوزير .. وبعد تلوم ثلاثة ايام ظل المبشر خلالها يتوجه الى السماء ، لا يكلم الناس الا قليلا ، ولا يتناول الا التافه من الطعام ، بعد ذلك كان اليوم الموعود على اثر صلاة الجمعة ثاني شهر رجب ٩٣٨ هـ (٩ يبراير ١٥٣٢) في الساحة التي أمام دار المخزن على مقربة من باب حومة مولاي عبد الله .

لقد اقتحم النار ، وهو يقول : « سادخلها سالماً ، واخرج منها سالماً » واختفى هناك بين الـسنة أكوام الحطب دون أن يحقق امله من مناظرة هؤلاء العلماء [9] .

مع كلينار في رسائله :

اما القسيس نيكولا كلينار . فقد ورد على فاس من اجل تحسين معارفه في اللغة العربية على علماء جامعتها ، وقد كان درس بجامعة لوفان (Lauvain) بالفلامنك (شطر من بلجيكا الحالية) .

لقد حرر رسائل الى بعض اصدقائه من فاس ابتداء من تاريخ ١ - ١ - ٩٤٧ هـ ٨ مايه ١٥٤٠ ، [10] ويظهر أنه اتى بعد استئذان سابق ، ولهذا وجد من لدى السلطان مساعدة للحصول على رغبته ، وهو يعترف في رسائله بانه قصد الى تنمية معلوماته في العربية عن علماء فاس . وذكر أن الاساتذة في مدارسهم يحافظون شديد المحافظة على احترام قواعد اللغة العربية ، وان اللحن عندهم يعد من الذنوب التي تستحق الاستغفار ! ان في المدينة القديمة زهاء اربع مئة مسجد تعد مدارس ، وانه لا يوجد محل يعتنى فيه بالقرآن كفاس ، فان العادة حفظه عن ظهر قلب ، ثم يؤخذ بقواعد النحو من الفية ابن مالك ، ولا بد أن تستوعب الشواهد النحوية ، ومنها الآيات والابيات الشعرية ، وهذه بذاتها تكون دراسة ادبية عالية .. ويحكي كلينار في رسالته في ٩ مارس ١٥٤١ عن شخصية علمية فاسية بلغت الغاية في الاطلاع والمعرفة ، وانها اي تلك الشخصية كانت لها اتصالات كثيرة مع علماء القاهرة وهي في طريقها الى البقاع المقدسة [11]

واذا كان ابن الوزان تحدث عن الثلاثين حانوتاً من الكتبيين بجوار القرويين . فان نيكولا كلينار استأثر بذكر

السوق الاسبوعية بالمزاد العلني للمخطوطات هناك حيث يجتمع الفقهاء ورجال الفكر والمهتمون بشؤون الكتب [١٢]

وان هذه السوق يحرم دخولها على المسيحيين واليهود ، لأن اهل فاس فاقوا الحّد في الغيرة على مخطوطاتهم ولا سيما أن المطابع هنا مجهولة . ولكن بمساعدة السلطان تمكنت من اقتناء بعض المخطوطات ،

ولكثر ما يتملك الفاسيون من انضباط يرجع فيه الفضل لعلمائهم ، فان المحاكم هنا كاسدة ! واذا اردت ان تعاقب محامياً فابعث به لفاس ، فانه لا توجد هنا خصومات . !

وقلما يتحرك العلماء هنا في المدينة دون أن ترافقهم حاشية تقل او تتوسط او تكبر بحسب مركز العالم . ويتالف موكب الشرف من الخدم والاتباع والتلامذة » .

ويظهر أن كليناركان يعتزم ترجمة القرآن ، وأن بعض البرتغاليين يعينه في فاس حتى يكمل دراسته ، وأنه أيضا كان يعطي دروسا في اللغتين اللاتينية والبرتغالية .

ويؤخذ من رسائله أن اليهود في فاس كانوا يهتمون بتعليم النحو والدراسات الإسلامية ، فان من جملة أساتذته في العربية يهودياً كان يعلمه القواعد في مقابلة دروس في اللاتينية [١٣] .

ويفيد أنه برع في العربية بفاس ، وانه يشعر بانه يستطيع القاء دروس فيها الى جانب الاساتذة هناك ..

وقد مكنه تغلغله في المجتمع الفاسي أن يقوم ببعض المساعي لمصلحة بعض الأسرى .

مع كُوليوس في مهمته :

ورد العالم الهولاندي جاكوبيس كوليس (Jacobus Golius) سنة ١٠٣٢ هـ ١٦٢٢ مع بعثة دبلوماسية هولاندية لتزويد المغرب بميناء على الاطلسي ، توجه منه الضربات الى المراكب المغيرة ، كان كُوليوس مهندساً ورياضياً ومستشرقاً في الوقت ذاته ، وقد مكث في المغرب سنتين ، قضى نصيبا مهما منها مغتنماً الفرصة –كما يقول الاستاذ درويش (DRAWES) – لتحسين معارفه في العربية والتوسع فيها . وقد تمكن من اقتناء عدد من المخطوطات العربية ، تمهيداً لدراساته المقبلة . وقد كان من الكتب التي أخذها معه من فاس كتاب ابن بكلارش في الطب الذي الفه في المرية في النصف الاول من القرن الخامس الهجري للمستعين بالله ، وسماه (المستعيني) .

وما تزال من هذا الكتاب شذرات في مكتبة القرويين تحت رقم ٢٧٨٧ [١٤] ، ونعتقد أن من هذه المخطوطات كان تاريخ المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة [١٥]

° ° °

واذا ما تجاوزنا العهد المريني والوطاسي فاننا سنجد أنفسنا في أيام السعديين أمام نهضة علمية شاملة . تجلت آثارها علاوة على النصوص التي سلفت مما يمس بصفة خاصة عهد المنصور السعدي في المجالس العلمية التي حضرها بالاضافة الى وجهاء العلماء من مدينة فاس نخبة من علماء المشرق ممن لبوا دعوة الملك للمشاركة في مجالس الحديث النبوي سواء من مكة المشرفة أو المدينة المنورة او من بيت المقدس . أنقذه الله من الرجس [١٦] .

شروط الالتحاق بها ومدة الدراسة

عندما يطلقون على القرويين أنها « جامعة » فانهم يعطونها حقها . لأن مستوى الدراسة فيها ليس مستوى المبتدئين. ولا مستوى ما بعد المبتدئين ...

إن دور « المسيد »[١٧] في المدينة هو الذي يوازي المدرسة الأولية على ما أسلفنا في الباب الأول . وقد ذكر ابن الوزان أن عدد (المسايد) في وقته بلغ مئتي مسيد ، حيث يتناول الطفل مبادئ في الرسم ومسائله ويستظهر كتاب الله ويتناول بالحفظ والفهم اختلاف حملة القرآن فيه[١٨] ، الامر الذي يفسر لنا معنى قولة ابن خلدون إن اهل المغرب أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم[١٩] .

ثم ينتقل بعد ذلك الى التدرج في المساجد الصغرى على العلماء والفقهاء . باحثاً عن طرق إصلاح لسانه ولغته وتحسين معارفه في الفقه والتوحيد . فاذا استأنس من نفسه بعد كل هذه المراحل أنه أهل لأن يتلقى العلم من شيوخ القرويين . عمد الى التوسل للوصول الى هذه الدرجة التي يتباهى بها الطلاب[٢٠] .

وقد مرت بنا بعض النصوص التي تتضمن الشروط الأساسية لسماح الطالب بالانخراط في سلك المنتسبين الى القرويين . وقرأنا في مذكرات أبي سالم الكلالي انه لم يلتحق بها الا وقد بلغ سن المراهقة[٢١] . وحصل على نصيب مهم من العلوم في قبيلته بني ورياكل . ومثل هذا عرفناه في حديث ابي الحسن علي بن ميمون في رسالته المخطوطة السالف ذكرها

وقد كان للسن دخل غالباً[٢٢] في القبول بالجامعة . فان حرمة البيت . وهيبة المشايخ . تستبعد ان الاطفال والصبية من التحليق بالمجالس . ولما حدث في أوائل سنة سبع واربعين وسبع مئة أن بعض المجودين نصب نفسه لإقراء جماعة من الاحداث القرآن . رفع الأمر الى الشيخ الفقيه المدرس أبي فارس عبد العزيز بن محمد القروي (٧٥٠ هـ) شارح المدونة وناظر المارستان . فاشار على من بيده الحكم أن يشتد في تغيير ذلك . وهكذا طلب الى الأطفال ان يقتصروا على الكتاب . وكان مما اثير به الشيخ أبو فارس قصيدة طويلة رفعها اليه الشيخ المقرئ أبو الحسن علي بن سبع كان من جملة ما ورد فيها :

ألم تَرَ فاس الغرب أعظِمْ بقدرهـا !	وجامعها العظمى التي بها تعتـدُّ
تبرّز للإقراء فيها جماعـــــة	ولا خبرة تبدو لديهم ولا نقـــدُ
ومالَهُمْ فهم يميّز ما حـــــوت	طريقة أهل الضبط حلّ ولا عقـد ! !
ولا يصلح الصبيان إلا لمكتـب	وليس لهم في موطن غيره رشـد !
فعمرو بن يوحنا ومدرك[٢٣] عبرة	ببغداد ، إذْ منها عُرا المنع تشتدّ

وقد لاحظ هذا المعنى كل من كتب في حياة الطلاب بالجامعة من المسلمين ومن المؤلفين الأجانب[٢٤] .

أما امد الدراسة في الجامعة واوقاتها كذلك ، فانه بالرغم مما يؤخذ من مذكرات ورسائل وفهارس الذين كانت

لهم صلة بالقرويين ، نرى من المفيد أن نعيد للذاكرة الشعار الإسلامي : « اطلب العلم من المهد الى اللحد » . فانه هو الذي ظل مسيطراً على الطبقات العلمية .. ولهذا سوف لا نفاجأ عندما نقرأ هنا وهناك أن هذا الأستاذ كان طالباً في الوقت الواحد ، وأنه ظل ملازماً للمجالس طيلة حياته .

ومع ذلك فان معدل امد الدراسة في القرويين بين سبع وثمان سنوات ، وقد يقصر عن هذه المدة أو يزيد بحسب استعداد الطالب ورغبته في التعمق والتوسع .

وهناك من يغادرها بعد اربع سنوات او خمس ، ومن يمدد مقامه الى عشر سنوات ، على أن ثمت حالات يلازم فيها الطلبة المدرسة نحواً من ست عشرة سنة كما يقول ابن خلدون [٢٥] .

وقد أقام ابن ميمون سبع سنوات ، تضلع خلالها من ضروب العلوم وفنونها . واقام الشيخ ابن السنوسي ثماني سنوات [٢٦] .

• • •

المواد الدراسية

لقد مر بنا ، ونحن نستعرض أقوال المؤرخين الذين عاصروا هذه المرحلة من التاريخ او الزائرين من شهود العيان ، أن القرويين كانت وجهة مقصودة من سائر الذين يرغبون في تحسين معارفهم وتقوية زادهم وتعميق مداركهم ، وأنها كانت مركزاً لتدريس سائر العلوم والفنون التي عرفت في ذلك العهد .

وسنستعرض هنا نموذجاً من المواد التي ظلت تدرس في هذه الجامعة الى اواخر عهد السعديين ، معتمدين في ذلك على بعض الوثائق التي مرت الإشارة اليها ، وبعضها مما استقيناه من حياة طالب آخر قضى ست سنوات بين جدران القرويين ومدارسها [٢٧] ..

ونفضل أن نأخذ العلوم والفنون على ترتيب أوائل حروفها وإن كان الاساس الذي ظل سائداً في كل المعاهد الثقافية هو الفقه والنحو كما يشير اليه التعبير السائر : « سيدي خليل والألفية [٢٨] » .

لقد كان في صدر ما يلقّن هنا علم الادب : أحد علوم اللسان العربي الأربعة كما يقول ابن خلدون [٢٩] ، فقد تنافس الطلاب والعلماء في مدارسة كتب الأدب والشعر والنثر وعلم العروض وقد عنوا بشرحها والتأليف فيها ، وبلغت الحياة الادبية في البلاد أوْجَها بما توفرت عليه من أدباء لامعين ولغويين مقتدرين ، .

وقد لمس نيكولا كلينار مستوى الدراسات الأدبية في القرويين عندما قال : إن شواهد الألفية وحدها تكوّن عنصراً مهماً من مصادر الدراسة الأدبية بفاس .

وكان من الفنون المتداولة علم أسرار الحروف الذي هو من فروع علم السيميا لذلك العهد ، وهو يعني طبائع الحروف وخصائصها كما هو معروف في مؤلفات أبي العباس البوني (٦٢٢ هـ) ، وابن العربي (٦٣٨ هـ) ، من تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالأسماء وكذلك اصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات ذات المستوى العالي ، وقد

ازدهرت دراسة هذا الفن حتى وضعت فيه التآليف المغربية .

كذلك كان منها فن الأوفاق والجدول ، وهو من العلوم الكونية التي كانت القرويين تعتمد فيها كتب المغاربة [٣٠] .

وفنون البلاغة بعلومها الثلاثة : المعاني والبيان والبديع ، وقد كان عمدة العلماء في ذلك – علاوة على الرسائل التمهيدية – كتاب التلخيص للقزويني .

وعلم التاريخ وقد اعتمد فيها الطلاب على كتب السير القديمة التي كان منها كتب ابن سيد الناس العمري (٧٣٤ هـ) ويعني بالتاريخ ما يشمل أيضاً الجغرافيا التي استوعبتها كتب الرحلات المتوالية ، ويكفي أن نسمع اسماء الرحلات المغربية التي ألفت على هذا العهد ، من أمثال رحلة ابن بطوطة وابن رشيد والعبدري ، كما يكفي أن نعرف أن تاريخ ابن خلدون ألف باسم السلطان أبي فارس وأهدي الى خزانة القرويين ، كما أن صاحب نفح الطيب كان من علماء جامعة القرويين . ومن الفنون التي كانت لها الصدارة في القرويين ، علم التصوف الذي كان ابو عنان يحضر دروسه كما يحضر دروس التفسير والحديث . وقد عرفت مادة التصوف في القرويين على هذا العهد ملامح نظيفة ومعالم ثرية ، حتى كانت الأسئلة في المادة ترد من علماء الأندلس على علماء فاس « حيث بحار [٣١] العلم والدين تزخر » على حد تعبير ابن خلدون [٣٢] .

وفي جملة المواد المدروسة علوم التفسير والقراءات السبع وتوابعها من التجويد والرسم والتلاوات المأثورة والغريبة وتوجيهاتها [٣٣] . وقد عرفت مجالس القرويين مختلف التفاسير المعروفة في ذلك العهد ومنها كشاف الزمخشري (٥٣٨ هـ) وتفسير الفخر الرازي (٦٠٦ هـ) والبيضاوي (٦٨٥ هـ) والسيوطي (٩١١ هـ) .

ومن جملة المواد علم التوقيت والتعديل والهيئة بسائر فروعها وعلم الازياج ، وذلك للحاجة اليها في الصلاة والصيام ، وقد اعتمد العلماء أقدم ما عرف من الكتب في الموضوع ، وكان من آخرها مؤلفات الفلكي الجاديري (٨١٨ هـ) ، وروضة الأزهار في علم الليل والنهار ، وكتاب العمل بالاسطرلاب ، والصفيحة الشكارية ، والربع بالحساب ، وشرح نظم ابن مقرع .

ومن جملة المواد علم الكلام أو التوحيد ، وما يتبعه من علوم المنطق ، وقد زكا هذا العلم بالمغرب حتى ألفت فيه المناظرات والمساجلات [٣٤] .

وبالرغم من ان المذهب السلفي في العقيدة لم ينقطع طوال الفترات التي مر بها المغرب ، لكن المذهب الأشعري (٣٢٤ هـ) ظل هو السائد في سائر المعاهد ، كما ظلت كتب السنوسي (٨٩٥ هـ) عمدة العلماء والطلاب .

وينبغي التنويه هنا بمحاجَّة علماء القرويين للاسقف أندري الذي ورد على فاس في عهد بني وطاس لمحاورة العلماء في العقيدة .

ومن المواد ، علوم الحديث وكتبه ، وقد كان اعتمادهم على مؤلفات عديدة . منها مؤلفات الحافظ العراقي (٨٠٦ هـ) صاحب الألفية في مصطلح الحديث ، وتقريب الأسانيد والتقييد والإيضاح [٣٥] .

وقد عرفت مجالس الحديث بالقرويين الكتب الصحاح كالبخاري ومسلم والترمذي ، والموطأ ، والشفا للقاضي عياض .

ومن المواد المدروسة علوم الحساب بفرعيه الجبر والمقابلة . وقد دعت حاجة المسلمين الى التعمق في الرياضيات ، لأن حياتهم مرتبطة بها ، فهم يحتاجون اليها عند توزيع التركات (الفرائض) وفي المعاملات وفي المواقيت . وقد كان اعتمادهم على كتب ابن البناء العددي الشهير الذي شهد له ابن خلدون بجودة التأليف .

ومن المهم أن نعرف أن الارقام التي كانت مستعملة في تلقين الحساب منذ الأيام الأولى من تاريخ القرويين هي الأرقام التي عرفت في الموسوعات الأروبية باسم الأرقام العربية (Les chiffres arabes) وتعرف في المغرب باسم حروف الغبار (٣٦) ، والمعروفة في المخطوطات المغربية (لابن الياسمين) منذ القرن السادس .

ومن المواد المتناولة بفاس مادة الطب الذي يعد من فروع الطبيعيات ، وهو يشمل الصيدلة وخصائص الاغذية التي كان الأطباء يعتمدون عليها كوقاية أولى من الأمراض الطارئة .

وقد استعان العلماء بكتب جالينوس المترجمة بما اضيف اليها من تجاريب ابن زُهْر وغيره من نوابغ الأطباء من أمثال ابي الحسن المراكشي الذي وضع كتبه برسم خزانة السلطان أبي الحسن المريني .

واذا كنا عرفنا عن « الأطباء » الذين كانوا تحت تصرف أحد عمال الموحدين بفاس ، وعن « الأدوية » التي كانوا يتوفرون عليها لمعالجة نزيف الدم – وفاس يومئذ ليست عاصمة (٣٧) – فما بالك بها أيام أوجها على عهد دولة بني مرين .

وقد سمعنا عن المارستان العظيم الذي بقيت آثاره الى عهد قريب ، وكان يتألف من قسمين : أحدهما يحتوي على مدرسة للطب . والاخر على بيوت لعلاج المرضى فيها ما خصص بالمصابين بالنوبات العصبية (٣٨) .

ومن المواد التي لها الصدارة بفاس ، علم الفقه الذي لم يخل مجلس ولا كرسي من تدريسه ولا سيما بالقرويين . وقد كان للفقيه الجاناتي مجلس يحضره أكثر من مئة معمم (٣٩) .

ومع أن الحرية المذهبية لم تقيد تماماً على هذا العهد في القرويين ، فان المذهب المالكي ظل هو السائد المسيطر على جل المجالس ، مع العلم أن للخلاف العالي مجالسه المقصودة كذلك .

وقد عرفت القرويين سائر المصادر الفقهية التي ظهرت سواء في المشرق او المغرب . وكان في صدرها كتاب المدونة الكبرى لسحنون التي كتبها فقهاء فاس من حفظ أبي الحسن علي بن عشرين عند ظهور ملوك بني مرين ، وقد كان الموحدون أحرقوها (٤٠) مع كتب الفروع الأخرى ، كما أسلفنا ، وقد امكننا أن نقف على عدد من المصنفات ، وكتب الفروع من امثال رسالة ابن ابي زيد (٣٨٦ هـ) وتهذيب المدونة لابن البرداعي (٤٠٠ هـ) ، ومختصر ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) ومختصر الشيخ خليل (٧٧٦ هـ) ، وتحفة ابن عاصم الأندلسي (٨٢٩ هـ)(٤١) .

وقد كان من المواد المتعلقة بالفقه التي طرأت في القرن التاسع مادة « العمل الفاسي » عندما عظمت مشكلة الأندلس ، وبدت طلائع الخطر المحدق بغرناطة وتقاطر اللاجئون الأندلسيون على البلاد المغربية ، وبدت نذر التدهور الاقتصادي والسياسي ، وحدث للناس في حياتهم الاجتماعية أقضية على قدر ما أحدثوا هناك حيث تطلع الناس الى قضاء مَرِن عادل بصير ، حيث توجهوا الى فاس فوجدوا لدَى فقهائها عملاً قضائياً جارياً على ما يلائم التطلعات الاجتماعية . وجمع احد فقهاء فاس ابو الحسن الزقاق المسائل التي جرى بها العمل بفاس على خلاف

المشهور من المذهب المالكي فخصص لها فصلاً في اواخر لاميته القضائية التوثيقية واتخذ العمل الفاسي مرجعاً في الأقطار الإفريقية ، واعتمد فقهاء تونس على فقهاء فاس ، وطلع الونشريسي بالمعيار ، وتلت ذلك كتب أخرى . من أشهرها نظم العمل الفاسي الذي لا يخلو منه بيت فقيه (٤٢) .

ومن المواد المدروسة كتب اللغة التي كان تحفظ حفظاً في البيئات المثقفة بالمغرب ، ويكفي أن يعرف من أعيان اللغويين بفاس ابن المرحل الذي تؤثر عنه نوادر تدل على تضلعه من المفردات اللغوية واستيعابه لمعانيها وأحوالها (٤٣) . وقد عرفت جامعة القرويين منذ فجر تاريخها بالعناية الفائقة بعلم النحو ، بما يشمله من فن الصرف ، درسه علماؤها على ارفع المستويات وقد ورد في ترجمة الحضرمي السبتي وصف علماء تونس له بانه « أنحى من سيبويه » كما ورد في ترجمة ابي يحيي مروان بن عمار اخذه عن ابي عبد الله بن حميد بعض كتاب سيبويه بمدينة فاس ... وجاء في ترجمة الجذامي محمد بن حكيم (ت ٥٣٢) انه كان يدرس بفاس « كتاب سيبويه » .. كما جاء في ترجمة العلامة الاندلسي الخدبّ (ت ٥٨٠) انه اقام بفاس يقرئ كتاب سيبويه ... وقد تحدث ابن القاضي في الجذوة عن وجود كتاب سيبويه بالقرويين (٤٤) كما تحدث التاريخ عن كتب مشهورة في النحو كانت تدرس بالقرويين علاوة على سيبويه : كتاب السيرافي (ت ٣٨٥) ومؤلفات ابن مالك (ت ٦٧٢) بما فيها الالفية وغيرها . ورسالة ابن آجروم الفاسي (ت ٧٢٣) وابن هشام (ت ٧٦١) والمكودي استاذ مدرسة العطارين (ت ٨٠٧) وابن ادريس العراقي صاحب الرسائل الكثيرة على كتاب سيبويه ، ابن القاضي امام زمانه في النحو وقد كان في جملة العلوم العقلية التي كان لها نصيب في القرويين علم المقادير وما يشمله من هندسة وارتماطيقي وموسيقي .

وفيما يمس الهندسة ضربت فاس بسهم وافر مما يدل الدلالة الكافية على ازدهار فن الهندسة ، ولعل في الفنون الرائعة التي تتحلى بها مدارس الطلبة التي يسكنها الطلاب خير شاهد على لياقة الذوق الذي كان وليد استعداد واعداد ، بل ان الساعات المائية التي نصبت في صومعة القرويين كانت من صنع علماء فلكيين كانوا يعطون دروسهم بين جدرانها. كذلك العدد الكبير من الأسطرلابات التي كانت متوفرة في غرفة القرويين.

اما الارتماطيقي فيعني معرفة خواص الأعداد من حيث التاليف إما على التوالي ، وإما بالتضعيف ، ومن المصادر التي اعتمدوها كتب ابن البناء المراكشي التي استوحت من مؤلفات ابن سينا .

لكن الموسيقى ، أو السماع كما يسمونها ، احتلت مركزاً لدى علماء القرويين الذين كانوا يتعاطونها ويوصون بالعناية بها ، ولا بد أن نرجع الى ترجمة بعض مشايخ القرويين من امثال المنجور والبوعصامي ممن كانوا يتناولون الموسيقى تناولهم لعلوم التفسير والحديث والفقه والنحو والأدب .

المؤلفات المستعملة

ان اللائحة الطويلة العريضة ، التي تتضمن المؤلفات المغربية على العصور الثلاثة المريني والوطاسي والسعدي ، تجعلنا نردد تحفظنا في قول ابن خلدون والمقّرى حول صناعة التاليف بالمغرب (٤٥) وان ظروف مغادرة ابن خلدون للمغرب معروفة ، فقد صارح السلطان عبد العزيز لما لقيه قريباً من تلمسان بان السبب يرجع الى تقصير الوزير عمر ابن عبد الله. الامر الذي يصحح الحقيقة حول شعره القائل :

ووالله ما رمت الترحل عن قِـلىً ولا سخطة للعيش فهـو جزيـل
ولا رغبة عن هذه الـدار إنهـا لَظِلٌّ على هـذا الأنـام ظليلُ [٤٦]

ولهذا فمن الجائز أن يكون هناك اثر شخصي في الوصف الذي اعطاه عن الحياة العلمية .

وعلى قياس هذا فان المقَّرى الذي اشتكى في كتابه أزهار الرياض من عدم وجود الغنية للقاضي عياض بفاس [٤٧] يذكر في نفح الطيب بانه أي بفاس بعض كتاب السماء والعالم الذي كان الفه أحمد بن أبان صاحب شرطة قرطبة (ت ٣٨٢ هـ) في مئة مجلد [٤٨] .

وقد شهد الأبلي نفسه بكثرة التواليف على هذا العهد ، وإن كان يرى أن تلك الكثرة كانت مضرة بقضية الفكر لما يصحبها من تخدير للنشاط ، ولأنها تقعد بالطالب عن الرغبة في الرحلات والاتصالات برواد المعرفة هنا وهناك [٤٩] .

ولا يكفي دليلاً على قلة وجود المؤلفات المغربية عدم وصولها الى المشرق ، وأنها فيه كعنقاء مغرب فقد كان – كما هو الحال اليوم أيضاً – من المعتذر أن تصل كتبنا الى تلك الديار [٥٠] .

لقد قال المقرى وكأنه يعتذر عن عجز علماء أهل فاس عن التأليف : « إن القوم كانوا أهل صلاح وورع وجد في طلب الفقه . والعجز عن التأليف – لا يقدح في علم العلماء ، إنما القوم كانوا أهل عمل ودين متين . وجري على سنن السلف الاقدمين ، فشغلهم ما أخذوا فيه من كد العمل والمجاهدة والزهد والإقلال » .

ويعزو بعض المؤرخين تقصير المغاربة في التاليف الى إخلادهم لبيوتهم ، وعدم قيامهم بالرحلات العلمية بكثرة الأمر الذي عزلهم عن الناس ، ولم يكن القيام بنسك الحجج بكاف لتاثر الناس ، نظراً لكونه موسماً موقتاً .

ولكن الواقع – مع كل ذلك – أن عدداً من العلماء زاولوا فن التاليف ، واستطاعوا أن يكتفوا – الى حد – عما كانوا عالة فيه على المشرق قبل القرن الثامن .

وفي هذا الصدد نذكر أن المغاربة اعتادوا – في التاليف أيضاً – من اسلوب اهل العراق القصد الى المعاني مباشرة في حين ألفوا من أهل القيروان مسلكاً يعتمد على تمحيص الألفاظ والعبارات . وبهذا الصدد أيضاً لا ننسى أنهم أي المغاربة تمرنوا على الطريقة الأندلسية كذلك بما يطبعها من حسن صياغة وجمال تركيب . وقد نبغ من المغاربة نتيجة لذلك أفراد جمعوا بين المسالك الثلاثة كالقاضي عياض . اواستهوتهم الطريقة المشرقية كابن البناء .

واذا ما سمحنا لانفسنا بالتقدم قليلاً فاننا سنجد أن سمعة فاس في التآليف الفقهية رسخت باختصاص أئمة الفقه المالكي من علماء القرويين بتحقيق المذهب وتصحيح نقوله والرجوع الى أمهات الدواوين ، بل ومجاذبة الانظار مع كبار فقهاء المذهب المالكي بمصر من أهل القرن الحادي عشر ، وتقديم مباحثهم . حتى أصبح الفقه المالكي عالة عليهم ، لا يستقيم بحث فقهي بالمغرب والمشرق الا عن طريق تحارير علماء القرويين [٥١] .

وقد عالج المغاربة مختلف العلوم والموضوعات ، فكتبوا في موضوع الحديث والتفسير والفقه والتصوف والمنطق وعلم الكلام والنحو والتصريف وعلوم البلاغة والتاريخ والجغرافيا وموضوعات الطب والهيئة والحساب [٥٢] هذا ايضاً الى مسائل الجهاد والوطنية التي تكاثرت بعد سقوط سبتة ، وإن نظرة الى تراجم رجال هذه المرحلة من شانها أن توقفنا على نتاج طائفة مهمة مهم. من أمثال : الوليدي (٦٧٥ هـ) ، والورياكلي (٦٨٣ هـ) ، وابن الحباك (٦٨٥هـ)

والكرسطوني (٦٩٠ هـ) ، واللخمي (٦٩٢ هـ) ، وابن المرحل (٦٩٩ هـ) ، والعزفي (٧١٩ هـ) ، وابن البناء (٧٢١ هـ) . وابن رشد (ت ٧٢١ هـ) ، وابن ميمون (٧٢٢ هـ) ، والعبدري (٧٣٧ هـ) ، والجزولي (٧٤١ هـ) ، والشقوري (٧٤١ هـ) ، والتادلي (٧٤١ هـ) ، والتازي (٧٤٨ هـ) ، والقروي (٧٥٠ هـ) ، والتلمساني (٧٥٩هـ) والسلاسي (٧٦١ هـ) ، وابن الخطيب (٧٧٦ هـ) ، والفشتالي (٧٧٧ هـ) ، وابن بطوطة (٧٧٩ هـ) ، والرعيني (٧٧٨ هـ) ، وابن مرزوق (٧٨١ هـ) ، والنباهي (٧٩٢ هـ) ، وابن عباد (٧٩٢ هـ) ، والحضرمي (٧٩٩ هـ) ، والورياكلي (٧٩٩هـ)، وابن الاحمر (٨٠٧هـ)، والمكودي (٨٠٧هـ)، وابن خلدون (٨٠٨هـ)، وابن قنفذ (٨١٠هـ)، وابن السكاك (٨١٨هـ)، والجاديري (٨١٨هـ)، والمصمودي (٨٢٠هـ)، والحباك (٨٧٠هـ)، وزروق (٨٩٩هـ) ، والزقاق (٩١٢ هـ) ، والمكناس (٩١٧ هـ) ، وابن غازي (٩١٩ هـ) ، وابن القاضي (١٠٢٥ هـ) ، والأنصاري (١٠٥٤ هـ) ، والشيخ ميارة (١٠٧٢ هـ) ، .

ألّفوا في الأدب ، وألّفوا في الأصول وألفوا في علوم البلاغة وفي البيداكوجيا وألفوا في التاريخ وألفوا في التصوف ، وفي التفسير وألفوا في علم الكلام ، وألفوا في التوقيت وألفوا في الحديث كما ألفوا في الحساب وألفوا في الطب .

وألفوا في الفقه فبرزوا فيه ... وللمغاربة على مختصر الشيخ خليل ، وتحفة ابن عاصم ، ولامية الزقاق ، والمرشد شروح وحواش مشهورة معلومة كما أن لهم تآليف أخرى في الفقه استقلالاً ، وهكذا في القراءات .

واقتحموا ميدان اللغة كذلك ، فألفوا فيها ، وألفوا في المنطق استقلالاً ، كما شرحوا كتب الآخرين ، وحرروا الهوامش عليها . وكان لهم في النحو الباع الطويل ويكفي أن نسمع عن مقدمة ابن آجروم التي اقتحمت كل مكتبة ، وتصدرت كل مجلس بما حوته من قواعد مركزة مطردة منعكسة . وقد عرفنا عن شروح كتب ابن مالك وابن هشام وحواشيها وهوامشها ما يكفي للتدليل على مدى عناية المغاربة بأمر إصلاح اللسان .

° ° °

يضاف الى هذه المؤلفات وغيرها مما اختصرنا ذكره ، الكتب التي ظلت هنا شاخصة مع كل تاريخ ، ومع كل مرحلة ، ونخص بالذكر منها : صحيح الإمام البخاري (٢٠٦) ، ونوادر الاصول في احاديث الرسول للحكيم الترمذي (٣٢٠ هـ) ، وتنبيه الغافلين لأبي الليث السمرقندي (٣٧٣ هـ) ، ورسالة الشيخ ابن ابي زيد (٣٨٦ هـ) ، وكتاب الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (٤٢٧ هـ) ، وحلية الاولياء في طبقاء الاصفياء لابي نُعيم الإصبهاني (٤٣٠ هـ) ، وكتاب الشهاب في المواعظ والآداب للقضاعي (٤٥٤ هـ) ، والرسالة لأبي القاسم لعبد الكريم القشيري (٤٦٥ هـ) ، وكتاب الاحياء للغزالي (٥٠٥ هـ) ، وكتاب الشفا للقاضي عياض (٥٤٤ هـ) ، وكتاب المورد العذب لابن الجوزي (٥٩٧) وكتاب عمدة الاحكام في كلام خير الانام للفقيه عبد الغني المقدسي (٦٠٠ هـ) ، وكتاب التحبير في المعجم الكبير لأبي المظفر السمعاني [٥٣] (٦١٥ هـ) ، والاكتفاء بسيرة المصطفى لأبي الربيع الكلاعي (٦٣٤ هـ) ، والترغيب والترهيب للمنذري (٦٥٦ هـ) ، وشروح حكم ابي عطاء الله (٧٠٩هـ) وكتاب الروض الفائق في المواعظ الرقائق للحريفش (٨٠١ هـ) ، وكتب الرصاع (٨٩٤ هـ) ، والإمام السيوطي (٩١١ هـ) ، وكتب الإمام الشعرواني (٩٧٣ هـ) .

السند

وكل هذه الفنون التي ذكرنا ، مما تزدان به مجالس القرويين ، كانت تعطي ممن يعتني بالرواية بإسناد يبتدئ من الشيخ الذي يعطي الدرس ، ويتصاعد الى أن يصل الى واضع ذلك الفن او ذلك الكتاب ، فالكتب والفنون كانت لها اسانيد مذكورة في كتب الفهارس والاثبات او الاجازات العامة والخاصة ، فاذا كان الشيخ ممن جمعوا بين الدراية والرواية فانه يذكر سنده في الصحيح او الموطأ او القراءات او غيرها ، واذا كان ممن غلبت عليهم الدراية دون الرواية – وهم الغالب – فانه يقتصر على تدريس الفن او الكتاب على نحو ما تلقاه عن شيوخه مع ما يزيده من مطالعات وفوائده الشخصية وتبقى الاسانيد في الفهارس او الاجازات لمن يعني بذلك .

وعلى ذلك فالقراءات السبع كانت تتعالى بالعنعنة الى أن تبلغ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومقدمة ابن آجروم تصل كذلك استاذاً عن استاذ الى الشيخ ابن آجروم نفسه ، وكذلك الشأن في مؤلفات ابن مالك ، والتلخيص في علم البلاغة يتصاعد فيه السند الى أن يصل الى القزويني . وكتب التوحيد نفسها تتصاعد الى الإمام الأشعري ، والقاموس الى أن يصل الى الفيروزبادي ، والحساب الى أن يصل الى ابن البناء الازدي المراكشي ، وتآليف القلصادي ايضاً بالسَّنَدِ المتصل الى الامام القلصادي البسطي ، ومؤلفات الجاديري في التوقيت الى أن تصل اليه ، ومؤلفات العراقي الى أن تصل اليه ، وسيرة ابن سيد الناس العمري الى أن تصل اليه ، والمَوَطَّأ عن فلان ... إلى أن يصل الى الإمام مالك . وهكذا في صحيح البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والشفاء ، والتفسير ، والرسالة ، والمختصر ، وعلم التصوف الى أن يصل السند الى الجُنَيد . وهكذا دواليك ..

وقد لمسنا العناية بالسند عند جل الطلبة الذين توالوا على القرويين على هذا العهد ، وهم يعدون ذلك من الواجبات الأولى لتعاطي العلم .

ويرجع الفضل الى الإمام سُقَيِّن (٩٥٦ هـ) في ازدهار الإسناد بجامعة القرويين ، وهكذا فان الفترة العابرة التي تميزت بانقطاع السند بفاس [٥٤] ، لم تلبث أن مرت ليعوضها توثيق مسلسل يربط بين التلميذ وأستاذه ، وقد عمل الشيخ عبد القادر الفاسي على إحياء علم الإسناد بالمغرب . وعن طريق الشيخ أحمد المكودي تلميذ أحمد ابن المبارك تلميذ أحمد بن الحاج تلميذ الشيخ عبد القادر الفاسي . أُحْيِي علم الإسناد بتونس أيضًا ، وكان الى زوال [٥٥] .

طريقة التدريس لدى العلماء

لقد كانت طريقة التدريس عندهم تتنوع بتنوع المادة المدروسة ، فهم عند تدريس كتاب المدونة مثلا كانوا على قسمين ، فيهم من عرف باتباع طريقة أهل العراق التي تجعل المدونة أساساً للمناقشة ، بحيث يبني العلماء عليها سائر فصول المذهب من غير تعْريج عليها بتصحيح لرواياتها أو مناقشة لألفاظها ، كما أن فيهم من يتبع طريقة أهل القيروان ، وتتمثل في البحث عن ألفاظ الكتاب ، وتحقيق مدلولات الأبواب ، وتصحيح الروايات وسائر وجوه الاحتمالات ، والتنبيه على ما في الكلام من اضطراب الجواب واختلاف المقال ، مع ما يتعلق بذلك

من تتبع سياق الآثار ، وترتيب أساليب الأخبار ، وضبط الحروف على حساب ما وقع في السماع .

وقد اشتهرت أواسط القرن التاسع بطريقتين عرفتا في التاريخ الفكري للمغرب بطريقة العبدوسي (ت ٨٤٧ هـ) وبطريقة المشذَّالي (٨٦٤ هـ) .

ويعد الشيخ عبد العزيز العبدوسي المشار اليه من شيوخ الإسلام ، وحاملي لواء المذهب في عصر الذين كان لهم صيت كبير في سائر بلاد المغرب ، وقد قال قاضي تونس ، لما اجتمع به في تونس الخضراء ، عن طريقته : « لقد تركت مجلس تدريسي ، وحضرت عنه لأخذ شيئاً عن طريقه ... »(٥٦) وكانت طريقته تتميز في تدريس المدونة مثلا بأنه يبتدئ بذكر المسألة من كبار الرواة عن الإمام مالك ، ثم ينزل طبقةً طبقةً حتى يصل الى علماء الأقطار من المصريين والأفارقة والمغاربة والأندلسيين وأئمة الاسلام وأهل الوثائق والأحكام . أما في التفسير ، فانه عندما يقرأ الآية ، يفتحها بما يناسب من الأحاديث النبوية ، وأخبار السلم من الصحابة والتابعين وأتباعهم ، ثم بعد ذلك يرجع الى الآية ، وكذلك يسلك في النحو مسلك المدونة يبتدئ بأصحاب سيبويه ثم السيرافي وشراح الكِتاب وطبقات النحاة ...

كل هذا بعبارات سلسة ، ومفردات متناولة ، وتشبيهات متداولة ، حتى لا يشعر الطالب بمعاناة أو مجافاة .

أما المشذَّالي ، فقد كان يتخير المعاني الرقيقة ، ويتعمد تعابير العرب العرباء ، والأفكار الغريبة الغامضة ، قاصداً بذلك تحريك الهمم ، والتحليق بطلبته في الأجواء العالية ، والذهاب بهم الى الآفاق البعيدة ، حتى إن تلامذته كانت تغيب عنهم الأمور أحيانًا ، فكانوا يطلبون اليه التوضيح : « تَنَزَّل لنا في العبارة فانا لا نفهم جميع ما تقول » . ولكنه كان يجيبهم بقوله : « لا تنزلوني إليكم ، ودعوني أرقيكم إليّ » ، فبعد كذا وكذا لمدة حددها تصيرون إلى فهم كلامي (٥٧) .

وللطريقتين معا رجالها من بين علماء القرويين ، وأَتباعها من الطلبة كذلك ، كل على حَسَب باعه وكفايته .

لكن الطريقة المثلى التي ظلت المنهاج المسلوك المحمود ، هي طريقة الإمام العبدوسي التي تستهدف التنزل لمدارك الواردين للدرس على اختلاف مشاربهم ومنازلهم (٥٨) .

وقد ظلت طريقة المشذالي خاصة بالمجالس الكبرى التي يقصد فيها للتحدث بالنعمة ، وغالبا ما تكون شعار العلماء في المجالس الأميرية ، أو المجالس الختامية ، إظهاراً للبراعة ، وتنويراً للجماعة .

وقد أدركنا من العلماء من كانت مجالسهم لا تفهم إلا بعد حضور دائب وتعود متواصل ، نظرًا لما به يلغزون ، وكثرة ما اليه يلمحون ، حتى اشتهرت كراسيهم بأنها لا تقصد إلاّ من الخاصة التي تتفهم المراجع المشار اليها والقواعد المرتكز عليها .

° ° °

تقاليد جامعية

دور السارد –المجالس العلمية المشتركة – مستوى المناقشة – علاقة الاستاذ بطلبته – احقية الطلبة في التعويضات المادّية على العلماء – تشجيعهم على الظهور – اهمية النكتة والاحماض في الدرس – يوم الختمة – .

كانت المجالس بالجامعة كما يستخلص من المصادر التي نتوفر عليها تتألف من حلقات متتابعة . يجلس في الحلقة الاولى الموالية للشيخ كبار الطلاب ومتقدموهم ممن يعدون أنفسهم للمشيخة ، ويأتي في الحلقة الثانية الذين يتبعون الطبقة الاولى ، وهلم جرّا[٥٩] .

وبعد أن يعلو الأستاذ كرسيَّه ، ويتيمن بالبسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، يعطي الإشارة للسَّارد بقراءة النصوص المراد تفسيرها وشرحها ، وبعده يأخذ الاستاذ في التعليق على ما يرد موضحاً ومنبهاً ومضيفاً من عنده ما يلقي الضوء على المشكل الغامض في الموضوع[٦٠] .

ومن المفروض في السَّارد ، أو قارئ المجلس كما تسميه بعض المخطوطات ، أن يختار من أعيان طلبة الحلقة الأولى ومن أكثرهم انتباهاً وذكاءً ، لأنه في الواقع بمثابة مذكرة حيَّة للشيخ .

ولا بد أننا نعرف مركز الشيخ عبد الرحمن بن عثمان المكناسي[٦١] الذي كان سارد المدونة والمختصر في مجلس القاضي عبد الواحد الحميدي كما كان سارداً في مجلس الإمام يحي السراج[٦٢] ، كما يكفي أن نعرف من السّراد لمختصر ابن الحاجب ودرس التفسير العلامة العدل الشيخ ابراهيم المنصوري .

وقد كان المكناسي المذكور – وهو سارد – يعطي درساً في الشيخ خليل لجماعة أخرى من الطلبة في وقت آخر على انفراد . فاذا ما أنهى الدرس مع طلابه قصد مع أنجب تلامذته مجلس الحميدي ليقوم بدور السَّارد .

ومن طريف المجالس العلمية بالقرويين وممتعها (المجْلس المشترك) في وقت واحد بين شيخين اثنين بالجامعة ، كلاهما يعين الآخر ، والطلبة من حولهما يستمعون .

والحقيقة أنها عادة أندلسية قديمة ، عرفناها أول الأمر في ترجمة فقيه فاس أبي الحسن الهواري (٣٩٩ هـ) الذي كان له مع صاحبه أبي جعفر بن ميمون حلقة علمية واحدة في جامع قرطبة[٦٣] .

لقد كان الشيخان ابن أبي النعيم وأبو العباس أحمد المقري يعقدان مجلساً موّحداً بالقرويين عظيماً . يحضره زيادة على نبهاء الطلبة علماء المدينة وعدولها وعامّتها ، وتحمل اليه كثير من المراجع المهمة المختارة من خزانة القرويين ، فيتناوب الشيخان في التقرير ، ويشارك الحاضرون في القراءة والتعليق والمقارنة . بقيا على ذلك ردحاً من الزمان الى أن تفرقوا . وكان السارد هو أبو عبد الله محمد بن محمد البوعناني[٦٤] .

وهكذا نجد أن المناقشة كانت هي الأساس الذي يعتمد عليه الفهم والإفهام ، وبين أيدينا صور لمجالس مختلفة

المستويات كانت المناقشة الهادفة طابعها البارز ، وقد ورد في الحديث عن الشيخ المنجور أن تلميذه عبد الرحمن اعراب المكناسي كان يسأله في أثناء تقرير الدرس ، وكان الشيخ يستجيب للأسئلة على كل حال ، كما ورد في الحديث عن القاضي الحميدي أن الطالب مخشان كان يستفسر من شيخه في اثناء الدرس عن فقرات ترد في بعض كراريس من التوضيح .

ومن المعهود أن يقابل المشايخ الأسئلة الباردة أو الغبية بمزيد من السخرية والهزء حتى يعودوا تلامذتهم أن لا يستشكلوا الا ما يستحق الاستشكال ، وكان السراج كثير الصياح على من يورد في المجلس سؤالاً غبياً أو ملحوناً وقد حكى الكلالي أنه سمع الشيخ المذكور يقول ، متحاملاً على أحد الذين يتساهلون في قواعد النحو : « هذا النحو المكناسي [٦٥] » ! وكلمه ذات يوم الشيخ محمد الوهراني فصاح الشيخ : « أهذا كلامك ، وأنت الذي تحضر على مجالس الأشقر ؟ » يعني الشيخ عبد الواحد الونشريسي [٦٦]. واحتدم النقاش بينه وبين الطلبة ذات يوم حول نص من نصوص الشيخ خليل ، وعظم النزاع الى أن وثب الشيخ ، وكاد يكسر مفاتيح مقصورته التي كان يضرب بها على الأرض !

ومع هذا فان علاقة الأستاذ بطلبته تبلغ الدرجة السامية من حيث التقدير ، وقد كان العلماء يرون الطلبة أبناءهم ورفاقهم وخدامهم ، وقد تبلغ ثقة الأستاذ بتلميذه أن يتبناه ويصاهره ويصبح واحداً من أفراد اسرته كما كان الحال في الفقيه محمد بن عبد الحليم صهر الشيخ يحيى السراج [٦٧] .

ومما يدخل في إطار العطف على الطلبة وتشجيعهم فتوى الأستاذ اليزناسني لمصلحتهم في موضوع المحاصة مردداً كلمته المأثورة من حق الطلاب : أسوأ حالات الطلبة محاصاتهم [٦٨] . !

وقد كان في العلماء من يحرص على إدخال النفع المادّي عليهم ترويحاً لهم وترفيهاً ، ويأخذ بيدهم ، ويعدهم للحياة الفضلى . وقد ورد في ترجمة الشريف التلمساني (٧٧١ هـ) أنه عندما كانت ترد عليه الأسئلة من السلطان فمن دونه ، يوجهها الى الطلبة ، ويسميهم باسمائهم ، ليرفع منزلتهم عند السلطان وغيره فكانوا بذلك على عهده من أعز الناس ، وأكثرهم عدداً وأوسعهم رزقا [٦٩] .

وكان أحد المشايخ بالقرويين مشفقاً على طلبته ، يشتري لهم في أول فصل الشتاء عدداً كبيراً من الحُياك ، يوزعها عليهم في قاعة المدرسة المجاورة للقرويين .

وحدث ذات يوم أن ارتكب أحد الناس جريرة [٧٠] ، فلما عزم الشيخ الحميدي على إنزال العقوبة بالجاني بصفته قاضي البلد ، ورد عليه – وهو في مجلس علمه ناظر أحباس القرويين الدمناتي والقايد مبارك الزرهوني على رأس جماعة من الأخيار يتوسلون ، ولكنه لم يسعفهم إلا عندما تشفع لديه الطلبة .

كثيرة جداً هي مظاهر العلاقات المتينة بين الأستاذ والطالب مما يفوق جداً العلاقات التي يتحدث بها اليوم في البيئات الجامعية العصرية . .

° ° °

وهناك ظاهرة تلاحظ في مجالس العلم المعروفة بمدينة فاس ، كانت – وما تزال – تعطي للدروس قوة وطاقة تدفع بالطلاب الى الاستحضار الاكثر ، والانتباه الاكمل ، تلك هي مزج الدرس بالاحماض والنكتة . .

ان الاستاذ اذا استمر ساعات طويلة في جديته ، فانه يهدّد بذلك الغرض المتوخى من الدرس . ولذلك كان كبار المشايخ لا يترددون في خلق الجو المناسب لتسلية الطلاب وارهاف ذوقهم .

ولا شك ان في بعض شواهد النحو مثلاً وفي بعض جزئيات الفقْه كذلك ، ما يسوغ الاستطراد الى بعض النوادر التي من شأنها ان تكيف المناخ .

وقد احسن المقَّري صنعاً يرحمه الله عندما نقل عن الامام المازري انه كان كثير الحكايات في المجلس ، وأنه كان يقول : انها جند من جنود الله حتى كان لا يخلي مجلسه منها [٧١] .

وقد ورد في ترجمة عدد عديد من علماء القرويين انهم كانوا يقتدون بالامام المازري في هذا النوع من التنشيط ولم يستثن من ذلك الا قليل منهم ممن يغلب عليه الانقباض وحالات الجلال [٧٢] . وكان الأستاذ الحميدي كثيراً ما يمازح تلامذته في بعض الاوقات بحكايات تناسب المقام . وكان الشيخ المنجور يباسط التلاميذ ويمرنهم على ان لا يكونوا غلاظ الطبع حاسري الذوق ، وهو الشيخ الذي كان يضرب على العود ، ويضع الالحان . ويلعب الشطرنج !

وربما عمد بعضهم الى اذكاء روح التنافس بين طلبته ، محاولاً تفضيل هذا القبيل على ذاك . بدافع من قصد نبيل يهدف الى إلهاب الحماسة بين الطلاب لأدراكٍ اكثر ، وتحصيل أشمل [٧٣] !

* * *

وتتكلَّل هذه المجالس والدروس بيوم عظيم مشهود ، يسمى (يوم الخَتْمة) ، وهو اليوم الذي يختم فيه الشيخ الفَن أو الكتاب الذي بدأ فيه منذ زمان ، ومن العادة ان يبذل الاستاذ جهداً عظيماً في اختيار موضوع يجعله ركيزة درس الختمة ، يتميز بصعوبته وأهميته ، فيفرغ فيه قواه حتى يستوعبه من سائر جهاته ، ويؤديه أمام المشايخ والعلماء وربما يؤديه أمام الملوك والأمراء أحسن أداء وأتقنه ، وهكذا فان درس الختمة يكون بمثابة أطروحة يتقدم بها الشيخ أمام منافسيه واصدقائه على السواء . فعليه ان يحرص على ان تكون شاملة كاملة .

وقد حدثنا التاريخ انه عندما اوشك الاستاذ الحافظ اللافظ أبو العباس احمد بن عليّ الزموري أن يختم تفسير الإمام الرازي ، وجهت رقاع الدعوة الى عدد من كبار قادة البلاد ، كان على رأسهم الأمير الشيخ ولي عهد السلطان المنصور السعدي . وقد كان يوماً عظيماً شهدته الخاصة والعامة ، وحضره الامام يحي السراج والقاضي الحميدي ومن دونهما من الفقهاء . وقد ذكر شيخ المجلس ثلاثة وعشرين تأويلاً في تفسير الآية : « وأحل الله البيع وحرّم الرّبا [٧٤] . »

وعندما يخلص الشيخ من ختمته ، يحمل على كواهل الطلبة الى بيته . حيث يكتظ أعيان أهل المدينة وهناك تقام المآدب ، ويقدم الحليب والتمر الى الزائرين الذين يتوالون باستمرار على منزل الشيخ بهداياهم وعطاياهم . . إنه يوم يكون حديث المجالس بالمدينة [٧٥] .

* * *

الاجازات العلمية

من أبرز ما عرفته القرويين في هذه الفترة ، نوع من الامتحان الذي يجري الان في الجامعات الكبرى لتخريج الطلبة المبرزين ، ومهما قيل عن هذه الاجازات من لدن خصوم القرويين ، فإنها كانت بحق مجازاً عسيراً لا يقتحمه إلا الاكفاء المقتدرون .

صحيح إنه لم يكن هناك نظام امتحان بالمعنى المصطلح عليه اليوم ، لكن الأستاذ كان يستطيع بالممارسة أن يتعرف على درجَة تلميذه العلمية بالسؤال والمناظرة والمذاكرة ، ومن هناك يترشح لاختيار الإجازة .

وقد ظل نظام « الإجازة » معمولاً الى أوائل هذا القرن ، حيث أبدل بنظام الامتحانات العصرية التي تمنح الشهادات الجامعية(٧٦) .

وسوف أقدم هنا صورة عن ظروف الإجازة ، لا في علم الأصول أو الفقه أو الحديث أو الطب أو الأدب أو الهندسة . . ولكن في استظهار « الكتاب الكريم » ، ومن ذلك سنعرف القيمة العظيمة التي كانت للإجازة بالقرويين . إنها ولا شك كانت أصعب بكثير مما يتخيل . انهم لا يجيزون القارئ الحافظ لا في الروايات السبع كلها ، ولا فيما دونها ، إلا اذا أتقن القرآن على النحو التالي :

ان على المرشح للإجازة أن يمر على سائر آي القرآن ، ويحفظها كما يحفظ الفاتحة ، وعليه أن يكون على خبرة تامة بجميع الفنون التي يتوقف عليها هذا الحفظ من رسم وضبط وتلاوة ، ولا يمكن للمرشح ان يتقدم من أول الأمر الى « الأستاذ الكبير » بل عليه أن ينال رضى أستاذ أقلَّ رتبة . وهكذا لا يصل الى مقام الإجازة الا بالتدريج من قارئ الى قارئ فوقه ، فاذا أتى الأستاذ المجيب الأول – ولا بد أن يكون أعلم أهل وقته في هذا الشأن وأكملهم – أمره بادئ بدء بكتب حصة من القرآن من حفظه ، ثم رسمها على شكل المصحف وبعد أن يكتب الحصة على ما وصف ويرسمها على الوجه المعلوم المشهور بين العلماء ، وبعد أن يضبطها كذلك على قاعدة الضبط المعروف ، يأتي الشيخ يعكف رجلا ويقيم أخرى ، وينصب اللوح الذي كتبه ورسمه وضبطه تجاه الأستاذ ، ليشرع في تلاوتها استظهاراً بعد التعوذ والبسملة . . . وهنا يأخذ الأستاذ في توجيه أسئلة الى الطالب الذي يكون لزاماً عليه ان يستحضر سائر النصوص في الموضوع . فاذا نال وفاق هذا ، انتقل الى أستاذ آخر يتولى سؤاله بكيفية أكثر عمقاً عن مختلف وجوه الرسم والضبط ، وسائر الحروف . . . فمتى تحقق الهمزة ؟ ومتى تبدل ؟ ومتى تسهل ؟ ومتى تمد وتغلظ ؟ أو تفخم أو ترقق ؟ فاذا نجح في هذا كله أمره بالإعراب ، فما كان على الأصل أقره عليه ، وما لا نبهه عليه .وهكذا يستمر الشيخ مع أستاذه من الفاتحة الى سورة الناس فاذا ختم القرآن على هذه الصفة ، وظهر للأستاذ ان يجيزه ، أمر بكتب الإجازة له رافعاً له فيها سنده ، ويشهد الأستاذ بعد كتب الوثيقة على نفسه أنه أجازه ، ويضع القاضي خط يده معلماً بثبوت الاجازة من الشيخ فلان الى الأستاذ فلان الذي درس عليه الكتاب الفلاني لمؤلفه فلان . . . وانه يستقصيه تمام الاستقصاء ، ويستطيع ان يبلغه كما تلقاه عن شيخه الذي تلقاه بدوره من شيخه فلان . وهكذا .

وقد صدرت في هذا العهد اجازتان طويلتان في صيغة اشهاد : احدهما مؤرخة باواسط جمادى الثانية عام٩٤٣ اجاز بها الشيخ الفقيه أبو الحسن علي بن هرون المطغري الفاسي تلميذه ابا عبد الله محمد العربي بن محمد بن عليّ

ابن عبد الرحمن بن القاضي ، والاخرى بعدها باكثر من خمسين سنة مؤرخة باواسط صفر عام ٩٩٨ اجاز بها الأستاذ المقرئ أبو العباس احمد بن محمد بن احمد الفشتالي تلميذه ابا عليّ الحسن ابراهيم بن يوسف بن محمد السجتاني ثم السجاني ثم الخالدي ، ونسوق هنا بعض الفاظهما للدلالة على العناية التي كانت لفن القراءات ، والاحتياط في الشهادة على الشيخ المجيز والطالب المحصل المستجيز ، مع تعدد الشهود ، وبيان الكتب المعروضة وعدد الختمات ، وبيان الطرق الموصلة الى الرويات بواسطة سلسلات الشيوخ الثقات المعروفين المسلم لهم باسانيدهم قراءةً وتحديثاً في ختمات إفراداً وجمعاً ، وتراً وشفعاً :

فاما الاجازة الهارونية فهي مصدرة بحمدلات وتشهدات ، واشارات لفضل القرآن ومكانته ، وذكر احاديث واردة في ذلك : (. . . والى هذا يقول العبد الفقير الى رحمة مولاه عليّ بن موسى بن عليّ بن موسى بن هرون . . . ان الشاب الفقيه النجيب الاديب ، الحافظ اللافظ ، القارئ المجود ، الابر الارضى ، المتفنن المحقق الأدري ، ابا عبد الله محمد العربي . . . كان ممن تردّد اليّ ، وتوخّى المثول بين يديّ ، واعتمد في قصده على ما لدي ، فقرأ عليّ القرآن العظيم ، المنزل على سيدنا محمد المصطفى الكريم ، اربع ختمات الاولى والثانية والثالثة لقالون ، والختمة الرابعة جمع فيها بين قراءات الايمة السبعة المشهورين رضي الله عنهم ، وادرج في قراءته الادغام الكبير لابي عَمْرو ابن العلاء . وكل ذلك بطريق التيسير لابي عمرو الداني ، وتلخيصه حرز الاماني ، ووجه التهاني ، للامام أبي القاسم الشاطبي رحمه الله تعالى ، ولما كمل له ذلك على نحو ما ذكر من التفسير والتفصيل ، وكان من أهل التجويد للقراءات مع الضبط لاحكامها والتحصيل ، ساءل مني - ارشده الله - ان اجيز له ذلك واشهد له به في كتاب ، ليرتفع عنه تخالُج الظنون وخطرات الارتياب ، وليكون بيده حجة ساطعة ، وبنبله وثبات نقله بينةً قاطعةً ، كما جرت به عادة الايمة ، ومعتمدي هذه الامة ، فأجبته الى ما سأل ، واسعفته فيما رغب وأمّل ، وحَدَّثْتُه بالقراءات السبع تلاوة عن شيخنا الفقيه الخطيب المقرئ المحقق العالم العلامة الصدر الاوحد ابي عبد الله محمد بن احمد . . بن غازي . عن شيخه الفقيه الخطيب المقرئ المحقق الاشهر الاتقى ابي عبد الله محمد بن الحسن النيجي الشهير بالصغير . . . قال الشيخ ابو عبد الله بن غازي : اما رواية ورش فقرأت بها القرآن كله على شيخنا . . الصغير المذكور وحدثني بها عن شيخه الفيلالي . . . واما رواية قالون فقرأت : بها القرآن كله عليه بالسند المتقدم . . واما روايـــة البزي فقرأت بها القرآن كله عليه بالسند المتقدم . . واما رواية قنبل فقرأت بها القرآن كله بالسند المتقدم . . وأما رواية الدوري فكذلك وأما رواية السوسي فقرأت بها كذلك . . . وأما رواية هشام فقرأت بها كذلك . . . واما رواية ابن ذكوان . . . واما رواية أبي بكر . . . واما رواية حفص . . . واما رواية خلف . . . واما رواية ابن خلّاد . . . واما رواية أبي الحرث . . . وأما رواية الدوري . . . قال الشيخ الفقيه المجيز أبو الحسن عليّ بن هرون المذكور - ابقى الله تعالى بركته - : وقد عرض عليّ أبو محمد المجاز المذكور قصيدة الامام الشاطبي الموسومة بحرز الأماني . . وحدثته بها - ارشده الله - عن الشيخ . . أبي عبد الله بن غازي امام جامع القرويين . عن شيخه الفقيه الخطيب أبي عبد الله النيجي الشهير بالصّغير امام جامع الأندلس من فاس المحروسة ، وهو رئيس المقرئين بفاس في حينه وحبْرهم . . . وكذلك عرض عليّ قصيدة أبي الحسن عليّ بن بري الموسومة بالدرر اللوامع وحدثته بها - اصلحه الله - عن . . . ابن غازي وعرض عليّ - حفظه الله - الرجز الموسوم بمورد الظمآن في رسم احرف القرآن ، مع الذيل الملحق به في اللقط للامام العالم أبي عبد الله محمد بن ابراهيم الشهير بالخراز ، وعرض عليّ أيضاً - اصلحه الله وسدده - صدرا من كتاب التيسير وحدثته - حفظه الله تعالى - به قراءة لبعضه وسماعاً لسائره . . . وعرض عليّ أيضاً . . . صدرا من

صحيح البخاري وحد ثته به . . . وعرض عليَّ . . . صدرا من الرسالة للفقيه . . . ابن أبي زيد القيرواني وحدثته بها . . قال الشيخ الفقيه المجيز أبو الحسن . . المذكور – ابقى الله بركته – : وقد أجزت الفقيه العرض أبا عبد الله محمد العربي بن محمد بن عليَّ الشهير بابن القاضي المجاز المذكور أن يروي عن الشيوخ المذكورين في هذا الكتاب وغيره في جميع ما قرأ عليَّ من الكتاب العزيز والعرضات المذكورة وأجزته أن يروي . . .أو أنبأنا أو . . . شهد على الشيخ الفقيه المجيز أبي الحسن عليَّ بن هرون المذكور ، بما ذكر فيه عنه ، وعليَّ . . المجاز . . المذكور بطلبه الاجازة ورغبته لها من الشيخ المجيز المذكور ، وهما بحال صحة وطوع وجواز ، وعرفهما وعرف انتصاب المجيز المذكور . . . وفي اشهاد المجيز المذكوران الاربع ختمات المذكورة . . المجاز المذكورمن صدره وعرضه . . في ومورد الظمآن وذيله الملحق به والدرر اللوامع كان في مجلدين عرضا جيدا عن ظهر قلبه ، وعرض عليَّ أيضاً . . الشيخ الامام الشهيربالجَوز في الموضوع في مخارج الحروف . . اجزت له ان يرويه عني[٧٧] .

اما الاجازة الاخرى الفشتالية فبعد التحميدات والتشهدات وما بعدها على ما تقدم في الأولى : (. . . يقول الاستاذ المقرئ المجود أبو العباس احمد . . ان الطالب النجيب الحافظ المجود الاريب ، ابا عليّ الحسن . . كان ممن تردّد اليَّ ، وتوخى المثول بين يدي ، واعتمد فيما قصده على ما لدي ، فختم علي القرآن العظيم المنزل على سيدنا ونبينا ومولانا محمد النبي الرسول الابطحي الزمزمي المكي المدني الهاشمي القرشي المصطفى . الكريم خمس ختمات احداها لورش ، والثانية لقالون ، والثالثة برواية ابن كثير ، والرابعة والخامسة جَمَع فيهما قراءات الايمة السبعة المشهورين رضوان الله عليهم اجمعين عرضا من صدْره برواياتهم المشهورة عنهم ، وادرج في قراءته الادغام الكبير لابي عمرو بن العلاء ، وكل ذلك بطريق التيسير لابي عمرو الداني ، وبملخصه حرز الاماني ، ووجه التهاني ، لابي القاسم الشاطبي رحمه الله تعالى ورضي عنه ، ولما كمل له ذلك عليَّ على نحو ما ذكر من التفسير والتفصيل ، وكان من اهل التجويد للقراءات المذكورة مع الضبط لاحكامها والتحصيل ، سأل مني – وفقه الله – ان اجيز له ذلك واشهد له به في كتاب ، ليرتفع عنه تخالج الظنون وخطرات الارتياب . . فأجبته الى ما سأل ، وأسعفت رغبته فيما طلب وأمَّل . وحدثته بالقراءات السبع المذكورة تلاوة عن شيخنا واستاذنا ، ووسيلتنا الى ربنا ، الشيخ الفقيه الأستاذ الحافظ اللافظ الناقد الراوية النحوي اللغوي أبي القاسم بن الشيخ الفقيه العالم المدرس أبي عبد الله محمد بن أبي اسحق ابراهيم بن ابي عمران موسى الدكالي المشترائي الشهير بابن ابراهيم ، عن الشيخ الفقيه الخطيب المقرئ المحقق المتفنن الاشهر ابي عبد الله محمد ن احمد بن غازي . . . قال الشيخ المجيز ابو العباس احمد المذكور . . اما رواية ورش فقرأت بها القرآن كله على شيخنا . . . ابي القاسم بن محمد بن ابراهيم المذكور وحدثني به عن شيخه . . . ابن غازي . . وأما رواية قالون فقرأت بها القرآن كله بالسند المتقدم اليَّ . . . واما رواية البزي . . (الخ) قال . . . أبو العباس المذكور . . . قصيدة : الشاطبي الموسومة بحرز الاماني . . . عرضا جيدا وحدثته بها اصلحه الله . . وكذلك عرض عليَّ قصيدة ابن بري الموسومة بالدرر اللوامع عرضاً جيدا وحدثته بها . . . وعرض عليَّ ايضا الرجز الموسوم بمورد الظمآن . . مع الذيل الملحق في النقط . . وعرض عليَّ أيضاً صدراً من الرسالة وحدثته به . . . وعرض عليَّ صدرا من كتاب التيسير وحدثته به . . . قال الشيخ المجيز أبو العباس المذكور : وقد اجزت الفقيه الارضى ابا عليّ الحسن المذكور ان يروي عن الشيوخ المذكورين في هذا الكتاب وغيره وما رويته من تواليف الشيخ ابي وكيل المذكور كالمورد الروي في نقط المصاحف ، وكذلك تحفة الاعراب والدرة الجلية في نقط المصاحف ، وكذلك جميع ما قيد عنه من قصايد تلاوة وسماعا واجزته في جميع ما قرأ عليَّ من الكتاب العزيز والمعروضات المذكورة اجازة عامة

بشروطها وأجزتُه ان يروي عنه بحدثنا أوأنبأنا ، اوأخبرنا ، وأذنت له في ذلك اذنا تاما . وفي اشهاد المجيز المذكور انه اجاز للمجاز المذكور جميع ما اشتملت عليه فهرسة شيخ شيخه ابي عبد الله بن غازي المذكور المسماة بالتعلل برسوم الاسناد . . . مع ذيلها الملحق بها من مروياته ومصنفاته . . . وكذلك اذن المجيز المذكور للمجاز المذكور أيضا ان يروي عنه رجز الشيخ الامام العالم العلامة الشهير بالهوزني الموضوع في مخارج الحروف وفي صفاتها . شهد عليّ على الفقيه المجيز المذكور بما فيه عنه ، وعلى المجاز المذكور بطلب الاجازة ورغبته لها من شيخه مجيزه المذكور . وهما معا بالحال التي توجب كمال الاشهاد وتستوعبه وعرفهما وانتصاب المجيز المذكور(٧٨) . .

* * *

هذا وما تزال بعض المصادر التاريخية تحتفظ بنص لاجازة شيخ القراء بفاس السيد ابن الفخار لأبي سالم العياشي الذي يرفع فيها السند الى رب العزة .

ومع هذا لابد من الرجوع الى بطون الفهارس وعيون التراجم ، لنقف على الطريف في باب الاجازة ، سواء فيها الاجازات العامة او الخاصة المقيدة او المطلقة ، حجة نادرة المثال على عناية المغاربة بالسند .

لقد كانت تبتدئ الاجازة بنحو هذه العبارات : « الحمد لله الذي جعل الاسناد من الدِّين ، واختص به هذه الامة المحمدية وابقاه متصلاً فيهم ابد الابدين ، حفظاً لدينهم من الشك والوهم ، وصونا له من التبديل والتغيير ومحو الرسم . وبعد ، فقد استجازني الفقيه المشارك الاديب . . . في جميع تواليفي ، وقد قرأ عليّ بلفظه اجزاء من اوائل اكثرها منها كذا وكذا . فأجزته في جميعها اجازة تامَّة ، مطلقة عامة .

وقد قرأت من كتب التفسير والحديث والفقه والكلام والعربية وغير ذلك من الفنون العلمية على غير واحد من علماء الوقت واعلامه ، منهم فلان الذي درس على فلان . . . الذي درس على فلان . . الخ الخ ، وساعفت المجازى المذكور بهذه الاجازة وان لم اكن لذلك اهلاً ، ولا هناك محلا ، رجاء نيل خير بحسن نيته وطيب طويته(٧٩) . . .

شهور الدراسة في فصل الشتاء

لقد اجمع الذين كتبوا في شأن القرويين على أنها لم تخل في فصل من الفصول وفي وقت من الاوقات من مجلس علم حتى لقد شبهوها بمطاف الكعبة الذي لا يخلو من زائر طوال ايام السنة .

ولم يميز أولئك (عنوا بالموضوع) بين الدروس التي يعطيها المشايخ في مقابلة تعويض تخصصه الاوقاف ، وبين الدروس التي يتطوع العلماء بتقديمها الى طلبتهم في مختلف العلوم والفنون .

لكن بعض المصادر مع ذلك عنيت بالفصول الأكثر نشاطاً ، والأوفر حظاً ، كما تحدثت مصادر أخرى عن الفرق بين الدروس ذات الدخل ، والدروس ذات المجان .

وهكذا فمن خلال ما يحكيه أبو سالم العقباني ومحمد بن يوسف السنوسي ، يتضح أن الدراسة كانت تصل الى نهايتها بعد الحصاد عندما يعود بعض الطلبة الآفاقيون من خارج فاس الى دروسهم ، فيكون فصل الشتاء بالنسبة

اليهم فصل كدّ وتعب ، ينتهي بالامتحانات والإجازات .

من الفائدة أن نورد هنا استفتاءً طريفاً كان وجَّهه الإمام الونشريسي سنة ٨٧٦ هـ الى بعض علماء تلمسان (٨٠) ، وذلك حين قدمه أمير المؤمنين ، أيده الله ، لتدريس الفقه في إحدى المدارس المرينية التابعة للقرويين ، خلفاً للقاضي الورياكلي ، بعد أن كان هذا الأخير درس بها شهرين أو ثلاثة أشهر وصرف عنها .

وقد ظهر من جواب العلماء أولاً أن سبب صرف القاضي الورياكلي عن التدريس في المدرسة المذكورة هو أنه كان يقتصر على التدريس طوال شهرين أو ثلاثة معتمداً على أن باستطاعته أن يلهب نشاط طلبته خلال هذه الفترة على قصرها فيحصلوا فيها على ما لا يحصله غيرهم في تسعة أشهر .

كما تبين أن المستفتي السائل كان يعتزم – جريا على قصد المحبس – ان لا يعطل التدريس في جميع فصول العام . لا فرق بين شتائه وربيعه ، وخريفه وصيفه . . .

وقد تضمن جواب العقباني ان العلم بفاس يؤخذ طول الدهر كما نص ابن زكري على ان من غاب من العلماء عن محل درسه لا يستحق أجراً .

أما الإمام السنوسيّ فقد أجاب : « إن عادة الشيوخ قديماً وحديثا جرت على ان يجتهدوا في فصل الشتاء ، ولا يسمحوا لأنفسهم بشيئ من البطالة فيه فاذا انصرم هذا الفصل أجمّوا انفسهم بعض الإجمام في فصل الربيع ثم شرعوا في إقراء الطلبة والمبالغة في نصحهم بقدر الامكان لا سيما طلبة المدرسة التي تحت إشرافهم ، وعادتهم في سائر فصول السنة غير فصل الشتاء أن نسرد عليهم كثرة المسائل ، ويقتصرون فيها على بيان صورة كل مسألة . . وبالجملة فان الاستاذ يجتهد في تعليم طلبته على وجه لا يأتي عليهم فصل الشتاء الا وقد حصل لهم من التعليم الوقوف على المسائل والتأنس بمعانيها ما يتأهلون به لفهم ما يلقي اليهم الشيخ في فصل الشتاء من دقيق الابحاث والنقل الغريب . فصار لهم فصل الشتاء كالعرقلة (يعني الامتحان) والتمرين بما حصل لهم في غيره ، وبهذا نعرف أن جل منفعة الطلبة بالمدرس إنما هو في غير فصل الشتاء ، وهكذا يقول السنوسي فإن ما أخذ من المرتَّب (يعني الجراية) من طرف الذين لا يقومون بواجبهم سُحْت لا يحل ، بل على المدرس أن يرجع ما اخذه من تلك التعويضات لكي يبرئ ذمته » .

وفي جواب الإمام العقباني ، ورد : أن مدينة فاس منذ كانت وهي معروفة بالمواظبة على العلم والاخذ والتحصيل . كم كان فيهم من حفاظ وكتاب وضابطين . . أترى مثل هذا يحصل لمن لا يقرأ الا في فصل الشتاء ؟ . واذا علم بالقرائن وبنقل الثقات أن الحالة الراهنة (عام ٨٧٦ هـ) خالفت الحالة الماضية ، لم يكن للأستاذ الورياكلي حق فيما لم يدرس فيه من باقي السنة (٨١) .

وبصرف النظر عما نستشعره في هذه الأجوبة من تنافس معهود بين علماء فاس وتلمسان . فان المصادر الأخرى التي بين أيدينا تؤيد أن فصل الشتاء كان بالنسبة الى الطلبة فصل كدّ واجتهاد (٨٢) .

العُطل في القرويين

امتازت هذه المرحلة من تاريخ القرويين بأنها عرفت على سبيل التدقيق اياما للعطلة فالى جانب يوم الخميس

والجمعة [٨٣] كانت القرويين تعطل اربعين يوما في الصيف « السمائم » ، هذا الى جانب تعطيل شهر رمضان ، ويوم عاشوراء ، ويوم العنصره [٨٤] ، واسبوع عيد الفطر ، وعيد الاضحى ، ويوم المولد الشريف الذي يجري له احتفال كبير بالجامع [٨٥] .

وقد تحدث التاريخ عن حفلات للطلاب كان ملوك بني مرين يشاركونهم فيها ، ويتعلق الامر بِنُزْهٍ تنظم تكريماً للطالب المتفوق .

هذا بالاضافة الى تعطيل الدروس متى توفي شيخ ، أوطالب نبيه ، أوهدد أمن البلاد بالاختلال كما اذا حدثت اضطرابات داخلية ، كالتي عرفتها فاس عندما شبّت الفتن الداخلية بين الأندلسيين واللمطيين [٨٦] .

ومع ذلك فان جلّ هذه العطل لا يمر دون أن يتناول فيه الطلبة فنوناً خفيفة كالعروض ومبادئ الحساب ، وفيها ما ينصرف فيه العلماء الى تدريس نوع خاص من الكتب ، كالسيرة النبوية والحديث الشريف أوالتفسير على مستوى يتوافق وحال الطبقة المتوسطة التي تغشى عادة المجالس من الذين لا يميلون الى العطلة .

موارد العلماء والجامكية

اذا كان المرابطون والموحدون من بعدهم خصُّوا العلماء والفقهاء بأسنى العطايا ، واحتضنوا طلبة العلم بكل جوانحهم [٨٧] ، فان بني مرين ومن أتى بعدهم من الوطاسيين والسعديين شملوا رجال القرويين بالمرتبات الضخمة المنتظمة ، وأغدقوا عليهم بالصلات الندية السخية في مختلف المناسبات : الأعياد الشرعية ، والفرص الموسمية ، والزيارات المتبادلة .

لقد تبارى الملوك والأمراء والكتاب والوزراء والأغنياء والرؤساء في تكريم جانب العلماء ، وقد كان من عادة كل أسرة مرموقة أن تتخذ لها عالماً تصادقه وتخلص الود له ، تكاشفه وتجاهره بأحوالها وأخبارها ، لتحظى منه بالتوجيه والإرشاد عند الحاجة .

ويمكن أن نسمع عن بعض العلماء أنهم كانوا في خصاصة . . بَيْدَ أن هذه الخصاصة كانت اختيارية في أغلب الحالات ، إما لأنهم يزهدون في المرتبات لمن يرونه أكثر استحقاقاً منهم [٨٨] ، وإما لأنهم كانوا غير مرتاحين من الجهة التي تشرف على تلك المرتبات [٨٩] . ومع ذلك فان العالم غني دوماً اذا ما أراد ، فكل ما بيد أهل المدينة يستطيع أن يتمتع به لأنه ينعم فعلاً بالتقدير الكبير من الجميع .

ومن خلال بعض النوازل نقف على أنه كان للعلماء مرتبان : احدهما شهريّ والآخر سنويّ [٩٠] ، وقد كان الشهريّ يعني ما يكفي العالم لقضاء مآويه العادية من أكل ومشرب ، وكان المرتب السنوي يتناول توزيع الحبوب والدهن واللباس .

وقد ذكرت كتب التراجم أن العلماء كانوا يعتمدون في إقامة أَوَدِهم على « الجامكية » [٩١] المرتبة على المدارس التي شيدها بنو مرين ، ووقفوا عليها أوقافاً طائلة .

وذكر الحسن ابن الوزان ، وهو ممن أشرف في بعض الظروف على مؤسسات تابعة للأوقاف ، أنه كانت لكل واحد من العلماء أجور ثمينة [٩٢] .

وقد كان العلماء الى عهد قريب يتناولون علاوة على مرتبهم هدايا على حسب مراكزهم وكفاياتهم . كل ذلك ينفذ من الأوقاف ، وبأمر من سيد البلاد الى قاضي المدينة بترشيح الأستاذ لرتبة ما من المراتب ليتسلم مبلغاً معيناً من ناظر الأوقاف [٩٣] .

على أنه في حالة عجز ميزانية الأوقاف لسبب ما فان جماعة أهل المدينة يقومون بواجبهم في تكريم العلماء على ما أشرنا اليه آنفاً [٩٤] .

لباس العلماء وتاريخ اللون الأبيض في المغرب

اعتاد العلماء في المغرب وأشباه العلماء كذلك ، أن يتخذوا لباساً خاصاً بهم ، يعتمد على الكساء (الحايك) وعلى البرنس ، أو (السلّهام) كما يسّمونه في المغرب

وان اللون الأسود الذي كان شعار المشارقة سواء في أفراحهم وأتراحهم ، قد ترك في المغرب الى اللون الابيض تميزاً لهؤلاء عن أولئك ، لم يحيدوا عنه الا في بعض الظروف العصيبة [٩٥] .

وقد ظل هذا شعار أهل الأندلس ، لا في المناسبات السّارة ، ولكن أيضاً في المناسبات الأخرى أيضاً على ما سلف القول به في الباب الاول من الكتاب .

ولا بدّ أن نذكر هنا أن المغرب كان الدولة الأولى في العالم الاسلامي التي أصدرت ظهيراً (مرسوماً) في اتخاذ اللون الأبيض دليلاً على شعار البلاد .

ويتعلق الأمر بالظهير الذي أصدره أبو يوسف يعقوب يوم الأحد العشرين من شعبان عام ٦٨٤ هـ بأن لا يلبس الا البياض ، وكان ذلك بمناسبة الفرْحة بالنصر الذي أحرزه الجيش المغربي في أعقاب احد الايام الغُرّ بالأندلس .

بعد سفارة سانجه (SANCHO) إلى السلطان أبي يوسف يعقوب ، وهو بالجزيرة الخضراء ، وبعد أن بعث هذا بسفيره الشيخ أبي محمد عبد الحق إلى سانجه وهو باشبيلية ، تم لقاء بين سانجه وولي العهد أبي يعقوب أولاً ثم بالسلطان ثانياً .

وفي يوم الاحتفال باللقاء أمر السلطان باظهار شعائر الإسلام وأبهته وعظمته ، وشدد على لبس البياض ، فكان منظراً فريداً ، ويوماً مجيداً ، قابله بين سانجه وجماعته ، وهم في سود الثياب ، وبين العاهل وحاشية من وزراء وسفراء وعلماء ، وهم يرتدون الملابس البيض .

وهكذا فان تاريخ اللباس الأبيض في المغرب يقترن بأحداث وطنية بالغة الأهمية في ماضي المغرب ، فاولاً كانت رمزاً للاستقلال عن الخلافة في المشرق عندما اضطربت الأمور هناك ، وثانياً كانت تعبيراً عن العزيمة على الاستمرار . . .

ومن هنا كان (البياض) صفة مميزة للطبقة العالمة . لما اعتذر العالم أبوالحجاج الأنفاسي عن قبول الملابس البيض التي بعث بها اليه السلطان أبو عنان ، قال له الرسول مبلغاً رسالة السلطان « إنما قصد مرسلها التنويه بأهل العلم ، ولأجل أن يمتاز أهل الخطط من غيرهم [٩٦] . . »

وستمر بنا تراجم اعلام من القرويين كانوا مثلاً في انتقاء الملابس الأنيقة البيض من الزويلي (ت ٧١٩) وابن البناء (ت ٧٢٣) والجناتي (ت ٧٤٦) والسلاسي (ت ٧٦١)، والخطيب ابن جلال (ت ٩٨٠).

ولكُثْر ما تركزت هذه الحقيقة في اعتبار الجمهور، أصبحت هذه الملابس بمثابة حصانة تكسب من يحملها الاحترام والهيبة، وتحميه من اعتداءات الناس ونقمتهم.

وقد ورد في كتب التاريخ ان العامة ثارت ذات يوم على جماعة من الناس، اتهمت بالتذلل للأجنبي وبالوقوف له اجلالاً، واجهزوا عليها جميعها، ما عدا القاضي ابن أبي النعيم الذي أنقذه من المأزق زيّ العلماء الذي كان يرتديه (٩٧).

※ الطِّيب والمطايا... ※

والى جانب اللباس نشير الى نوع الطيب المحبب للعلماء، والذي كانوا يتبارون في اقتنائه، وهو العود القماري المستعمل حتى الان في بيوتات المغرب جميعها، لا تفترق في ذلك شهور الافطار عن شهر الصوم، حتى لقد ألف في جواز ذلك الملوك من العلماء الذين ينتسبون الى القرويين (٩٨) والذين كانوا يجدون في التهادي به تعبيراً عن حسن القصد ولطف المعشر.

وقد اضطر بعض العلماء – بعد تأسيس الأحياء الملكية في فاس الجديدة الى استعمال الوسائط للوصول الى القرويين من عيون الجياد والبغال، وتأنقوا كل على حسب طاقته في اقتناء أقواها وأجملها.

وقد تحدثتْ كتب التاريخ عن هذه العادة (٩٩)... وقد عهدنا على مقربة من أبواب القرويين الرئيسة دكانات تساعد العلماء على امتطاء مطاياهم.

الرئيس والقيّم والمفتي

عهدنا في المرحلة الأولى من تاريخ القرويين أن الرئيس الذي ظلّ له الاشراف على تسييرها روحياً ومادياً هو قاضي المدينة، فهو الذي يرشح الأساتذة للكراسي العلمية التي كان توزيعها أشبه ما يكون بالتقليد الأكاديمي، لا يتصدى عالم لها الا بعد وفاة من قبله، والقاضي هو الذي يراقب ناظر الأوقاف، ويصدق الميزانية، واليه يرجع الرأي الأخير في الإصلاحات التي تدخل على البناية وتسمية الأئمة والخطباء والمدرسين ورجال الحسبة (١٠٠).

ولعل أبرز ظاهرة يمكن أن نستخلص منها هذه الحقيقة، هي ما سلفت الإشارة اليه من أن الجامعة كانت لا تؤرخ لأحداثها الكبرى إلا بايام القضاة، وهكذا عاد من سائر القول، كما أسلفنا، أن تقرأ عن هذه الجهة أو تلك أنها شيدت في عهد القاضي فلان الأمر الذي يدل على أنه المعني الأول بهذا المركز.

ولا شك أن الرئيس هو غير القيّم الذي كان يأتي في مرتبة ثانية، وهو يعني لقب (عميد) مثلاً. فقد كان لكل مدرسة من المدارس العلمية الكبرى التي بناها بنو مرين، كان لكل مدرسة قيّم، يضبط أحوالها، وينظم الدراسة بها وقبول الطلاب لسكناها وتوزيع الجرايات عليهم.

والى جانب قيّم الدراسة ، سمعنا عن (قيّم الفن) وعن قيّم الكتاب وعن قيّم المذهب(٢) .

ولا بد أننا في الملحق الخاص بأعلام القرويين قد انتبهنا للإمام الزرويلي (٧١٩ هـ) الذي كان قيّماً على تهذيب ابن البرادعي ، والرندي (٧٤٦ هـ) الذي كان قيّماً على مذهب الإمام مالك ، والتازي (٧٤٨ هـ) القيّم بمدرسة العدوة على كتاب التهذيب ، والمزدغي (٧٤٨ هـ) القيّم على المدرسة المصباحية والمشترائي (٩٦٢ هـ) القيّم على الرسالة ، والسراج (١٠٠٧ هـ) القيّم على مختصر خليل .

* * *

أما وظيفة المفتي التي كانت قد عرفت في الفترة الأولى ، فإنها اكتسبت في الفترة الثانية أهمية اكثر ، وقد تجلت أهميتها في ظاهرتين اثنتين . أولاً في الميزانية التي جعلت تحت تصرف المفتي ، والأخرى في البناية التي خصصت له ليتمكن من أداء واجبه بالإضافة الى مكتبة الإفتاء .

وقد كانت منزلة المفتي بجامع القرويين من القوة والمكانة بحيث تخصص له رباع وعقارات ، يبقى له النظر في التصرف فيها على ضوء ما يراه صالحاً ، لأنه بحكم احتكاكه بمشكلات الناس[١٠١] الذين يترددون عليه للإفتاء يكون على بينة مما يسبب متاعبهم – وخاصّة المادية منها – التي تستوجب السؤال ، وعندما نريد إحصاء ما جعله المتقدمون تحت تصرف المفتي من الرباع المعيّنة للضعفاء والمساكين ، نجد أمامنا لائحة عريضة طويلة : ٢٥ حانوتاً من القيسارية الكبرى ، ٩ بالقراقين ، ٢٢ بالعطارين ، ١٤ بالسبطريين ، تقع جلها من باب جامع الجنائز الى باب الصفر الأعلى ، ١٣ من اللبارين ، ٢٠ بعين علون ، ١٩ من الملاحين ، ١٣ من اللبارين ، ١٨ من القبابين ، ٢٨ بالجوطية القديمة ، ١٩ باب السلسة ، ٢٢ بتربيعة الشاشية ، ١١ اماكن متفرقة ، ٩ اطرزة ، ١٠ أرحية ، ٤ افران ٢٠ ، من الدور ٤ من الفنادق ، ١٢ عقاراً من مختلف الجهات.أنها ثروة كبرى تبقى تحت نظره واجتهاده .

ولهذا جعل للمفتي مركز بلصق القرويين ، روعي فيه أن يكون له مدخلان : أحدهما من خارج القرويين ، والآخر الى داخل الجامع ، ذلك ليتسنى للسيدات قصده على الدوام ، كما يتسنى للمفتي كذلك أن يودي واجباته داخل الجامعة على نحو ما يجب[١٠٢] .

مقدّم القرويين

عرفت القرويين منذ اواسط القرن الثامن ان ناظر القرويين الشيخ القرويّ (ت ٧٨٠) عمد الى اقصاء الاحداث عن الجامع وتكليف حرس خاص بالمحافظة على جدّيتها وقدسيتها .

ومن ثمت عاد للقرويين (مقدّم) يتسم بالحزم والجد كان يتمنطق بكرزية[١٠٣] تساعده على الحركة السريعة ويصحبه عالياً قضيب رقيق من شجر السفرجل المعروف بلينه وحدته ، وقد حمل هذا النوع من المقّدمين اسم (بوسويطة) . . .

دور التنافس في إلهاب الحماسة

إن الحديث عن أساطير المنافسات بين أصحاب الحرفة الواحدة ، حديث شيّق ، وفي بعض الأحيان يستحيل

الى مشاهد مليئة بالمرارة ، وقد يتصور الرجل العادي أن مناخ الفقهاء ربما كان بعيداً عن هذه المشاعر ، لكن الواقع أنه هو الجوّ المتميز عن غيره في هذا الصدد ، فان ما يكنه بعض العلماء لزملائهم لا يكاد يصدق !

ونذكر جميعاً أن الشيخ خليلاً زعيم الفقهاء على عهده (ت ٧٧٦) ذكر في مختصره المبيّن لما به الفتوى أن شهادة العلماء على نظرائهم لا تجوز ! « ولا عالم على مثلِه » .

ومع ما في تلك المماحكات من رزايا فإنها بما صحبها من مزايا عادت من الأمر الجميل المقبول الذي عمل باستمرار على تنشيط الحركة العلمية بالبلاد ، وسنجد اثار هذه المنافسة بين علماء القرويين فيما بينهم ، وبين علماء مدينة وأخرى ، وبين علماء المغرب والمشرق أنفسهم .

وما نزال نذكر المجلس العلمي المحموم الذي تصدره بتونس السفير ابن مرزوق (ت ٧٨١ هـ) وانتقم فيه لنفسه من علماء الزيتونة دون ان يسمح بضياع الفرصة بالرغم من حضور كبار رجال الدولة حلقة الدرس [١٠٤] .

ومن المنافسات الطريفة التي تحفظها كتب النوازل بين علماء تلمسان وعلماء فاس نذكر «الفتاوى» التي أثارت ضجةً بين هؤلاء وأولئك [١٠٥]

ويدخل في هذا الصدد جانب من بعض الحملات التي صدرت ضد فاس أو علمائها عن بعض الواردين أو الزائرين . . . ، وفي مقابلة ذلك النقد العنيف الذي قرأناه من بعض علماء المغرب عن زملائهم علماء المشرق تغمدهم الله أجمعين برحماته [١٠٦] .

إننا ما نزال نذكر الصراع الذي شبّ بين علماء فاس وتلمسان حول نزاع الإمام الونشريسي والقاضي الورياكلي الذي طالب بالحصول على مرتبه كله من مدرسة الرخام مع أنه لم يدرس إلا زهاء ثلاثة أشهر [١٠٧] فانتصر علماء كل بلدة لصاحبهم ، فانتصر علماء تلمسان للإمام ، وانتصر أهل فاس للقاضي ، فزخرت كتب الفتوى بوجهات النظر الطريفة التي فتحت العيون على مسالك ومدارك ما كان لها أن تظهر لولا ذلك النقاش .

وكما كان الحال بين فاس وتلمسان ، كان أيضاً بينها وبين علماء سجلماسة الذين كانوا يتلقفون ما يرد عن فاس من فتاوى ليتعقبوا منه ما يستحق التعقيب [١٠٨] .

وأعنف تنافس شاهدته القرويين هو ما كان بين علمائها ، وهم على كراسي العلم ، فقد يتناسون مركزهم وهيبتهم لينالوا من منافسيهم على مرأى ومسمع من الطلاب !

وقد كان للقاضي الحميدي شأن مع الشيخ الزموري ، فكان ينال منه . . . ولم يحضر جنازته بعد وفاته ، بل كان يتخطاه الى المس بشيخ الزموري أبي القاسم بن ابراهيم باعتباره أسهم في « تكوين » ذلك الخصم اللدود [١٠٩] !

ولم يخل عصر من العصور من أمثلة تعنف احياناً وتخف احياناً ، وقد تترك ذيولاً من شأنها ان تغير الاحوال بعض الشيئ ، وهو الامر الذي عبر عنه قول الفقهاء أنفسهم : « إنهم أي العلماء كالتّيوس في الزريبة [١١٠] » !

لقد بلغت القرويين القمة بما ضمته من رجال على هذا العهد فهل بقيت الحالة على ماكانت عليه ؟ إن هناك شيئاً واحداً هو الذي كان بداية الانهيار في مُسْتَوَى الدراسة بها، ذلك هو تهديد الأجنبي البلاد ، فلقد انشغل الناس عن الدرس ، وانصرفوا الى الحروب التي فرضت عليهم فرضاً دون اختيار منهم ، مدت الأيدي الى عائدات اوقاف القرويين لتصنع بها الاساطيل ، وتجهز بها كتائب الدفاع ، وتشيد منها الحصون [111].

وعوض ان يحتج الطلبة على تقليص نفقاتهم تَجَنَّدوا لدفع الأذى عن البلاد ، استجابةً للشيخ أبي العباس أحمد بن إدريس العمراني الذي كان يطوف بمجالس القرويين داعياً الناس الى الجهاد في سبيل الله وحماية البلاد .

لم يكن لغدر الاسبان بمدينة سلا عام ٦٥٨ هـ من أثر ، فإنه كان قصير العمر جداً لاجهاز الجيش المغربي على المعتدين ودحره اياهم بسرعة شر اندحار [112]

لكن المسلمين شرقوا بداء الخلاف الذي دبّ بينهم في الأندلس ، فأخذت المدن الأندلسية تتساقط الواحدة تلو الأخرى في يد الجلالقة (الأسبان) .

وفي هذه الاثناء كان البرتغال يستعدون لفرض سيطرتهم على البحار في أطراف المعمورة فصمموا على الأخذ بمخانق مدينة سبتة العالمة ، وبعد حصار دام بضع سنوات وبطريقة أشبه ما تكون بقصة قَصِير مع الزبّاء ملكة العرب [113] تم لهم ذلك سنة ٨١٨ ، أي قبل نحو من قرن من وصولهم الى سواحل الخليج العربي [114] حيث ظلوا هناك قرنين ونصف القرن قبل ان يتنازلوا عنها للأسبان [115] ، وبعد سنة نجحوا في الاستيلاء على طنجة سنة ٨٦٩ هـ ، حيث بقيت بيدهم كذلك قرنين ونصفاً قبل ان يهدوها الى بريطانيا التي انتزعت جبل طارق منذ ٨٦٧ هـ ، من يد ابن الأحمر . ومن طنجة تسرب البرتغال الى أصيلا وأنفا عام ٨٧٤ هـ ، ثم مدينة الجديدة فأخذوها عام ٩٠٧ هـ ، ثم العرائش عام ٩١٠ هـ ، وأكادير عام ٩١٢ هـ ، وأزمور ٩١٤ هـ ، والمعمورة عام ٩٢٠ هـ ، ازدادت أطماع البرتغال فتاقوا لتملك سائر سواحل المغرب ، وفيما هم في محاولة أخيرة للاتفاق مع احد العملاء لكي يحتفظ البرتغال بكل الساحل على أن يحتفظ السعديون بالداخل ، وفيما هم يخططون لتنفيذ المؤامرة كانت الجيوش المغربية في طريقها ، وفي مقدمتها علماء المغرب والطلبة . . وكانت معركة وادي المخازن سنة ٩٨٦ هـ ، شمال مدينة فاس . هذه المعركة التي قلنا إنها غيَّرت وجه تاريخ البرتغال ، صرع فيها ملك البرتغال سباستيان مع سائر الذين تواطؤوا معه [116].

وكان العلماء والشعراء عرفوا ما أصاب البرتغال من تصدع في سائر أطراف المعمورة ، من المحيط الى الخليج ، فخاطب المنصور السعدي وزيره عبد العزيز الفشتالي صاحب المناهل في أعقاب هذه المعركة بقوله :

فكم هنّأت أرض العراق بك العلا ۝ ووافت بك البشرى لأطراف عمان

لقد تبارى رجال الدين والعلم في مطاردة الأجنبي ، وقدّموا نفوسهم ، فمنهم من استشهد ومنهم من أسر ، ومنهم من عطب ، وهكذا تحولت المجالس الى مجامع لحض الناس على الجهاد والترغيب في التضحية ، وعُبِّئت سائر الطاقات لدفع الضرر عن البلاد .

ولم يقتصر الأمر على هذا ، فان التآليف العلمية نفسها توقفت ، لتخلّفها التآليف الجهادية التي كان لها أكبر الفضل في تنبيه الناس للحفاظ على هذا التراث العظيم الذي نشاهده اليوم .

وقد كان البديل الضروري لذلك الانقطاع وذلك الانصراف ، هو التفريط قليلاً في المستوى العلمي بجامع القرويين ، الأمر الذي يفسر خلو فاس في تلك العهود من القاصدين لمجالسها ومعارفها . فاذا أضفنا الى كل هذه المآسي الخارجية الظواهر الطبيعية التي تمثلت في الأوبئة التي أصابت البلاد وأتت على جمع كبير من العلماء والأعيان ، وخاصة وباء عزونة منها عام ٨٤٦ هـ ، أدركنا أبعاد النكسة الثقافية في البلاد [١١٧] . وقد ودعت هذه المرحلة من تاريخ القرويين ، وبها اثار من جروح ، كان من حظ الدولة العلوية أن تضمدها بما عملت عليه من تطهير شواطئ المغرب مما نتحدث عنه .

° ° °

نصيب المرأة المغربية من التعليم بالقرويين

إن « القرويين » التي كانت من تأسيس سيدة من فضليات فاس ، كانت ذات فضل كبير على تثقيف السيدات المتطلّعات ، فقد ظلت بيوت العلماء والفقهاء بمن فيها من بنات وأمهات مراكز علم يتلقّن فيها ما ينفعهن في دينهن ودنياهن ، علاوة على دور الخلفاء والملوك التي كانت تعنى بتثقيف المرأة إعداداً لها لمشورة الرجل في أوقاته الصعبة [١١٨] .

وكل واحد في المغرب ، وفي فاس على الخصوص يعرف عن العدد الكثير من مدارس البنات التي كانت تعرف باسم « دار الفقيهة » فإن كلّ حي من أحياء المدينة وكل منعرج ، كان يتوفر على طائفة من هذه الدور التي تديرها عادة سيدات أخذن عن أعلام لهم صلة وثيقة بمجالس القرويين [١١٩]

وقد عرف التاريخ المغربي أسماء كثيرات من النساء اللاتي اشتهرن في فاس بنشاطهن العلمي . فبالاضافة الى من عرفناهن في العصر المتقدم ، من أمثال : الأميرة تميمة أخت علي بن يوسف التي كانت تسكن عُدْوة القرويين ، وخيرونة الفاسية التي كان لها يد في نشر العقيدة الأشعرية في نساء فاس ، والشاعرة أم النساء بنت عبد المؤمن التاجر الفاسي [١٢٠] . عرفنا من عالمات هذا العصر : الست سارة بنت أحمد بن عثمان (٧٥٠ هـ) الأديبة الشاعرة التي بلغت من ثقافتها أن افتخر ابن سلمون (٧٤١ هـ) بإجازتها له . وقد تبادلت الشعر مع ابن رشيد الفِهري على ما نعرفه في الملحق الخاص بأعلام القرويين .

كما عرفنا الفقيهة المُفْتِية أم هانئ العبدوسة . وشقيقتها الشيخة فاطمة من الأسرة التي اشتهر بالعلم رجالها ونساؤها على السواء [١٢١] . والسيدة الفقيهة أم البنين جدة الشيخ زروق . وقد كن يحضرن دروس الشيخ العبدوسي (٨٤٨ هـ) صاحب نظرية التحديد من النسل [١٢٢] .

وقد كان ضمن المجموعة الخيّرة عدد آخر من أهل القرن التاسع [١٢٣] .

ومع أن هؤلاء السيدات كُنّ يزاولن دراستهن في « الدور » المخصصة لهن . فإن هناك في القرويين أماكن كانت تساعد من حيث موقعها على حضور المرأة للاستماع مباشرة من كبار المشايخ مثل ما يسمعه الطلاب .

وان في مبنى الأسبوع الأعلى . أو مصرية المفتي . دليلاً على ذلك . فقد كان لها مطلع خاص من جامع

الجنائز . . . وكانت تشرف على أهم كرسي علمي عرفته القرويين في تاريخها الفكريّ ، كما أن في مستودع ابن عباد الخاص بالنساء الذي كان يشرف على كرسي ظهر خصة العين ما يؤكد مشاركة المرأة للرجل في الأخذ بجوانب المعرفة ، وهي الظاهرة التي لم يخل منها عصر من عصور فاس منذ تأسيسها الى يومنا هذا .

العلماء والسياسة

لعل أصدق من يستطيع المقارنة والمفارقة بين الأمرين المتقابلين هو نفسه الشخص الذي باشر الامرين كليهما معا . وقد أعرب ابن خلدون العالم السياسيّ عن رأيه في مزاولة العلماء للسياسة .

ان مفاهيم العلم في نظره غير مفاهيم السياسة ، لأن مفاهيم العلم لها صبغة الدّوام ، بخلاف الأخرى فان لها طابع التوقيت ، كل حالة سياسية تقتضي حلا قد يكون غير الحل الذي يختار في اليوم الموالي لنفس تلك الحالة نظراً لتغير الشخص والزمان والمكان[١٢٤] .

ومن أجل هذا كان للمبادرات في باب السياسة أثر كبير في نجاح السياسيين ، وعلى العكس من ذلك العلم فإنه يقتضي وقتاً لقياس الأمور بأشباهها ونظائرها . لقد مارس ابن خلدون الأمرين معاً . وهو في نظرياته ليس ينقّص قطعاً من زعامة العلماء السياسية ، وقد ظلوا منذ فجر الإسلام قادة للدولة . ولكن القصد الى حمل العلماء الذين يزاولون السياسة على أن يتبينوا جيداً المفاهيم ، ويلبسوا لكل حال لبوسها .

إن تعاليم الاسلام تقضي بعدم انفصال الدين عن السياسة ، المسجد صعيد للأمرين معا ، ولهذا نجد الجامع في الأيام الأولى للاسلام كان لا يبعد عن دار الإمارة ، كما كان الأمر في المدينة المنَّورة والفسطاط ودمشق والبصرة والكوفة وفاس : الخليفة يصلي بالمسلمين ، وبتزكية المنبر تتم بيعة الملوك ، وبتجريحه تسقط الدولة[١٢٥] ، وعليه تذاع البلاغات الرسمية .

ومن هذا المنطلق نرى القادة على أعلى مستوى ، لم يكونوا فقط يهرعون الى العلماء باعتبارهم الملاذ الوحيد ، ولكنهم كانوا يتلذذون بانتقادهم ومتابعاتهم ، يجدون فيها وقعات الجَرَس المحبّب الذي يهدي الى الطريق السوي .

وكما حدث التاريخ بالمصارحة القاسية التي واجه بها القاضي أبو يحي السلطانَ يوسف بن تاشفين لما فرض « المعونة » على الناس من أجل الجهاد[١٢٦] ، كذلك كان موقف الشيخ أبي زيد التلمساني (ت ٧٤٣ هـ) لما دعا السلطان أمير المؤمنين أبو الحسن الناس الى الإعانة بأموالهم على الجهاد ، فقال له أبو زيد : لا يصلح لك هذا حتى تكنس بيت المال ، وتصلي فيه ركعتين ، كما فعل عليّ بن أبي طالب[١٢٧] رضي الله عنه . وقد قام الإمام أبو الحسن الزرويلي المعروف بالصغير (ت ٧١٩ هـ) بجَلْد سفيرٍ لابن الأحمر ! لأنه تجاهر بشرب الخمر على مرأى من المارة ، واعتصم بالمسجد الجامع ، ولما تطارح ذلك الأندلسي على بعض الوزراء أرسل هذا الوزير أعوانه للنيل من القاضي ، لكن هذا نادى بالثورة على أولئك الأعوان ، فثار الناس . . ولما علم السلطان أبو الربيع بالحادث ، انتقم من رُسُل الوزير ، وانتصر للقاضي الزرويلي[١٢٨] .

وقد اشتهروا بالتدخل من أجل المشاركة في حل المشكلات السياسية على الصعيد الدولي أو على الصعيد الوطني ،

وكان رأيهم هو القول الفصل ، لأن « الرجوع الى الشرع » كان – ولا يزال – شعار كل الناس في هذه البلاد . ولما تطاول الوزير اليهودي هارون على بعض النساء الشريفات من أهل فاس ، فزع الناس الى الشيخ عبد العزيز الورياكلي خطيب جامع القرويين . . وكانت الثورة التي أودت بحياة هارون ، وأسقطت دولة عبد الحق بن ابي سعيد [١٢٩].

وقد أبى العلماء ان يخضعوا للضغط الذي فرضه السعديون من اجل الحصول على تأييد رجال القرويين . إنهم كانوا يرون أنه لا داعي هناك يستوجب خلع طاعتهم للوطاسيين ، وفضلوا أن يلقوا الله أوفياء شهداء دون أن يُسْلِموا القياد ، ولم تفزعهم التهديدات ولا نصب الحصون « والباسْتيونات » على مدينتهم [١٣٠] .

وقد احدثت اطماع الاجنبي في البلاد ، وتخاذل بعض القادة عن ردع تلك الاطماع ، ردود فعل عنيفة لدى العلماء ، فاصدروا الفتاوى ، وألَّبوا المشاعر ، فبرهنوا بذلك على عزمهم على دخول المعتركات السياسية . وهكذا احتفظت لنا بطون كتب التاريخ بنص رسالة التأييد التي حررها علماء القرويين رداً على الامير محمد السعدي الذي سمح لنفسه بالاستنجاد بسان سبَستيان ملك البرتغال ضد أبناء وطنه وافتوا فيها بردة من استنصر على المسلمين بالنصارى [١٣١] ، الامر الذي كان من آثاره الاجهاز على العمالة والخيانة في معركة وادي المخازن .

ولا بد من التنبيه الى ناحية جميلة من وعي العلماء ونضجهم السياسي ، فإنهم وقد نكبوا بالامس في مشايخهم على أبواب القرويين من قبل السعديين ، نسوا معارضتهم والتفوا حول الحكم السعدي صفاً واحداً لمجابهة المعتدي في معركة وادي المخازن جاعلين المصلحة العليا والواجب الوطني فوق كل اعتبار .

ولم يجد المنصور السعدي في اعز ايامه بداً من استفتاء علماء القرويين عندما ازمع على فتح السودان [١٣٢] . والى جانب هذا عاد العلماء الى مناهضة المأمون الذي ضعف أمام النوازع فسلّم مدينة العرائش عام ١٠١٩ هـ للأسبان ، بعد ان كانت خلصت من يد البرتغال ، تلك المناهضة التي تحولت الى المناداة بالثورة والتجاء الشعب الى العلماء ، وكان للتدخل أثر قوي في الاجهاز على ذكر السعديين [١٣٣] .

وقد كان للعلماء الكلمة الفاصلة في بعض المستوردات الاجنبية مما اخذ يتسلل الى المغرب نتيجةً لمزيد اتصاله بالخارج ، فقدوضعت مسألة تناول (طابة) التي وردت مع بعثة سودانية اول الأمر سنة ١٠٠٧ هـ ، ووضعت كذلك المنتوجات كلها من لباس وصابون وسكر ، بل وبعض المسليات من كارطة وضامة وشطرنج وكرة . . . وكان للحديث عن القهوة والشاي ذيول .

* * *

ولما حاول بعض رجال الحكم ان يتذرع بالكلمة التي اشتهرت عن الامام مالك : بجواز قتل ثلث العامة لمصلحة الثلثين لينال من بعض المعارضين ، انكر العلماء نسبة ذلك القول الى مالك معلنين « ان الطريق للاصلاح المشروع انما هو اقامة الحدود المسنونة من قبل الله والرسول ، كيف وعندما سئل الامام مالك عن مركب للعدو فيه مسلم واحد : هل يغرق ؟ اجاب : لا [١٣٤] . »

هذا ولم يكن العلماء دعاة نظريات ، يرتضون بالمواقع الخلفية ، ولكن لهم وجوداً دائماً في المقدمة يؤكد أن مواقفهم السياسية صادرة عن اقتناع وايمان .

ولهذا نجد فيهم عدداً كبيراً من الذين شاركوا في مختلف المعارك ، وتحصنوا بعدد من الرباطات ، من أمثال : الورياغلي (٨٩٤ هـ) ، وابن غازي (٩١١ هـ) ، والبهلولي (٩٤٣ هـ)[١٣٥] ، وأبي المحاسن (١٠١٣ هـ)[١٣٦] ، وابن القاضي (١٠٢٥ هـ) ، والقنطري (١٠١٨ هـ) ، وابن عاشر (١٠٤٠ هـ) .

علماء القرويين والرحلة للخارج

كان ابن خلدون على حق عندما علق أهمية كبرى على فوائد الرحلة بالنسبة الى الذين يفضلون الطريق الأسلم للتضلع من العلم ، والتمكن من السند الصحيح ، ولم يفته أن يُنحي باللوم على علماء فاس من الذين لم تكن لهم عناية بالرحلة ، في حينٍ أشاد فيه بعلماء الأندلس الذين تعودوا الرحلة لتلقيّ العلم من « أربابه » في المشرق[١٣٧] .

ولكن ابن خلدون كان يميل الى المبالغة التي يقصد بها المؤرخون عادةً حث الناس على بذل المزيد من الجهد ، والا فبماذا نفسر تعاقب العدد الكثير من العلماء على بلاد المشرق ، سواء في مناسبات الحج وغيرها . . . ؟ وبماذا نفسر تأثير علماء المغرب في رجال المشرق . . . ؟

وقد كان الرحالة الى المشرق أوفر عدداً من المشارقة الذين يؤمون المغرب ، للحج اولاً ، ولبُعْدِ المغرب عن الصروف والظروف التي استهدف لها المشرق باستمرار .

.وقد أحصى المقَّريّ زهاء ثلاث مئة من المغاربة ممن رحلوا الى المشرق ، ولكنه لم يجد أكثر من زهاء واحد وسبعين ممن تحقق فيهم العكس . بالرغم من أن المغرب كان الأمل المرتجى للوجود العربي والاسلامي في الأندلس . .

وقد لوحظ أن معظم الذين رحلوا الى المشرق كانوا من مدينة فاس . وهذا وحده يدل على أن المدينة كانت بالفعل حاضرة المغرب ، وأنها جمعت خيار القيروان وقرطبة[١٣٨] . . .

ولعل أبرز ظاهرة في العلماء المغاربة الذين رحلوا أنهم استطاعوا أن يدخلوا مذهب الإمام مالك الى بعض الجهات في المشرق ، وخاصة مدينة الاسكندرية ، بالرغم من أن المذهب الرسمي للدولة في تلك الجهات كان المذهب الحنفي[١٣٩] .

وقد ظلت صلة علماء القرويين برجال الأزهر جد متينة كما تدل على ذلك الاستفتاءات التي كانت ترحل وترد الى رحاب القاهرة فيما يتعلق بأمر القبلة بفاس على سبيل المثال .

وكما كانت العلاقة بعلماء الأزهر متينة ، فانها كانت كذلك على أحسن ما ينبغي أن تكون عليه مع علماء تونس وبجاية وتلمسان ، وعلماء تنبكتو في السودان ، هذا طبعاً الى العلاقة بعلماء الأندلس الذين كانوا يعدون أنفسهم كما هو الحال مغاربة .

وحتى في الظروف العصيبة التي مر بها الأزهر في مصر ، والزيتونة في تونس عندما اقتحم الاستعمار تلك وهذه وقضى – أو حاول في الأقل – ان يقضي على مقومات تلك المراكز[١٤٠] ، حتى في تلك الظروف ظلّت القرويين الحصن المنيع الذي يستجيب لرغبات تلك البيوت الكبيرة الأسيرة .

ولا ينسى التاريخ حلقات دروس الأبلي وابن خلدون واليسيتني والقصار وزروق والمقّري وابن القاضي في المشرق .

كما لا ينسى جولات المشايخ الذين كانوا يرافقون الركب الملكي الى تونس . كما لا ننسى ترحيب القرويين بالشيخ خروف التونسي (ت ٩٦٦ هـ) بعد نكبة الزيتونة [١٤١].

ولم تقتصر فائدة الرحالة من العلماء على بلادهم ، أو البلاد التي زاروها ، بل هي تجاوزت ذلك الى أشخاصهم هم ، الى مؤلفاتهم ، الى أفكارهم ونظرياتهم . ومما ينبغي التسليم به أن الذين استطاعوا أن ينفذوا الى خارج البلاد ، كان ذكرهم أدوم ، ونفعهم أشمل ، لأنهم فتحوا عيونهم على ما لم يعرفه الآخرون . ونظرة الى ما استطاع هؤلاء نشره من مؤلفات وشروح وحواش تكفي في التدليل على ذلك .

العلماء السفراء

العلماء مهيؤون بطبعهم اكثر من أي طبقة اخرى للقيام بمهمات السفارة ، فان تدرجهم طوال فترات طلبهم من استاذ الى استاذ يكسبهم انضباطاً مفرطاً امام مَن يتقدمهم خبرة ومركزاً ، وان ممارستهم اليومية لاداب المعاملة والمخاطبات وحفظهم لاخبار الماضين ، جعل منهم عنصراً مرغوباً في الاستئناس بحديثه ثم ان ما جبلوا عليه من حب اصلاح ذات البين بين الناس كان عاملاً قوياً في تكليفهم بتلك المهمات

ولا أدع السفارةَ بين قومي ولا امشي بشّر ما مشيت !

على ان هناك باعثاً مهماً كان يدعو الملوك والامراء لترشيحهم ، ذلك انهم بحكم أنهم رجال دين يعرفون سلفاً ما يجوز الاقدام عليه والبت فيه من اتفاقات ومعاهدات ، ولذلك تكون بوادرهم غير مهددة بانتقاد الشعب ومتابعته ضرورة ان العالم الفقيه مؤتمن على ما يقوم به .

والحقيقة ان ارتباط مصالح الدولة الاسلامية بمصالح الدول الأخرى وضع عدداً كبيراً من الأسئلة ، ما كانت تجد لها حلاً لولا فتاوى هؤلاء العلماء الذين كانوا يواكبون الأحداث ويعالجون الأمور كما تقتضيه مصلحة المسلمين العليا :

وإلى جانب كل تلك الاعتبارات ، نجد ان صراحتهم وحرصهم على عدم اخفاء الحقائق تجعل منهم قوماً جديرين باعتماد اقوالهم ، على عكس الآخرين الذين يجنحون للمخاتلة والتملق والتصنع . وقد قال لسان الدين بن الخطيب : « حضرت يوماً بين يدي السلطان أبي عنان في بعض وفاداتي عليه لغرض الرسالة ، وجرى ذكر بعض أعدائه فقلت ما اعتقد في إطراء ذلك العدو وما عرفته من فضله ، فأنكر عليّ بعض الحاضرين ممن لا يخطب الا في حبل السلطان ، فصرفت وجهي ، وقلت : ايدكم الله ، تحقير عدو السلطان بين يديه ليس من السياسة في شيئ بل غير ذلك احق واولى ، فاذا كان السلطان قد غلب عدوه كان قد غلب غير حقير ، وهو الاولى بفخره وجلالة قدره ، وان غلبه العدو لم يغلبه حقير ، فيكون اشد للحسرة وألد للفضيحة .

فوافق رحمه الله على ذلك ، واستحسنه ، وشكر عليه ، وخجل المعترض [١٤٢] .

ولم يكن العلماء المغاربة أقل مرونة وتفهماً من القاضي اسماعيل بن اسحاق الجهضمي (ت ٢٨٢ هـ) قاضي قضاة المالكية في بغداد عندما وقف لاحد الوزراء المسيحين [١٤٣]. ولهذا نرى ان ابن القطان (ت ٦٢٨ هـ) يفتي الناصر الموحدي بجواز الوقوف للسفراء والامراء على سبيل المجاملة ، أو المقابلة بالمثل التي لا تعد عن ذلة [١٤٤] .

وقد عرف التاريخ المغربي عدداً مهماً من العلماء الذين قاموا بهذه المهمة الشريفة ، كانوا مثلاً يحتذى في

علمهم وكفايتهم وموهبتهم ، نذكر منهم الشيخ أبا الحسن الصغير الزرويلي (ت ٧١٩ هـ) سفير سليمان حفيد يعقوب الى الأندلس ، وابن وردار (ت ٧٥٨ هـ) سفير أبي الحسن الى المشرق ، والأستاذ ابن أبي يحيى التازي (ت ٧٥٨ هـ) الاستاذ بمدرسة الصهريج وسفير أبي الحسن الى غرناطة ، والشيخ السطي (ت ٧٥٠ هـ) سفيره لخطبة اميرة تونس ، والكاتب بو طالب (ت ٧٥٢ هـ) سفيره الى مالي من السودان ، وابن عبد الرزاق (ت ٧٥٨ هـ) ، والمقّري الجد (ت ٧٥٨ هـ) ، وابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) السفير لدى أبي عنان ، وابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ) السفير المتنقل ، وابن مرزوق الجد (ت ٧٨١ هـ) ، وابن الوزان (ت ٩٢٦ هـ) ، والفقيه الجزولي (ت ٩٨٨ هـ) ، وابن القاضي (ت ١٠٢٥ هـ) ، والفشتالي (ت ١٠٣١(١) هـ) [١٤٥]

والطريف في حياة هؤلاء السفراء أنهم كانوا يتحلون بخفة دم ، ودماثة خلق ، ومتانة علم ، ومعرفة باللغات ، واستعداد فطري للاندماج والتفتح ، أثار اعجاب الذين كتبوا فيهم ، وكنا نقرأ سيرَهم وكأنها مثل ناطق مما تحدث به ابن الفَّراء عند أول القرن الخامس في كتابه (رسل الملوك ومن يصح للرسالة والسفارة) وكان في تقدير سفرائنا الأوائل أن أحكام الفقه تُعفي السفير من عدد من القيود ، بل إنها أي الأحكام تقتضي منه أن يحافظ على بعض الرسوم مما من شأنه « أن يرهب » الذين اعتُمد عندهم ذلك السفير بحيث إنهم كانوا يحافظون على حسن الرواء والمنظر ، ويحرصون على التجميل بكل ما أمكن ، لأن العامة ترمق الزيّ أكثر مما ترمق الكفاية ! وهكذا فان بعضهم كان يلبس الحرير ، ويتختم بنفائس الأحجار ، ويتطيب بأحلى العطور ، ويخضب شعره . وكان فيهم من يحسن لعبة الشطرنج ، ويعرف لغات أخرى [١٤٦].

وقد ورد في كتب الفقه الإذن لخَدَمة السلطان وجيشه بلبس الحرير ، والتحلية بالذهب والفضة ، لإرهاب العدو ونحوه ، بل إن بعض الفقهاء دعا الى اتخاذ زي خاص بالسلطان ونوابه وخدمته [١٤٧] .

وقد ورد في نفح الطيب نقلاً عن كتاب عائد الصلة : أن العلماء والطلبة اجتمعوا بالسفير التازي في اثناء مهمته الدبلوماسية بغرناطة ، فاغتنموا الفرصة ، وأخذوا بها عنه ، وأضفوا عليه من الصفات ما هوجدير بالسفراء من أمثاله ، حيث حكموا أنه كان تام السِّراوة ، حسن العهد ، مَليح المجلس ، أنيق المحاضرة ، كريم الطبع [١٤٨]، صحيح المذهب [١٤٩].

وورد من وصف السفير المقّري أنه «كان سليم الصدر ، صادق القول ، يكره التصنع ، ويكثر الهشة ، وينصف في المذاكرة [١٥٠]. »

ويتعرض السفير أحياناً لمآزق يكون عليه فيها أن يجد لنفسه مخلصاً ، والا استهدفت مهمته للاخفاق ، لكنه اذا كان يتوفر على مزيد من الاطلاع والمعرفة في سائر الميادين أمكنه أن يستفيد من ذلك لتحويل الإخفاق الى نجاح ، والهزيمة الى نصر : « وضرب الله مثلاً رجلين ، أحدهما أبكم لا يقدر على شيئ وهو كَلٌ على مولاه أينما يوجّهْه لا يأتِ بخير . . » .

ونذكر في هذا الصدد الواقعة التي خرج منها السفير ابن مرزوق مظفراً [١٥١] منصوراً عندما كان بتونس ، في سفارته بها ، أن يقرأ لهم بمحضر السلطان ، فأجابهم لذلك بعد أن عينوا الموضوع ، فاستعد للدرس . ولما اكتمل الجمع في اليوم الموالي ، لَذَّ لبعض المشايخ ، بدافع من المنافسة المعهودة بين العلماء ، أن يوعزَ لسَارد الدرس بتغيير

الموضوع حتى يُربك السفير ! وفوجئ ابن مرزوق بقارئ المجلس يتلو : (فمثله كمثل الكلب إن تحملْ عليه يَلْهَثْ أو تتركه يلهث) وأرادوا بذلك علاوة على الإرباك أن يُعَرِّضوا به ، وعوض ان ينبه السَّارد الى ما تمّ الاتفاق عليه قبل ، تقبل الموضوع برباطة جأش شأن الدبلوماسيين الناجحين ، وبادر فانتقم لنفسه باسلوب لاذع بارع ، وأخذ في درسه مستهلاً بالميزة التي اختص الله بها الإنسان على سائر الحيوان ، وتخلّص الى الحديث عن الكلاب وما فيها من الخصائص المحمودة مستدلاً على كل خصلة بما قيل فيها من عيون الشعر وغريب القول :

وفاء الكلاب لأصحابها ، وتحملها العطش والجوع ، وصبرها على الحر والقر ، وحرصها بالطبع على الحراسة والسباحة ، وتفوقها في الخفة والعدو . أمضى في ذلك من الصبح الى الظهر ، في طرفة ومتعة أنست الحاضرين ما هدفوا اليه من كيد ، حتى اذا اقترب من نهاية الدرس ، قال متخلصاً ومعرِّضاً كذلك : « لكن هناك رذيلة واحدة ذميمة أنست الناس سائر مزايا الكلب ، وهي التي جعلته في أرذل الحيوانات ، ألا وهي أنه لا يحترم أصول آداب الزائر ، فهو ينبح ضيوفه على الدوام ! ! » وكانت هذه الكلمة خاتمة الدرس[١٥٢].

* * *

اثر القرويين في الاستشراق

ساعد قرب المغرب لأوربا من ناحية ، واستقباله للعدد الكبير من البعثات الأجنبية من جهة أخرى ، على أن يسهم بحظّه في تغذية الدراسات الاستشراقية التي ظهرت منذ زمن ، كما أنه كان لبعض علماء فاس من الذين وقعوا في الأسر شأن مهم كذلك في تعريف هذا الطرف بالطرف الآخر .

وقد نقل التاريخ عن اسهام ابن الوزان أوليون الإفريقي في مساعدة طلبة (بولونيا) بايطاليا على التعريف بالعربية وبتقاليد الإسلام والمسلمين ، وبخاصة في الجهة التي ينتسب اليها : إفريقية . ويعد كتابه (وصف إفريقية) من أجلّ الكتب وأجمعها لأحوال هذه البلاد الاجتماعية والفكرية والجغرافية . وقد تحصّل في واقع الأمر من مجموعة المحاضرات والدروس التي كان يلقيها على طلبته في تلك الجامعة العتيقة .

وكما وجدت بولونيا في ابن الوزان رسولاً وفّر عليها عناء الرحلة الى هذه الديار ونقل اليها صورة صادقة عن جوّ جامع القرويين ، وجدت ليدن في هولاندا ثروةً ، أفادتها عندما عاد كوبيس خولييس من زيارة فاس بما حمل معه من مخطوطات نفيسة نادرة كان لها أثرها في رفع ذكر جامعة هولاندا .

وقد قصدت جامعة لوفان (بلجيكا) بإرسال نيكولا كلينار الى مدينة فاس أن تحسِّن معارفه ، وتقوي معلوماته ، ليعود اليها أستاذاً قوياً في اللغة العربية .

وبالرغم من أن كلينار لم يتمكن من مجاوزة غرناطة في عودته ، فقد كانت رسائله قد وصلت قبله ، وهي ليست رسائل عادية ، ولكنها معلومات جدّ ثمينة عن الحالة الاجتماعية والجو العلمي لمدينة فاس . مما دعا الأكاديمية الملكية ببلجيكا لنشرها في ثلاثة مجلدات .

وكما كان للقرويين بالأمس فضل ازدهار الاستشراق ، على يد سيلفيستر الثاني كما سلف في المرحلة الأولى فانها – كما رأينا اليوم – ساعدت على ترقية البحث العلمي في اروبا ، كما أسهمت في تضييق الفجوة بين العالمين

الإسلامي والمسيحي ، ونعتقد أنه لولا العدوان الذي تعرضت له مدينة سبتة منذ وقت ، لكان لهذه الاتصالات توابع أبعد أثراً ، وأوسعَ مدى . ومع ذلك استمرت جامعة فاس أمثولةً تذكر على الدوام في مختلف جهات الدنيا .

* * *

خزانة القرويين الكبرى

لقد تضاعفت الثروة التي عُرف بها العهد المرابطيّ والموحديّ فيما يتعلق بالخزائن العلمية . . . وهكذا لم يكتمل عهد بني مرين حتى كانت جامعة القرويين نفسها مزدانة بعدد من الخزائن العامة التي يغشاها الطلاب والعلماء على السواء، واهتم الملوك المغاربة في دولة بني مرين باغناء المكتبة المغربية بكل انواع الكتب، في شتى العلوم والفنون على ما اشرنا إليه عند الحديث عن مكتبة السلطان أبي عنان....

وفي الوقت الذي كانت فيه الدبلوماسية المغربية تعنى بتتبع الاحداث ، وبالتوسط لفك الخصومات واسداء المعونات وعقد الاتفاقيات ، في ذلك الوقت ايضاً كانت تهتم بالتقاط المخطوطات العربية وانتساخها ، وافتدائها واسترجاعها . . تستعمل في ذلك كل نفوذها وتبذل الغالي والنفيس من أجل توفيرها للقارئ المغربي .

وقد اغتنم العاهل المريني ابو يوسف يعقوب هدنة ١٥ ربيع الأول ٦٨٤ مع القشتاليين ليعرب عن الرغبة في الحصول على «كتب العلم التي كانت بايدي النصارى منذ استيلائهم على مدن الاسلام» وقد استجاب ملك قشتاله الدون صانش (Sanche) [١٥٣] فاهدى للمملكة المغربية ثلاثة عشر حملاً من أنفس الكتب[١٥٤].

وقد كانت هناك سوق للمخطوطات لبيع الكتب بالمزاد[١٥٥] العلني ايام بني وطاس كانت تعقد بصحن جامع الجنائز بين باب الخلفاء وباب مجلس القضاء .

وقد كان المنصور السعدي يبعث بسفرائه الى البلاد المشرقية ليزوّد الخزائن المغربية بما ينقصها من الكتب التي تعالج سائر العلوم والفنون[١٥٦].

ولم يعكر صفو العلاقات المغربية الفرنسية الا حادثة سطو (Castelàne) على المكتبة السعدية المتنقلة التي كانت تحتضن ثلاثة وسبعين حملاً ، تضم ثلاثة الاف من المخطوطات المغربية .

* * *

وفي مقابلة هذا الحرص على الكتاب العربي كانت هناك من جهة أخرى أريحية لتعميم الفائدة بالمخطوطات التي يستأثر بها المغرب ، وهكذا فقد كان الملوك والامراء يعمدون الى انتساخ الكتب النفيسة والقيمة ليبعث بنظائرها الى المشرق ، احياناً في شكل هدايا واحياناً في شكل مبادلات .

وقد تميزت صلة ملوك المغرب ، وخاصَّة السلطان أبا الحسن المريني مع الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر والشام والحجاز بتبادل النفائس والخرائد – واهدوا لحرم مكة والمدينة والقدس مصاحف كبرى عظيمة جليلة اعتنوا بها غاية الاعتناء ، وفيها ما كتبوه بأيديهم ، وجمعوا الوراقين لتنميقها وتذهيبها ، ووضعوا لها الأغشية المطرزة بالأبنوس والعاج والصندل والاوعية الملبّسة بصفائح الذهب والمرصعة بالجواهر والياقوت[١٥٧] وليس للبلاد المشرقية

وحدها ولكن لبعض البلاد الأروبية التي كان يهمها أن تعرف بعض المعلومات عن تاريخ المغرب في العصر الوسيط[١٥٨] أيضاً .

ولقد عرفنا عن مبنى كل من الخزانة المرينية والخزانة السعدية كما سنعرف عن الخزانة العلوية التي انشئت جميعها بحرم القرويين في شمالها وجنوبها، لكن محتوى تلك المباني ظلّ غير معروف بكل ضبط، فإن عناية السلف بأمر التدوين والتسجيل كان ضعيفاً إن لم يكن معدوماً، وقد عرفنا من خلال بعض المؤلفات القديمة طائفة من عيون الكتب التي كانت تحتضنها رفوف تلك الخزائن.

* * *

ولقد استطاعت الخزانة بالرغم من أنواع التدخلات أن تحفظ بملامح الصورة التي شاهدها عليها بعض العلماء القدامى، كما تمكنت من صيانة طائفة مهمة من المخطوطات النادرة أو المفقودة مما لا نظير له في مختلف المكتبات في العالم.

• في مكتبة القرويين العدد الوافر من المصاحف في مختلف الأحجام وعلى شتى الاشكال ، ما بين مكتوب على رق الغزال ، ومكتوب في الكاغد الشاطبي القديم .

ومن أهم المصاحف في الخزانة ، المصحف الأكبر الذي حبسه السلطان أحمد المنصور الذهبي عند تدشين الخزانة سنة ١٠١١هـ[١٥٩]

وفي الخزانة العدد الكبير من التفاسير ، واكثرها مكتوب بخطوط متقنة ، وقد وشيت هوامشها بتعليقات وتصحيحات تبين عن مدى الاهتمام العظيم بها . ومن أهم تلك التفاسير : تفسير الإمام الطبري (٣١٠ هـ) ، وتفسير ابن أبي زمنين[١٦٠] (٢٩٩ هـ) ، وتفسير الباقلاني (٤٠٣ هـ) ، والثعلبي (٤٢٧ هـ) ، والهروي (٤٣٤) ، والماوردي (٤٥٠ هـ) ، والبَغَويّ (٥١٠ هـ) ، وتفسير ابن عطية (٥٤٢ هـ) ، وتفسير القرطبي (٦٧١ هـ) ، والرازي (٦٠٦ هـ) ، والشاطبي (٦٧٢ هـ) ، والكواشي الشافعي (٦٨٠ هـ) ، والبيضاوي (٦٨٥ هـ) . وأبي حيان (٧٤٥ هـ) ، وابن مكتوم الحنفي (٧٤٩ هـ) ، والبقاعي (٨٨٥ هـ) ، والسيوطي (٩١١ هـ) .

ومنها نصيب مهم من كتب الحديث الشريف ، فهنا نسخة من مختصر أبي مصعب الزهري (٢٤٢ هـ) وهو من النفائس التي لا يظن أن لها نظيراً في العالم الإسلامي[١٦١] ، وجزآن من سيرة ابن إسحاق ((١٥١ هـ) كتبت سنة ٢٧٠ هـ ، وهو أقدم خط في الخزانة ، ومنها نسخة من الموطأ للإمام مالك (١٧٩ هـ) في عدة اجزاء مكتوبة على رق الغزال ، وبهوامشها تعليقات كتبت خصيصاً للخزانة الخاصة بأمير المؤمنين عليّ بن يوسف بن تاشفين[١٦٢] ، ومن الفرائد هنا مُسْنَد عبد بن حميد (٢٤٩ هـ) . ونسخة من صحيح البخاري (٢٥٦ هـ) في خمسة أجزاء بخط الحافظ بن سعادة وعليها خط وإجازة شيخه الحافظ الصدفي[١٦٣] ، وصحيح مسلم نسخة ابن خير وهي تضارع نسخة ابن سعادة في الاعتماد عليها[١٦٤] ومحاذي الموطأ للمهدي بن تومرت (٥٢٤ هـ) على رق الغزال . وبأولها سند عبد المؤمن بن علي عن المهدي بن تومرت .

ومنها العدد الكثير من كتب الفقه المالكي : المدونة على اختلاف الخطوط . هنا الخط الاندلسي والمشرقي . وهنا المكتوب على الرق والكاغد . . هنا اسفار من التهذيب لابن البراذعي (٤٠٠ هـ) . وكتاب التلقين للقاضي عبد

الوهاب (٤٢٢ هـ) ، البيان والتحصيل لابن رشد الجد (٢٥٠ هـ[٢]) ، والطُرر لابن عات (٦٠٩ هـ) ، والجواهر الثمينة لابن شاس (٦١٦ هـ) ، واحكام النظر لابن القطان (٦٢٨ هـ) ، والذخيرة للقرافي (٦٨٤ هـ) ، ودرر الغواص لابن فرحون (٧٩٩ هـ) .

ومنها عدد من كتب التصوف فيها الرسالة للإمام القشيري (٤٦٥ هـ) ، والاحياء للغزالي (٥٠٥ هـ) ،وشرح الحكم لابن عباد (٧٩٢ هـ) .

ومنها عدد مهم من كتب النحو ، نذكر منها الجزولية لأبي موسى الجزولي (٦٠٧ هـ) ، واللباب في علل البناء والإعراب للعكبري (٦١٦ هـ) ، وكتب ابن عصفور (٦٦٩ هـ) ، وابن هشام (٧٦١ هـ) ، وابن عقيل (٧٦٩ هـ) .

ومن كتب اللغة المحاسن والأضداد للجاحظ (٢٥٥ هـ) ، وبعض المؤلفات من مئة مجلد ، مثل كتاب السماء والعالم لأحمد بن أبان صاحب شرطة قرطبة (٣٨٢ هـ)[١٦٥] وقد بدأ فيه بالفلك وختم بالذرة ، والصحاح للجوهري (٣٩٣ هـ) ، والمثلّث للبطلوسي (٥٢١ هـ) ، والقاموس للفيروزبادي (٨١٧ هـ) ، والمزهر للسيوطي (٩١١ هـ) .

ومن كتب التاريخ والادب : حيلة المحاضرة في الادب والاخبار للحاتمي (٣٨٨ هـ) – وكتاب الفصوص لصاعد البغدادي (٤١٧ هـ) ، والامثال للثعالبي (٤٢٩ هـ) – والاحكام السلطانية للسفير الماوردي (٤٥٠ هـ) والسلوان لابن ظفر (٥٦٥ هـ) ، وسراج الملوك للطرطوشي (٥٩٠ هـ) ، والذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي (٧٠٣ هـ) ، وروضة التعريف واعمال الاعلام والطيب الجحام لابن الخطيب (٧٧٦ هـ) والعبر لابن خلدون الذي ألف باسم السلطان ابي فارس واهدى الى خزانة القرويين في صفر من عام ٧٩٩ هـ ، وادب الملوك لابن الازرق (٨٩٦ هـ) ، ونفح الطيب للمقّري (١٠٤١ هـ) ، ومن علم الكلام والمنطق والاصول : مسالك التعليل ، والمستصفى للامام الغزالي (٥٠٥ هـ) ، وابكار الأفكار للآمدي (٦٢١ هـ) وكتب الاصفهاني (٧٤٢ هـ) ، وابن السبكي (٧٧١ هـ) .

ومن الطب والتوقيت والحساب : كتب اسحاق بن حنين الآشوري (٢٩٨ هـ) الاصلية او المترجمة[١٦٦] ، وشرح الفصوص للفارابي (٣٣٩ هـ) ، وكامل الصناعة لعليّ بن عباس (٤٠٠ هـ) ، ومؤلفات الزهراوي (٤٢٧ هـ) ، وارجوزة ابن سينا (٤٢٨ هـ) ، وكتاب ابن بكلارش الذي الف حوالي (٥٠٠[١٦٧] هـ) ، وكتاب ابن الصلت (٥٢٩ هـ) وأرجوزة ابن طفيل (٥٨١هـ)، وهي تحتوي على سبعة الاف بيت، وارجوزة ابن الياسمين (٦٠١هـ) وكتاب الجامع لابن البيطار (٦٤٦هـ) الذي حبسه السلطان المو لى الرشيد، والتوقيت للقرشي (٦٨٧هـ) ، والكليّات، وكتاب الاستقصا، والابرام في علاج الجراحات والأورام لمحمد الشنفرا[١٦٨] (٧٢٣هـ)، وكتاب عمل من طبّ لمن حبّ لابن الخطيب (٧٧٩هـ) الذي الفه لابي سالم بن أبي الحسن المريني، وكتاب التوقيت لابن معيوب (١٠٢٢هـ).

ومن الكتب المترجمة اكثر الكتب التي عربت في العهد العباسي ، في الطب ، والفلسفة ، والرياضيات ومن هذه الكتب المترجمة شذرات من انجيل القديس لوقة ويوحنا كما سلفت الإشارة لذلك[١٦٩] .

الخزائن الفرعية الثلاث والثلاثون

والى جانب خزانة القرويين الكبرى كانت هناك زهاء ثلاث وثلاثين خزانة فرعية[١٧٠] ظلّت تؤدي واجبها الى جانب الخزانة الكبرى .

وبادئ بدء نشير الى دقة التوزيع الجغرافي لهذه الخزائن بالنسبة الى مختلف أطراف المدينة بحسب الأهمية واكتظاظ السكان.

وهكذا نجد أن هناك خمس عشرة خزانة غربي جامع القرويين، وسبعا شماليّها، وخمساً شرقيها، وخمساً جنوبيّها.

ففي الجهة الغربية:

خزانة بمسجد حمام القلعة المسمى مسجد سيدي محمد بن عباد بالقطانين، ومسجد سيدي أحمد الشاوي، ومسجد حلق النعام الأعلى المسمى بمسجد أبي الحسن بالطالعة الكبرى[١٧١]، ومسجد زقاق الماء[١٧٢]، وزاوية سيدي التاودي بن سودة[١٧٣]، ومسجد الشرابليين الكبير، ومسجد الشرفاء الذي هو الحرم الإدريسي، ومسجد بوعقدة الذي هو مسجد الطرافين، ومسجد لالة غريبة بفاس الجديد[١٧٤]، وجامع فاس الجديد (الجامع الكبير)، وزاوية الشيخ عبد القادر الجيلالي بخلوة رأس التيالين، ومسجد ماشان بزقاق الحجر، ومسجد المدرسة العنانية وكان لها قيّم يسهر على إعادة الكتب وارجاعها، ومسجد وادي رشاشة، ومسجد سيدي الحسن السفياني بعين ايصليتن.

وفي الجهة الشمالية:

مسجد الأبارين، وباب عجيسة، ومسجد سيدي بناني[١٧٥]، ومسجد سيدي رضوان الجنوي باللمطيين، ومسجد عيساوة، ومدرسة العطارين قبالة المحراب، ومسجد سيدي أحمد بن يحيى بعقبة الزعتر.

وفي الجهة الشرقية:

مسجد الأندلس[١٧٦]، ومسجد العبادسة بعدوة الأندلس، ومسجد قيمة برحبة التين المسمى جامع الزليج، ومدرسة الصهريج[١٧٧]. وجامع النارنجة بالكدان[١٧٨].

وفي الجهة الجنوبية للقرويين:

مسجد الحمراء بفاس الجديد، ومسجد الرصيف[١٧٩]، ومسجد سيدي احمد بن عبد الله[١٨٠]، ومسجد القلقليين (الشبربي[١٨١])، ومدرسة الصفّارين[١٨٢].

هذه اثنتان وثلاثون خزانة عامة، اذا اضفناها الى خزانة دار الحسبة التي كانت في متناول العموم[١٨٣]، وخزانة مقصورة الفتيا[١٨٤] كان المجموع ثلاثا وثلاثين مركزاً فرعياً يجمع الناس من حواليه للتثقيف والتعليم. ولا شك ان هناك غيرَ هذه الخزائن العامة، عدداً كبيراً من الخزائن الخاصة التي كانت في ملكية بعض الشخصيات الكبرى، وكان – مع ذلك – في الاستطاعة الاستفادة منها والاطلاع عليها[١٨٥]، ونذكر منها على الخصوص في هذا العهد خزانة السلطان ابي الحسن المريني، وخزانة ابي عنان، وخزانة ابي فارس الاول والثاني، وخزانة ابي العباس الوطاسي، وخزانة المنصور السعدي، وخزانة السلطان زيدان.

والى جانب رجال الحكم اشتهر عدد من العلماء بحبهم للكتب وبخزاناتهم الكبرى، نذكر منهم السراج، والمقري الكبير، وابن الغرديس الكبير، والهبطي، وسقين، وابن ابراهيم، والحميدي، والقصار، وابن الغرديس الصغير، وابن القاضي، والدلائي.

وظيفة المحافظ :

كانوا يختارون « القيّم » من ذوي الكفاية والدراية ، والنزاهة والامانة ، وممن لهم الاطلاع بحيث يستقصي جميع ما في الخزانة ، فهو اذن ملخَّص ، حتى لتلك المجلدات الضخام ، ثم يكون في متناولك متى تحدثت اليه ان تلمس الأسرار التي قد تعجز دون الوصول اليها بين ثنايا تلك الكتب ، ولهذا ستجد من بين المناقب الحميدة التي تذكر في تراجم الرجال « أنه كان قيماً للخزانة العلمية » لقد سمعنا عن أبي العباس بن الصقر لما ولاه أبو يعقوب بعد خطبة القضاء ببلنسية ومراكش وخدمة الخزانة العلمية ، أن ذلك كان يدل على علو الوظيفة عند القوم ، والشأن كذلك في الامم الراقية اليوم . فليس في متناول كل واحد أن يصبح محافظ خزانة . وقد كان ممن عرضت عليهم

وظيفة القيّم حين أسست الخزانة السعدية الإمام سيدي يوسف الفاسي (١٠١٣ هـ)(١٨٧) .

كيفية استعارة الكتب :

وقد كان المستعيرون يلجؤون الى الخزانة ، فيتخيرون عدداً محدوداً من الكتب ، ويحيطون القيّم علما ليدون ذلك في قائمة الكتب المستعارة . وظل العمل على ما سمعنا ، لكن ذوي النفوذ والجاه ممن يصعب استخلاص الكتب منهم ، استثمروا نفوذهم أبْشع استثمار ، مما أدى بوكيل الخزانة أواخر بني مرين الى أن يسنَّ نظاماً قاسياً للخزانة ، ذلك أنه منع منعاً كلياً خروج الكتب من الخزانة ، فعلى المطالع أن يحضر بين يديّ القيّم ، ولا يتعدى الحريم الخاص للخزانة ، حتى اذا قضى غرضه ردّ الكتاب الى الرف ، وللمستعير أن يعود في اليوم الموالي ، فالخزانة مفتوحة في وجه العموم سائر أيام الأسبوع ابتداءً من الظهر . غير أن هذا النظام أيضاً عدل بضغط بعض الذين توقف غرضهم على إخراج الكتاب ، وعاد الناس الى النظام الأول ، مما سبب ضياع عدد من المخطوطات(١٨٧).

° ° °

سجلات الأوقاف على هذا العهد

كما قلنا سابقاً فإن القرويين تعتبر اقدس عتبة موجودة في الديار المغربية على الاطلاق ، فلا ضريح هناك ولا زاوية ولا مسجد آخر في اية ناحية عرف بما عرفت به القرويين منذ وضعت اول حجرة في بنائها ليس فقط بالعدد العديد من رجال الفضل والصلاح والعلم من كانوا يقصدونها في مختلف الاوقات من شتى جهات الدنيا ، ولكن أيضاً لأنها المكان الذي عرف من شعاراته الاولى التي لازمته انه بيت تُقًى ، من مال حلال في بلد طيب .

احتاطت فاطمة في ان يكون المال من ارث حلال طاهر ، وانبط البناة البئر داخل حرمها حتى لا يستعمل الناس في المسجد جرعة ماء مجهولة المنبع .

وكأنما وضع الاولون سنة متبعة لكل وارد يرغب في اضافة شئ بها فقد تهرب القاضي ابن داود من ان يقبل عون الدولة عندما عرض عليه الخليفة عليّ بن يوسف بن تاشفين مساعدته لتوسعة القرويين وذلك حتى لا يحيد عن طريق الاقدمين .

وقدم الامام يشكر الشيخ اليازغي للحلف بين المنبر والمحراب على ان امواله حلال ، وذلك عندما تاقت نفسه لتزويد المسجد بدار وضوء .

كما تهرب ابو عبد الله بن ابي الصبر عندما اقترح عليه الخليفة تصليح الصومعة من اموال اعشار الروم . . .

وعندما اراد المغيلي ان يجدد الجدار الشمالي عرض عليه الخليفة خلخالين قال عنهما : إنهما صارا اليه من اخماس الغنائم .

وعندما فرش الصحن من طرف سيدة كانت تنتسب الى قبيلة عرف بعض افرادها بالتساهل ، زهد بعض رجال الفضل في المرور بالصحن كليةً !

تلك كانت طريقة الاولين الذين اسسوها او زادوا فيها ومنعوا الصرف عليها من غير وجه طَاهر طيب حتى لا يتركوها تشكو بلسان الحال الذي هو افصح المقال كما يقول الجزنائي ، وهناك شيءٌ زاد في قداسة القرويين ومناعتها ، ذلك انها من المساجد الاسلامية القليلة التي اسست اسلامية منذ وقتها الاول : الجامع الاموي في دمشق كان كنيسة ، كالشأن في مسجد قرطبة الذي كان أيضاً معبداً للروم . . لكن القرويين اسس على التقوى من اول يوم .

ولما كان الناس يتخوفون ان تلتجئ القرويين في يوم من الايام الى مصاريف رجال الدولة وهم ليسوا جميعاً ودائماً في مستوى واحد من حيث الحيطة والحذر فقد عرف المحسنون والموسرون تلك الحقيقة فعمدوا الى هذا المسجد يُغدقون عليه من « خير وانظف واسلم » ما يملكون حتى يحموا مبدأه ويحفظوا شرفه ، ومن ثمة كان هذا بمثابة تربية للمؤمنين تدفعهم الى التحفظ فيما يملكون حتى يجدوه سائغاً للعطاء ، كل حسب طاقته وقدرته ، وغدت ميزانيتها تنافس ميزانية الدولة ، بل ان الدولة استقرضت من خزينتها في كثير من الاحيان . . عند الازمات الداخلية ، وعند ظروف الحرب[188] التي فرضت على البلاد ، وعند بناء المرافق والجسور الحيوية في البلاد[189].

بل وتوافرت اوقاف القرويين ففاضت منها على سائر مساجد فاس وغير فاس وسرت اوقافها الزائدة حتى المسجد الاقصى بالقدس ، أنقذه الله من الرجس ، وحتى الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة والى الجماعة الاسلامية في كل جهات المعمور . . . وفضلت احباس القرويين فشملت مشاريع الاحسان والبر بكل ما تشمله من نواحي وجوانب انسانية ، واتسعت مواد السجلات حتى شملت الوقف على « قبر مجهول[190] » وفضلت أحباس القرويين واتسعت دائرتها حتى تناهت الينا الاخبار بان قاضي فاس عندما شب الحريق في وثائق حجج الوقف سنة ٧٢٣ ، امر بضم املاك فاس كلها للقرويين ولم يُستثن من ذلك الامر الا من ادلى برسم او شهادة معادلة تثبت الملكية من قبل قباضة الحبس[191]. وفي اعقاب السطو الذي تعرضت له الاوقاف اواخر دولة السعديين ضاع عدد من العقار فالتجأ السلطان المولى الرشيد لتدبير مثل التدبير الذي تم عام ٧٢٣ حيث صادر كل الاملاك التي لا يتوفر اصحابها على رسوم تمليك واعتبرها مغصوبة وارجعها للقرويين ، وقد تكررت هذه العملية في عهد السلطان المولى سليمان الذي امر باجراء احصاء لسائر الرباع المتروكة او المتطرفة او المجهولة بفاس وبعد البحث امر الناظر الحاج عبد القادر بناني بان يلحق سائر الرباع التي جهل امرها الى حوالة القرويين حتى لا يبقى فيها مطمع لطامع بتبديل النظار او عزلهم او وفاتهم : حوانيت بالقطانين والصاغة وطلوقة وبو رؤوس وعجيسة وغيرها . . ولم يسمح لاحد باستغلال أي مكان دون ان يدلي بحجة على ذلك كما كان الشأن في الوثيقة التي اثبتت الحبس لاولاد الغرديس بالسّماع ، والتي وقعها جمهور كبير من سكان فاس .

ويبرر هذا الموقف الذي اتخذ سواء في عهد السلطان أبي سعيد المريني المولى او الرشيد او المولى سليمان ، يبرره ما عرف لدى الخاص والعام من أنَّ جُلَّ – ان لم يكن جميع – الملاك بفاس لا يملكون المثقال وانما يملكون الزينة او الجلسة – . . . اما الاصل فهو في ملك « لالَّهْ القرويين » على حد تعبير الناس[١٩٢] .

واتسعت دائرتها حتى كان المحسنون والموسرون في مدينة مراكش مثلاً يقومون بتحبيس عدد من العقار على مرافق القرويين بالرغم من بعد البلاد بعضها عن البعض الآخر بل هناك عدد من الارضين النائية وعدد من غابات الزيتون والنخيل في الصحراء خصص ريعه للقرويين من فاس .

* * *

لقد وجد بنومرين انفسهم امام ثروة هائلة للقرويين ، وقد سمعنا عندما تحدثنا عن الزيادة المرابطية في القرويين ، الشيئ الكثير عن سجل الاوقاف على ذلك العهد وقرأنا الكثير عن النظار والوكلاء بل وعرفنا عن الثمانين الف دينار التي جمعت من ممتلكات الاوقاف[١٩٣] .

وتوفرنا في العهد الموحدي على معلومات دقيقة منقولة من زمام بخط المُشرف على المدينة ايام المنصور وولده الناصر (٥٨٠ – ٦١٠ هـ) وقد نقلها الينا عنه رجل ثقة هو علي بن عمر الأوسي ، وكانت تلك المعلومات تعطي صورة صادقة عن مباني ومنشئات مدينة فاس التي نعرف ان معظم ما يوجد بها إن لم يكن كله هو ملك لاوقاف القرويين ، بيد ان كل ما احتوته هذه اللائحة تعرض للتلف والدمار ايام الفتن والمجاعات التي تعرضت لها المدينة وخاصة من سنة ٦١٨ الى ٦٣٧ حيث قلت الجبايات والانفاق على الجامع[١٩٤] فلما ظهر المرينيون وجدوا امامهم « نواة خصبة » للاوقاف كان عليهم ان ينقذوها لصالح القرويين التي يعتمدون عليها كمدرسة لتكوين الأنصار الذين ينتظرونهم لبناء البلاد .

لكن بني مرين – وهذه مزيتهم الكبرى – لم يقتصروا على استعادة الحياة لذلك السجل ولكنهم اثروه بما اغدقوا عليه من املاك انشأوها ورباع شيدوها في سائر جهات المدينة .

وقد قدر الجزنائي غلات أوقاف جامع القرويين على عهد المرينيين ، فذكر أنها تناهز في بعض الاعوام عشرة الآف دينار فضية ، وذكر في جملة الرباع التي حبَّسها السلطان أبو يعقوب فندقاً من أفخم الفنادق التي تحتضنها مدينة فاس ، ونعني به فندق الشماعين ، وهو لا يبعد عن القرويين الا بضع خطوات[١٩٥] ، واذا تتبعنا استقصاء الجهات التي كانت تغدق على القرويين وجدنا أن ذلك من التعذر بمكان ، فكل واحد يتبرع على قدر استطاعته ، فيهم الصناع والتجار ، وفيهم العلماء والفقهاء أنفسهم[١٩٦] ، وبنو مرين – وقد أنشؤوا المدارس الداخلية للطلاب – لم يشاؤوا أن يضايقوا أحباس القرويين بالانفاق منها على تلك المدارس ، ولكنهم خصصوا لكل مدرسة عدداً مهماً من الرباع والأصول حتى تستغني عن أوقاف القرويين ومداخلها .

وزيادة في الاحتياط نقشوا تلك الموقوفات على رخامات غرزوها في جدران تلك المدارس .

ونعيد الى الذاكرة تلك اللوائح الطويلة للبقاع الموقوفة على المدارس المرينية بما فيها الفنادق والتربيعات والمصانع

والبيوت والافران والارحية في شتى الجهات المهمة من المدينة[١٩٧] فاذا قمنا بتجريد كل ذلك الى جانب ما عرف لجامع القرويين ، تصورنا ماذا كان عليه سجل الأوقاف في ذلك العهد .

* * *

وان الذي يلفت الأنظار حقاً ، منذ العهد المريني ، هو الإلحاح والتأكيد على نوع من الأوقاف المخصصة للمواساة ، والترفيه ، على الانسان ، والرفق بالحيوان ، وادخال السرور على المرضى في المارستان . والحقيقة أن هذا كان تفسيراً للفيض الذي حصل في الأوقاف المخصصة للقرويين ، ونفضل التعبير بكلمة « التأكيد والإلحاح على هذا النوع من الوقف » لأننا عرفنا أيادي أبي مروان بن حيون (ت ٥٩٩ هـ) في عهد الموحدين[١٩٨] .

ويرجع إنشاء « المارستان » في المغرب الى تاريخ الموحدين كما عرفنا ، بَيْدَ أن فكرة شمول المارستان لكل مشاريع الاحسان والبر إنما تجسدت ، على ما يظهر ، في بداية عهْد بني مرين لما كثر بناء البيمارستانات[١٩٩] . وقد كان للسلطان أبي الحسن فضْل تجديد المارستان في مدينة فاس[٢٠٠] ، واقتفى أثره السلطان أبو عنان في العناية به والتحبيس عليه ، فكان قدوة لعدد من المحسنين والمؤسرين الذين أشفقت قلوبهم على الأسرى والمنكوبين ، فقدموا العطاءات الجزيلة المتوالية ، فلم تمض مدة حتى كانت للمارستان نظارة على حدة تتعهد المصابين بأمراض نفسية ، والمتعبين ، والمحرومين ، والغرباء[٢٠١] . وقد كان لفكرة « المصالح المرسلة » التي يمتاز بها الفقه المالكي في المغرب أثر في انتشار الأوقاف وتسبيلها على المنافع العامة ، من المدارس ، والمارستانات ، والأواني المكسرة ، وتزويج المقلين . . . على ما نذكر .

لقد وجدنا أثراً من حوالة للسلطان أبي فارس عبد العزيز بن العباس ٧٩٦ - ٧٩٠ هـ ، وهو وصية له بالمجاهدين الذين يقعون في الأسر ، ثم أثراً من حوالة في المعنى نفسه على عهد السلطان عبد الحق بن أبي سعيد آخر ملوك بني مرين مما اشتملت عليه « الوصية العبْد حقية » (٨٢٣ - ٨٦٩ هـ) . لقد خصص الناس الأوقاف للموسيقيين الذين يُسمعون المصابين في أوقات معينة ما يخففون به عنهم ، وقد أدركنا أصحاب الشعر الشعبي (الملحون) يتبارون كل عاشوراء وفي عيد المولد ، في إنشاد أجمل ما عندهم من شعر على أبواب المارستان . . .

وخَصَّص آخرون أوقافاً لتجهيز الضعفاء والغرباء ، ممن يموتون دون أن يتركوا ما به يُسترون ، الى مثواهم .

وخصصت أوقاف لسيدي علي بو غالب[٢٠٢] حيث يوجد ملجأ لأصحاب القروح والجروح ، كما خصصت أوقاف لـ « ماوي » كان بضريح سيدي أحمد البرنوسي خارج باب الجيسة ، ولدار كبرى في درب السعود لإسكان الفقراء الذين لا يسألون الناس ، وعددٍ من الدور في المدينة لتزويج المقلين من الأشراف[٢٠٣] ، فرشت على نحو ما ينبغي ، يقصدون بعدها « عرصة » في باب بني مسافر لقضاء نزهة بها ، علاوة على الدار التي خصصت لتزويج العُميّ فيما بين الصاغة ورحبة قيس ووقف الناس أوقافاً يُصرف كراؤها في شراء أواني الفخار تعطى للصبيان الصغار إذا تكسرت وخافوا متابعة أوليائهم ، بباب الحفاة سواء في القرويين او جامع الاندلس ، وخصصت الأوقاف عدداً من المال للسلف بدون فائدة ولا عوض كان موضوعاً بخزينةٍ في قبة القيسارية يستقرض منها المحتاج ويعيد القرض متى وجد[٢٠٤] .

وخصص ريع عدد من الفدادين لشراء الحبوب لتغذية الحيوانات العجماء التي لا تملك التعبير عن حاجاتها ، ولعلاج الحيوانات التي تتعرض للأمراض[٢٠٥] .

وهكذا كانت كلمة « المارستان » عنواناً عريضاً لكل ما حبس على الملاجئ . والمشاريع الإنسانية التي كانت منتشرة في طول البلاد وعرضها . . .

* * *

وبين أيدينا وثيقة أقرب ما تكون الى هذا العصر ، وهي وثيقة شاهد عيان من كبار موظفي الدولة كانت له ، من غير شك ، صلة بديوان الأوقاف ، لأنه يعطي أرقاماً وأوصافاً لا تصدر عادة الا عن شخص باشر الأمور ، ويزيد من قيمة هذه الوثيقة في نظرنا ما عثرنا عليه في « الحوالات الوقفية » المخطوطة التي ترجع الى أواخر عهد بني مرين والوطاسين والسعديين فإن كل ما جاء فيها كان في الواقع شرحاً أو تأكيداً للمعلومات التي أداها شاهد العيان هذا .

ويتعلق الأمر بالمعلومات القيمة التي قدمها الينا ابن الوزّان الفاسي(٢٠٦) في كتابه « وصف إفريقية » ، وهي إذا أخذت – كما قلنا – مقارنة مع المعلومات الملتقطة من مختلف الحجج ، تؤكد أن الرجل كان مشرفاً فعلاً على إدارة المارستان مدة سنتين كاملتين .

لقد أفاد أن « الناظر » في الأوقاف هو الذي يشرف على جميع واردات الجامع ، وأنه في مقابلة ذلك يتقاضى دكة (Ducat)(٢٠٧) واحدة يومياً ، وأن للناظر ثمانية كتّاب يتقاضون ست دكات شهرياً ، كما أن هناك ستة قباضة يجمعون واردات الأوقاف : وكل من هؤلاء الستة يتقاضى خمسة في المئة مقابل أتعابه(٢٠٨) . والى جانب الكُتّاب والقُبّاض هناك عشرون عوناً ومساعداً يعملون باشارة القُبّاض ، يقصدون الأماكن مهما بعدت مسافاتها داخل البلاد وخارجها . واجرة كل واحد من الأعوان ثلاث دكّات شهرياً(٢٠٩) .

وقدر ابن الوزان واردات الجامع يومياً بمئتي دكة(٢١٠) ، ولاحظ كذلك أن كل مسجد من مساجد فاس لا أوقاف له خاصة به ، يستفيد مباشرة وبدون معاناة من أوقاف القرويين باعتبارها الجامع الأم ، هذا طبعاً الى النفقات الأخرى التي تتحملها أوقاف الجامع ، مما يصرف في المصلحة العامة للمدينة مثلاً ، فإن ناظر الأوقاف يعد في حقيقة الأمر مكلفاً بتوزيع الأموال التي تُهدى الى المسجد ، وهو الذي يتولى توزيعها – بحسب اجتهاده ، أو بحسب اقتراح القاضي(٢١١) على الفقراء والمساكين والاسرى المنْقطعين والمرضى المنكوبين ، ولهذا نجد لكل واحد من المحتاجين الحق في أن يلتجئ الى الناظر في المقصورة ، أو القاضي في المحكمة ، ليكشف عن مسألته . وهكذا نجد الأوقاف أداةً صادقةً للضّمان الاجتماعيّ . وهل يوجد تفسير للأوقاف على تعويض الفقراء أيام غلاء الاسعار غير فكرة الضمان الاجتماعيّ ؟ وللانفاق على المصابين بالأمراض المزمنة ، وتخصيص(٢١٢) حارات لهم ، ولافتداء الأسير الذي كان بالأمس حاملاً للسلاح(٢١٣) . ولتخصيص الاموال للذين لا يجدون وسيلة لتثقيف نفوسهم في وقت الصغر ؟

اشراف نظارة القرويين على غيرها

ويلاحظ أنه بالرغم من ان اوقاف القرويين كانت متفوقة جداً على كل الأوقاف الأخرى المخصصة لجامع الأندلس وغيره من المساجد . فإنه كان لكل مسجد من المساجد ناظر خاص على أوقافه ، كما أن له كَتَبه ووكلاء . وقد استمر الأمر على ذلك الى أن تم اصلاح نظام الوقف على أثر دعوة ملحة من جماعة من العلماء ، وأدمج الجميع في أوقاف القرويين ونظارتها .

وقد كان الهدف من إدخال هذا الإصلاح على نظام الوقف ، استقطاب موارده ، وحصرها في ادارة واحدة ، هي إدارة القرويين .

وتمت هذه الإصلاحات المهمة في عهد الوطاسين ، وبمقتضاها ضمت سائر الأوقاف الى الجامع الأعظم ، وعلى الناظر أنْ يستخلص من المقبوض كُلِّه الأجور الكافية لسير سائر المساجد بفاس .

ولا شك أنَّ هذه الحركة تعرضت – كالشأن في جلّ الحركات – لبعض الأخذ والرد من لدن السادة المشايخ .

والحقيقة أن هذا الأمر تقرر منذ نحو مئة عام (أي على عهد الوطاسين) ، وقد استند فاعل ذلك الى فتوى الإمام العبدوسي (ت ٨٤٨ هـ) كما ذكره صاحب المعيار.

وقد أحدث الاصلاح في خطواته الأولى ترتيبات كبيرة لم تَخْلُ من معاناة ومشقة ، لما في ذلك من تنظيم الأجور للقَوَمة بالأحباس جميعها ، من ناظر وشهود وكتاب ، وقد عثر على كل هذا التوزيع بخط الإمام القاضي عبد الواحد الونشريسي (ت ٩٥٥ هـ) وعليه صار عمل الناس الى اليوم .

وقد تعرضت الفتوى لجدل كبير ، ولكن النَّقد لم يجد له صدىً لدى المسؤولين[٢١٤] الذين مضوا في تنفيذ الإصلاح ، فقد استأنس عدد من العلماء بقول أصبغ وابن الماجشون : إن الأحباس – وهي لله – يجوز أن ينتفع بعضها من بعض ، كما هو مذهب الأندلسيين ، خلافاً لمذهب القرويين . كما أن في العلماء من شبَّه عملية الإصلاح هذه بحالة الحاكم الذي يجمع أموال أهل البلد جميعهم ، ثم يأخذ في الإنفاق عليهم بالسوية[٢١٥] !

وهكذا جعلت سائر المساجد الأخرى في ادارة مركزية واحدة ، بعد أن كانت تخضع لادارات جزئية[٢١٦] .

وقد اعقبت هذا حركة إحصاء شاملة على عهد المنصور السعدي لسائر أوقاف المسجد لما قرر الاستعانة بأموال الأوقاف ، لتسيير حملة عسكرية لقمع تمردٍ نشب داخل البلاد ، تلك الأموال التي بلغت على عهد المنصور السعدي ثمانين ألف دينار[٢١٧] .

لكن البلاد استسلمت أواخر الدولة السعدية الى أزمات داخلية كادت تأتي على البقية من تنظيمات الأوقاف . .

الحوّالات الحبسية

ويحمل سجل الأوقاف الذي اشرنا اليه اسم « الحوالة[٢١٨] » ولعله آت من الحول بمعنى العام ، لاننا نلاحظ أنها تتجدد كل سنة في اكثر الظروف التي مرت بها القرويين .

ونلاحظ منذ البداية ان معظم الحوالات كانت تعتمد على القلم الرومي ، ونقول (معظم) لان منها ما كتبت ارقامه – قديماً – بالغباري (نسبة للغُبار الذي يذر عليها اثر الكتابة) .

هذا الغباري الذي اقتبسه الاروبيون ، ويحمل عندهم كما هو معروف اسم الارقام العربية على ما أسلفنا[٢١٩] .

كما نلاحظ مع ذلك ان الحوالات عندما تنطق بالارقام كتابة ، تبتدئ بها من اليمين الى اليسار ، عكس النطق الأروبي ، بحيث تقول مثلاً عام ثلاثة وتسعين وثمان مئة .

كما نلاحظ عبْث الارضة في الأوراق[٢٢٠] ، وتعرض الحوالات باستمرار للمراجعات والمتابعات الأمر الذي يدل على الرقابة الدائمة على السجلات .

كما نلاحظ على سائر الحوالات ان تهيئتها تم في ذي الحجة ، لتكون جاهزة في غرة المحرم تماماً على نحو ما يتم في تحضير الميزانيات الحالية بفارق واحد : تلك تعتمد على التاريخ القمري ، وتعتمد الميزانية اليوم على التاريخ الشمسي .

وان اقدم ورقة ما تزال شاخصة بتاريخها المسجل ، كتابة بخط واضح مقروء هي على العموم متآكلة ، وهي تتضمن لائحة بالربع المستدرك الشراء عام ثلاثة وتسعين وثمان مئة [٢٢١]

ثم حوالة عام ٩٠٤ – ٩٠٥ ، وكان الناظر ابا العباس احمد محمد اللمطي ، ومن جملة ما تتضمنه الربع المخصص ريعه لمكة المعظمة[٢٢٢]، علاوة على اشتمالها على بعض حوانيت الموثقين وفندق الشماعين .

ثم حوالة ٩٠٧ – ٩٠٨ ، طولها ٤٤ على ١٥ ، مسطرتها تتراوح من عشرة سطور الى خمسة عشر سطراً ، والشاهدان فيها : احمد بن محمد غازي ، ومحمد بن رضوان .

ثم حوالة ٩١٠ ، وقد كتب في أولها : « حوالة ، مباركة بحول الله تعالى ، لعقد الكراء ، والتزامه في ربع الاحباس المبارك بمدينة فاس ، المحوطة بالله تعالى ، على يد الناظر الفقيه المعدل أبي العباس احمد بن الشيخ الناقد الكاتب المرفع ابي عبد الله محمد بن الشيخ اللمطي ، اجمل الله خلاصه ، لقبض عليّ بن عبد الله المكناسي احد قباض الحبس في حينه » وهي تبتدئ كذلك بدكاكين سماط العدول ، ابتداء من الخارج من سوق الشماعين (المنجانة) يساراً .

ثم حوالة ٩١٨ التي تحتوي على عقد اكرية الحبس على مؤذني[٢٢٣] الليل بصومعة القرويين بأواقي الدراهم النقرة على يد مزوارهم[٢٢٤] الفقيه الموقت محمد بن الشيخ التاجر بن عبد الله محمد المنافي الشهير بالمشاط اواسط ذي الحجة من السنة المذكورة[٢٢٥].

ثم حوالة ٩٢١ في عهد محمد البرتغالي ، وقد اثبتت في صدرها ما كان اوصى به العاهل المريني ابو فارس عبد العزيز ، وكذلك عبد الحق على الاسرى كما أشرنا لذلك[٢٢٦] قبل ، وتنص الوصية على رجوع المداخيل لجامع القرويين اذا لم يكن ثمة أسرى .

ثم حوالة ٩٢٢ التي تحتفظ بنص وصية الشيخ عبد الملك بن حيون المتوفى في نهاية القرن السادس الهجري[٢٢٧] كما تقدم في الباب الاول من هذا الكتاب .

ثم حوالة ٩٥٦ ، وهي تحمل عناصر جديدة اذ تتحدث ، بالاضافة الى سماط العدول بالقرويين ، عن سماط العدول قرب جامع الأندلس وعن السماط المستحدث بالطالعة قرب المدرسة العنانية ، وتتحدث الحوالة عن المؤذنين ومزوارهم محمد الماواسي وعن المتعهدين[٢٢٨].

وحوالة ٩٥٧ ، وهي تحتوي على زمام مبارك ، يتضمن الربع المخصص خراجه لمكة المعظمة .

وحوالة ٩٥٨ ، وفي جملة ما تتضمنه « محاصة » لمدرسة الخصة لثلاثة اشهر ، اولها شهر ربيع الاول . وكانت العادة اجراء مثل هذه المحاصة اربع مرات في السنة لسائر المدارس الباقية ومنها مدرسة الوادي .

وحوالة ٩٥٩ ، وفي جملة ما تتضمنه « تعويض » بعض الدور لمصلحة اوقاف القرويين ، وقد رددت صدى هذا التعويض بعد نحو من عشرين سنة حوالة ٩٧٩ .

وتمتاز سنة ٩٦١ بعدد من الزمامات ، نلاحظ في بعضها ، من جملة ما نلاحظ اختفاء ذكر « المنجانة » عند ذكر التعويض للحوانيت التي على يسار الخارج من سوق الشماعين .

كما نقف في بعض الزمامات ، وهو مهم ، على لائحة بما دفعه القباضة : علي بنيس من راس الشراطين وأبي سعيد بن عيسون من الطالعة ، والأمين محمد التازي من العطارين ، والزرهوني من الحمامات والفنادق ، وعبد العزيز الكوهن من الاطرزة ، محمد بن زكري من القيسارية وأبي سويطة ، وعبد الحق بن نونة ، وعمر البرداعي ، وبو عياد التازي . . كل هؤلاء دفعوا المبالغ المستحقة للناظر مولاي مسعود ودفعها هو الى مولاي أبي حسون آخر ملوك بني وطاس بفاس ، وقد قبضها الرايس نائباً عن القبطان حيدر في براءته[٢٢٩] .

كما نقف في بعضها على نحو قريب مما سبق ، باضافة بعض الزيادات التي تعطي بعض الشرح ، وتنير بعض الزوايا في التاريخ المغربي ، فقد نص هذا الزمام على « المدفوع للترك[٢٣٠] » يوم الأربعاء ٢١ جمادى الآخرة . وفي يوم الجمعة للتركي مصطفى . وفي يوم السبت ٢٥ جمادى الآخرة : المدفوع لمن يذكر من مال الاحباس . الألفي أوقية الذي وقع من الصلح في منتصف شهر رمضان ٩٦١ هـ . : « الحمد لله قبض القائد يوسف سنان من مال الاحباس ألف أوقية ، وأحد عشرة ممن ذكر أعلاه ، ليصيرها في مرتب الترك » ثم توقيعات رائعة ، أغلب الظن أن أحدها لمولاي أبي حسون ، وثانيها للناظر عبد الحميد بن الفقيه محمد بن الناصر العسكري ، وقد كتب الحوالة ابو الفضل الرعيني[٢٣١] .

وحوالة ٩٦٢ ، وفي جملة ما تضمه من وثائق مما ينبغي أن يقارن بالمعلومات التي قدمها ابن الوزان الفاسي : « بعد أن التزم القابض المؤتمن عبد العزيز بن يحيى الكوهن ، قبض ما لقبضه من أحباس بمدينة فاس على أن تعطاه على ذلك أجرة ربع عشر ما يقبضه ، وذلك بحضور الناظر الأرفع عبد الحميد بن الفقيه محمد بن الناصر » .

وحوالة ٩٦٣ ، وفي جملة ما تتضمنه لائحة خاصة بقُوام الليل بإشراف مزوارهم الفقيه أبي الطيب بن أبي عبد الله محمد الظريف التونسي .

وحوالة ٩٦٤ ، وقد أصبح مزوار المؤذنين ، أبو محمد عبد الواحد بن الفقيه الموقت أحمد الماواسي ، وهي تتضمن كذلك تفصيلات للأوقاف التي كانت على بعض المساجد القديمة ، مثل : مسجد الصابرين ، وطريانة[٢٣٢] .

وحوالة ٩٦٥ ، وتتضمن ذكر جامع باب الجيسة الذي شيد منذ عهد بني مرين كما تتضمن وصفاً لبعض جهات المدينة(٥) .

وحوالة ٩٦٦ ، وقد تغير مزوار المؤذنين فيها ، وأمسى محمد المدعو الصغير بن الحاج الذي كان يسكن في (مصرية المفتي[٢٣٣]) .

وحوالة ٩٦٧ ، وتتضمن زماماً بالأرضين التي تمتلكها القرويين خارج المدينة .

وحوالة ٩٧١ ، وتتضمن زماماً لعقد الأكرية[٢٣٤]، وزماماً للواجبات في الغلات الصيفية خارج باب الحديد والشريعة والمسافرين .

وحوالة ٩٧٣ ، وهي - كما ينص في أولها - مأخوذة من « حواويل قدام » وفيها ما هو بخط سيدي عبد الواحد الونشريسي (ت ٩٥٥ هـ) ، وتبتدئ بالمدارس : العطارين ، وأبي عنان ، والجيسة ، والخصة ، والحلفاويين ، والصهريج ، والوادي ، ثم نذكر بعض المساجد : مسجد يونس ، ومسجد خلف الله . والزمام في الواقع يحتوي على الربع الضائع من الأحباس مما هو مفتقر الى البحث والنظر .

وحوالة ٩٧٤ ، ومن جملة ما تتضمنه زمام محاصة بعض المساجد ، من أمثال : مسجد خنفورة ، وابن غزلان ، وخلق النعم ، وقيس ، وبرقشانة[٢٣٥].

وحوالة ٩٧٥ ، وكان فيما اشتملت عليه زمام محاصة للزوايا بفاس ، وكان منها : زاوية تاحضريت ، والحرة عزبية ، وزاوية العجم ، وابن سيد الناس ، والمومناني .

وحوالة ٩٧٨ ، وتحتوي على عدة زمامات ، كان منها « زمام مبارك » يشتمل على عقد اكرية ربع الاوقاف على يد الناظر ابي عبد الله محمد بن الناظر المرحوم عبد الحميد العسكري .

وحوالة ٩٧٩ ، وتحتوي على زمامات ، فيها ما يؤكد التعويض الذي حصل منذ عشرين سنة ، وقد كان من الدور المعوضة ، دار في أقصى السبع لويات وفندق الرصّاع الذي عوض بحانوت بالفخارين ونصف حانوت بالصفارين القدماء مع سيدي محمد بن بكار . ومن الزمامات آخر يشتمل على بيع ورقة التوت بجنات الحبس خارج باب الحديد وباب المسافرين وباب المحروق وباب الفتوح .

وحوالة ٩٨٤ ، وقد أصبح الناظر الجديد محمد بن أبي القاسم المشاط ، وفيها زمامات تحتوي على عقد أكرية ، كان منها دور في السبع لويات حيث كان يسكن القاضي عبد الواحد الحميدي ، ويردد الزمام ذكر دار المنجانة المجاورة لبرج الأنفار و(مصرية الموقت) المحملة على باب الشماعين .

وحوالة ٩٨٧ ، وفيها زمامات ما كان خاصًا بمحاسبة القابض الحاج قاسم .

وحوالة ٩٩٠ ، وفيها زمامات تحتوي على عقد أكرية لمدة عامين شمسيين ، أولهما الحاجوز ٣١ يناير المصادف لسادس المحرم ٩٩٠ هـ الذي يصادف ٣١ يناير[٢٣٦] . . وتتضمن عدة أجنة ، وقد كان العدل فيها محمد الماواسي .

وحوالة ٩٩١ ، وهي التي تتضمن المنشور الذي يدعو فيه القاضي العدول كافةً لأداء جميع ما في ذمتهم من كراء الحوانيت ، لإصلاح « القبة » ، لأن الناظر عزم على ذلك ، وفيها صلاحكم وصلاح المسلمين[٢٣٧]، وقد كان القاضي في هذا الوقت عبد الواحد الحميدي ، والناظر محمد بن أبي القاسم المشاط .

وحوالة ٩٩٤ ، وهذه هي الحوالة التي اعتمدتها الحوالة السليمانية بعد أزيد من قرنين من الزمان .

وحوالة ٩٩٨ ، وتضم قوائم لغابات الزيتون ، بمنزل صاحب خارج باب عجيسة ، وبالحامة خارج باب

المسافرين ، وقد كان شيخا النظر في الموضوع حمو بن داود اللمطي ، وزميله يوسف بن عمر الترعي . هما اللذان اعتمد عليهما قاضي الجماعة والشاهدان .

وحوالة ١٠٠٨ ، ومن جملة ما تحتوي عليه شهادة من أهل النظر بما أصابته الجائحة من الأرضين التابعة لأوقاف القرويين ، وهي موقعة من أصحاب البصر ، وتُدقق فيما أجيح منه الثلث ، والذي اجيح نصفه . والذي اجيح منه ثلاثة أرباعه (٢٣٨) .

وحوالة ١٠٢٥ ، وتتضمن عدة زمامات ، فيها ما يتعلق بعقود اكرية الربع المحبس على المسجد الاعظم من فاس ، وما اضيف اليه من المدارس والمساجد والزوايا والوصايا وغير ذلك . وقد كان الناظر على الاوقاف في هذا التاريخ الذي يصادف نهاية السعديين هو محمد بن محمد بن جلال .



تعليقات الفصل الثالث

القسم الثاني

١) عثر على نص لرسالة علي بن ميمون في مكتبة الشيخ ادريس الفاسي خطيب القرويين ، كما عثر في مكتبة .بزو على نسخة ثانية تحت رقم ٥٠ ص ٢٣ قسم المخطوطات بالخزانة العامة بعنوان « رسالة الاخوان من أهل الفقه وحملة القرآن » ، ويوجد شريط مصور من الرسالة كان ضمن ما اهدى الى معهد المخطوطات في الجامعة العربية . السلوة ١ ص ٤ - مجلة المغرب ، السنة السادسة ، العدد الاول ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) - مجلة رسالة المغرب عدد خامس غشت ١٩٤٣ ص ٤١ - ٤٢ . الكتاب الذهبي ١٧٠ .

٢) ورد في النسخة التي عثر عليها بمكتبة (ابزو) وتحمل عنوان (رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القرآن) ذكر للشيخ العشوشي ، والقاضي ابي عبد الله المكناسي ، والمفتي الماواسي ، وأبي العباس احمد الونشريسي ...

٣) كانت حصص الدرس تخضع لعاملين اثنين : مواقيت الصلاة ، ومزاج الاستاذ ...

٤) يؤيد هذا ما ورد عند المقَّري في حديث عن الشيخ أبي مسعود الهراس : «كنت أقرأ في صحن جامع القرويين والمؤذنون يؤذنون بالليل . النفح ٧ ر ٢٦٨ .

٥) Description de l'Afrique, I–P. 184–185–186–187–191–215.

٦) تنبيه الصغير من الولدان ، البحث العلمي يناير ١٩٦٦ ص ٢٤١ - ٢٦٦ .

٧) ورد في رسالة ابن ميمون : « بعد أن من الله علي بحفظ كتابه العزيز قبل البلوغ ، وحفظت مصنفات فيما يرجع الى معرفة رسم الكتاب العزيز وضبطه وتلاوته واعرابه ، وشيئاً من ذلك قبل البلوغ وشيئاً بعده ، ومما قرأت وحفظت بعد البلوغ نظماً مشتملاً على نحوسبع مئة بيت في علم الفرائض والحساب وكتاباً في مذهب الإمام مالك رضي الله عنه ، يسمى رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، كنت أحفظ ذلك كله ، كما أحفظ أم القرآن . رسالة المغرب ٥ غشت ١٩٤٣ ص ٤٢ .

٨) لا بد أن ننوه هنا بأهمية الفهارس للوقوف على الحياة الفكرية بالبلاد ، فان العلماء يعنون فيها باستعراض مشايخهم وذكر أيام طلبهم بفاس ...

٩) مجلة تطوان المجلد ١ . Maurice Desmazieres : Sur la terre du Maghreb.

١٠) Correspondance de Nicolas Clénard, Publier par Alphanse Tom III–118–119.

١١) قال : إن هذا العالم مهدداً بالموت لأنه لا يقول بعصمة النبي محمد صلى الله عليه وسلّم ، فهل يقصد الى أبي عبد الله الاندلسي نزيل مراكش والمقتول من قبل محمد المتوكل بن الغالب . درة الحجال ص ١٦٧ - الدوحة ٨١ . الاستقصا ٥ ر ٥٠ .

١٢) ينبغي تصحيح ما أورده السيد ع . ف . حول كلينار في مجلة المغرب ، نونبر ١٩٣٦ ص ٦ راجع ص ٨٠ .

١٣) الى جانب العدد العديد من المسلمين الذين عاشوا في فاس من إفريقية والأندلس والعراق والشام والترك والكرد ، والى جانب المئات من المسيحيين الذين تجشموا أهوال السفر لزيارة فاس والمقام بها ، نجد طائفة مهمة من العلماء اليهود من أمثال خلوف وغيره ممن بلغوا درجة السفارة والوزارة لما يتمعون به من صفة المواطنة .

١٤) عيون الأنباء ص ٥٠١ .

١٥) تاريخ المن بالإمامه ، ١ ص ٤٠ التعليق ٣ - مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٦٤ ص ٢٤٨ - درويش - جامعة ليدن بهولاندا - الكتاب الذهبي صفحة ٧٠ - ٧١ .

١٦) الاستقصا ٥ ر١٥٣ .

١٧) تحريف مغربي لكلمة (مسجد) على ما سلفت الإشارة اليه .

١٨) يقول ابن الوزان في وصف (المسايد) إنها عبارة عن قاعات واسعة ، والأستاذ يعلم هؤلاء الصغار القراءة والكتابة على الواح واسعة ، يكتب التلاميذ فيها جزءاً من القرآن كل يوم . يختمونه في ظرف ثلاث سنوات على الأكثر . وأقصى ما يقضونه في المكتب سبع سنوات ، يتعلمون فيها الى جانب استظهار كتاب الله مبادئ الرسم ومبادئ النحو والفقه . وكلما بلغ التلميذ الى قسم من أقسام القرآن ، قدم أبوه صلة للمعلم . فاذا ختم القرآن أقام الأب حفلة لرفاق ابنه ، يحضرها الأحباب والأصدقاء ، ويقدمون فيها هدايا للمعلم ، وتسمى هذه الحفلة في عرفهم « حبيبنا » ، لأنهم يرددون فيها أهازيج في مدح الرسول . Description de l'Afrique 215–216

١٩) المقدمة لابن خلدون طبعة بولاق ص ٤٧٣ .

٢٠) نرى أن العادة عند المغاربة البداية بالقرآن أولاً بالرغم من أن ابن العربي انتقدها منوهاً بضرورة تعليم العربية أولاً ، والانتقال منها الى القرآن . وقد استحسن ابن خلدون طريقة ابن العربي ، لكنه عقب عليها قائلاً : ان العوائد لا تساعد عليها وهي أملك بالاحوال – المقدمة ٤٧٤ .

٢١) يلاحظ مارتي أن متوسط السن في الطلبة الذين يدخلون جامعة القرويين يتراوح من ١٦ الى ١٨ فيما يتعلق بأهل فاس ، ومن ٢٢ الى ٢٥ فيما يخص الآفاقيين . Le Maroc de demain

٢٢) شروط الالتحاق بالقرويين من الباب الأول .

٢٣) هو مدرك بن علي الشيباني الشاعر البغدادي ، وكان كثيراً ما يلمّ بدير الروم في الرصافة من بغداد حيث الضفة الشرقية لدجلة ، وكان هناك بالدير غلام يقال له عمرو بن يوحنا ، فعقد مدرك من أجله مجلساً يقصده الظرفاء . هذا وإن وظاهرة الاتصال بين المسلمين او المسيحيين في بغداد أكثر بروزاً منها في أي بلاد آخر نظراً لاختلاط الناس بعضهم بعضاً . رأينا هذا في الرصافة والكرخ معاً .. ديوان الصبابة لابن ابي حجلة التلمساني – كتاب مصارع العشاق لجعفر السراج ، جني زهرة الآس ص ٨٤ – الانيس المطرب للشريف العلمي ص ٢٢٠ – ٢٢١ .

٢٤) بروفنصال – مؤرخو الشرفاء ص ١٦ – البحث العلمي ص ٢٤٧ .

٢٥) المقدمة ، ص ٣٦١ . le Maroc de Demain.

٢٦) الكتاب الذهبي ، ص ٦٩ .

٢٧) القصد الى المولى عبد الله بن الشريف صاحب وزان (ت ١٠٨٧) الذي درس بفاس من عام ١٠٢٨ الى عام ١٠٣٤ : تحفة الاخوان .

٢٨) الاشارة الى مختصر الشيخ خليل في فقه الامام مالك ، والى ارجوزة الألفية في النحو لابن مالك .

٢٩) المقدمة : الطبعة القديمة ص ٤٧٩ .

٣٠) النبوغ ١ ص ٢٢٠ .

٣١) شفاء السائل لتهذيب المسائل .

٣٢) لقد اغرق بعض رجال القرويين في الانصراف والتخلّي حتى دعاه ذلك الى النظر في تحديد النسل تقصياً من ناشئة متفسّخة متحلّلة ، وهكذا فاذا كان مالثيوس (Malthus ١٨٣٤) بنى فكرته حول التخطيط العائلي على اسس مادية صرفة فان الامام العبدوسي ت ٨٤٨ هـ ١٤٤٤ بنى فكرته على اسس روحية سامية قبل مالثيوس بنحو اربعة قرون .

٣٣) وصلت علوم القراءات الى أوجها في عهد السعديين .. ويكفي أن نعرف أن وقف القرآن الذي جرى العمل عليه في المغرب إنما وضع في هذا العصر ، وضعه الإمام الهبطي (ت ٩٣٠ هـ) .

٣٤) النبوغ المغربي ، ص ٢٤٠ .

٣٥) الضوء اللامع ٤ ص ١٧١ .

٣٦) Les chiffres Arabes هيبرس ١٩٤٤ ، المجلد ٣١ ، الجزء الوحيد ، طوقان : تراث العرب العلمي ص ٧٢ ، الارقام العربية (بحث مقدم الى مؤتمر التعريب) مجلة التربية الوطنية تاريخ ١٩٦١ ، مجلة اللسان العربي – العدد الثاني يناير ١٩٦٥ .

٣٧) جني زهرة الآس ص ٥٢

٣٨) تحدث عن هذا باسهاب ابن الوران الذي كان من المشرفين على المارستان ، الجزء ١ ص ١٨٨ .

٣٩) النبوغ المغربي ، ص ١٨٩ . ابن الحسني : الكتاب الذهبي ١٦٤ .

٤٠) مشاهير فاس : البحث العلمي دجنبر ١٩٦٤ ص ٥٢ .

٤١) يعتبر مختصر الشيخ خليل عمدة مذهب المالكية ، ومنذ حرره مؤلفه في النصف الثاني من القرن الثامن وفقهاؤهم وقضاتهم يشتغلون بتحصيله وتدريسه وشرحه وما يتعلق به . من الحجاز الى الاندلس والسودان ومصر وبلاد المغرب وقد ساهم فقهاء المغرب في بيان مسائله وتحرير اصوله واقواله وفي مقدمتهم ابن غازي وابن عاشر وابن قاسم جسوس والتاودي ابن سودة وابن الحسن بناني وجنون ... ومن طالع مطولات الفقه عرف فضل مختصر خليل حيث يطوي خلافات كثيرة بكلمة واحدة ... ولم يحفظ عن احد من العلماء الا مدحه والثناء عليه والاستشهاد بنصوصه والاعتناء بتدريسه وانما يستصعبه بسطاء الطلاب ممن لا معرفة له بمسائل الفقه حين يحاول لاول مرة اخذ الفقه منه مجردا مع انه تذكرة للمنتهي وليس للمبتدئ ...

٤٢) مجلة المغرب صفحة ١٣ .

٤٣) ذكر المقري في نفح الطيب ٧ ر ١٦٨ أن ابن المرحل آواه الليل مرة الى مجشر مع صهره أبي اسحاق التلمساني ، فأضافهما صاحبه ، وعطف عليهما بخبز ولبن قائلا : « استعملا من هذه « اللطافة » حتى يحضر العشاء . فتحاورا في اسم « اللطافة » حتى ناما ، فلم يرع أبا اسحاق الا ابن المرحل يوقظه ليقول : قد وجدت « اللطافة » قال : كيف ؟ لعل هذا الطالب كان يدرس قول النابغة :

بمخضب رَخْص كان بنانه عَنَم يكاد من اللطافة يعقد

وفسرت له كلمة اللطافة باللين . فكتب التفسير فوق . ولكن نقطتي الياء اختلفتا . فزهقت احداهما الى فوق الطاء وبقيت للياء نقطة واحدة . وهكذا حرفت اللطافة وأسيئ تفسيرها ! ولشدّ ما كان عجب الاثنين عندما سئل الطالب فأجاب بأن اللطافة هي اللبن واستشهد بالبيت ! النفح ٧ ، ١٦٨ – ١٦٩ .

٤٤) لقد قصّر المقّريّ حقا في جانب فاس عندما نعت علماءها بالضعف وادعى أنه مَا تصدر احد منهم لتدريس كتاب سيبويه ، ازهار الرياض ٣ – الجدوة ص ٢٣١ – راجع صفحة كرسي النحو

٤٥) أزهار الرياض ص ٣ – ٢١ – ٢٢ – ٢٦ – ٢٧ .

٤٦) الكتاب الذهبي ١٦٧ .

٤٧) يذكر المقري أن التآليف قبل المئة الثامنة في فاس معدومة ، وأنها اقتصرت على ما سجله الطلبة من مشايخهم من تقاييد ، وذلك كما فعل طلبة الشيخ الزروبلي (٧١٩ هـ) ، وطلبة الشيخ الجزولي (ت ٧٤١ هـ) ، فقد قيد الطلبة عن هذا بمجلس إقرائه على الرسالة ثلاثة تقاييد : أحدهما الكبير وهو المشهور بالمسبع في سبعة أسفار ، وثانيها الصغير وهو المشهور بالمثلث في ثلاثة أسفار ، والثالث أصغر في سفرين ، وكلها مفيدة انتفع بها الناس بعده ، الا أنها « تهدي ولا تعتمد » كما يقول الشيخ زروق حتى قيل إن من أفتى بها يؤدب ويرد المرتّب » ! ، أزهار الرياض ٣ ص ٢٢ – ٥٩ – ٢٤ – ٢٩ – ٣٠ – ٣١.

٤٨) نظن ان من هذا البعض السفر الثالث منه الذي ما يزال حتى الآن محبساً بخزانة القرويين .

٤٩) يقول الإمام الإبلي (ت ٧٥٧ هـ) : إنما أفسد العلم كثرة التواليف . وأذهبه بنيان المدارس « نفح الطيب ٧ ص ١٩٧ ، أزهار الرياض ٣ ص ٥٩

٥٠) النفح ١ ص ٧٨ .

٥١) مجلة المغرب ١٩٦٥ ص ١١ .

٥٢) النبوغ المغربي ص ٢١٥ – ٢٥٦ .

٥٣) نسبه في الرسالة المستطربة لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن أبي المظفر منصور المتوفي سنة ٥٦٢ . ابن الحسني

٥٤) المقدمة لأبن خلدون ص ٣٦٠

٥٥) سيمر بنا قريباً الحديث عن الاجازات العلمية . . .

٥٦) نيل الابتهاج – الكتاب الذهبي ١٧١ .

٥٧) تاريخ الجزائر العام ر٢ و٢٥٢ . راجع ص ١٥٧ .

٥٨) في رسالة رسمية من السلطان المولى عبد الرحمن لقاضي فاس ١٢٦١ الدعوة لطريقة العبدوسي ... الدرر الفاخرة – ٨٠ .

٥٩) روضة الآس ص ٣٣٣ .

٦٠) Description de l'Afrique I, 187.

٦١) ترجمته في درة الحجال رقم ١٠١٤ .

٦٢) البحث العلمي ص ٢٥٢ – ٢٥٦ .

٦٣) ابن الحسني الكتاب الذهبي ص ١٦٠ – ١٦١ .

٦٤) نظم اللآلئ والدرر (مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ٩٣١ / ك) المراكز الثقافية البحث العلمي ١٩٦٦ ص ٢٠ .

٦٥) أورد الأستاذ المنوني دفاعاً عن العلامة المكناسي عدداً من الشواهد على تضلع المكناسي في النحو مما يؤكد أن العبارة تدخل في إطار التنافس المعهود بين العلماء – درة الحجال رقم ١٣٤٢ روضة الآس ٢٢٥ – مرآة المحاسن ١٦٣ – الاصيلت – نسخة المكتبة الملكية رقم ١٠٠ .

٦٦) نشر المثاني ج ١ ص ٨٩ – السلوة ٢ ر١٤٦ – ١٤٨ .

٦٧) تُردد بعض المصادر قصة ممتعة للطالب (مصباح اليالصوتي) تحاكي قصة في «طوق الحمامة» . وتتلخص في أن فتاة أوت الى بيت (مصباح) بعد أن أغلق في وجهها درب المدينة في أعقاب عودتها من الحمام ، وقضت ليلتها تراه يطالع ويعمد بين الفينة والأخرى لتعريض أنامله لفتيل القنديل ، وقصدت فجراً بيتها فحكت قصتها لوالديها اللذين قضيا الليلة يبكيان ، واتفق أن كان الوالد (ابن مليح ت ٧٤٥ هـ) شيخاً لمجلس القرويين . فلما كان في الدرس لمح أثر حروق على أطراف أصابع سارده . فسأله بعد نهاية الدرس فقص حكايته مصارحاً أن إحراق أنامله كان محاولة منه لردع هواجسه . إذ اختلى بالفتاة . فكان يجرب النار في بعض أطرافه . وكان أن صاهر الشيخ تلميذه . وأن أمسى مصباح شيخاً لمدرسة قبالة القرويين . تعرف باسم (المدرسة المصباحية) طوق الحمامة ص ٣٧٤ – الصفوة ص ١٠٢ – النشر ١ – ١١٤ السلوة ١ – ٢٢٢ – مجلة المغرب ابريل مايه ١٩٣٤ – المغرب مجلة الوزير الشخصي الممثل لصاحب الجلالة . راجع التعليق ص ٢٦٣ رقم ٢

٦٨) المعيار ٨ ص ٣٤٨ .

٦٩) تاريخ الجزائر العام ٢ ر١٩٢ – تعريف الخلف برجال السلف ١ ص ١١١ .

٧٠) رسالة الكلالي البحث العلمي – راجع صفحة ٣٣١

٧١) ورد في ترجمة القاضي المليلي ان امرأة حسناء جاءته تشكو زوجها قائلة : والله لقد هممت ان اتيك في الليل وأنا عريانة ! فأجابها القاضي : «وهل نحن بهذا السعد ؟ ! وللقاضي المليلي نوادر طريفة من هذا النوع . . . » مشاهير فاس – البحث العلمي . يناير ١٩٦٥ ص ٩٣ .

٧٢) ازهار الرياض ٣ ص ٢٨ – ٢٩ .

٧٣) كانت مجالس القرويين تضم الطلبة من سائر افاق المدن والقرى . وكانت المنافسات بين طلبة هذه المدينة والاخرى من الظواهر العادية . وقد نقل عن الشيخ ابن سودة وقد استطرد الى ذكر منافع اكل الزبيب ، وانه يقوي الذاكرة ويزيد في الذكاء . فسأل أحد طلبة المدينة « لماذا نجد بعض سكان الجبل مغفلين مع انهم يكثرون من أكل الزبيب بحكم انه من اهم نتاجهم ؟ فاجابه الشيخ : لولم يكونوا مكثرين من أكل الزبيب لسقتهم باللجام مثل الانعام ! ! . . . وقد تبع هذا رد فعل من الطلبة الجبليين . تقبله الشيخ قائلاً والله ان اهل الجبل اقرب الى الله ممن اهل المدينة ! ! » .

٧٤) رسالة الكلالي : السلوة ١ ص ٢٧٠ – ٢٧١ راجع ص ٣٣٠ .

٧٥) استمرت هذه العادة الى الأيام الحاضرة . وقد حضر السلطان المولى عبد الحفيظ ختمة مختصر الشيخ خليل بجامع أبي الجنود . كما كان المغفور له الملك محمد الخامس يحضر ختمة العلماء بين يديه . المعيار الجديد : المجلد ١٠ – ص ٤٩٤ .

٧٦) من أقدم الذين حصلوا على الإجازة في هذا العهد القاضي الإمام مفضل العُذري (٦٨١ هـ)

٧٧) من نسخة منها توجد عند الاستاذ عبد الكريم بن الحسني ، وقد ذكر أنه وقف على أصلها في رق كبير طوله ٨٣ سم . وعرضه ٥٨ ، امتدت سطوره ٨٦ على عرضه بخط جميل رقيق ، ورؤوس الجمل والمهم من فصوله بالتذهيب والتلوين بالحمرة والزرقة ، وبين الاسجاع دواير كذلك بالتذهيب والتلوين ، يحيط به اطار مذهب كذلك ، واخبر ان بآخره (١٤) شكالاً (توقيعا) بعدها خطاب القاضي (إعلامه وتوقيعه) باداء الخامس والثاني عشر والثالث عشر من الشهور اعلاه واعلم باستقلاله . . وقد استخرج مما سلم منه من الرطوبة والاندثار نسخة فجاءت في ١٨ صحيفة مشتملة على تفصيل طرق الشيوخ في ذلك .

٧٨) من نسخة منها موجودة عند الأستاذ عبد الكريم بن الحسني ، وقد ذكر أنه وقف على أصلها وبآخره اشكال ١٨ (توقيعات) وإعمال ثم إعلام بالاعمال . . وانه في رق متين بتزويق لطيف مبسط مصفر جيد الخط ملون بالحمرة والخضرة ، وان طوله ٧٥ ، وعرضه ٤٠ ، وجملة سطوره ٩١ غير الاعتذار والاشكال ، ونونه الاخيرة والقاف منقطتان ، وكذلك الياء الاخيرة ، محل ونقط الشين والثاء فيه دائماً منفصلة غير مشتبكة ، وقد استخرج منه نسخة فجاءت في ١٨ صحيفة ، واخبر ان هذه الاجازة في اكثرها مماثلة للاجازة الهارونية – الا في مواضيع قليلة – بحيث يمكن ملء البتر الذي في احداهما بما سلم من متن الاخرى .

٧٩) الاجازة للشيخ المهدي الفاسي (ت ١١٠٩ هـ) سلمها الى الشيخ محمد ابن زاكور . الانيس المطرب فيمن لقيته من ادباء المغرب ص ٢٤ – ٢٦ .

٨٠) المعيار ٧ ، ٢٣٤ . . وراجع الشيخ بناني عند قول الشيخ خليل في الوقف : «ولا يقسم الا ماضٍ زمنه» .

٨١) كان النزاع كما رأينا بين الونشريسي والورياكلي على المرتب السنوي ، فاحتج المعزول باستحقاقه له نظراً لكون الفترة المهمة من السنة هي أشهر الشتاء ، واحتج المولى الجديد بأن الاستحقاق مشروط بمضي سائر السنة ، وأفتى شيوخ فاس للمعزول ، وقضى شيوخ تلمسان للونشريسي . . ويذكرني هذا النزاع في الشهر المدني(Le moi civil)بالنسبة الى الموظف الذي يتوفي في أثناء الشهر : هل يستحق مرتب الشهر كله ؟ ويجيب التشريع المغربي بنعم ، ويسمى الشهر بالشهر المدني ، نعم اذا ماكان الموظف فصل عن وظيفته في اثناء الشهر – حالة الورياكلي – فان المعزول لا حق له في مرتب الشهر عملاً بمبدأ الوظيفة العمومية (لا أداء بدون عمل) .

٨٢) ورد في رسالة الكلالي : أن الشيخ المنجوركان يعطي دروسه الوقفية في الشتاء ، وورد فيها أيضاً ما يفيد أن دروس الشتوة كانت متميزة عن الحصص في الفصول الأخرى . كما ورد في مرآة المحاسن (ص ٢٣٥) ان دروس التطوع كانت تعطى في غير فصل الشتاء وأول فصل الربيع . . (دعوة الحق يبراير ١٩٦٦ ص ٩٢) البحث العلمي ص ٢٥٢ .

٨٣) كان الأستاذ الزجلي (ت ٩٩٢) يخرج كل خميس مع طلبته للتنزه في ضواحي المدينة في وادي ويسلي . الصفوة ١٣٦ .

٨٤) هو ما يسمى بيوم المهرجان (عيد فلاحي) يوافق ٢٤ يونية – النهج ٢ ، ٧٥٢ .

٨٥) عرفت القرويين عوائد مختلفة وكان في اهم العادات الجارية اقامة الاحتفالات بالمولد النبوي ، ودعوة العلماء من المشرق ليحضروا الى جانب اخوانهم علماء المغرب ، حيث كانت تحرق الارطال من العود القماري في مباخر كالقباب ، أمام شموع كالأسطوانات ، على زرابي مبثوثة وبسط موشاة ووسائد بالذهب مغشاة كما يقول المقّري ، ويرجع الفضل في الاحتفال بأيام المولد للسادة العزفيين اصحاب سبتة اواخر القرن السادس ، فهم الذين ابتكروها ، اظهاراً للاعتزاز ، عندما كانوا يشاهدون المسيحيين بالاندلس يحتفلون بعيد ميلاد السيد المسيح ، وكانت تصلهم مع ذلك اخبار الملك المظفر صاحب أربيل (ت ٦٣٠) وفتوى السخاوي في عمل المولد وهكذا اقترن ظهور الاحتفال في المشرق بظهوره في المغرب ، وقد حرص ملوك المغرب على احياء هذه العادة على الدوام ، ونعرف ماذا كان يقيم لها المنصور السعدي من احتفالات ، يدعو لها علماء الحرمين الشريفين وبيت المقدس وباقي البلاد المشرقية ، حيث يُتبارى بانشاد الشعر وتقديم الصِّلات السنية ، واصبح الاحتفال بالمولد عادة في تقاليد اهل المغرب ، يلتزمونها حتى في خارج المغرب كما حدث عندما كان ركب السدة خناثة بالقاهرة عام ١١٤٣ هـ ، ومن الايام المحجَّلة للقرويين يوم احيا المغفور له محمد الخامس هذه العادة بعد عودته من منفاه . النفح ٧ ر ٣٨٩ – ٢٤٣ – ٢١٥ – ازهار الرياض ١ ر ٢٤٣ – ٢ ر ٣٧٤ – ٣٧٦ . روضة الآس ١٤ . مطبوعات القصر الملكي.

شعر المولودية في مملكة غرناطة والمغرب من القرن الثالث عشر الى القرن ١٧ . ١٧٤ – ١٧٥ .
Hesp Fas: 1948 T. 35 Fas: I,II.
الاستقصا ٣ ر ٩٠ ٥ ر ص ١٥٢ – ١٦٢ – الاتحاف ٣ ر
Hes: 1956 T. 314 Fas: III,IV P. 35

٨٦) كانت فاس في العهد الماضي تتكون من العُدْوَتَين كما علمنا : عدوة الاندلس وعدوة القرويين ، وقد أمست في أواخر هذا العهد ثلاث مناطق :

عدوة الأندلس القديمة التي أصبحت تدعى (العُدْوَة) بدون تقييد ، والمنطقة الثانية الأندلسيين ويتكون أكثرها من عدوة القرويين القديمة ، وقد اكتسبت هذا الأسم بعد أن سكنتها طائفة من الأندلسيين الذين وردوا جماعات من غرناطة بعد سقوطها في يد الأسبان ، والمنطقة الثالثة هي التي تسمى اللمطيين ، وهي باقي عدوة القرويين . الكتاب الذهبي ص ١١٠ . Fez Avant le Protectorat, la carte

٨٧) روض القرطاس ص ٩٤ .

٨٨) ورد في ترجمة الشيخ عبد القادر الفاسي أنه كان يتنازل عن أموال الأوقاف لغيره ، ويقتصر على نسخه الكتب مثلاً .

٨٩) ورد في ترجمة الشيخ زروق صاحب مصراتة أنه استنكر أخذ العلماء من الأوقاف ، وأنهم قالوا له : الحمد لله الذي جعلنا معدمين بمثابة من يحل لهم تناول الميتة ! ولا يبعد في نظرنا أن يكون زروق اعتمد على « الشبهة » التي دخلت الأوقاف في زمانه بعد اختلاطها ببعض أموال لم يتحر فيها القصد.

٩٠) نقل الشيخ بناني عند قول الشيخ خليل في الوقف : « ولا يقسم الا ماضٍ زمنه » لما استطرد الى ذكر قصة صرف الإمام الورياكلي عن المدرسة المصباحية لفائدة الإمام الونشريسي ، نقل ما يفيد أنه كان للعلماء نوعان من المرتب : شهري وسنوي .

٩١) ورد ذلك عندما كان الإمام ابن غازي يعرف بشيخه ابن الفتوح في روض الهتون ، فقد قال : إنه كان ممن يتقاضون « الجامكية » ، والجامكية : كلمة فارسية ، جامكي من جامة ج جوامك ، وتعني أجرة مرتبة على رأس كل مدة محددة ، شهر اوسنة ، جوامك المدارس ، فلان لم يأخذ جامكية .
Dozy

٩٢) Description de l'Afrique

٩٣) دونك نموذجاً من ظهير شريف بتنفيذ مرتب عالم من العلماء المدرسين : « احباءنا القاضيين فلان وفلان . . وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبعد فان الطالب الفلاني ممن يستحق المرتبة الفلانية لمواظبته لتدريس العلم الشريف وبثه للطلبة بمسجد القرويين ، عمره الله بذكره فنأمركم أن تأمروا ناظر أحباس القرويين أن ينفذ له ما لامثاله من العلماء Archives Marocaines T. 18 P. 317

٩٤) قال الشيخ ميارة في شرح لامية الزقاق عند قوله في أواخر فصل التوثيق اخرها ، مبكلات الشهادة بالجرحة : « كالجرح بالرشا وإعطاء عمال كأكْل » ما نصه : « نص أئمتنا على أنه إن لم يكن بيت المال ، أوكان ، ولم يتوصل اليه ، فانه يجب على الناس أن يجمعوا مالاً ليرتبوا منه للجند وحملة العلم » . ونقله المواق في باب الوديعة عند قوله : « وليس له الأخذ منها الا لمن ظلمه بمثلها » ونقله الهواري في حاشية الزقاقية عن ميارة ، ٤٠٩ وهذا يؤكد قول ابن الوزان أن عمل أهل فاس كان ماضياً على احتضان العلماء والطلبة

٩٥) اختصار الاخبار عمّا كان الثغر سبتة من الأثار ص ٧٦ مطبوعات القصر الملكي ١٩٦٩

٩٦) من المعلوم ان من عادات الاسلام التي تميز بها عهد الرسول صلى الله عليه وسلم التحلي بالثياب البيضاء وقد كانت ايضاً سنة بني امية ، فلما جاء العباسيون اتخذوا اللون الأسود شعاراً لدولتهم في الوقت الذي تمسك فيه خصومهم بالبياض الذي عرفته عصور الاسلام الاولى وفي صدر هؤلاء الادارسة بالمغرب والفاطميون بالمشرق ، وهذا ما يفسر الأمر الذي أصدره جوهر الصقلي عام ٣٥٨ هـ عندما فتح مصر – باحلال اللون الأبيض مكان الأسود ، وقد استمر المغرب على ما عهده الأوائل وتجلى ذلك في الظهير (او المرسوم) الذي اقرما عرفه المغاربة من ذي قبل . . .

٩٧) قصد العلماء الامير المأمون الملقب بالشيخ بعد ان علموا انه اتفق مع اسبانيا على تسليمها مدينة العرائش عام ١٠١٩ هـ لتناصره ضد أخيه زيدان ! وهناك اضطر العلماء الى السلام على القائد الاسباني ، فوقفوا له ، وعند عودتهم انقض عليهم الناس وسلبوهم ، ما عدا القاضي ابن ابي النعيم الذي كان يرتدي ملابس العلماء . الاستقصا ٦ ص ٢٠ .

٩٨) راجع مؤلفا للسلطان المولى سليمان حول جواز التجمير بالقسط في رمضان . . وانظر ابن خلدون ص ٦ ر ٢٤٦ .

٩٩) النفح ٢ ر ٢٣٦ – الجذوة ٤٣ رسالة الكلالي .

١٠٠) المعيار الجديد ١١ ص ٦٩

١٠١) هناك عدد من الأوقاف الاحسانية جعلت لنظر القاضي ، ومنها ما جعل لنظر المفتي ، ومنها ما جعل لنظر الخطيب .

١٠٢) السلوة ٢ ص ١٦٠ ـ

١٠٣) ورد ذكر الكرزية لدى الرحالة المغربي ابن جبير كما ورد وصف بعض السفراء المغاربة الذين وفدوا على امستردام عام ١٦٥٩ انهم كانوا يجعلون كريزية على رؤوسهم وربما سميت عندهم بالشدّ وهوما عرف الى الآن ، وتجمع على كرازي اوكرزيات ويعتقد دوزي ان اصلها بربري ، ولا يبعد

في نظري ان تكون الكلمة محرفة عن كردية نسبة الى الكرد الذين اشتهروا باحزمتهم القوية المتينة ، وقد عرف المغرب عدداً من الاكراد في بلاده كان منهم من تولى مناصب كبرى في الدولة من امثال القائد محمد بن موسى الكردي الذي كان من وزراء السلطان احمد بن ابي سالم بن ابي الحسن . روضة النسرين ص ٧٨ – المعجم لدوزي ترجمة الدكتور فاضل نشر وزارة الاعلام بغداد ١٩٧١ .

١٠٤) عندما كان ابن مرزوق في تونس اثناء سفارته بها طلب اليه مشايخها ان يلقي عليهم درسا في موضوع خصصوه له . . ثم انهم لم يلبثوا بدافع المنافسة ان حاولوا تعجيزه بمحضر كبراء الدولة على ما يأتي في الفصل الخاص بالسفراء من العلماء . . .

١٠٥) يتعلق الأمر بالسيد الذي تزوج سيدة شريطة أن تكون ثيباً ! فدلست عليه وزوّجته ابنة لها على أنها ثيب ، لكنه اكتشف أنها بكر ! فقام يطالب بردّ المبالغ التي أداها لأن شرطه لم يحترم . ولما رفع مسألته الى المفتي التلمساني ، أجابه ساخراً : قم عني ! أنت كن كان ينشد قبّاً فوجد حماماً بكامله ! ولما لم يقتنع السائل ، أشير عليه بالذهاب الى مفتي فاس ، ولما صوّب فيه هذا المفتي النظر وصعّده أدرك من قرائن الحال أن القُبَّ بالنسبة الى هذا السائل كان أرحم له من الحمام ! فحكم له بحق طلب التعويض . وقد وقف العلماء جميعهم في صف فتوى فاس ، منتقدين فتوى تلمسان باعتبارها لم تراع حالة السائل – وهوكهل – ! وقد كان مدركهم في ذلك أنه حتى لو صرف النظر عن شرط الرجل . والمسلمون عند شروطهم ، فإن مجرد رؤية الشخص قد يكون لها دخل في الموضوع ، وقد ضرب لذلك مثل بحالة العجوز الذي اشترى – في عهد الخليفة عمر – جوزاً لم يستطع كسره ، فطلب الإقالة . فلما امتنع البائع ، أرغم على ذلك ، استناداً الى أنه كان من واجبه أن يلاحظ حالة المشترى وقدرته . . وهكذا كان الحال في مشترى الثور في أوان الدراس ، فوجده لا يدرس أذلك عيب أم لا ؟ جني زهرة الآس ص ٩٥ .

١٠٦) نشير من ذلك الى نعت ابن خلدون علماء فاس بانقطاع ملكية التعليم عنهم في المئة الثامنة واكتفائهم بتحصيل القراءة ، كما نشير لما خَطّهُ العبدري والغماري عن علماء المشرق .

١٠٧) المعيار : المجلد ٧ ص ٢٣٤ – الجذوة ٢٤٧.

١٠٨) المعيار الجديد ، المجلد ١١ ص ٣١٧ نشر المثاني ٢ ر٩٦ – الصّفوة ص ٢٠٨ .

١٠٩) كان الحميدي اذا ذكر أولاد ابن ابراهيم الثلاثة ، قال عن أبي القاسم فيهم : « إنه أحمرهم ! » لأنه كان محل ثناء من قبل الزموري ! رسالة الكلالي ، البحث العلمي ص ٢٥٣ .

١١٠) من منافسات العلماء نذكر أن الشيخ الحسن اليوسي لما بلغه انتقاد بعض الطلبة له في فاس ، قال :

ما أنصفت فاس ولا أعلامها ... علمي ولا عرفوا جلالة منصبي
لو أنصفوا لصبوا إليّ كما صبا ... راعي . . . الى الغمام الصيب

فأجابه الشيخ عبد الرحمن الفاسي :

بل أنصفت فاس ومن انصافها ... أبداً سقوط المدعي والمعجب
تنفي الدجاجل عاجلاً أو آجلاً ... منها فهي طريدة من يشرب !

١١١) الاستقصا ٦ ص ٢١ .

١١٢) الاستقصا ٤ ص ٢١ – ٢٢ .

١١٣) القصة معروفة في كتب الأدب ، ويقال ان المكان الذي تم فيه ذلك هو ما يعرف اليوم برأس الخيمة احدى امارات الخليج .

١١٤) الخليج العربي ، دار الكتاب العربي ص ٣٥٩ : عمان وامارات الخليج العربي . في تاريخ المغرب الدبلوماسي : دعوة الحق مارس ١٩٧١ – البيان (الكويتية) مايه ١٩٧١ .

١١٥) الاستقصا ٥ ر١٩٢ – ١٩٣ .

١١٦) الاستقصا ٥ ص ٦٨ – ٨١ – ٩٢ – ١٠٩ – ١١٦ – ١٤١٢ – ١٦٢ . رفعة وادي المخازن . مجلة رسالة المغرب عدد ٢٨ مارس ١٩٤٩ – العلم ٤ – ٨ – ١٩٥٧ .

١١٧) الاستقصا ٤ ص ١٠١

١١٨) Hes 1947 T. 34, Fas I,II

١١٩) مجلة المغرب ، غشت ١٩٣٢ .

١٢٠) روى ابن عربي الحاتمي من شعرها ماأنشدته للسيد أبي علي صاحب فاس عند ولايته على المدينة :

جاء البشير بوعد كان ينتظر فأصبح الحق ما في صفوه كدرُ
من خير هادٍ غدا بالهدى يأمرنا وفي أوامره التسديد والنظرُ

كنون النبوغ المغربي : ١٤٤ - المغرب اوت وشتنبر ١٩٣٥

١٢١) النبوغ المغربي

١٢٢) النبوغ المغربي ص ٢٠٢ . الكتاب الذهبي ١٧٠ .

١٢٣) الضوء اللامع ١٢ ص ٣٠ .

١٢٤) ابن خلدون / المقدمة ٤٧٦ - ٤٧٧ .

١٢٥) Encyclopédie de l'Islam (masjide)

١٢٦) راجع مركز العلماء لدى الدولة والشَّعب في الباب الأول

١٢٧) تعريف الخلف برجال السلف ٢ / ٢٠٣

١٢٨) الاستقصا ٣ ص ١٠٢ .

١٢٩) كان اليهود يتمتعون « كمواطنين » بكل ما تحويه كلمة « المواطنة » من معنى ، ولهذا كانوا - كما اسلفنا - يتقلدون الوظائف ، وكانوا يلقون الحرية الكاملة لإقامة شعائرهم . يدل على ذلك تشبث قاضي توات الفقيه عبد الله العصنوني وعلماء فاس بترك الحرية لهم في بناء بيعهم بصحراء توات ، معرضين عن فتوى المغيلي (ت ٩٠٩ هـ) التي تأثر فيها ببعض التصرفات التي كانت تصدر عن قلة من اليهود . الاستقصا ٤ ص ٩٨ - ٩٩ ، / تعريف الخلف الاول ص ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٧ - ١٦٨ .

١٣٠) القصد الى المعلقين العظيمين اللذين أنشأهما المنصور السعدي مشرفين على فاس ، أحدهما خارج باب عجيسة ، والآخر قبالة باب الفتوح ، ويعرف الحصنان عند العامة باسم البستون ، وهما من الإتقان بمكان . الاستقصا ٥ ر ص ١٩٠ .

١٣١) الاستقصا ٦ ص ٧٣ .

١٣٢) راجع رسالته لهم بتاريخ ٨ شعبان ٩٩٩ - استقصا ٣ ر ٥ - هيبرس ١٩٢٣ .

١٣٣) الاستقصا ٦ ر ص ٢٠ ر ٣٠ .

١٣٤) المعيار الجديد ج - ٩٣

١٣٥) اعطى الفقيه المجاهد البهلولي (ت ٩٤٣ هـ) مثلاً رائعاً يكفي دليلاً على الغيرة التي تتملك العلماء . وعلى الايمان بقدسية الجهاد . فقد عاد مرة بعد غزوة ضد الاعتداء البرتغالي ، فوجد الناس عند مقدمهم من الصلاة على زوجته بنت الشيخ أبي زكرياء ابن بكار . وقد عرف ان الذي قام بالصلاة على جنازتها بجامع القرويين هوالشيخ ابن غازي ، فأسرع البهلولي نحوالمقبرة ، وطلب الى الناس أن يتمهلوا لإعادة الصلاة على الجثة . ولما أكدوا له أن الصلاة عليها قد تم ، وهل يصلى على الجنازة مرتين ؟ أخبرهم بأن « الصلاة الأولى باطلة ، لأنها بغير إمام ، لأن من شروط الإمامة الذكورة ، وهي مفقودة في الشيخ ابن غازي ، لأنه لم يحمل سيفاً في سبيل الله قط كما كان والده . وإن الذي لم يعرف الجهاد كما كان يعرفه نبي الاسلام ، معدود - والله - في جملة النساء » .

الدوحة – الاستقصا ٥ ر ص ١١٢ – ١١٣ ، ١٤٩ .

١٣٦) كان الشيخ ابو المحاسن في صدر الذين شاركوا في موقعة وادي المخازن . . (٩٨٦ هـ) هذا وفي ظاهر باب الفتوح روضة الشهداء يذكر أنه يرقد فيها عدد من المجاهدين الذين استشهدوا في تلك الغزوة ضد البرتغال ، تلك الغزوة التي كان لها اثر قوي ليس فقط في الجناح الغربي من العالم الإسلامي . ولكن فيه وفي ساحل الخليج الذي كان يئن تحت السيطرة البرتغالية أيضاً . السلوة ٣ ر ٣٠٢

« المغرب يساعد منطقة الخليج في القرن العاشر على إجلاء البرتغال » مجلة مايه ١٩٧١ – (الاتحاد) ابوظبي ابريل ١٩٧١ البيان الكويتي .

١٣٧) ازهار الرياض ٣ ر ٢٦ – ٢٩ .

١٣٨) المعجب ص ٢٢٠ .

١٣٩) وصل المذهب المالكي الى بعض الجهات المشرقية منذ ايامه الأولى وقد كان ممن قدم به الى مصر في منتصف القرن الثاني من الهجرة الشيخ عبد الرحيم ابن خالد ٣٧٩ ابن يزيد (ت ١٦٣ هـ) لكنه لم يلبث ان لقي معارضة من لدن بعض الفئات الحاكمة ، وقد كان لعلماء المغرب فضل تركيزه على الرغم من تلك المعارضات. المقريزي/ : الخطط ج ، ٢ ر ٣٣٤ – الصلات الثقافية ، الكتاب الذهبي ص ٩٩ – في تاريخ المغرب الدبلوماسي ، دعوة الحق مارس ١٩٧١ .

١٤٠) يقول الشيخ الفضل ابن عاشور : « ذهب الاحتلال الاسباني لتونس بالطارف والتالد ، فكانت معونة رجال جامعة القرويين بمثابة اللقاح الذي اعاد الحياة الى جامع الزيتونة ، فقد انتشرت كتب المغرب هناك ، وكيف يستطيع المخالط لمخطوطات تونس أن يحمي نفسه من سحر فاس ، وهو الذي لوحاسب نفسه على ما رأته عينه ووعى قلبه ، لأدرك أن نصف ذلك في الإحصاء إن لم يكن أكثره يرجع الى فاس » ،

مجلة المغرب عدد ٦ – ٧ – دجنبر ١٩٦٥ – مساهمة القرويين في اللقاح العلمي بين المغرب وتونس (الكتاب الذهبي) ص ٢٢١ – تونس عبر التاريخ ص ١٩٩ – ٢٤٥ – .

١٤١) خلاصة الأثر في ترجمة الشيخ القصار (١٠١٢ هـ) السلوة ٣ ر ٢٨١ .

١٤٢) الاستقصا – ٩ ص ٥٨

١٤٣) كان جواب القاضي على من انكروا عليه : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين . . الآية: المحاضرات : الحاج عمر الفوتي ، طبعة مصر ١٣٨٣ ص ٥٦ .

١٤٤) هكذا كانت فتوى ابن القطان ، ونظراً لمعارضة آخرين تحيل الناصر لاستقبال فرنانده الملقب بالبيوج (Babaso) قائماً من غير قعود سابق ، وذلك بخروجه من الباب المعتاد لخروجه الى قبة جلوسه عند وصول البيوج اليه . . وجاءت حادثة الوقوف للأجنبي اواخر ايام السعديين بعد الاستيلاء على العرائش ، فأثارت الموضوع مرة ثانية ، لكن الرأي لم يلبث ان استقر على علاج الاحوال بما يناسب المقام .

وقد دأب التقليد المغربي على استقبال السفراء بحال لا تنال من عزة البلاد ولا تمس بشعور الضيوف ، فكان الملوك يستقبلونهم وهم على خيولهم او عروشهم ، وتلك العادة اليوم . ابن صاحب الصلاة ص ٤٠٢ الذيل والتكملة ٥ ، الخزانة العامة رقم ١٧٠٥ ، عبد الهادي التازي : في تاريخ المغرب الدبلوماسي دعوة الحق مارس ١٩٦٩ .

١٤٥) يضاف الى هؤلاء بعض آخر من العهد العلوي الآتي الذكر من امثال الفاسي (ت ١١٠٣) والغساني (ت ١١١٩) والغزال (ت ١١١٩) والعمراوي (ت ١٢٩٦) الخ .

١٤٦) ابن الفراء : رسل الملوك ص ١٣ – ٣٢ – ٣٣ .

١٤٧) الوزاني : المعيار الجديد ص ٦٨ .

١٤٨) كثر حديث الكتب القديمة عن « كرم » السفير ، وهو يدل على أن الدولة كانت تغدق على مبعوثيها بالأموال ، لما تدعو الحاجة اليه مما يفرضه التمثيل الدبلوماسي ، وهي عادة قديمة وردت الإشارة اليها في جواب سفير المعتصم بالله لملك الروم عندما أعجب الملك بملابس السفير وكثرة تجمله ، فسأله : كم ترزق من سلطانك ؟ فأجاب : أرتزق أنا وولدي في كل شهر عشرين ألف درهم ، وقليل لمثلي هذا الرزق ! ! ابن الفراء : رسل الملوك ص ٢٢ – ٢٣ .

١٤٩) المقرّي : النفح ٧ ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

١٥٠) المصدر السابق : ص ١٢٩ - ١٣٤ .

١٥١) نفح الطيب ٥ ر٤٣٣ ،

١٥٢) تاريخ الجزائر العام ٢ ص ١٩٥

١٥٣) كان سانجة اوفد على أمير المسلمين ، وهو بالجزيرة الخضراء ، وفدا من البطارقة يطلبون السلم ، وبعد مراجعات اسعفهم ابو يوسف يعقوب بعد املاء شروطه ، ويطلب بلح من سانجة قبل يعقوب استقباله يوم الاحد ٢٠ شعبان ٦٨٤ ، ابن خلدون طبعة بيروت جزء ٣٢ ص ٤٣٤ - ٤٣٥ .

١٥٤) الاستقصا ٣ ص ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ ، مجلة المغرب عدد مارس ١٩٣٤ .

١٥٥) حديث كليـار عن هذه السّوق

١٥٦) الاستقصا ٥ ، ص ٩٧ ، دعوة الحق - ابريل مابة ١٩٦٧ .

١٥٧) الاستقصا ١٢٧،٣.

١٥٨) كان من البعثات الاجنبية التي ترددت على المغرب في عهد السعديين وفد هولاندي لغرض المساعدة في بناء ميناء (الوليدية) وكانت مناسبة لأهداء أحد أعضائها المستشرق كوليوس Colius بعض المخطوطات التاريخية . التازي : دراسة حول كتاب ابن صاحب الصلاة ، مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٦٤ .

١٥٩) يرجع تاريخ نسخ المصحف الى عام ٩٧٦ هـ ، مسطرته أحد عشر سطراً فقط ، وطوله ٥٠ سانتياً على سبعة وثلاثين ، كتب بخط جميل جعلت فيه أسماء الجلالة كلها بالذهب ، وقد جدولت كل ورقة بمختلف الألوان وعلّمت رؤوس الاحزاب بتفاحات موشاة ، وقد صنع في ربعة مرصعة بالعاج في إحكام وإتقان .

١٦٠) كتب في سفر أثري عتيق ، وقد كان أملاه بقرطبة في شعبان سنة ٧٩٥ هـ ، وهو من تحبيس السلطان أحمد المنصور الذهبي في ذي القعدة عام ١٠٠٨ هـ .

١٦١) في آخرها : «كتب بخط حسين بن يوسف عبد الإمام الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه في شعبان من سنة (٣٥٩ هـ) . »

١٦٢) نسخها يحيى بن محمد بن عباد اللخمي ، ويرجع تاريخ نسخ الجزء السادس منها الى منتصف السنة الثانية بعد الخمس مئة ، وقد صارت هذه النسخة الى أبي عنان ، فحبسها على القرويين . .

١٦٣) توفي ابن سعادة سنة ٥٢٢ ، وقد عثرنا على نسخة للبخاري بخط الصدفي نفسه في مكتبة الجغبوب ، وأظنها بقيت في طبرق . ونسخة ابن سعادة نقلت للخزانة السلطانية بفاس الجديد ثم لطنجة وهي الآن بالخزانة العامة بالرباط .

١٦٤)كان الفراغ منها سنة ٥٧٣ هـ ،

١٦٥) وقف على بعضه المقري صاحب نفح الطيب ، أنظر الجزء ٢ ص ٢٣٤ ، ويظهر أن القصد بالبعض الى السفر الثالث الذي يحمل رقم ٤٠ ، ٢٦٤٦ المحبس عام ٨٥٥ هـ من قبل الوزير علي بن يوسف بن زيان الوطاسي (ت ٨٦٣) . الكتاب الذهبي ص ١٧١ .

١٦٦) كان منها كتاب المجسطي لبطليموس Ptolemy : Almagest مجلة معهد المخطوطات نونبر ١٩٦١ ص ٨١ .

١٦٧) راجع ترجمة كوليوس (١٠٣٢) في اعلام القرويين .

١٦٨) الكتاب الذهبي ص ١٩٩ - ٢٠٠ برنامج خزانة القرويين ص ١٠٥ .

١٦٩) بعد استعادة المغرب استقلاله ، اثارت الخزانة اهتمام عدد كبير من العلماء والباحثين ومن الهيئات والمؤسسات الدولية ، فقصدوها يبتغون الاستفادة منها ، وهكذا اهديت الى معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية اشرطة لعدد من المخطوطات بالخزانة . كتاب التاج للجاحظ الاجزاء الأربعة واختصار مسلم للمنذري الاول والثاني ، وقد كتب ٦٤٥ هـ في عهد المؤلف ، والزهد والرقائق لابن المبارك وقد نسخ ٤٦٥ هـ ، والجمهرة لابن دريد ، والذخيرة

لابن بسام ، والمقصور والممدود والمهموز لاسماعيل بن القاسم البغدادي القالي الذي رحل الى المغرب سنة ٣٢٨ هـ ، والتبيان لبديع البيان لابن صلاح الدمشقي من رواة الحديث ، وكتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ومسند عبد بن حميد وصحيح الامام مسلم ، وجامع البيان عن تأويل أي القرآن لابن جرير الطبري ، والعبر لابن خلدون . . . هذا الى السجل الحافل الذي أهديت اشرطته الى منظمة اليونيسكو . . .

١٧٠) تدل تشريعات الدولة على أن سائر الخزائن متفرعة عن القرويين كما هو الحال في المساجد التابعة لها ، وقد ورد في ظهير السلطان المولى عبد الرحمن ابن هشام خطاباً لقاضيه بفاس مولاي عبد الهادي : «ان يشد عَضُدَ قيِّمَ الخزانة العلمية التي بقبلة جامع القرويين الكبرى ، وما أضيف اليها من خزانة مسجد الرصيف وخزانة فاس العليا ، وأن يأمر الناظر باصلاح ما تحتاج اليه كتب الخزائن المذكورة من إصلاح وتجديد وتسفير (أي تجليد) . » العابد الفاسي ، الخزانة العلمية بالمغرب ص ٧١ .

١٧١) به خزانتان اثنتان .

١٧٢) له خزانة واحدة Les mosqueés de Fez

١٧٣) له خزانتان . Les mosqueés de Fez

١٧٤) Les inscriptions de Fez

١٧٥) القصد الى الشيخ محمد بن عبد السلام بناني ، وهذا من جملة المخطوطات التي كانت فيه شرح ابن عباد على الحِكَم لابن عطاءالله والترغيب والترهيب للمنذري ، وتفسير ابن عطية ، والفصوص لابن العربي ، الحاتمي في سفر ومجموع أدبي أوله قصيدة امرئ القيس ، والمباحث الشرقية لابن العربي الحاتمي .

١٧٦) في الحوالة الاسماعيلية ١١١٥ لائحة بما كان في هذه الخزانة العلمية على ذلك العهد ، وكذلك في الخزانة الصغرى الخاصة بالمصاحف ، لكن الذي يقارن بين ما كان هنا وما في خزانة القرويين ، يدرك اهمية هذه وتفوقها على تلك . هذا وممن كانت بيدهم خزانة المصاحف : الحاج حدّو ابن النعيم ، والخزانة العلمية ، وكانت عن يمين الداخل من باب الحفاة ، بيد سيدي الكبير بن سودة . .

١٧٧) كان من المخطوطات التي تحضنها خزانة هذه المدرسة كتاب البيان والتحصيل ، وهو الان في خزانة القرويين الكبرى ، وقد كان حبس على خزانة مدرسة الصهريج في شهر ربيع الاول ٧٢٨ هـ .

١٧٨) ماسلوف – لوتورنو .

١٧٩) كان من القيمين بها الفقيهان سيدي محمد الدلائي ، والطيب بن الخياط برادة .

١٨٠) كان فيها من المخطوطات نسخة من صحيح الامام البخاري بخط سيدي عبد القادر الفاسي – الاول والرابع من الاحياء – مواقع النجوم للحاتمي ، وقد عثرنا على تقييد باسماء بعض الكتب المعارة للطلبة ، ومنها ابن عباد على حكم ابن عطاءالله – والكلاعي ، والحريفش ، والاحياء الخ . .

١٨١) ماسلوف .

١٨٢) كانت نواة هذه الخزانة على ما علمنا ثلاثة عشر حملاً ، أهداها صانش (Sanche) ملك اسبانيا الى ملك المغرب يعقوب . وكان منها مصاحف وتفاسير عديدة ، منها تفسير ابن عطية ، وتفسير الثعلبي ، وكتب الحديث وشروحها كالتهذيب والاستذكار ، ومن كتب الاصول والفروع واللغة والعربية والادب وغير ذلك . . وفي خزانة القرويين الكبرى الآن نسخة عتيقة من المدونة ، ونسخة من تفسير ابن جرير الطبري مما حبس على خزانة الصفارين . الاستقصا ٣ ر ص ٦٢ .

١٨٣) ازدهرت خطة الحسبة بالمغرب ازدهاراً كبيراً جعل منها اداة لتثبيت الامن والنظام ومراقبة المبيعات اذ كان المحتسب يسهر على سلامة الطعام وعدالة المكاييل وصحة المقاييس واعتدال الاسعار وتناسب الأثمان والأرباح ، وكان الى جانب هذا يراقب حضور الموظفين – من قضاة وغيرهم – وقد كان مكان المحتسب بواسطة المدينة بين المتاجر والمطاعم ، كان بالذات الى جانب المارستان ، وقد زود بخزانة تحتوي على كتب الحسبة كما تحتوي على آلات القياسات الشرعية الذراع (القالة) المدّ (الارطال) الخ . . وقد أدركنا (قالة) مغروسة في جدار بسوق العطارين قريب من المارستان ، يقصدها الناس للتأكد من المقاييس عند النزاع .

A, Bel : Trois anciennes coudées Royales journal Asiatique, Janvier 1917

١٨٤) في جملة الكتب التي كانت موقوفة على خزانة المفتي ، كتب الفقه ، وكان منها بهرام الدميري (ت ٨٠٥ هـ) رسالة الكلالي .

١٨٥) مجلة المغرب ، عدد ١ يولية وغشت ١٩٣٢ .

١٨٦) يذكر انه ورد عليه الحاجب بن عزوز بن سعيد ، وابلغه سلام السلطان ، وانه يريد ان يجعل الخزانة في يد اولاده ، فاعتذر الشيخ ، ثم قال لاولاده : ماكرهت لكم مطالعة الكتب والاستفادة منها ، ولكن كرهت لكم عملاً يحوجكم الى الوقوف بباب السلطان هذا وممن تولاها في عهد العلويين الفقيه محمد بن احمد الفاسي - ايام سيدي محمد بن عبد الله - والفقيه محمد الطيب القادري ايام مولاي عبد الرحمن والفقيه علال ابن جلون ايام سيدي محمد بن عبد الرحمن.

١٨٧) راجع إفادة الغماري ...

١٨٨) كان ذلك عندما وضع الاجنبي اول قدم له بالمغرب ايام السلطان أبي سعيد عام ٨١٨ حيث استولى البرتغال على سبتة قبل أن يسلموها للاسبان وقد حدث مثل هذا سنة ٩٦١ كما تؤيد ذلك الحوالات بما دفع لمولاي أبي حسون السعدي الاستقصا ٥ - ١٦٠ ، مجلة المغرب نوفمبر ١٩٣٦ ص ٤ .

١٨٩) نذكر على سبيل المثال انه عندما جرف سيل عظيم مدينة فاس في شعبان من سنة ١٠٠٩ (يولية ١٦٨٨) ايام السلطان احمد الذهبي فتحطمت الحوانيت وتداعت المنازل بسبب انهيار الوادي ، ولما قرر المنصور ان يعيد بناء سد وادي فاس رأى ان خزينته لا تحتمل ذلك فاحال جل المصاريف على وفر احباس القرويين . نشر المثاني ص ٥٧ .

١٩٠) كذا ورد في بعض الحوالات : الوصية بقراءة الفاتحة على قبر مجهول .

١٩١) وقفت في بعض التقاييد على ان فندق العطارين احترق الاحتراقة الاولى سنة ٧٢٣ وكان يضم الحوالة الحبسية للقرويين وانما استظهرت من صدور القباض ، القرطاس ٣٠٠ .

١٩٢) عندما يطلق « المفتاح » في الاصطلاح المغربي فان ذلك يعني الملك الكامل وقد يكون الشخص مالكاً للارض وحدها وهذا ما يسمىّ « مالك الجلسة » وقد يكون مالكاً للمبنى وهو ما تختص به كلمة الأصل وقد يكون الشخص انما يملك الرفوف والاثاث الذي لا يستغنى عنه المبنى ، وهو ما يسمّى « مالك الزينة » وربما كان الشخص مالكاً للثلاثة وهو الذي يطلق عليه انه مالك للمفتاح .

١٩٣) روض القرطاس ص ٣٦ - جني زهرة الآس ٦٧ - ٦٨ .

١٩٤) روض القرطاس ص ٤٢ .

١٩٥) كان هذا الفندق من الأموال الخاصة لجانب الخلافة من قديم ، وقد خرب واهمل . فلما كانت أيام ولاية أبي عبد الله الحدودي بفاس أمره القاضي بها اذ ذاك الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي الصبر ببنائه وإصلاحه ، فتوقف الوالي في ذلك مؤكداً أنه ينتظر إذن الخليفة ، فالتزم القاضي أمام الشهود بأنه مستعد للإداء من ماله اذا تعرض الوالي لمتابعة من الملك . ولما تم اصلاح الفندق بعث الى الحدودي ، فاعتذر له هذا بما أمر به القاضي ، فأمر السلطان باشخاص القاضي ، ولما سأله أبو يعقوب عن سبب أمره الحدوديَّ ببنائه للفندق ، أجاب : أمرته بذلك ، لأنه غلب على ظني أنك تحبسه على القرويين ، فكرهت الخراب بقربها ، وهي عين فاس ! فاستحسن الملك جواب القاضي ، وأشهد في الحين بتحبيسه . جني زهرة الآس ص ٧٩ - ٨٠

١٩٦) ورد في ترجمة الامام ابن عباد (ت ٧٩٢) أنه أوصى بربعة كانت محفوظة عند رأسه ، أن يشتري بما فيها ربع يكون حبساً على القرويين ، كما سجل التاريخ للشيخ أحمد الشاوي أنه من أبرز من أسهموا في تنمية أوقافها .

١٩٧) راجع البحث حول مدارس الطلبة . - ٢٧٠ - ٢٧٣ .

١٩٨) راجع ترجمة ابن حيون .

١٩٩) ورد في ترجمة ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني : ولما استقام له الأمر ، بنى البيمارستانات للمرضى والمجانين ، ورتب لهم الأطباء لتفقد أحوالهم ، وأجرى على الكل المرتبات والنفقات . الاسقصا طبع البيضاء ج ٣ - ٤ .

٢٠٠) المسند الصحيح الحسن .

٢٠١) كان أول من حفظ لنا التاريخ اسمه من نظار المارستان بفاس ، أبو فارس عبد العزيز بن محمد القروي (ت ٧٥٠) ، كما كان من أطبائه ومديريه عام ٧٥٤ هـ أبو القاسم القرشي ، ومن كتابها ابن الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي . وتحتفظ أضابير الدولة العلوية بظهير للسلطان سيدي محمد بن

عبد الرحمن كتب به للفقيه سيدي إدريس السراج لتوزيع القمح والسمن والخليع على الملتجئين الى المارستان على يد الناظر سيدي محمد بو عنان في ٩ جمادى الأولى عام ١٢٨١ هـ .

٢٠٢) كان السلطان المولى سليمان جدده ، وأضاف اليه مسجداً غير بعيد عن الغرف المخصصة للمرضى ، ومنذ تاريخ مبكر ، عهد الى السادة الطالبين الإشراف على شؤون الضريح المذكور . والاستفادة من فتوحاته .

٢٠٣) راجع ص ١١٢ حول محاسن فاس . مجلة المغرب مايو ١٩٣٣ .

٢٠٤) راجع الحديث حول حريم القرويين في الباب الأول .

٢٠٥) من الأوقاف على المارستان نصيب من رائقة ابن الغرديس ، كما ان فيها نحواً من أربعين بقعة وثلاث مئة بقعة ، فيها الدور والحوانيت والأرضون . راجع الحوالة الاسماعيلية – جنى زهرة الآس ص ١١٠ .

٢٠٦) توفي ٩٢٦ ؟

٢٠٧) يقارن ابن الوزان الذكة بالدينار أو المثقال ، ولتحرير الكلام نذكر أن الذكة الذهبية في عهد كليمان السابع الذي كان يكتب الكتاب في عهده كانت تزن ثلاثة غرامات و٥٣٢م . ك . من الذهب ، فهي أي الذكة الرومانية ، تساوي ١٢ فرنكاً و١٧ سانتيماً .

Description de l'Afrique, I p. 37–187–188

٢٠٨) هذه المعلومات تؤكدها هوامش بعض الحوالات التي في بعضها أن القابض كان يتقاضى ربع العشر ، ويظهر أن النسبة كانت تختلف بحسب الأشخاص ، وبحسب الأتعاب من المدخول تشجيعاً له ، لينشط في عمله . انظر الحوالة رقم (١٥) راجع حوالة ٩٦٢ هـ .

٢٠٩) ابن الوزان ١ ص ١٨٥ .

٢١٠) ما يعادل زهاء ثلاثة وأربعين ومئتي ألف فرنكاً واربع مئة سانتيم .

٢١١) غالباً ما كانت تجتمع وظيفة النظارة والقضاء في يد شخص واحد راجع صفحة ٢٤٩ .

٢١٢) هناك لائحة بأوقاف المرضى المجنونين القاطنين ببرج الكوكب (سيدي علي المزالي) بباب عجيسة . كما أن هناك داراً موقوفة ، وقفها السلطان محمد بن عبد الله بدرب الوادي المقابل لباب روضة الحرم الإدريسي على الفقراء الزمني والغرباء والعميان الذين لا مأوى لهم .

٢١٣) في الحوالة الاسماعيلية (في ١٠ شهر رجب ١١١٥ هـ نقلاً عن حوالة قديمة) لائحة بالأوقاف التي كانت لجانب فئة المجاهدين والمرابطين بالثغر التطاوني المحفوظ بالله ، ثبت الله اقدامهم ، وقوى مددهم ، فيها ما هو معلوم ، وفيها ما هو مجهول .

٢١٤) من أكثر هذا الجدل مبالغة ، الفتوى المتأخرة في أن أوقاف القرويين أصبحت كلها حراماً لإضافة أحباس غيرها اليها ! الإفادة الأحمدية لمزيد السعادة الأبدية ، ص ٢ (ب) .

٢١٥) نوازل الشيخ التاودي ابن سودة ص ٣٣ .

٢١٦) Encyclopedie de l'islam.

٢١٧) الاستقصا ٥ ص ١٦٠ . مجلة المغرب ، نوفبر ١٩٣٦ .

٢١٨) تجمع على حوالات ، وقد تجمع على حواويل كما في بعض الوثائق .

٢١٩) عبد الهادي التازي : الارقام العربية ، بحث مقدم الى مؤتمر التعريب بالرباط (مجلة التربية الوطنية .) ابريل ١٩٦١ – مجلة اللسان العربي يناير ١٩٦٥

٢٢٠) على الرغم مما تسببه البعثة من متاعب فقد يكون في تجنّبها ما يساعد احياناً على الوصول للحقيقة اذ نستدل بالثقوب المتشابهة على ترقيم الأوراق وتسلسلها .

٢٢١) من جملة الربع مصرية بكرنيز عن يسار الخارج من خربة العين التي تذهب الى القرويين ومصاري درب المنجانة : مصرية ابن مسلمة ومصرية الرصّاع والبرج الحديث البناء .

٢٢٢) في فاس بالقطانين فندق فخم ، كان يحمل (تربيعة مكة) ، يحتوي على ثلاثة طبقات ، هذا الى عدد يبلغ زهاء ٣٢٠ من انواع العقار الموقوف على الحرم المكي مفصلة في سائر الحوالات ، وسنجد في الحوالة الاسماعيلية ما كان يبعث به السلطان المولى اسماعيل سنوياً الى الحرمين الشريفين واهل الحجاز وأهل بدر ورابغ وينبع والطائف ، كما نرى ما استمر السلطان محمد بن عبد الله يبعثه الى المشرق ابتداء من ضريح الشيخ زروق بمصراتة الى مصر والاسكندرية الى الحرمين الى اليمن .. راجع حوالة ٩١٧ .

٢٢٣) بلغ عدد المؤذنين والقومة في عهد الجزنائي زهاء اربعين مؤذنا .

٢٢٤) المزوار يعني باللغة المغربية النقيب ، وكان المؤقت يعد دائماً نقيباً ورئيساً للمؤذنين .

٢٢٥) من نماذج التزامات الكراء لبعض البقاع الوقفية : « التزم كرائها لجميع عام تاريخه من اوله سكنها عبد الرحمن بن قاسم الجناني بثلاثة دراهم صحبة من دراهم النقرة في الشهر يدفع واجبه كل شهر عند تمامه وعقد له الناظر .

٢٢٦) راجع بداية بحث الأوقاف .

٢٢٧) روض القرطاس ص ٤٧ .

٢٢٨) ان مسألة تخصيص اعتماد للمتعهدين للجامع ، من الذين يلازمونه وينتظرون في حفظه واغلاق ابوابه ليلا ونهاراً وتفقده بعد انصراف الناس من صلاة العشاء الاخيرة كل ليلة مع وقاد الجامع واخراج من يريد ان يقضي ليله خوفاً من سطو على الثريات والزاج العراقي ، اثارت جدلا قويا : ولا بد من مراجعة فتوى الامام مصباح التي تقف مع مبدأ : « لكل مجهود أجرة » ، استمر الامر على ذلك ، وقد وقفنا على عدة ظهائر حول تعيين « اغوات » الجامع ولا سيما الذين يحمونه من دخول من لا يليق ، ومنهم الاطفال ، وقد ادرك ابانا الحديث عن اسماء معروفة من هؤلاء الاغوات : مثل الحاج الطاهر الذي كان معززاً بحارس (مخزني) اسمه فتح الله ، وادركنا نحن ابراهيم الملقب « بوسويطة » لانه كان يحمل دائماً سوطاً يطرد به الفضوليين كان يضع على رأسه شاشية حمراء ويحتزم كرزية راجع صفحة ٣٦٧ .

٢٢٩) مما يؤيد سيطرة الاتراك المؤقتة على مدينة فاس اواخر دولة بني وطاس اذ كر وثيقة اسبانية بقلم الكونت D'AL – CANDETE مؤرخة سنة ١٥٥٤ (٩٦١ هـ) تقول ان صالح الرايس باشا الجزائر الذي احتل فاساً في نفس العام نادى بنفسه ملكاً على المغرب باسم السلطان العثماني ونصب ابا حسون خليفة له دوكاستري السعديون اسبانيا ٢٢ – ١٥١ ، الاستقصا ٤ ر ٩ ١٤ .

٢٣٠) تاريخ الدولة التاكادرتية ص ١٩ . Description de l'Aphrique.P.185

٢٣١) راجع فصل حوانيت سماط العدول .

٢٣٢) مسجد الصابرين هو الذي كان مجاوراً لمدرسة الصابرين المتقدم ذكرها على عهد المرابطين . ومسجد طريانة هو الذي كان ابن تومرت ألقى درسه فيه في أواسط العهد المرابطي كما تقدم ، راجع الفصل الخاص بالمساجد التي كانت بمثابة فروع للقرويين .

٢٣٣) مما أفادته هذه الحوالة أن فندق الرضاع ليس هو فندق التطاونيين ، وإنما هو الفندق الذي عرف باسم فندق سيدي عبد المجيد ص ١١٢ .

٢٣٤) نلاحظ أن (مصرية الإمام الخطيب) كانت منذ سنة ٨٤٠ هـ موقوفة بحكم لفظ المحبس على خطيب القرويين وامامه ، ولا يمكن أن يكون القصد خلوة الأسبوع العليا ، لأنها لم تؤسس إلا سنة ٩٧٠ هـ فلهذا يظهر أن المؤقت ربما كان يزاول أيضاً وظيفة الإمام الخطيب ، أو أن هناك تحريفاً والقصد مصرية المؤقت التي كانت محملة على باب الشماعين ، أنظر حوالة ٩٨٤ .

٢٣٥) في جملة الأزقة الموجودة : زنقة فزاع البحر بالشراطين ، ودار الثقات التي كان يسكنها الزوجان المتخاصمان ليثبت من هو المتظلم منهما ، وكانت بالقطانين وكذلك حارة قيس الإشبيلي المحرفة اليوم الى رحبة القيس .

٢٣٦) الموافقة المثبتة في الحوالة هي بالضبط التي تعطيها جداول كاطنوز ١٩٥٤ .

٢٣٧) في أبرز الاحتمالات التي تسيطر علينا أن القصد بالقبة قبة الخزانة الأحمدية لحفظ المخطوطات

٢٣٨) يدل على عدم تساهل المشرفين على الأوقاف في تقدير الكوارث التي قد تحل بأملاك الجامع . . .

ملحق للباب الثاني

تراجم لبعض أعلام القرويين في هذه المرحلة

أعلام لهم صلة بالقرويين في هذه العصور

لو حاولنا أن نتعرض في قليل من التفصيل للرجال الذين ازدانت بهم فاس في العهد المريني والوطاسي والسعدي ، لوجدنا أن بنا حاجةً الى أحاديث طويلة الذيل ، ولو حاولنا أن نختصر لشعرنا ، ونحن نفعل ، بأننا سنجد أنفسنا أمام الحيرة ، إذ على أي أساس سيكون اختيارنا ؟ ان الجماعة المهمة التي تتوفر عليها جامعة القرويين ، كانت بحيث يكون من الافتئات أن تخص جانباً بالذكر دون آخر ، فجُلُّهم مشارك محقق ، وجُلُّهم من المتعمقين في الفقه ، وفيهم من اكتسب تخصصاً في مذهب مّا من المذاهب كمذهب مالك ، وفيهم آخرون تخصصوا في علم الحديث والتفسير والأصول ، ومنهم من كان يميل الى دراسة علوم القراءات ، وفي العلماء رجال امتازوا بتضلعهم من اللغة وفنون الآداب ، وفي ميدان العلوم الفلسفية ، ولكن مع ذلك سوف نتقدم لمصافحة سريعة لبعض هؤلاء الرجال مكتفين بالتدليل على المصادر.

١) الوليدي (٦٧٥ هـ) :

أبو الفضل راشد بن أبي راشد الوليدي ، مؤلف كتاب الحلال والحرام ، وصاحب الأجوبة والطّرر على كتاب المدونة وتآليف أخرى ، أخذ عن أبي محمد صالح الهسكوري وغيره ، وروى عنه أبو الحسن بن سليمان القرطبي ، وأبو الحسن الصّغيّر الزرويلي ، وغيرهما . توفي بفاس سنة ٦٧٥ هـ . (الجذوة ١٢٣) .

٢) الهزميري (٦٧٧ هـ) :

أبو زيد عبد الرحمن ، شيخ الفقهاء والعلماء . كان ابن البنّاء الرياضي المشهور يقصده من مدينة مراكش لحلّ المسائل العلمية التي تشكل عليه من هندسة وغيرها ، وقد أصبح ضريحه داخل باب الفتوح مدرسة مقصودة تتمتع بزهاء سبعين عقاراً وقفاً على نشاطها (مشاهير فاس عند الحديث عن بني الورياغلي) الجذوة ص ٢٦٣ السلوة ٢ ص ٥٢ .

٣) العُذري (٦٨١ هـ) أو (٦٨٦ هـ) :

القاضي أبو أمية مفضل بن محمد العذري . رحل الى المشرق ، فسمع من ابن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ) وابن خلّكان (ت ٦٨١ هـ) وابن عساكر (ت ٦٨٦ هـ) واجازله جماعة من علماء المشرق، ورجع الى الأندلس ، فولي القضاء ببعض جهاتها ، ثم ولاه الخليفة أبو يوسف بن عبد الحق قضاء الجماعة بحضرة فاس ، فكان من اختصاصاته الإشراف على صاحب الشرطة وصاحب الحسبة . وعلى يديه بنيت مدرسة الصفارين . جنى زهرة الآس ص ٨١ - ١٠٨ روضة النّسرين ص ١٩ ، الجذوة ٢٢٠

٤) الورياكلي (٦٨٣ هـ) :

هو أبو ابراهيم إسحاق الأعرج الورياكلي ، أستاذ الشيخ الزّرويلي ، وله طرر على المدونة (الجذوة ١٣٩) صناعة رجال جامع القرويين في التأليف وأشهر مصنفاتهم . مجلة المغرب نوفمبر دجنبر ١٩٣٦ .

٥) الحدّودي (٦٨٣ هـ) :

أبو عبدالله محمد بن عبد الكريم ، وهو من رجال القرويين الذين لازموها أخذاً وعناية ، وهو الذي أشرف على بناء

الحائط الشرقي للقرويين في عام ٦٨٢ هـ بعد بناء جامع فاس الجديد عام ٦٧٤ هـ . روض القرطاس ص ٤٣ ، جنى زهرة الآس ٧٩ – ٨٠ ، النفح ٧ ، ٨٧ .

٦) ابن عمران (٦٨٤ هـ) :

القاضي أبو عبدالله محمد بن عمران الفقيه الكاتب على عهد السلطان أبي يوسف بعد القاضي أبي جعفر الحسن علي ابن اليفرني المعروف بابن عذار، وبعد القاضي الفقيه أبي جعفر أحمد بن الخطيب محمد بن يوسف ، وقبل أبي الحجاج يوسف أحمد بن حكم البلنسي الذي كان ابن البناء ممن أخذ عنه الحساب . روضة النسرين ص ١٩ .

٧) ابن الحبّاك (٦٨٥ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن الحبّاك الموقّت المعدّل ، وهو الذي نصب محراب مدرسة الصفّارين وأنشأ الساعة المائية الأولى بمنار جامع القرويين ، وله أرجوزة في الأسطرلاب سماها « بغية الطلاب » . جنى زهرة الآس ص ٥١ – ٨١ ، روضة النسرين ٢٠ الروض الهتون ٦١ – Hes. 1932 T. 12

٨) ابن البقّال (٦٨٧ هـ) :

القاضي أبو حامد البقّال من قضاة يوسف بن أمير المؤمنين يعقوب بن عبد الحق على المدينة القديمة ، فكانت له بها مجالس علمية . روض القرطاس طبعة فاس ص ٢٩٧ . روضة النسرين ٢١ – الجذوة ٣٤٤ ، السلوة ٣ – ٢٥٩ .

٩) الحيّوني (٦٨٧ هـ) :

القاضي بفاس والمشرف على سير القرويين ، وهو صاحب القولة المعروفة عندما عطّل إنارة الثريا الكبرى تقشفاً : « إننا لا نعبد النار ، وإنما نعبد الله » روض القرطاس طبعة فاس ص ٤٢ .

١٠) الكركي (٦٨٨ هـ) :

شرف الدين محمد بن عمران بن موسى بن عبد العزيز بن محمد بن حزم ، يعرف بالشريف الكركي . ولد بفاس وتفقّه في مذهب مالك على الشيخ الإمام أبي محمد صالح فقيه المغرب في وقته ، وقدم من المغرب على مصر ، فصحب الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وعليه تفقه في مذهب الشافعي ، وهو الذي قال فيه شهاب الدين القرافي : « إنه تفرد بمعرفة ثلاثين علماً وحده ، وشارك الناس في علومهم » . الديباج ص ٣٣٢ . الكتاب الذهبي ص ١٦٢ – دعوة الحق دجنبر ١٩٦٠ .

١١) التّادلي (٦٨٨ هـ) :

القاضي أبو محمد التّادلي . ورد ذكره في روض القرطاس عند الحديث عن علّية ابن الملجوم . ص ٤٢ – ٤٣ .

١٢) العبْدري (٦٨٩ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن مسعود العبدري الحيحي الذي قام برحلته عام ٦٨٨ هـ (ت ٦٨٩ هـ) – وقد دخل فاساً ، وكانت له بها مجالس كما يقول الشيخ المختار السوسي . الجذوة ١٧٩ – دعوة الحق ، دجنبر ١٩٦٠ . دعوة الحق نونبر دجنبر ١٩٦١ .

١٣) ابن مسّونة (٦٨٩ هـ) :

الخطيب أبو القاسم عبد الرحمن بن مسّونة اليفرني ، من أسرة مغربية عريقة ، من المقاومين الأولين البارزين لعقبة

بن نافع ، وقد أصبحوا بعد الاقتناع بالاسلام مضرب المثل ، ويكفي أن نعرف أنه كا نمنهم أزيد من عشرين خطيباً . روض القرطاس ٤٩ – الآس ٦٠ – ٦١ – ٦٣ ، ابن خلدون: العبرج ٦ ص ١٠٨ مشاهير فاس ، البحث العلمي يناير ١٩٦٥ ص ١٠٤ .

١٤) الكرسطوني (٦٩٠ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن سعد التميمي الكرسطوني . كان ينقل الفقه الى أمهاته ، والحديث بأسانيده مستظهراً مطولاته ، له تآليف منها : الغرر في تكميل الطرر : طرر أبي ابراهيم الأعرج الورياكلي (ت ٦٨٣ هـ) ثم الدرر في اختصار الطرر ، وتقييدان على الرسالة كبير وصغير . (الجذوة ١٣٩) .

١٥) ابن أبي الصبر (٦٩٤ هـ) :

الخطيب القاضي الناظر أبو عبد الله محمد بن أبي الصبر أيّوب بن عبد الله بن يكنون الجاناتي من الأئمة القلائل الذين أموا بالمسلمين صلاة الكسوف في ٢٩ شهر رجب ٦٩٢ هـ ، ويمتاز بأنه أول خطيب في العهد المريني يعين في منصبه بواسطة ما يسميه روض القرطاس ظهير كريم من أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق ، في أيامه صنعت ساعة ابن الحبّاك المائية في الصومعة ، وأصلحت العنزة ، وأسرجت الثريا الكبرى . روض القرطاس ٣٥ – ٤٠ – ٤٢ ، ٤٩١ – ٢٩٧ – ٢٩٨ – جنى زهرة الآس ٦٠ – ٦١ – ٧٣ ، روضة النسرين ٢١ – الجذوة ٣٦ – ٤١ – ٤٥ .

١٦) العمراني (٦٩٧ هـ) :

أبو العباس القاضي أحمد بن أبي عبد الله بن راشد العمراني ، إمام عصره في علم الأصول والاعتقادات ، فقيه محدث ولي الإمامة بالقرويين بظهير من أمير المسلمين أبي يعقوب بن أبي يوسف بن عبد الحق روض القرطاس ص ٤٩ – جنى زهرة الآس ٦١ ، روضة النسرين ص ٢١ .

١٧) الملزوزي (٦٩٧ هـ) :

أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد ، وقد عرفت له مجالس أدبية بمدينة فاس ورجال القرويين على الخصوص ، وهو صاحب أرجوزة (نظم السلوك في الانبياء والخلفاء والملوك) الذي أصدرته المطبعة الملكية ١٩٦٣ .

١٨) ابن فرحون (٦٩٨ هـ) :

هو أبو الحسن علي بن محمد بن فرحون العمري ، لقي بفاس جماعة من العلماء الاعلام فاخذ عنهم وأخذوا عنه ، كان منهم أبو العباس القباب . الديباج ٢١٤ .

١٩) الحدّودي (٦٩٢ هـ) :

هو أبو الحسن علي بن أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم السالف ذكره . كان فقيهاً عالماً ، وقد ولي على مدينة فاس ، لكن اجتهاده بإحداث باب كبير في قبلة القرويين سبب تأخيره . روض القرطاس ٤١ . جنى زهرة الآس ص ٧٤ – ٧٧ .

٢٠) ابن المرحّل (٦٩٩ هـ) :

أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن المالقي السبتي اللغوي المقرئ النحوي الأديب الشاعر السفير ، أخذ الفقه بفاس عن اليزناسني ، له تآليف عدة ، منها : « الوسيلة الكبرى » ، « والتبيين والتبصير » ، «ونظم الفصيح» ، « وكتاب الحلي » ، وهو صاحب الارجوزة التي قرئت سنة ٦٦٢ هـ في صحن القرويين بعد صلاة الجمعة استصراخاً للأندلس :

ما هي الا قطعة من ارضكم ٭ وأهلها منكم وانتم منهم !

دفن بفاس خارج باب عجيسة . الذخيرة السنية ص ١٠٩ - النفح ٧ ، ١٦٨ - ١٦٩ - جنى زهرة الآس ص ٧٠ التعليق رقم ١٣٢ - الجذوة ٢٢١ - الكتاب الذهبي ص ١٦٢ . النبوغ المغربي ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

٢١) ابن سمعون (٧٠٠ هـ) :

أبو الحجاج يوسف بن يحيى بن اسحاق السبتي المعروف في سبتة بابن سمعون نزيل حلب ، كان طبيباً من أهل مدينة فاس ، وقرأ ببلاده الحكمة ، فساد فيها. القفطي : تاريخ الحكماء ص ٣٩٢ - ٣٩٣ . دعوة الحق دجنبر ١٩٦٠ ص ٣١ .

٢٢) ابن عبد الملك (٧٠٣ هـ) :

محمد بن محمد بن سعيد بن عبد الملك المراكشي المؤرخ الأديب القاضي . من أهل مراكش صاحب الذّيل والتكملة ، دخل مدينة فاس في جمادى الآخرة ٦٩٩ هـ ، وهو في طريقه الى تلمسان ، فكانت له بها مجالس . دعوة الحق ، فبراير ١٩٥٩ ص ٢١ - النبوغ ٢٠٦ .

٢٣) عبد الملك الفشتالي (٧٠٦ هـ) :

القاضي الموثق أبو مروان عبد الملك بن شعيب بن أبي محمد الفشتالي ، قاضي فاس ليوسف بن يعقوب . روضة النسرين ص ٢١ .

٢٤) ابن أبي عبد الرحمن المغيلي (٧٠٨ هـ) :

القاضي أبو غالب محمد بن القاضي أبي عبد الرحمن . كان قاضياً ليوسف بن يعقوب (ت ٧٠٦ هـ) ، ثم لحفيده عامر بن عبد الله (ت ٧٠٨ هـ) ممن لقيهم بفاس ابن سلمون الكناني (ت ٧٤١ هـ) ، وهو غير أبي عبد الله محمد بن أبي عبد الرحمن المغيلي الآتي الذكر . جنى زهرة الآس ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٧٤ . روضة النسرين ٢١ - ٢٢ - الجذوة ٢٤٥ - ٣٢٤ راجع ص ٨٧ .

٢٥) عبد الله بن أبي مدين (٧٠٩ هـ) :

الفقيه الكاتب عبد الله بن أبي مدين العثماني ، أصله من القصر الكبير ، ثم انتقل لفاس ، فكانت له بها مجالس ، وقد تقرب الى تدبير الدولة ، ولكنه استهدف لوشاية من حاجب يهودي على عهد السلطان سليمان بن عبد الله (ت ٧١٠ هـ) روضة النسرين ص ١٨ التعليق رقم ١ ، مشاهير فاس البحث العلمي يناير ١٩٦٥ ص ٩٤ - ٩٥ ، الجذوة ٣٤٦ .

٢٦) عبد الله العزفي (٧١٣ هـ) :

الفقيه الحافظ المؤرخ عبد الله بن محمد أبي القاسم ابن القاضي العزفي . أنشأ في مدينة فاس بعد اجلائه عن سبتة مجالس ، وجد فيها السلوى عن أيام سبتة ، ومن هذه الأسرة المحدث أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله صاحب «كتاب الإشادة بذكر المشتهرين من المتاجرين بالافادة» . أزهار الرياض ٢ ، ٣٥٦ - ٣٧٧ .

٢٧) ابن الحاج المهندس (٧١٤ هـ) :

محمد بن علي بن الحاج مهندس ، من أهل غرناطة . رحل الى فاس بدعوة من يعقوب بن عبد الحق ، فاستعان به لصنع الناعورتين المائيتين ، وقد كانت له بفاس القرويين مجالس علمية . الاحاطة ٢ ، ٩٩ - أعلام الزركلي ٧ ، ١٧٤

٢٨) الخطيب بن أحمد (٧١٦ هـ) :

هو أبو الحسن علي بن أحمد ، ذكره ابن القاضي صاحب الجذوة في عداد الخطباء بالجامع القرويّ عوض أبي عبد الله محمد بن زيادة الله المدني أو المزني الذي ذكر قبل أبي العباس أحمد بن أبي زرع - روض القرطاس ص ٤٩ .

٢٩) ابن أبي زرع (٧١٧ هـ) :

الإمام الفقيه أبو العباس أحمد بن أبي زرع العلامة المدرس المفتي ، تقدم للإمامة بتقديم فقهاء المدينة وأشياخها في الوقت الذي قدموا فيه ابن مسونة للخطابة ، وذلك بعد وفاة الإمام المزدعي والإمام أبي الحسن بن حميد ، ولأبي العباس ابن أبي زرع هذا ينسب كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ، وتاريخ مدينة فاس . أما كتاب الأنيس المطرب (الصغير) الذي بين أيدينا ، فقد ألفه صالح بن عبد الحليم على ما يرى صاحب كتاب مشاهير فاس ، فالأنيس إذن اثنان . روض القرطاس ص ٤٩ - البحث العلمي يناير ١٩٦٥ ص ٩٩ - ١٠٠ .

٣٠) الصدّيني (٧١٧ هـ) :

محمد الصدّيني ، نسبة الى صدّينة شرقي فاس ، العالم الرياضي . رسم خطوط الساعة المائية للمعدل الصنهاجي ، ولعل للاسم صلة بقبة الصدّيني التي تقع بين سوق البرنس وباب الخابية ، وكذلك في الزنقة المعروفة بعقبة الصدّيني . البيان . المغرب في أخبار المغرب ص ٢٩٩ الآس ص ٥١ .

٣١) أبو الحسن الصغير (٧١٩ هـ) :

القاضي السّفير أبو الحسن علي بن محمد الزرويلي المعروف بالصغير ، كان فقيهاً مالكياً قيماً على تهذيب ابن البراذعي حفظاً وفهماً الى قوة عارضته في الحفظ والاستظهار ، وهو صاحب التقييد على المدونة الذي كمله ابن غازي . كان يفتح في مجلسه ما ينيف على الثمانين ديواناً . ولي قضاء فاس أيام سليمان حفيد يعقوب ، وهو سفيره أيضاً الى الأندلس ، وقد عرف باختيار الثياب البيض الأنيقة شأن القضاة والعلماء . كان يجلس على كرسي ليسمع القريب والبعيد ، درس علاوة على القرويين بجامع الأزدع ، وقد عرفنا من شيوخه أبو ابراهيم الأعرج الورياغلي (ت ٦٨٣ هـ) وأخذ عنه اليحصبي المعروف بابن البارق ، وابراهيم بن أبي يحيى التازي (ت ٧٤٨ هـ) . كان مما نقم عليه اتخاذ (شمّام) لمراقبة شاربي الخمر وما يزال من آثار هذه الأسرة (عرصة بن الصغير) ببرج الكوكب كما في الحوالات . أزهار الرياض ٣ر٢٣ - روضة النسرين ٢٣ ، الجذوة ٢٩٩ - ٣١١ - الديباج ص ٢١٢ - الاستقصا ٣ ، ١٧٨ - ١٧٩ - مجلة المغرب نونبر ١٩٣٥ المحاضرات العامة ، جامعة دمشق ١٩٦١ ص ٣٤٧ ، مجلة المغرب دجنبر ١٩٦٥ م . النبوغ ص ٢٠٤ .

٣٢) الزّرهوني (٧٢٠ هـ) :

هو مهدي الزّرهوني . قدم من زرهون على فاس لطلب العلم بها ، وفيها أدركه أجله بعد أن أصبح من فقهاء المدينة . وجميع أولاده من الفقهاء العلماء . مشاهير فاس ، البحث العلمي دجنبر ١٩٦٤ ص ٥٤ ، الجذوة ٢٣١ .

٣٣) التالي (٧٢١ هـ) :

الفقيه المحدث أبو القاسم بن محمد الغماري التالي . كان يدرس المدونة في مسجد زنقة حجامة (الإبارين) . من أحفظ أهل زمانه للمدونة . كان حيّاً بعد العشرين وسبع مئة . الجذوة .

٣٤) ابن رُشَيد (٧٢١ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن عمر بن رُشَيد الفِهري ، صاحب ترجمان تراجم البخاري والرّحلة الكبرى (ملءُ العيبة) . بدأ

دراسته بمدينة سبتة أيام كانت في أوج عظمتها العلمية . رحل الى المشرق فأخذ بالقاهرة عام ٦٨٤ هـ عن عدة أعلام مثل خليل المراغي وذي النون وابن الأسعدي والزيانب الثلاث . وممن لقيهم بفاس الشاعرة الست سارة (ت ٧٥٠ هـ) . حل بفاس باستدعاء من السلطان ، فكانت له بها مجالس علمية مشهورة ، منها مجلسه شرقي صحن القرويين بين الظهر والعصر في الموطأ وصحيح الإمام البخاري . نفح الطيب ٧ر١٩٢ ، درة الحجال ١٣٨ – ١٤٤ – ١٥٠ – ٢٠١ – ٢٠٣ – الديباج : ٣١٠ الجذوة ١٨٠ – ١٨٢ ، النشر ١ ، ٩٠ ، السلوة ٢ ص ١٩١ ، الكتاب الذهبي ص ١٦٥ – دعوة الحق نونبر ١٩٥٨ ، دجنبر ١٩٦٠ ، « ليبيا لدى الرحالة المغاربة » : مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٧٠ م . النبوغ المغربي ص ٢٠٦ .

٣٥) ابن ميمون (٧٢٢ هـ) :

الناظر الفقيه أبو عبد الله محمد بن ميمون . ممن كانت له أيادٍ على القرويين ، وهو الذي أشرف على بناء مقصورتها سنة ٧٢٢ هـ – جنى زهرة الآس ٧٥ .

٣٦) الشَّنْفر (٧٢٣ هـ) :

أبو عبد الله بن فرج الفهري المعروف بالشَّنْفر والمعروف أيضًا بالقربلياني ، نسبة الى بلدة قربليان CREVELLEN من أعمال لقنت ALICANTE شرقي الأندلس طبيب جرَّاح هاجر الى فاس بعد وفاة سلطان غرناطة عام ٧٢٢ هـ فكان له تأثير على مجالسها العلمية ، وهنا ألف كتابه : (الاستقصا والابرام في علاج الجراحات والأورام) في ثلا ثة أجزاء 1946 Hes.1935 T.20 P.3T. 27 - 1940 / T.33 العلاقات الثقافية بين غرناطة وفاس : الكتاب الذهبي ١٩٩ – ٢٠٠ . برنامج خزانة القرويين ص ١٠٥ راجع ص ٣٨٩ .

٣٧) ابن عبد الواحد (٧٢٣ هـ) :

الأستاذ النحوي الشاعر المؤرخ ابن عبد الواحد. صحب ابن دقيق العيد كثيرًا ، وكان يشرح العمدة بمسجد فرن كويشة ، ويحضر مجلس أبي عبد الله بن رشيد شرقي صحن القرويين بين الظهر والعصر على البخاري . كان ابن عبد الواحد معاصراً لأبي زكرياء يحيى الدكالي (ت ٧٢٣ هـ) . (الجذوة ٣٤١ .)

٣٨) ابن البنّاء (٧٢٣ هـ) :

الفلكي العددي الطبيب أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي . ألف أكثر من مئة كتاب . سلك فيها طريقة المشارقة في القصد الى المعنى مباشرة . كان يقصد الهزميري (ت ٦٧٧ هـ) لحل المشكلات المستعصية ، ومن كتبه مؤلف في الأسطرلاب ، وكتاب تلخيص أعمال الحساب ، الذي ظل أحد المصادر التي تدرس ، وقد ترجمه الأستاذ ARSTIDE MARRE سنة ١٨٦٤ م . كان يعطي دروسه العلمية بمدرسة العطارين . وأخذ علومه الأولى بمدينة مراكش ، لكنه لم يستغنِ أيضاً عن فاس ، ففيها أخذ علم السّنن عن قاضي الجماعة أبي الحجاج يوسف بن حكم ، والجزولي ، والفشتالي ، والقلوشي . قدري طوقان : تراث العرب العلمي ص ٢١٦ – ٢١٧ الزركلي ١ ص ٢١٣ – ٢١٤ ، ابن شقرون . مظاهر الثقافة المغربية ص ٢١٩ ، الجذوة ٧٤ – الاستقصا ٣ر١٧٩ السلوة ٢ ر٥٢ ،
Hes IBN Albanna 1932. T.I4 1938 T.25
مجلة البحث العلمي مايه ١٩٦٧ ص ٨٩ .

٣٩) ابن آجروم (٧٢٣ هـ) :

محمد بن آجروم الصنهاجي . ولد بفاس ، ولما كان في طريقه للحج درس النحو بالقاهرة على النَّحوي الأندلسي

أبي حيان الغرناطي (ت ٧٤٥ هـ) . ألف مقدمته الآجرومية بمكة ، وعلمه بجامع الأندلس أيضاً ، وهو الكتاب الذي كان سبب شهرته ، وهو موجز لجمل أبي القاسم الزجاجي ، صار بفضل إيجازه الذي اكسبه الحظوة من المحيط الى الفرات ، يعد أساساً للدراسات النحوية ، طبع في أروبا ، وترجم ، وكثر الحديث عنه حتى قيل ان كلمة GRAMMAIRE مشتقة من آجروم ! .. وما تزال الآجرومية تعد المفتاح لكل فن ، الآس ص ١٤٨ – الجذوة ١٤٥ – درر الحجال ٢ ر٣٢٢ ، السلوة ٢ ص ١١٢ . مشاهير رجال المغرب السلسلة ٢٠ .

٤٠) ابن المواق (٧٢٥هـ) :

أبو العباس أحمد بن محمد التجيبي الشهير بابن المواق . استظهر بمصر كتاب الموطأ ، فضرب شيوخ المالكية بالأزهر الشريف الطبول على رأسه إشادةً وتنويهاً . السلوة ٣ ، ٢٤٤ .

٤١) ابن البقال (٧٢٥هـ) :

محمد بن محمد البقال العلامة الفقيه الأديب الفيلسوف . كان يدرس الفقه بالحلاف العالي . له أجوبة في التفسير والاصول ، السلو٢ ، ١٥٨ – ٣ – ٢٧٧ . النبوغ ص ٢١٤ .

٤٢) ابن يحي المغيلي (٧٢٦هـ) :

القاضي أبو عبد الله محمد بن القاضي أبي عبد الرحمن محمد بن يحي بن أحمد المغيلي . كانت له مجالس ممتعة بجامع القرويين ، خلدها في قطعة شعرية ، كان منها :

وبجامع القرويين شرّف ذكره ٭ أُنس تذكره يهيج تململي

القرطاس ١٨ – جنى زهرة الآس ص ٣٢ – ٣٣ روض النسرين ص ٣٦ ، ابن الاحمر : مستودع العلامة ص ٤٨ ، الجذوة ١٤٥ – درة الحجال ١ – ٢٧٣ راجع ص ٨٧ .

٤٣) صالح بن عبد الحليم (٧٢٦هـ) :

هذا هو صاحب كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ويعتبر المرجع الرئيسي لسائر المؤرخين الذين كتبوا عن فاس ، وكتاب الأنيس هذا هو مختصر لكتاب آخر كبير يحمل هذا الاسم ، وينسب لابن أبي زرع راجع ترجمة ابن ابي زرع (ت ٧١٧ هـ)

٤٤) الخطيب علي المزدغي (٧٢٦هـ) :

بعد وفاة ابن أبي الصبر سنة ٦٩٤ هـ قدم أبو يعقوب للامامة بالقرويين أبا العباس بن الفقيه أبي عبد الله بن راشد العمراني ، امام عصره في علم الأصول والاعتقادات كما قدم للخطبة الشيخ أبا الحسن عليّ بن الخطيب أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن يوسف المزدغي . هذا ، ولا يزال مسجده قرب درب السعود يحمل اسم المزدغي ، كما ان حجج الوقف تحتفظ بدار في السبع لويات تنسب للمزدغي كانت تتصرف في فيض ماء خصة الوادي . روض القرطاس ص ٤٩ – ٥٠ الآس ص ٦١ . الجذوة ٣٧ – ٣٠٠ – الحوالات الإسماعيلية – .

٤٥) القاضي المليلي (٧٢٧هـ) :

القاضي أبو عبد الله محمد بن القاضي أبي الحسن بن الفقيه أبي بكر المليلي ، ولي القضاء بعد والده بأمر من السلطان

أبي سعيد عثمان ، له نوادر طريفة في احكامه .

والى بيت المليلي ينتسب عدد كبير من العلماء والقضاة والعدل والفقهاء والمنجمين والمعدلين روضة النسرين ص ٢٤ - ٢٦ ، بيت المليلي ص ٢٤ ، مشاهير فاس ، البحث العلمي يناير ١٩٦٥ ص ٩٣ - الجذوة ١٤٢ .

٤٦) المجاصي (٧٣٢هـ) :

خلف الله الحافظ العالم من علماء فاس وشيوخها . كان يحفظ المقدمات ، والبيان والتحصيل لابن رشد أخذ عن أبي الربيع سليمان الونشريسي . الابتهاج ص ١١٠ .

٤٧) ابن البارق (٧٣٤هـ) :

محمد بن حسن اليحصبي المعروف بابن البارق . ممن وردوا على فاس من تلمسان فأخذ عن جماعة ، منهم : أبو الحسن الصغير ، والأستاذ أبو زيد عبد الرحمن الجزولي ، وحضر الموطأ على أبي الحسن المزدغي . وكان من صدور الفقهاء . الجذوة ١٨٦ - الكتاب الذهبي ص ٢٠٦ .

٤٨) ابن الحاج العبدري (٧٣٧هـ) :

الفقيه الصوفي أبو عبد الله محمد بن محمد المعروف بابن الحاج العبدري الفاسي . صاحب كتاب المدخل وشموس الأنوار وكنوز الأسرار وبلوغ القصد والمنى . والازهار الطيبات ، تفقه في بلده فاس . وأدركه أجله بمصر . الجذوة ١٤٢ ، مشاهير رجال المغرب (السلسلة ٢٢) .

٤٩) المزوار (٧٣٨هـ) :

أبو محمد عبد الله بن قاسم المزوار الذي اشرف على تشييد مدرسة العطارين وعلى الدراسة فيها، صحب ركب الأميرة مريم بتكليف من السلطان أبي الحسن بمناسبة اداء مناسك الحج لعام ٧٣٨=١٣٣٨ د.التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج ٧ ص ٢١١ رقم الايداع القانوني ٢٥-١٩٨٦

٥٠) أبو زيد الجزولي (٧٤١ هـ) :

الحافظ أبو زيد عبد الرحمن بن عفار الجزولي ، من تلامذة أبي الحسن الصغير الزرويلي وأستاذ الشيخ يوسف بن عمر الأنفاسي . وقد اقتفى تلامذة الجزولي طلبة الشيخ الزرويلي فقيدوا على الرسالة من شيخهم هذا تقاييد ثلاثة : أحدها الكبير وهو المشهور بالمسبع لأنه في سبعة أسفار . والأخير الصغير المشهور بالمثلث ، والآخر أصغر منه في اثنين ، وكلها مفيدة . كان يحضر مجلسه في جامع القرويين أكثر من ألف فقيه . ومعظمهم يستظهر المدونة أو جلها . أزهار الرياض ٣ر٢٣ - ٢٤ - النفح ٧ر١٧٥ - الجذوة ٢٥٨ سوس العالمة ص ١٩ .

٥١) عبد الله بن سلمون (٧٤١ هـ) :

أبو محمد عبد الله بن علي بن سلمون الكناني . من الذين وردوا على فاس للاغتراف من معينها . وقد لقي فيها أبا غالب محمد المغيلي (ت ٧٠٨ هـ) ، كما لقي بها الشاعرة الست سارة وأجازته . أدركه أجله في وقعة طريف يوم الاثنين ٧ جمادى الأولى ٧٤١ هـ - الجذوة ٢٤٥ - ٣٢٤ .

٥٢) الشقّوري (٧٤١ هـ) :

غالب بن عليّ بن محمد اللخمي الشقّوري ، طبيب عالم ، من أهل غرناطة . رحل الى المشرق ، وكمل دراسته في الطبّ بالقاهرة ، وزاول العلاج ، وعاد الى بلاده ، فولي الحسبة بمدينة فاس ، وكانت له مجالس علمية . وله تآليف طبية قيّمة جداً ، أدركه أجله بسبتة . الجذوة ٣١٣ لوكلير : تاريخ الطّب العربي (باريز ١٨٧ ص٢٤٣) .

٥٣) التادلي (٧٤١ هـ) :

أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن التادلي الفاسي . تولى نيابة القضاء ، وكانت له بها مجالس ، أدركه أجله بالمدينة المنورة . وهو شارح الرسالة وعمدة الأحكام - الكتاب الذهبي ص١٦٥ .

٥٤) أبو زيد بن الإمام التلمساني (٧٤٣ هـ) :

أبوزيد عبد الرحمن بن الامام التلمساني الفقيه ، ممن أخذوا العلم بمدينة فاس ، ولاسيما عن الشيخ السطي والطنجي واليفرني وتلامذة أبي عبد الله بن شعيب الدكالي ، وأخذ بتونس وذهب . وهو من علماء الجزائر الأفذاذ . يروى ان السلطان أبا الحسن المريني ندب الناس الى الإعانة بأموالهم على الجهاد ، فأجاب أبوزيد : لا يصلح لك هذا حتى تكنس بيت المال ، وتصلي فيه ركعتين ، كما فعل عليّ بن أبي طالب على نحو ما كان من ابن البراء في متوال ليوسف ابن تاشفين . تعريف الخلف برجال السلف ٢ ص٢٠٣ -٣٠١ الاستقصا ٢ ، ٥٣ . كلمة جمعية العلماء الجزائريين الكتاب الذهبي ص٥٢ - ١٦٥ .

٥٥) أبو حيان (٧٤٥ هـ) :

أثير الدين محمد بن يوسف بن عليّ يوسف بن حيان الغَرْناطي الأندلسي الجيّاني النحوي . ولد في إحدى جهات غرناطة ، ورحل الى مالقة ، وتنقل . وكان مما زاره قبل مقامه بالقاهرة - مدينة فاس - كما يفيد ذلك المقري في نفح الطيب في ترجمة ابن مرزوق - النفح ٧ ر ص٣٤٧ .

٥٦) الجاناتي (٧٤٦ هـ) :

أبو محمد عبد المؤمن الجاناتي نسبة إلى جنّاتة. كان في مجلسه أربع مئة متعمم من حفاظ المدونة، وكان لا يعمم إلا من أذن له بالتدريس، قال فيه التنبكتي : من أعرف الناس بالتهذيب، كما كان حسن الالقاء للمسائل، النفح ٧ر١٧٥-الجذوة ٤٠- رحلة ابن بطوطة، تحقيق د. التازي ج ٤ ص ٣٥١ ت ١٢٢

٥٧) ابن العربي المؤقت (٧٤٧ هـ) :

أبوعبد الله محمد بن العربي الموقت المعدل الرياضي . وهو الذي جدَّد المنجانه التي كانت بالغريفة عام ٧٤٧هـ، وزود القرويين بساعات رملية وأسطرلابات وقف عليها السلطان أبو عنان نفسه

٥٨) ابن أبي يحي التازي (٧٤٨ هـ) :

القاضي السفير أبو إسحاق، أو أبو سالم، إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي يحيى التسولي التازي. كان قيّماً على التهذيب وعلى الرسالة، وله عليهما تقييدان نبيلان، قيدهما أيام قراءته إياهما على أبي الحسن الصغير، كما أن له قراءات في الأجوبة عن المسائل. وهو من أشياخ ابن الخطيب الذي حضر مجالسه في مدرسة عدوة الأندلس، وأثنى على فصاحة لسانه وسهل ألفاظه، وقد أعجب السلطان أبو الحسن المريني بالاستاذ التازي فقربه اليه وصار يستعمله في السفارة.

وقد ورد في نفح الطيب . نقلاً عن كتاب عائد الصلة : أن العلماء والطلبة اجتمعوا بالقاضي التازي في أثناء سفارته الدبلوماسية بغرناطة . فاغتنموا الفرصة وأخذوا بها عنه وأضفوا عليه من الصفات ما هو جدير بالسفراء من أمثاله وحكوا أنه كان تامّ السراوة ، حسن العهد ، مليح المجالس ، أنيق المحاضرة ، كريم الطبع ، صحيح المذهب . . .

وقد قضى في ذلك حظاً من عمره ضائعاً ، لا في راحة دنيا ولا في نصب آخرة ، فكان يقول لبعض أصفيائه : « هذه سنة الله فيمن خدم الملوك ملتفتاً الى ما يعطونه ، لا الى ما يأخذونه من عمره ، لطف الله بمن ابتلي بذلك ، وخلصنا خلاصاً جميلاً » . كان العاهل المغربي يعوده في مرضه تقديراً لمقامه ، وبفاس أدركه أجله . وهو غير العلامة الرحالة الشاعر الزاهد العارف سيدي ابراهيم التازي (ت ٨٦٦ هـ) دفين وهران . جنى زهرة الآس ص ٢٩ – المقري : نفح الطيب ٧ر٣٠٦ – ٣٠٧ – الجذوة ٨٤ – ٨٥ – درة الحجال ١ ر٩٥ر الديباج ٨٩ – الحفناوي ٢ ص ٩ .

٥٩) أبو الفضل المزدغي الخطيب (٧٤٨ هـ) :

وبعد الخطيب أبي الحسن المزدغي يأتي ولده أبو الفضل محمد خطيباً لجامع القرويين ، وقد كان هو القيّم على المدرسة المصباحية كما هو منقوش على رخامة التحبيس التي في قاعة الدرس . كان مع بصارته بالفقه أديباً رقيقاً وكريماً جواداً ، وكان يحظى بتقدير مطلق من سائر تلامذته ، أولع بقضاء أغراض الناس . ومن قوله في الشعر والشعراء :

لا تسمعنَّ الشعر ثم تضيعه
فتنام والشعراءُ غير نيام
واعلم بأنهمُ إذا لم ينصفوا
حكموا لأنفسهم على الحكّام !
وجناية الجاني عليهم تنقضي
وعقابهم يبقى على الأيام

وعنده وقف صاحب روض القرطاس، القرطاس ٤٩–٥٠، جنى زهر الآس ص ٤٩–٥٢ – الجذوة ٣٧–٣٨ انظر ص ١١٢ من الترجمة الفرنسية لزهرة الآس.

٦٠) ابن عبد النور الندرومي (٧٤٩ هـ) :

القاضي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد النور الندرومي ، القاضي بحاضرة فاس ، وقاضي جيش أبي الحسن كذلك ، وقد تولى القضاء أيضاً بتلمسان ، وأدركه أجله في تونس ، الجذوة ١٩٠ .

٦١) النابوري الخزرجي (٧٤٩ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخزرجي المعروف بالنابوري ، الفقيه الكاتب الشاعر . كان ممن أنشدوا الشعر في العَلَم والفانوس اللذين أنشأهما السلطان أبو عنان بمنار القرويين عام (٧٤٩ هـ) ، جنى زهرة الآس ص ٤٨ – ٥٢ .

٦٢) عبد المهيمن الحضرمي (٧٤٩ هـ) :

أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي ، إمام المحدثين والنحاة وصاحب العلامة . صحب السلطان أبا الحسن المريني الى تونس ودرس بمجلسه هناك صحيح مسلم ، وكان السارد هو الشيخ محمد بن عرفة ، وهناك أدركه أجله ، وفيه قال شاعر تونس أبو القاسم الرحوي :

تصـدر الأمـة العظيمة عنه بحديث مجـدد مـــرويٍّ
وبفقـه منه وحسن مقـــال يضع النور في لحاظ العمـيٍّ
وبنحو ينحي على سيبويــه ببيان في المبهمات جلـــيٍّ
عمي الأخفشانِ عنه وشـــذّت عن خفاياه فطنة الفارِســـيٍّ

روضة النسرين ص ٢٤ . الكتاب الذهبي ص ١٦٥ .

٦٣) أحمد الجزنائي (٧٤٩ هـ) :

أبو العباس أحمد بن شعيب الجزنائي التازي الفاسي . من علماء أهل فاس . كان عالماً بالحساب ، حافظاً للأنساب ، عارفاً بالطب والنجوم . قرأ ببلده فاس على كثير من أشياخها ، من أمثال ابن رشيد وابن آجروم . من شعره :

يا غائباً في الضمير مـا برحـا داني محل الهـوى وإن نزحـا
لم تضمر الصبر عنك جـارحـة ولا فؤادي لسـلوة نزحـا

أدركه أجله في تونس يوم عيد الأضحى (٧٤٩ هـ) ، وكان بصحبة السلطان أبي الحسن . نثر الجمان في شعر من نظمني واياه الزمان . الباب السابع . الاحاطة ١ ص ١٩٨ . النبوغ ص ٢٢٧ . الكتاب الذهبي ١٦٥ .

العلماء الثلاثة الذين استشهدوا في كارثة الاسطول شوال ٧٥٠=يناير ١٣٥٠

تحدث المقري في الباب الخامس من القسم الثاني من نفح الطيب عن الكارثة التي حلت بالسلطان ابي الحسن وهو عائد من تونس على متن البحر وبهذه المناسبة ذكر أن الاسطول المغربي كان يتألف من نحو ستمائة قطعة (كذا) وأن عدد العلماء الذين هلكوا كانوا نحواً من أربعمائة عالم (كذا). كانت هذه المعلومة مما انفرد به المقري الأمر الذي دفع بي الى البحث في أرشيفات الأمم، التي لنا بها صلة في البحر المتوسط. وهكذا تبين من خلال رسالة بعث بها السلطان أبو الحسن الى الملك بيدرو الرابع بتاريخ ٢٩ رجب ٧٥١ الموافق ١٤ شتنبر ١٣٥٠ ان الأرقام التي اتى بها المقري ارقام خيالية ومبالغ فيها وتأكد ان الضائع من القطع لا يتجاوز خمسة مراكب! ، وان الهالك من العلماء ثلاثة على ما اوضحناه في الدراسة التي قدمناها بجامعة محمد الأول بعنوان : (تجربتي في تحقيق الوثائق الدبلوماسية المتعلقة بالمغرب والاندلس) - كلية الآداب، جامعة وجده ١٩٩٧

٦٤) السطّي (٧٥٠ هـ) :

العالم السفير أبو عبد الله محمد بن سليمان السطّي كبير مشيخة فاس ، من الذين كان لهم أثر في شخصية ابن خلدون ، أخذ العلم عن أبي الحسن الصغير ، والفرائض عن أبي الحسن الطنجي ، ختم له الحوفية ثمان ختمات ، وممن أخذوا عنه ابن عرفة والعقباني والمقري والعبدوسي الكبير والخطيب ابن مرزوق والقباب وغيرهم . طلب منه ابن عرفة في تونس أن يدرس عليه الحوفية التي له شرح عليها ، فوضح له ما استغلق على ابن عبد السلام من المناسخات والاقرارات . ذهب في سفارة أبي الحسن الى تونس عام ٧٤٦ هـ لخطبة الأميرة الحفصية عزوته ، ومما قيل فيه من شعر الرحوي :

وبعد نوى السطّي لم تسل فاسه ٭ بفخرٍ على بَغْدانَ في عصر بَغْدان !

ذكره نيل الابتهاج ص٢٤٣ الاستقصا ٤ر١٥٦ – ١٧٠ – الكتاب الذهبي ١٦٥ – الفكر التونسية عدد مارس ١٩٦١ ص٥٥ .

٦٥) ابن الصّباغ (٧٥٠ هـ) :

أبوعبد الله محمد بن محمد بن الصبّاغ الخزرجي المكناسي ، الفقيه المحدث . درس بمدينة فاس على جماعة من أعلامها ، وأملى في مجلس له بمكناسة (الكتاب الذهبي ص ١٦٤) أربع مئة فائدة على حديث (يا أبا عُمَيْر ما فعل النُّغَيْر) الاتحاف ٣رص ٥٨١ .

٦٦) الزواوي (٧٥٠ هـ) :

أبو العباس أحمد الزواوي ، من كبار العلماء الذين رافقوا السلطان أبا الحسن المريني ، واستشهدوا على سواحل (دلس) على مقربة من (بجاية) ، الاستقصا ٣ر١٧١ .

٦٧) اليلصوتي (٧٥٠ هـ) :

أبو الضياء مصباح بن عبد الله اليلصوتي ، الفقيه المفتي المدرس وهو الذي تنسب اليه مدرسة الخصة المشيدة عام ٧٤٥ هـ لأنه تولاها بعد أبي الفضل المزدغي (ت ٧٤٨ هـ) . نفح الطيب ٧ص ١٧٥ – الجذوة ٢١٨ – المعيار الجديد ص ٥٥ .

٦٨) الخطيب الجنياري (٧٥٠ هـ) :

وبعد المزدغي (الابن) تصدّى للخطبة بالقرويين الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد الجنياري المحمدي قدمه للخطبة السلطان أبو الحسن . جني زهرة الآس ص٦٣ – الجذوة ٣٨ .

٦٩) سارة الحلبية (٧٥٠ هـ) :

الشاعرة الأديبة الشيخة سارّة بنت أحمد بن عثمان . لقيها ابن سلمون (ت ٧٤١ هـ) بفاس ، وأجازته وأنشدته قصيدة من شعرها . دخلت الأندلس ، ومدحت أمراءها ، ومن شعر ابن رشيد الفهري (ت ٧٥٠) فيها :

سرى نسيم من حِمى سارةٍ ٭ عاد به كل حمى عاطـرا

ومن جوابها له :

يا ابن رشيد يا ابن الرشد يا ٭ من لم يزل طي العلا ناشـرا

الجذوة – ص ٢٤٥ – ٣٢٤ – ٣٣١ .

٧٠) ابن رشيد (الابن) (٧٥٠ هـ) :

القاضي أبو زكريا يحيى بن أبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي ، وممن أخذوا عنه الخطيب القاضي ابن عبد الرزاق . الجذوة ٣٣٩ – مشاهير فاس ، البحث العلمي يناير ١٩٦٥ ص ٨٩ – ٩٠ .

٧١) القروي (٧٥٠ هـ) :

الفقيه الناظر أبو فارس عبد العزيز القروي ، ناظر المارستان بفاس ، وشارح المدونة . كانت له مع السلطان أبي الحسن مواقف مشهودة ، واليه يرجع الفضل في تخصيص التعليم في القرويين بكبار الطلاب واقصاء تعليم الأحداث استجابة للرغبة التي أعرب عنها أبو الحسن عليّ بن سبع . جنى زهرة الآس ص ٨٢ .

٧٢) ابن الأشقر (٧٥٥ هـ) :

الفقيه الناظر أبو الحسن علي بن أحمد بن الأشقر ، ناظر الأوقاف على عهد السلطان أبي عنان ، وهو الذي أشرف على بناء (المدرسة المتوكلية) سنة ٧٥٦ هـ كما نقش على الرخامة المغروزة هناك في القاعة ، ويظهر أنه ابن الناظر أبي العباس أحمد بن محمد بن الأشقر الذي أشرف في يوم مشهود على تعليق الثريا الناقوس الأكبر بالقرويين . جني زهرة الآس ص ٧٦ .

٧٣) ابن جزيّ الكاتب (٧٥٦ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن الخطيب الشهيد محمد بن أحمد بن جزيّ الغرناطي نزيل فاس ودفين مدينتها البيضاء ، الشاعر المؤرخ ، شغل بالكتابة في البلاط المريني على عهد أبي عنان ، كان من أبرز أعماله المشهورة تلخيص رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار) فهو الذي قام بصيغتها مستعيناً بمسودات صديقه ابن بطوطة ، وقد قابله بفاس ابن الخطيب اثناء سفارته اليها عام ٧٥٥ وقال أنه قرأ كتابه حول غرناطة (مفقود) الذي سار على منهاجه في كتاب الإحاطة . في الدر النفيس للعراقي انه توفي في ٢٩ شوال ٧٥٦ . ازهار الرياض ٣ ر١٩٥ – نفح الطيب ٨ – ٣١ الكتاب الذهبي ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٩٩ .

٧٤) خلوف (٧٥٧ هـ) :

الاسرائيلي خلوف نعتته المصادر بأنه شيخ التعاليم ، وأبرز أهل عصره في علوم الحكمة . ومن المعهود في الأندلس والمغرب تعايش الأديان وعمل سائر العناصر المتساكنة على الاستفادة ، وممن أخذوا عن خلوف هذا الإمام محمد بن إبراهيم الإبلي . السلوة ٣ ر٢٧٣ – ابن الحسني ١٦٦ .

٧٥) الأبِلي (٧٥٧هـ) :

أبو عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم الأبِلي (Avilla) التلمساني العبدري. قرأ بفاس فنون التعاليم حتى مهر فيها، ثم رحل الى مراكش فتضلع من أبي البناء في المعقول ، ودرس بجامع ابن يوسف كذلك . انثال عليه طلبة العلم فانتشر ذكره . واستدعاه السلطان أبو الحسن ، ونظمه في طبقات العلماء ، فعكف على الدرس والتعليم ، ودرس بالقرويين . رجع الى الجزائر فدرس بها ، وارتحل الى تونس فدرس بالزيتونة ، ودخل أواخر المئة السابعة مصر والشام والحجاز والعراق ، ولقي بمصر ابن دقيق العيد والتبريزي ، وهو من أساتذة ابن خلدون وابن مرزوق وابن عرفة والسلطان أبي عنان .

والأبلي هذا هو الذي نقل عنه المقري قوله « إنما أفسد العلم كثرة التواليف ، وإنما أذهبه بنيان المدارس ، وذلك أن التأليف قضى على الرحلات التي هي أصل جمع العلم ، وأما بناء المدارس فإنه يجذب الطلبة الى ما رتّب فيه من الجرايات» نفح الطيب ٧ ر١٩٧ – تعريف الخلف ١ ر٩١ – ٩٢ – تاريخ الجزائر العام ٢ رص ١٤٤ – الكتاب الذهبي ص ٥٢ – ١٢٨ ، مجلة الفكر التونسية مارس ١٩٦١ .

٧٦) المالقي (٧٥٧هـ) :

أبو القاسم القرشي العالم الطبيب ، دعي من مالقة ليتولى إدارة المدرسة الطبية والمارستان عام ٧٥٤هـ. ظل في منصبه الى أن توفي عام ٧٥٧ هـ . الدكتور العبادي : الكتاب الذهبي ١٩٩ – مَظاهر الثقافة المغربية ص ٢٢٨ .

٧٧) القاضي ابن عبد الرزاق (٧٥٨هـ) :

القاضي السفير أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي المعروف بابن أبي حاج ، من أهل بيت رفيع في العلم والفقه ولي الخطبة بجامع القرويين والقضاء في دولة أبي الحسن وفي دولة أبي عنان ، كان يدرس الموطأ وصحيح البخاري بالقرويين . أخذ الحديث عن جماعة ، منهم المفتي الخطيب الراوية الرحال الحاج ابن رشيد الفهري نزيل فاس .

جنى زهرة الآس ٦٤ - مشاهير فاس البحث العلمي يناير ١٩٦٥ روضة النسرين ٢٦ - الجذوة ٣٩ - ١٤٣ ، نثير الجمان الباب الحادي عشر الكتاب الذهبي ١٦٧ .

٧٨) ابن الفحام التلمساني (٧٥٨هـ) :

أبو الحسن علي بن احمد الصنهاجي الحميري التلمساني المعروف بابن الفحّام المؤقت المعدل . أشرف على انشاء الساعة المائية على مقربة من المدرسة المتوكلية بالطالعة ، وكان ممن شاركوا في مجالس أبي عنان العلمية . . جنى زهرة الآس ص ٥٣ .

٧٩) القاضي المقري (٧٥٨هـ) :

القاضي العلامة الكبير السفير أبو عبد الله محمد بن أحمد القرشي المعروف بالمقري ، قاضي فاس وأستاذ المدرسة العنانية . استعمل في السفارة فوصل الأندلس أوائل جمادى الآخرة من عام ٧٥٧ هـ وقد جاء في وصف السفير المقري : إنه سليم الصدر صادق القول ، يكره التصنع ، ويكثر الهشة ، وينصف في المذاكرة الخ . . . وهو جد أبي العباس المقري صاحب نفح الطيب . روضة النسرين ص ٢٩ - النفح ص ١٢٩ - ١٣٤ الاستقصا ٣ ر ص ٢٠٧ - تعريف الخلف ٢ ر ٢٩٣ .

٨٠) ابن وُدرار ٧٥٨=١٣٥٧

كان في ابرز ما حملنا على تسجيل اسم هذا الوزير الحصيف في لائحة أعلام الفكر بفاس أنه كان السند القوي الذي انصف ابن بطوطة وانقذ رحلته من الضياع، وارجع ابن خلدون إلى صوابه فيما يتصل بمصداقية الرحلة.. لقد كان سفير السلطان ابي الحسن الى المَلك الناصر عام ٧٣٧=١٣٣٧، واصبح وزيراً للسلطان أبي عنان إلى أن لقي مصيره بفاس في التاريخ المذكور، د. التازي رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٧٨

٨١) أبو عنان (٧٥٩ هـ) :

ومن الملوك الذين يعدون في صفوف العلماء المبرزين السلطان فارس أبو عنان ، ومن أساتذته محمد بن ابراهيم الأبلي ومحمد بن عبد الرزاق الجزولي ومحمد بن ابراهيم الصفار . وقد أثنى عليه العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني (ت ٧٧١ هـ) في كتابه « مفتاح الوصول الى بناء القرويين على الاصول»، قائلاً : إنه يفصل في مضيق المناظرات بين أربابها ، ويجلو دُجَى المشكلات ويكشف حجابها روضة النسرين ص ٢٧ الكتاب الذهبي ١٦٥ .

٨٢) ابن زَمْرك (٧٦٠ هـ) :

الوزير الكاتب الشاعر أبو عبد الله محمد بن يوسف بن زمرك . رحل من الأندلس الى فاس ، وقرأ بعض الفنون

العقلية بها على الشريف الرحلة أبي عبد الله العلوي التلمساني ، واختص به اختصاصاً . له شعر رائع منه قصيدة في مدح الزرافة عندما أهداها ملك السودان للسلطان أبي سالم ملك المغرب وبعثها مع سفارته لمدينة فاس ، النفح ١١ ، ص ١٨ - ١٩ .

٨٣) الأنفاسي (٧٦١ هـ) :

وبعد الخطيب الجنياري كان دور الفقيه أبي الحجاج يوسف بن عمر الأنفاسي . وقد بعث اليه السلطان أبو عنان ، بكسوة سنية بمناسبة تسميته ، تشتمل على برنس وبدن ، وكلاهما أبيض من صوف وحرام للتردية ومنديل للتنعيم ودراعتين من ثوب الرمان وقبطية شواشية العمل : أزيد من مئة دينار . ولما استكبر ذلك الخطيب أجابه الرسول : أنت من أهل العلم ، وإنما قصد سيدنا التنويه بأهل العلم مثلك ، وليمتاز أهل الخطط من غيرهم ، وليعلم الناس بتقديمه لك ؛ وقد أناب عنه في الإمامة عند عجزه ولدَه الفقيه الشاب أبو الربيع سليمان السلاسي منذ سنة ٧٦٠ هـ . واستمر بعد وفاة والده الى أن ظهر له أن يستعفي من تلقاء نفسه . له تقييد على رسالة ابن أبي زيد القيرواني . الآس ص ٦٣ - ٦٤ - مشاهير فاس البحث العلمي يناير ١٩٦٥ ص ٨٦ - الجذوة ٣٤٦ .

٨٤) ابن الصياد (٧٦٤ هـ) :

أبو الحسن علي بن عتيق بن عبد الرحمن بن علي الفاسي ، عدَّه الحافظ ابن حجر العسقلاني من أعيان المئة الثامنة وقال فيه : « دخل صفد فأقام بها ، وأقرأ الأدب ، ثم رجع الى بلاده فاس ، وكان ماهراً في الأصول والفقه والتفسير ، قليل ذات اليد » (٣ ر ٨٠) وذكر من نظمه :

إنني من أرض فـــاس   كنت فيها كالقمـــرْ
فخرجنـــا فكسفنـــا   هكذا جري القـــدر ! !

وقد حضر درسه بصفد أديبها القاضي صلاح الدّين خليل الصفدي (ت ٧٦٤)... ابن الحسني : جامع القرويين . الكتاب الذهبي ص ١٦٥ .

٨٥) ابن عاشر (٧٦٥هـ) :

أبو العباس أحمد بن عاشر الأندلسي . العارف الزاهد دفين سلا. ورد على فاس ، وعكف على تدريس كتاب الأحياء للامام الغزالي . ثم لم يلبث أن اعتزل الناس ، وعاش عيشة المتصوفة بين مقابر سلا ، وهو من الأربعين الذين تحدث عنهم الحضرمي في مخطوطته السلسل العذب ، من كبار تلامذته الإمام ابن عياد شارح الحكم العطائية ، وهذا غير الشيخ عبد الواحد بن عاشر الفاسي صاحب كتاب (المرشد) توفي ١٠٤٠ . نيل الابتهاج ٧٠ .

٨٦) الخطيب ابن أبي الصبر (٧٦٦ هـ) :

وبعد أن عجز الخطيب القاضي الجزولي تقدم الى المنبر الفقيه الأعدل أبو محمد عبد الله بن الخطيب الصالح أبي محمد عبد الواحد بن الخطيب الأشهر المتقدم ذكره أبي عبد الله محمد بن أبي الصبر بتعين من السلطان أبي عنان سنة ٧٥٨ هـ . وقد ألف الجزنائي كتابه جنى زهرة الآس وهو أي ابن أبي الصبر يقوم بمهمة الخطابة والإمامة معاً بعد أن تنازل عن هذه أبو الربيع سليمان الأنفاسي نجل السالف ذكره (ت ٧٦١) . جنى زهرة الآس ص ٦٥ .

٨٧) عليّ الجزنائي (٧٦٧ هـ) :

الفقيه العالم الأديب النقاد عليّ الجزنائي . صاحب «كتاب جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس» . يظهر أنه ورد على فاس للأخذ بجامعة القرويين . وقد خصص لها جانباً مهماً من كتابه القيّم الذي يعد المصدر الوحيد الذي تحدث عن ساعة أبي عنان والذي أعدّ تاريخ مدرسة الصفّارين ، وقد امتاز بفكره الوقّاد . وقد مر بنا انتقاده إمكانية عيش السلحفاة دون هواء، وأنه كان يغتنم كل فرصة للاستدلال والائتناس بالشعر مما يدل على ميوله الأدبية. زهرة الآس.

٨٨) المكلاتي ٧٦٨هـ

القاضي ابو محمد عبد الحق بن سعيد.. استقدمه أبو عنان من مكناسة فقدم ومعه اتباعه، فتركهم في الباب مع بلغته ودخل فعزله السلطان بسبب عدم مبالاته به في تنفيذ الحق! فلما خرج وجد أعوانه فروا! ثم بدا للسلطان من وقته فاسترجعه واستعطفه فلما خرج وجدهم دائرين بالبلغة!! على ما ورد في الروض الهتون.

الناس أعوان من وافته دولته وهم عليه اذا خانتْه أعوان!

٨٩) الحسن بن عطية الونشريسي (٧٧٠ هـ) :

الفقيه المفتي القاضي الحسن بن عثمان بن عطية التجاني المعروف بالونشريسي أحد المفتين بفاس يلقبونه ابن رشد لحفظه المسائل ، كان يعطي دروسه بجامع القرويين في كتاب ابن الحاجب ، ممن أخذ عنه ابن الأحمر (نثير الجمان)

٩٠) ابن بطوطة ٧٧٠

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم... الكَواتي الطنجي الملقب في المشرق بشمس الدين ويكنى عندي بأبي أحمد... ولد بطنجة يوم الاثنين ١٧ رجب ٧٠٣=٢٤ فبراير ١٣٠٤ ونعرف أن طنجة كانت ميناءً دوليا منذ فجر تاريخها تتوفر على كل مقومات الحضارة، وقد اشتهر ابن بطوطة برحلته العظيمة التي ترجمت إلى اكثر من عشرين لغة، ونظرا لما تمتاز به من معلومات بالغة الأهمية فقد اعتبرتْ الرحلة الأولى في تاريخ البشرية جمعاء! ومن ثمت فإنها فاقت رحلة ماركو بولو المحدودة المسافة والمعرفة.

انظر تحقيق الرحلة للدكتور عبد الهادي التازي في خمس مجلدات. نشر اكاديمية المملكة المغربية ١٤١٧=١٩٩٧ ج ١ ص ١٨ وما بعدها.

٩١) الشريف التلمساني (٧٧١هـ) :

الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عليّ الشهير بالشريف التلمساني المعروف بالعلْوي ، (بتسكين اللام) ، نسبة الى العلْوين قرية من أعمال تلمسان . جَوَّلَ في أنحاء المغرب ، فأخذ عن علماء القرويين ، واستخلصه السلطان أبو عنان لمجلسه العلمي . كان من شدة ازدحام الطلبة عليه يوزع ساعات الدرس بينهم بالساعة الرملية ، كان ترد عليه الأسئلة من السلطان ممن دونه فيحيلها على الطلبة ويسميهم بأسمائهم لرفع معنويتهم ومنزلتهم . من تآليفه (مفتاح الوصول الى بناء الفروع على الأصول) ،وشرح علي الخونجي . تعريف الخلف ١ ص ١٠٦ الى صفحة ١٢٣ - تاريخ الجزائر العام ٢ ر١٩٠ - ١٩٣ .

٩٢) أبو البركات ابن الحاج (٧٧١هـ) :

محمد بن محمد بن ابراهيم أبو البركات بن الحاج البلفيقي ، شيخ المحدثين وكبير القضاة بالأندلس ، لما ورد سفيراً على بلاط فاس عام ٧٥٦ هـ ألقى دروساً بجامع القرويين شرقي صحن القرويين ، وسمع عليه كثير من أعلام فاس ، وفي صدرهم ابن خلدون الذي سمع عليه الموطأ وأجازه سائره – الكتاب الذهبي ص ١٦٧ .

٩٣) اللجاءي (٧٧١هـ) :

أبو زيد عبد الرحمن بن أبي الربيع سليمان اللجاءي الذي أدخل والدُه مختصر ابن الحاجب لفاس ، عالم رياضي كبير نشأ في حجر والده العلامة أبي الربيع ، أخذ عن ابن البناء ، ويحكي عنه تلميذه الأستاذ ابن قنفذ أنـــه : كان اللجائي آية في فنونه ، ومن بعض أعماله أنه اخترع أسطرلاباً ملصوقاً في جدار ، والماء يدير شبكته على الصفيحة ، فيأتي الناظر لينظر الى ارتفاع الشمس كم هو وكم مضى من النهار ، وكذلك ينظر ارتفاع الكوكب بالليل – الجذوة ٢٥٨ – النبوغ المغربي ١ ص ٢١٤ . تراث العرب العلمي ص ٢٢١ .

٩٤) منديل ابن آجروم (٧٧٢هـ) :

أبو المكارم منديل بن آجروم (الابن) . كان حافظاً للطريقتين التاريخية والأدبية ، وهو ممن ضمتهم ندوة الشعر حول السيف ، وهو ولد صاحب المقدمة النحوية المشهورة المتوفى ٧٢٣ هـ وجل قراءاته مقامات الحريري . قال عبد الله الثعالبي : كنا نقرأ المقامات عليه بين العشاءين بعنزة جامع القرويين ، فجعل ابن آجروم يقرر الاستعارة في الآية الشريفة : (فصدع بما تؤمر) فهبت ريح فضربت المصابيح بعضها ببعض ، فأطرق الشيخ . ثم رفع رأسه وأنشد مرتجلاً :

ولما ضربنا في بيان استعارة ... مثالاً لصَدْع الحَقّ صدع زجـاجِ
أرتنا عياناً صدعَها الريحُ إذْ غَدَتْ ... تكسّر في الجدران كلّ سِراجِ

السلوة ٢ ر١١٢ –١٥٦ – جامع القرويين . الكتاب الذهبي ص ١٦٩ .

٩٥) القاضي اليزناسي (٧٧٥هـ) :

القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الفقيه إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحيم اليزناسني ، من خيرة القضاة الذين بهجت بذكرهم القرويين ، قال فيه الامام ابن مرزوق : إنه من مفاخر القطر ، ووصفه الونشريسي في معياره بالفقيه المدرس المحقق الصدر ، وهو الذي افتى لمصلحة الطلبة في قولته المعروفة : « أسوأ حالات الطلبة المحاصّة ! » ، روضة النسرين ص٣٦ – الجذوة ٨٥ .

٩٦) ابن الخطيب (٧٧٦هـ) :

من الشخصيات البارزة في تاريخ فاس ، السفير الوزير العلامة الأديب الطبيب . وصف فاساً بعد أن تردد عليها سفيراً عام ٧٤٩ هـ وعام ٧٥٥ هـ ، ومستجيراً بما ينبغي أن نقف عليه في مقاماته « معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار» وفي كتابه « نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب بمن بقي من الأصحاب » ، وفي تعليقه على منظومته « رقم الحلل في نظم الدول» ، وله إطراء عاطر على فاس مما يُفسِّر مجالسه العلمية بها كان يلقب بذي الوزارتين : القلم والسيف ، وذي العمرين لاشتغاله بالتصنيف في ليله وتدبير المملكة في نهاره وقد انتفع به أهل فاس ، وكان له مركز عند السلطان أبي عنان ،

وهو الذي كان تشفع له في عدم إحراق قبر السفير القاضي ابن العربي . من تأليفه « الإحاطة في أخبار غرناطة » ، « واللمحة البدرية في الدولة النصرية » « والصيب والجهام » وعمل (من طبّ لمن حبّ) . مشاهير فاس (بحث علمي يناير ١٩٦٥) ص ٩٨ ، نثير الجمان الباب الحادي عشر الجذوة ١٩٤ . وزير غرناطة طبعة الدار البيضاء .

٩٧) أبو عمران العبدوسي (٧٧٦هـ) :

ابو عمران موسى بن محمد بن المعطي العبدوسي ، تَلْمَذَ عليه عدد من العلماء ، منهم القباب ومنهم ولده الفقيه عبد العزيز . الروض الهتون ص ٣٢ .

٩٨) القاضي الفشتالي (٧٧٧هـ) :

القاضي السفير الشاعر المجيد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الملك بن شعيب الفشتالي الصنهاجي الحميري . تولى القضاء بمدينة فاس فكان مثالاً يحتذى في الفقه والأدب معاً . قدمه أبو عنان قاضياً بحضرته ، وهو من مجلسه ، وبعث به مراراً سفيراً له الى الأندلس ، هذا هو الذي كان يتبادل الشعر مع ابن الخطيب ، ألف في « الوثائق » وغيرها ، تخرج عليه جماعة من كبار العلماء . كان خطيباً بمدرسة أبي عنان ، وأحد رجال الفتوى ، وكان يدرس المدونة وغيرها على كرسي مدرسة العطارين ، حضر ابن الاحمر مجلسه وأجازه . روضة النسرين ص ٢٩ – نثر الجمان الباب الحادي عشر ، الجذوة ١٤٦ – السلوة ٣ر٢٥٩ ، نيل الابتهاج ١٦٥ .

٩٩) القباب (٧٧٨هـ) :

القاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن قاسم الجذامي الفاسي المعروف بالقباب ، وهو من ملازمي المجالس العلمية لأبي عنان ، قال ابن الخطيب : « حضرت مجلسه في الحديث والفقه وأصول الدين بمدينة فاس ، وهو من قضاتنا في جبل طارق . ويحتفظ كتاب شفاء السائل بجواب له في التصوف لأبي إسحاق الشاطبي الأندلسي . وذلك ضمن جواب ابن خلدون وابن عباد من أوائل مدرسي المدرسة المرينية بفاس الجديد . وهو شارح مسائل ابن جماعة . وشارح قواعد الإسلام لعياض » وينقل المقري أنه لما حج القباب حضر مجلس ابن عرفة هو ومن كان معه من الفقهاء فأوقفه ابن عرفة على ما كتب من مختصره الفرعي ، وقد كان شرع في تأليفه ، فقال له القباب : ما صنعت شيئاً . فقال له ابن عرفة : وله ؟ قال : لأنه لا يفهمه المبتدئ ولا يحتاج اليه المنتهي ! فتغير وجه ابن عرفة . ثم ألقى عليه مسائل أجاب عنها القباب . شفاء السائل ص ١٢٧ نيل الابتهاج ص ٧٢ المحاضرات العامة – جامعة دمشق ١٩٦١ ص ٣٠٥ – المنوني : فاس الجديد ، البحث العلمي دجنبر ١٩٦٧ ص ١٩١ – ٢٠٢ ، ازهار الرياض ٣ر٣٧ . النبوغ ٢٠٥ .

١٠٠) الوادي آشي (٧٧٩هـ) :

أبو عبد الله محمد بن الإمام جابر بن محمد قاسم بن أحمد القيسي الوادي آشي ، الإمام الرحال الراوية المولود بتونس ، يقول الخطيب ابن مرزوق : « عاشرته طويلاً ، فأول ما قرأت عليه بالقاهرة ، وقرأت عليه بمدينة فاس ، وبظاهر قسنطينة وبجاية والمهدية وبمنزلي من تلمسان » . نفح الطيب ٧ر١٢٥ – ١٢٦ – ١٢٧ .

١٠١) الخطيب ابن مرزوق (٧٨١ هـ) :

السفير محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي (نسبة لعجيسة بزاب إفريقية) المشهور بالخطيب وبالجد وبالرئيس . أخذ بفاس عن أبي عبد الله محمد بن سليمان السطّي ، وعطف عليه السلطان أبو الحسن ، وخصه بنفسه ،

وجعله خطيب منبره . وكان سفيره الى قشتالة عام ٧٤٨ هـ والى تونس عام ٧٥٨ هـ . وقد كانت له مجالس علمية بفاس . وهو صاحب كتاب المسند الصحيح الحسن في مآثر السلطان أبي الحسن . وله شرح على كتاب الشفا لعياض ، وشرح عمدة الأحكام ، وغير هذا . من المغاربة الذين نالوا حظوة في المشرق كابن دحية . دفن بالقاهرة بين اشهب وابن القاسم . كان يقول : ليس يوجد من يسند أحاديث الصحاح سماعاً من باب الاسكندرية الى البرين الى الأندلس غيري . النفح ٧ - ٣٠٩ - ٣٣٨ - نيل الابتهاج ص ٢٧٤ - ٢٧٥ - تعريف الخلف برجال السلف ١ ص ١٤٤ الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ٢ ص ١٠٤ - ١٩٥ .

١٠٢) القاضي الأوربي (٧٨٢ هـ) :

القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد الأوربي الفاسي ، قاضي الجماعة بها . مشاهير فاس البحث العلمي ص ٤٢ روضة النسرين ص ٢٩ .

١٠٣) ابن رضوان (٧٨٣ هـ) :

القاضي أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري الخزرجي الخطيب الكاتب أدركه أجله بمدينة أنفا . كان شيخاً لابن الخطيب وأمثاله ، ممن كانوا يشتركون في المجالس العلمية لأبي عنان ولهم ينسب درب الرضاونة بفاس مشاهير فاس البحث العلمي يناير ١٩٦٥ ص ٨٣ ، روضة النسرين ص ٢٩ .

١٠٤) ابن باديس (٧٨٤ هـ) :

القاضي أبو علي حسن بن خلف الله خطيب قسطنطينة المعدّل الموقت لقيه ابن خلدون بجامع القرويين عام ٧٦١ وسأله عن قران الكوكبين نيل الابتهاج ١٠٨ - الكتاب الذهبي ١٦٧ - ١٦٨ .

١٠٥) البرجي (٧٨٦ هـ) :

القاضي السفير أبو القاسم محمد بن يحيى بن محمد الغساني البرجي ، صدر في الآداب ، جم المشاركة ، ثاقب الذهن ، بارع الشعر والنثر ، يحكم صنع كثير من الالآت . رحل الى مصر القاهرة والى ملك قشتالة ، روضة النسرين ص ٢٩ التعليق رقم ١ - الجذوة ١٩٧ .

١٠٦) الرعيني (٧٨٧ هـ) :

محمد بن سعيد الرعيني من أهل فاس وطلبتها وعلمائها . له عدد كبير من التآليف ، منها : المغرب في جملة من صلحاء المشرق والمغرب ، واختصار المقدمات لابن رشد ، والأسئلة والأجوبة ، وتحفة الناظر في غريب الحديث وتنبيه الغافل وتعليم الجاهل ، والجامع المفيد ، والاعتماد في الجهاد . الجذوة - ١٤٧ - السلوة ٣ - ٢٧٨ - ابن عبد الله : علماؤنا والتبادل الفكري بين المغرب والمشرق . دعوة الحق يناير ١٩٦١ ص ٢٥ .

١٠٧) ابن جميلة (٧٨٨ هـ) :

العلامة الواعية سعيد بن محمد بن جميلة ، وهو الذي أبى ترشيح السلطان أبي الحسن له ليصبح قاضياً . ولما طلب اليه الفقيهان عبد العزيز القروي (ت ٧٥٠ هـ) وابراهيم اليزناسني (ت ٧٧٥ هـ) ان يحكم بين اثنين ولو مرة واحدة لتسويغ قسم السلطان ، أجاب : أخاف أن أميل عن الحق في هذه المرة الواحدة ! . الجذوة ٣٢٢ سلوة ٣ر٣١٧

١٠٨) الخزاعي (٧٨٩ هـ) :

الشاعر الأديب أبو الحسن علي بن أحمد بن موسى بن مسعود الخزاعي التلمساني المولد ، الفاسي النشأة ، صاحب (تخريج الدّلالات السمعية) المؤلف الأول في تاريخ المدنية الإسلامية وتفصيل الحالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في صدر الإسلام ، ألفه برسم السلطان أبي فارس بن أبي عنان . وقد ظفر الشيخ الكتاني بنسخة مخطوطة منه بخزانة جامع الزيتونة (برقم ٧٥٧٢) فأدمجها في كتابه الجامع : (التراتيب الإدارية) وزاد زوائد ميّزها عن غيرها أعيد طبع الكتاب في بيروت عام ١٩٧١ بعد أن كان طبع في الرياض ١٣٤٦ تعريف الخلف برجال السلف ٢ ر٢٦١ . تاريخ الجزائر العام ٢ ص١٠٢ - ١٠٣ .

١٠٩) ابن الحسن النباهي (٧٩٢ هـ) :

القاضي أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد المالقي النباهي ، صاحب المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتياء ونزهة البصائر والأبصار . تردد من غرناطة على فاس مرتين للسفارة فكانت له بها مجالس علمية شأن السفراء العلماء الذين يردون على فاس ، ويقتنعون بأن مهماتهم لا تقتصر على تبليغ الرسائل . ازهار الرياض ٢ ر٦ - ٧ .

١١٠) الخطيب ابن عباد (٧٩٢ هـ) :

الخطيب الإمام اللامع أبو عبد الله محمد بن يحيى بن إبراهيم بن مالك النفزي الحميري الشهير بابن عباد . درس في رندة على والده ثم رحل الى فاس ، وكمل دراسته بجامعة القرويين ، ثم تولى الخطابة بعد ابن أبي الصبر الذي كان يجمع بين الخطبة والإمامة أواخر عام ٧٦٦ هـ . وظل خطيباً بالقرويين خمس عشرة سنة . وكان يخدم نفسه بنفسه ، فلم يتزوج ، ولم يملك سرّيّة في بيته ، وكان يسكن بالدار المعلومة للخطباء بجوار المدرسة المصباحية ، قال المقري : « ابن عباد عند أهل فاس بمثابة الشافعي عند أهل مصر» . له تآليف جيدة ، منها التنبيه والرسائل ، وغيرها . من الذين أسهموا في التحبيس على القرويين . نفح الطيب ٧ر٢٦٥ ، الجذوة ٣٩ - ٢٠٠ - الاستقصا ٤ ر٨٤ .

١١١) ابن عبد المنان (٧٩٢ هـ) :

أبو العباس احمد بن يحيى بن عبد الله بن عبد المنان الفقيه الأديب الكاتب الشاعر الفحل . كان أول من افتتح الندوة الشعرية بفاس حول السيف المعلق على قمة الصومعة وهو الذي وصف الساعة المائية التي أنشأها أبو عنان ازاء مدرسته- النبوغ ص ٢٢٨ ، جنى زهرة الآس ص ٤٧ ، التعليق ١١٨ ، نثر الجمان لابن الاحمر- الدر النفيس للحلبي .

١١٢) المؤقت ابن عمر (٧٩٤ هـ) :

أحد المؤقتين الأعلام الذين ما تزال آثارهم الى اليوم بأعلى صومعة القرويين. أبو عبد الله محمد بن عمر اللخمي. أخذ عنه كثير من الطلبة ممن أصبحوا أعلاماً في التوقيت كأبي زيد الجاديري، الجذوة ص ١٤٨- السلوة ‎II، ٣

١١٣) ابن أبي بكر الحضرمي (٧٩٩ هـ) :

محمد بن أبي بكر الحضرمي ، من علماء فاس وفقهائها . له كتاب أَلَّفَهُ على عهد السلطان عبد العزيز بن أبي العباس (ت ٧٩٩ هـ) سمّاه (السلسل العذب والمنهل الأحلى المرفوع للخلافة العزيزية التي لا تزال مناقبها على مرّ الدّهور تتلى .) يتضمن أربعين ترجمة من رجال العصر العزيزي ، مخطوط في الخزانة العلمية الصبيحية التي بناها شيخنا المرحوم الفقيه سيدي محمد الصبيحي بمدينة سلا .

١١٤) محمد الورياغلي (٧٩٩ هـ) :

عمر بن علي الورياغلي شارح الموطأ في واحد وخمسين مجلداً ، لا يزال بعضها في خزانة جامع القرويين . ابن الحسني ص ١٦٤ .

١١٥) السراج (٨٠٥ هـ) :

يحيى بن أحمد النفزي الرُّندي الفاسي . عرف بالسراج صاحب ابن عباد وتلميذه الأول . وهو صاحب الفهرست الشهير ، ويعرف بالسراج الأكبر ، وهناك يحيى آخر (ت ١٠٠٧ هـ) من أشياخ الكلالي ذكره في رسالته (تنبيه الصغير من الولدان) ، وما تزال ذريته معروفة الى الآن في فاس . الجذوة ٣٣٩ السلوة ٢ ر١٤٣ – ١٤٤ .

١١٦) المزواري (٨٠٦ هـ) :

محمد بن سليمان الرسموكي المزواري العلامة الأصولي السوسي . قصد القرويين للأخذ من معينها . علماء من سوس أخذوا من القرويين ص ١١٥ من الكتاب الذهبي .

١١٧) ابن الاحمر (٨٠٧ هـ) :

الأمير أبو الوليد اسماعيل بن الاحمر النصري . استوطن مدينة فاس ، وأخذ بها على عدة أعلام كالرعيني والقاضي ابن عبد الملك القشتالي والجاديري ومنديل وابن عطية وابن عبد المهيمن الحضرمي ، له «كتاب روضة النسرين في دولة بني مرين» وقد نشرته المطبعة الملكية سنة ١٩٦٢ م بتحقيق الأستاذ ابن منصور . البحث العلمي دجنبر ١٩٦٤ ص ٣٧ .

١١٨) المكودي (٨٠٧ هـ) :

من أعلام القرويين الأستاذ الشاعر عبد الرحمن المكودي ، صاحب شرح ألفية ابن مالك الذي يجد فيه الطلبة مبتغاهم أسلوباً وفائدة . كانت مدرسة العطارين من المراكز التي يعطي فيها دروسه ويذكر أنه آخر من درس كتاب سيبويه بالقرويين ، وقد ساق صاحب نثر الجمان مقولة له في مدح الرسول . الجذوة ١٤٣ – الاستقصا ٤ رص ١٠٠ السلوة ١ ص ١٨٧ . النبوغ ص ٢١٠ .

١١٩) الحسن بن عطية الونشريسي (٨٠٧ هـ) :

الفقيه المفتي القاضي الحسن بن عثمان بن عطية التجاني المعروف بالونشريسي أحد المفتين بفاس يلقبونه « ابن رشد » لحفظه المسائل ، كان يلقي دروسه بجامع القرويين في كتاب ابن الحاجب . ممن أخذ عنه ابن الأحمر ، نثر الجمان الباب الحادي عشر السلوة ٣ ٢٥٩ .

١٢٠) أبو عليّ ابن باديس (٨٠٨ هـ) :

أبو عليّ حسن بن خلف الله القاضي الخطيب بن باديس خطيب قسطنطينة المعدل الموقت ، سافر الى فاس لطلب العلم في جامعة القرويين ، ولقيه ابن خلدون ، وسأله عن قران الكوكبين . ابن الحسني ١٦٧ – ١٦٨ .

١٢١) ابن قنفذ (٨١٠ هـ) :

أبو العباس احمد بن حسين المعروف بابن القنفذ القسنطيني . دخل مدينة فاس ، وأخذ بها عن أعلامها من أمثال أبي العباس القباب وعبد الرحمن اللجاي وعبد الحق المسكوري وغيرهم . وفي الحوالة الاسماعيلية لسنة ١١٠٥ هـ حانوت بسوق الحزامين حبس على الحسن بن قنفذ . له تآليف عديدة ، منها : اللباب في اختصار ابن الجلاب .

وآية السالك في بيان ألفية ابن مالك ، وشرح الثقات في علم الأوقات ، وتيسير المطالب في تعديل الكواكب ، والقنفذية في أبطال الدلالة الفلكية ، وحظّ النقاب عن وجوه الحساب ، وأنس الفقير وعز الحقير ، (وقد نشر أخيراً بالمغرب). الجذوة ٧٩ نيل الابتهاج ٧٥ – الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف ١ ص ٢٧ .

١٢٢) عبد الرحمن المليلي (٨٠١ هـ) :

أبو زيد عبد الرحمن المليلي الفقيه الورّاق الذي يقرأ عند باب محراب القرويين كلَّ يوم بعد صلاة الصبح أربعة كتب : البُخاري ، تفسير الثعلبي ، شفاء عياض ، والرابع : الحريفش الجذوة ١٠٤ – سلوة ٣٤٧ .

١٢٣) ابن خلدون (٨٠٨ هـ) :

من أهم الجسور وأقواها التي ربطت المغرب بالمشرق عبد الرحمن ابن خلدون ، صاحب العبر ، وشفاء السائل ، وشرح البردة ومختصر المحصل . أخذ عن العلماء الفاسيين الذين صحبوا السلطان أبا الحسن الى تونس ، واستقدمه السلطان أبو عنان الى فاس ، فقدمها عام ٧٥٥ هـ فعكف على القراءة ولقاء المشيخة من أهل المغرب والأندلس الواردين في غرض السفارة ، ومن شيوخه الفاسيين القاضي السفير محمد بن عبد الرزاق (ت ٧٥٨ هـ) ، وفي جملة من لقيهم واستفاد منهم الطبيب الإسرائيلي ابراهيم بن زرزر. ولم يكن في نيته مغادرة فاس ، وإنما حمله على مغادرتها ما شعر به من تقصير الوزير عمر بن عبد الله صاحبه القديم :

وقد احتفظ بذكر لا ينسى لفاس ، ولذاك ، ينعتهما في كتابه شفاء السائل بقوله : « حيث الملك يزأر ، وبحار العلم والدين تزخر» ، ونراه كذلك يذكر في دروسه بالقاهرة سندَه الى علماء جامع القرويين ، نثر الجمان ، مجلة المغرب اكتوبر ١٩٣٤ ابن عبد الله : دعوة الحق دجنبر ١٩٦٠ ، الكتاب الذهبي ١٦٨ .

١٢٤) ابن هيدور (٨١٦ هـ) :

أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن هيدور التادلي الطبيب الشهير، من أهل فاسا ، كان مشاركًا في فنون كثيرة وقد اشتهر بالطب ، من مؤلفاته رسالة سماها المقامة الحكيمة في الامراض الوبائية ، نيل الابتهاج – مظاهر الثقافة المغربية ص ٢٢٨ .

١٢٥) السكاك (٨١٨ هـ) :

القاضي أبو يحي محمد بن محمد العياضي او العياطي الفقيه العلامة الإمام المدرس المتقن المفتي المؤرخ . له تآليف عديدة ، منها كتاب (نصح ملوك الاسلام) . كان من المعجبين بالإمام ابن العربي السفير ، ويؤول كلامه ، وهو ممن ضمتهم مجالس ابن عنان العلمية ، مشاهير فاس ، البحث العلمي يناير ١٩٦٥ ص ١٠٢ روضة النسرين ص ٣٧.

١٢٦) الحلفاوي (٨١٨ هـ) :

أبو يوسف يعقوب الحلفاوي ، إمام جامع القرويين وفقيهها ، وقد ورد ذكره ضمن مشاهير فاس . البحث العلمي ١٩٦٥ ص ١٠٢ .

١٢٧) ابن الفتوح (٨١٨ هـ) :

محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني ، أول من أدخل مختصر الشيخ ضياء الدين الشيخ خليل (ت ٧٧٦ هـ) بعد نحو من نصف قرن على تأليفه . نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص ٢٩٢ - ٢٩٣ - الجذوة ٢٠١ . روض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون - الاستقصا ٤ ر ١٠٠ - ١٠١ - السلوة ١ ص ٣٣٦ .

١٢٨) ابن علال الكتامي (٨٢٠ هـ) :

الإمام أبو موسى عيسى بن علال المصمودي الكتامي ، شيخ الجماعة بفاس ، وخطيب القرويين وإمامها . من تلامذته العلامة ابن الفتوح السالف ذكره ، له تعليق على مختصر ابن عرفة . الضوء اللامع : ٦ ص ١٥٥ - الديباج ص ٢٩٩ الجذوة ٢٨٢ سلوة ٣ ر ٣١٤ .

١٢٩) الوادنُوني (٨٢٦ هـ) :

عبد الواحد الركراكي الوادنوني ، نسبة الى وادي نون جنوب المغرب شمالي الساقية الحمراء . شارح المدونة . ذكره الشيخ المختار السوسي ضمن العلماء الذين أخذوا عن القرويين من تخوم السوس : علماء لامعون من سوس أخذوا من القرويين (الكتاب الذهبي ص ١١٥) .

١٣٠) الشيخ ابن حمد (٨٣٣ هـ) :

الفقيه الزاهد عبد الله بن حمد ، ممن اغترفوا من معين فاس ، وممن ارتحلوا الى المشرق والتقوا بالمشايخ ، أدركه أجله بمدينة مكناس ، الروض الهتون ٥٧ - ٦١ - الاتحاف ٤ ر ٤٩٨ .

١٣١) الخطيب التازغدري (٨٣٣ هـ) :

الخطيب الجليل المفتي المحقق محمد بن عبد العزيز التازغدري . له فتاوى كثيرة في معيار الونشريسي ، وقد اغتيل وكان ذلك سبباً في بناء مصرية الإمام الخطيب متصلة بالجامع القروي ، وهناك درب تازغدريت جهة سيدي بومدين بالرميلة بحسب الحوالة الاسماعيلية ، الضوء اللامع ص ١٤٠ - الجذوة ١٤٨ السلوة ٢ ص ١٢٣ .

١٣٢) القاضي عبد الرحيم اليزناسني (٨٣٤ هـ) :

القاضي عبد الرحيم بن ابراهيم اليزناسني . روضة النسرين ص ٣٩ الجذوة ٨٥ - ٢٦٦ السلوة ٣ - ٢٩٩ .

١٣٣) المؤقت الجاديري (٨٣٩ هـ) :

أبو زيد عبد الرحمن ابن عطية المديوني الشهير بالجاديري الفقيه العدل الميقاتي . أخذ عن جملة من العلماء ، فيهم الموقت ابن عمر بن محمد ، له مؤلفات عديدة في العلوم الرياضية ، منها : مختصر يشتمل على وسائل العمل بآلة الاسطرلاب وبالصحيفة الشكارية وبربع الدائرة ، ومنظومته روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار ، وكتاب اقتطاف الأنوار ، وهو شرح روضة الأزهار ، والعمل بالحساب والجدول في اثنين وأربعين باباً ، وكتاب تنبيه الأنام على ما يحدث في أيام العام ، ومختصر شرح الخاقانية ، وارجوزة في القراءات سماها النافع في اصل حرف نافع . نيل الابتهاج ١٧١ - الونشريسي في وفياته - الكتاب الذهبي ص ١٩٣ .

١٣٤) ابن مرزوق الحفيد (٨٤٢ هـ) :

العلامة محمد بن أحمد بن مرزوق (الحفيد) ، روى بفاس عن الأستاذ النحوي ابن حياتي الامام ، والشيخ

أبي زيد المكودي ، والحافظ محمد بن مسعود الصنهاجي . ذهب في سفارة الى الديار التونسية . النفح ٧ ص ٣٥٢ تاريخ الجزائر العام ٢ ر١٩٥ .

١٣٥) أبو شامة المشترائي واحد ممن أودى بهم وباء (٨٤٦ هـ) :

لم يمض قرن من الزمان على كارثة الأسطول التي ضاع فيها نحو من أربع مئة عالم حتى أصيبت فاس بوباء خطير أودى بعدد كبير من أعيان العلماء والاعيان ، عرفنا منهم الخطيب المشترائي الذي خطب بعد ابن عباد ، وهو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم المشترائي المعروف بابي شامة ، وقد كان ناظر أوقاف للقرويين كذلك . جنى زهرة الآس ص ٦٥ التعليق رقم ١٢٨ الاستقصا ٤ ر١٠١

١٣٦) أبو القاسم العبدوسي (٨٤٧ هـ) :

وبعد الخطيب المشترائي يأتي دور شيخ الاسلام حامل لواء المذهب نزيل تونس ودفينها أبو القاسم عبد العزيز بن موسى بن معطي العبدوسي الفاسي . أخذ عن والده المتوفى سنة ٧٧٦ هـ ، وأخذ عنه أعيان علماء تونس ، ورد على تونس ومعه كتاب من ابن مرزوق يقدمه هكذا للعلماء : « برد عليكم حافظ المغرب » ، قال أبو عبد الله الزلديوي (ت ٨٨١ هـ) قاضي تونس في ذلك العهد : قلت لعل ذلك من تعسيل الإخوان لإخوانهم في الوصية بهم . فلما اجتمعنا به ، رأينا العجب العجاب ! لقد تركت مجلس تدريسي ، وحضرت عنده لآخذ شيئاً من طريقه .

١٣٧) الخطيب عبد الله العبدوسي (٨٤٨ هـ) :

الخطيب عبد الله بن محمد بن موسى (ابن الأخ) الفقيه المفتي الصالح إمام القرويين الذي كان يقول بتحديد النسل ، لأن التربية الاسلامية الصحيحة لا تتوفر ، لفساد الزمان فكان (يشترط العزل في النكاح على النساء فراراً من الولد لفساد الزمان، وهكذا فاذا كان بعض العلماء المعاصرين يخططون على أساس الكفاية المادية فان العبدوسي أساس الكفاية الروحية. من تلميذاته الفقيهة أم البنين جدة الشيخ زروق . وأختاه فاطمة وأم هانئ العبدوسيتان الجذوة ٣٣٨ السلوة ٣ ر ٣٠٢ مجلة المغرب عدد خاص بالمرأة – نونبر ١٩٣٥ ص ١٩٢ النبوغ ص ٢٠٢ الكتاب الذهبي ص ١٧٠ .

١٣٨) ابن العجل (٨٥٦ هـ) :

القاضي أبو العباس أحمد بن العجل الوزروالي .كان من المدرسين في مدرسة الصهريج القريبة من جامع الأندلس الضوء اللامع ٢ ر٢٥٩ الجذوة ٦٣ السلوة ٣ ر٨٧ .

١٣٩) أم هانئ العبدوسية (٨٦٠ هـ) :

هي الفقيهة العالمة أم هانئ بنت محمد بن موسى العبدوسي ، أخت الفقيه الخطيب عبد الله امام جامع القرويين الذي اشتهر باشتراط العزل على النساء عند تزويجهن فراراً من الولد العابث ، وقد تتلمذت على أخيها هذا كما تتلمذت عليه أختها فاطمة والفقيهة أم البنين جدة الشيخ زروق .

١٤٠) المزّكلدي (٨٦٤ هـ) :

أبو العباس أحمد بن عمر المزكلدي ، آخر حفاظ المدونة بفاس . كانت نصب عينه كما يقول ابن غازي ، وكان يدرس في مدرسة مصباح . الابتهاج ص ٨١ .

١٤١) الحسن المغيلي (٨٦٤ هـ) :

أبو علي الحسن المغيلي الفقيه الحافظ العالم إمام المدرسة البوعنانية ، يحكي أبو العباس أحمد زروق عنه : « حضرت مجلسه بجامع القرويين ، وكان يحضر مجلسه نحو ثلاثة آلاف رجل » أي نحو ربع مما تسعه القرويين ! « وحضرت بمسجد دار آمنة بنت السلطان في تفسير سورة (والليل اذا يغشى) فلم أحفظ مما سمعته غير شيء يسير فهرست ابن غازي : التعلّل برسوم الأسناد » . الجذوة ١١٠ ، النيل ١٠٩ الكتاب الذهبي ص ١٩٢ .

١٤٢) القرموني (٨٦٥ هـ) :

عبد الرحمن القرموني مؤقت المدرسة المتوكلية والساعة المائية هناك،ذكره نيل الابتهاج في معرض الحديث عن أبي الفتوح التلمساني . الضوء اللامع ٤ ر١٣٣ .

١٤٣) عبد الله التازي (٨٦٩ هـ) :

الفقيه العلامة عبد الله بن فارس التازي ، له كتاب النصيحة محفوظ في خزانة الأوقاف ببغداد ، وله شريط مصور بالمكتبة العامة بالرباط ، وليس هو أبا عبد الله محمد التازي نزيل مكة . أدركته منيته في مصر . الضوء اللامع صفحة ٨ ر ص ١٨ .

١٤٤) الخطيب الحبّاك (٨٧٠ هـ) :

الخطيب أبو العباس أحمد بن سعيد المكناسي الشهير بالحباك ، خطب بعد الفقيه العبدوسيّ ، كان فقيهاً متصوفاً ممن لقي المقري بمدينة فاس ، نظم مسائل ابن جماعة التونسي المالكي في البيوع ، ونظم الشعر النفيس في التصوف ، وقد عزل مرة عن الخطابة بالقرويين لغير تقصير منه ، ثم طلب لامامة جامع الأندلس بالعدوة الشرقية من فاس ، فأبى قائلاً : إن كان عزلي بجرحة فلا يحل لي تقديم نفسي ، وإن كان عن غير جرحة فقبولي من قلة الهمة ! ، وكان يدرس بالمدرسة المتوكلية التي تقع على مقربة من طريانة . راجع صفحة ٨٢ تعليق رقم ١ . نيل الابتهاج ص ٦٧ النفح ٧ - ١٧٥ - الروض الهتون ص ١١ - ٢٦ الاتحاف ١ ص ٣١٣ .

١٤٥) الشيخ ابن سليمان الجزولي (٨٧٠ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي . درس بمدينة فاس ، وكان بيته في مدرسة الحلفاويين عن يسار قاعة الصلاة ، يصعد اليه بدرج ، وبهذا البيت حفظ أصل ابن الحاجب الفرعي الفقهي وبه ألف كتابه دلائل الخيرات في بعض الأقوال . الجذوة ٢٠٣ الضوء اللامع ٧ ص ٢٥٨ - علماء من سوس أخذوا من القرويين ، الكتاب الذهبي ص ١١٥ . أعلام مراكش ٤ ص ٩٨ .

١٤٦) القاضي الجنّياري (٨٧٠ هـ) :

القاضي أبو عبد الله محمد الجنياري من بيت العلم والفقه ، وقد صرف عن القضاء ، وهو غير الخطيب عبد الله الجنياري ٧٥٠ - الجذوة ٤٧ - ٦٣ .

١٤٧) القوري (٨٧٢ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن قاسم اللخمي المكناسي القوري شيخ ابن غازي، قال فيه صاحب كتاب مشاهير أعيان فاس : شيخنا القدوة أبو عبد الله محمد القوري، عالم حافظ للمسائل، مفتي نوازل، انتهت إليه رياسة التدريس في زمانه، وهو من العلماء الذين تعرضوا للامتحان بسبب امتناعه من الفتوى بخلع آخر ملوك بني مرين. الجذوة ص ١٠-٦٣ - الروض الهتون ٦٩ - مخطوطة عبد الباسط : الروض الباسم.

١٤٨) القاضي عبد العزيز الورياغلي (٨٧٦ هـ) :

القاضي الخطيب أبو عبد الله أبو فارس عبد العزيز الورياغلي ، الخطيب بعد الحبّاك المكناسي ، وكان يدعى بالصاعقة لما كان يمتاز به من حدة وجرأة كان يدرس بالمصباحية وصرف عنها لفائدة الونشريسي صاحب المعيار ، شب الحديث بين علماء تلمسان وعلماء فاس حول من يستفيد من المرتب السنوي . وقد عرفنا أن له كرسياً بالقرويين . مشاهير فاس البحث العلمي ص ٣٩ – الضوء اللامع ٤ ص ١٦٤ – الجذوة ٢٧٠ – ٢٧٤ .

١٤٩) الكرامي (٨٨٢ هـ) :

سعيد الكرامي ممن أخذوا من جامعة القرويين ، كما أخذوا من غرناطة . له مؤلفات شتى ، وهو من أحفاد أبي بكر المعافري : علماء من سوس أخذوا من القرويين – الكتاب الذهبي ص ١١٥ .

١٥٠) ابن علال المصمودي الحفيد (٨٨٥ هـ) :

القاضي العدل أبو عبد الله محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودي ، قاضي الجماعة بفاس . مشاهير فاس (بحث علمي) يناير ١٩٦٥ ص ٨٠ – ٨١ – الجذوة ١٥٠ .

١٥١) ابن حامد (٨٩١ هـ) :

القاضي يحيى بن حامد ، ممن تولوا القضاء بها ، وكان له بالقرويين مجالس علمية – الجذوة ٣٣٩ – السلوة ٣ ص ٣١٨ .

١٥٢) ابن جيدة (٨٩٥ هـ) :

أبو العباس أحمد بن جيدة التزم عندما حل بفاس تدريس الإلاهيات بالاخص كتب أستاذه السنوسي ، وقد اسند اليه كرسي ابن غازي في القرويين بعد وفاة تلميذه أبي عبد الله الغزالي . البحث العلمي ١٩٦٥ ص ٤٨ .

١٥٣) الماواسي البطوئي ، (٨٩٦ هـ) :

أبو مهدي عيسى بن احمد الماواسي ، مفتي فاس وفقيهها ومؤقتها . الجذوة ص ٢٨٣ .

١٥٤) القاضي ابن أبي غالب المغيلي (٨٩٨ هـ) :

القاضي أبو عبد الله محمد بن أبي غالب بن جشار المغيلي ، متولي نيابة الاحكام بها ، ومفتيها . الجذوة ١٥١ السلوة ٣ ص ٨٨ .

١٥٥) الخطيب البوفرجي (٨٩٩ هـ) :

الخطيب أبو فارس عبد العزيز البوفرجي ، خطيب القرويين بعد الورياغلي ، له تآليف عديدة منها : تلويحات في طريق القوم – الأمر المهم الأكيد ، فيما يلزم الانسان من حسن الجواب والتسديد – رسالة في قوله تعالى : (يمحو الله ما يشاء ويثبت) – رسالة في قول ابن عطاء الله « الكون كله ظلمة » . الجذوة ص ٤٠ و ٢٧٠ .

١٥٦) القاضي أحمد بن الغرديس (٨٩٩ هـ) :

القاضي أبو العباس أحمد بن محمد التغلبي الشهير بابن الغرديس ، من بيت علم وفقه وكتابة وشعر . الجذوة ١٥١ .

١٥٧) زروق (٨٩٩ هـ) :

أبو العباس أحمد بن أحمد البرنسي الشهير بزروق أحد الجسور المهمة لربط المغرب بالمشرق صاحب التآليف

الجيدة في الفقه والتصوف . أخذ بمدينة فاس عن جماعة مهمة من العلماء ، كما أخذ بالمشرق عن طائفة أخرى كالسنهوري والديلمي والسّخاوي . وهو دفين مصراته من ليبيا . الجذوة ٦٤ ، مشاهير رجال المغرب السلسلة ٢٣ الاستقصا ٤ ر١٠ الابتهاج ص ٨٤ السلوة ٣ ر١٨٣ الكتاب الذهبي ١٧٠ .

١٥٨) ابن عبد الرحمن المشترائي الخطيب (٩١٠ هـ) :

الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم الدكالي المشترائي . رسالة الكلالي ص ٢٥٣ – السلوة ٢ ر١٢٧ .

١٥٩) المزْوار (٩١٠ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن إدريس المزْوار ، من المعدلين الذين كانوا يشرفون على تسيير التوقيت بمنار القرويين في عهد أبي عبد الله محمد الشيخ . نزهة الحادي ص ٣٨ – السلوة ١ ر٩٣ .

١٦٠) الماواسي البطوئي (٩١١ هـ) :

الفقيه أبو العباس أحمد بن عيسى بن أحمد الماواسي البطوئي (الابن) المؤقت المشهور. الاستقصا ٤ ر١٦٤ .

١٦١) عليّ الزقاق (٩١٢ هـ) :

أبو الحسن عليّ بن قاسم الزقاق ، قاضي فاس ، وخطيب جامع الأندلس ، وهو الذي يرجع اليه الفضل في جمع المسائل التي جرى بها العمل في لاميته المشهورة وصاحب المنهج المنتخب الى قواعد المذهب . الجذوة ٣٠٢ – السلوة ٢ ر١٠٢ – ٣ ر٢٥٠ الاستقصا ١٤ ص ١٦٤ .

١٦٢) الخطيب الفندلاوي (٩١٤ هـ) :

وبعد الخطيب البوفرجي ، تصدى للخطابة على منبر القرويين ، أبو الحجاج يوسف الفندلاوي الشهير بالمكناسي وظل في مهمته الى أن توفي . الجذوة ٤٠ – ٣٤٦ .

١٦٣) أحمد الونشريسي (٩١٤ هـ) :

أبو العباس أحمد الونشريسي ، نزيل فاس ومفتيها ، وفي هذه المدينة أكب على تدريس المدونة ، وفرعي ابن الحاجب ، كان يدرس بعد وصوله من تلمسان في المسجد المعلق بالشراطين قبل أن تسند اليه الكراسي الوقفية في أهم مساجد فاس ، ومدارسها . وهو صاحب (المعيار القديم) في ١٢ مجلداً ، وفيه قال ابن غازي : « لو أن أحداً حلف بالطلاق على أن أبا العباس الونشريسي أحاط بمذهب مالك أصوله وفروعه لبَرَّ في يمينه » . نيل الابتهاج ص ٨٧ الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ٢ ر٣٢٦ الاستقصا ٥ ر١٦٥ السلوة ٢ ص ١٥٣ .

١٦٤) الزجني (٩١٦ هـ) :

القاضي الجليل عبد المؤمن الزجني . . الجذوة ٢٧٤ – السلوة ٢ ر١٠٢ .

١٦٥) الشيخ ابن ميمون الغمّاري (٩١٧ هـ) :

العلامة الرحالة الأديب أبو الحسن عليّ بن ميمون الحسني الغمّاري . رحل الى فاس للأخذ من القرويين ، وهنا قضى زهاء عشرين سنة ظل لسانه بعدها رطبا بالحديث عن فاس ، ومن أمتع النوادر المخطوطة كتابه (الرسالة المجازة في معرفة الإجازة) أسهب فيها بالحديث عن حقائق تاريخ القرويين الفكري . أدركته منيته بأرض الشام ، وكان

خرج حاجاً من فاس في بداية القرن العاشر ، وترك لنا مقارنة رائعة بين أقطار العروبة في أصالة مناهج التحقيق العلمي ، دوحة الناشر السلوة ١ ر٧٤ – الكواكب السائرة ١ ص ٢٧١ – الزركلي ٥ ر١٨٠ – مجلة المغرب العدد الاول ١٩٣٧ رسالة المغرب غشت ١٩٤٣ – الكتاب الذهبي ١٧٠ – ١٧١ .

١٦٦) القاضي المكناسي (٩١٧ هـ) :

القاضي عبد الله بن محمد محمد بن عبد الله بن محمد اليفرني الشهير بالمكناسي ، قاضي الجماعة ومفتي فاس ، وصاحب (كتاب المجالس) . الجذوة ١٥١ - الروض الهتون لابن غازي ص٢٢ من مخطوطة (رسالة الاخوان) لابن ميمون . السلوة ٢ ر٨١ .

١٦٧) المشاط (٩١٨ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن التاجر محمد المنافي الشهير بالمشاط . كان فقيهاً بالقرويين ، مؤقتاً بها ، مزواراً للمؤذنين بالليل ، وقد خلفه بعد موته الفقيه عبد العزيز المشاط ٩٣٣ هـ ، ثم كان المزوار بعدهما الفقيه المدعو الخنفوسة بحسب الحوالة الحبسية لعام ٩١٨ – ٩٣٩ هـ .

١٦٨) الخطيب ابن غازي (٩١٩ هـ) :

وبعد الخطيب الفندلاوي المكناسي تصدر لمنبر القرويين الفقيه المشارك المحدث المجاهد المرابط أبو عبد الله محمد ابن الفقيه العدل أحمد بن محمد بن محمد بن عليّ بن غازي العثماني المكناسي الفاسي ، صاحب التآليف الجيدة : شفاء الغليل في حل مقفل خليل ، تكميل التقييد وتحليل التعقيد على المدونة ومختصر ابن عرفة – كليات في الفقه المالكي – انشاد الشريد من ضوال القصيد (منية الحساب – الجامع المستوفي بجداول الحوفي) .. كان السلطان محمد الشيخ استدعاه عام ٨٩١ هـ من مكناس للخطابة بجامع فاس الجديد ، ثم عينه إماماً وخطيباً بمسجد القرويين ، فصار شيخ الجماعة . قبره بوادي الزيتون . حضر الملك جنازته . الجذوة ص٤٠ ر٢٠٣ نيل الابتهاج ص٣٣٣ – الروض الهتون ص٧٣ – ٦٧ – الاستقصا ٤ ر١٢٤ – ١٤٥ – ١٦٥ . ابن عاشور مجلة المغرب دجنبر ١٩٦٥ .

Hes : 1932 T.12 Les historiens des Charfa P.231

١٦٩) الدقون (٩٢١ هـ) :

ثم بعد ابن غازي ، تصدر للخطبة بالقرويين أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي الشهير بالدقون ، فقيه راوية محدث ، أخذ عن جماعة ، وتخرجت عليه طائفة . جنى زهرة الآس ص ٦٥ – التعليق ١٢٨ – الجذوة ٤٠ – ٦٦ السلوة ٣ ر٢٤٨ .

١٧٠) ابن الوزّان الزياتي (٩٢٦ هـ) :

الفقيه السفير الحسن بن محمد الوزّان الزياتي ، ولد في غرناطة ، ثم التجأ بعد سقوطها مع أسرته الى فاس فدرس بجامعة القرويين وبالمدرسة العنانية . وكان لمدة سنتين مشرفاً على المدرستين بعد أن كان صاحب أحد أعمامه في سفارة الى ملك السودان أسكيا محمد تورى ، وذهب في سفارة أخرى الى السلطان سليم بالقسطنينة أيام محمد بن محمد الشيخ المعروف بالرتغالي ، واغتنم فرصة قربه للحرمين فأدى الحج سنة ٩٢٣ هـ . ودخل بطرابلس الغرب عام ٩٢٤ هـ (١٥١٨ م) وهناك أسره أحد القراصنة الصقليين (Pierto) وأهداه الى البابا ليون العاشر حيث نُصِّرَ – فيما يقال –

يوم ٢٥ محرم ٩٢٦ هـ (٦ يناير ١٥٢٠ م) وأصبح معلماً للغة العربية في جامعة بولونيا ، ألف كتابه « وصف إفريقية » . وعرف منذ ذلك التاريخ بليون الإفريقي . مجلة المغرب دجنبر ١٩٣٤ . دعوة الحق دجنبر ١٩٦٠

١٧١) البهلولي (٩٣٠ هـ) :

الفقيه الأديب المجاهد أبو عبد الله محمد بن يحيى البهلولي من شعره يحض على الجهاد قصيدة هذا مطلعها :

قم للجهاد – رعاك الله – منتهجاً نهج الرشاد الى الاقوام لو فهموا
من بعد اندلس ما زلت محتدما لو كان يمكنني في الليل احتزم

الاستقصا ٤ –١١٣ – سلوة ٣ ر٢٣٠ .

١٧٢) الهبطي (٩٣٠ هـ) :

الفقيه المقرئ أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الصّماتي الهبطي ، صاحب (وقف القرآن) . كان مهتماً في فاس بتعليم القراءات ، ونعتقد أن له صلة بالفقيه العدل الهبطي الذي كانت بيده عام ٩٦٢ هـ الحانوت الرابعة .

الجذوة ٢٠٤ السلوة ٢ ر٦٧ .

١٧٣) السملالي (٩٣٠ هـ) :

الحاج عمرو بن يعزى السملالي الرحالة ، جد الأسرة العلمية من (غابة الطير) تخرج بابن غازي وطبقته . علماء لامعون من سوس أخذوا من القرويين – الكتاب الذهبي ١١٥ .

١٧٤) ابن خدة الصبيحي (٩٣٣ هـ) :

الشيخ أبو يشومالك بن خدة الصبيحي ، من عرب صبيح . كان عالماً عابداً فاضلاً ، أدركه أجله على نحو مرحلة من فاس ، فدفن على ضفة نهر سبو. دوحة الناشر. . .

١٧٥) أندرى (٩٣٨ هـ) :

ورد الأسقف أندرى دوسبوليط من إيطاليا قصد إقناع علماء جامعة القرويين بالدخول في النصرانية ! ويظهر أن لاختطاف السفير الأستاذ الزياتي ، و« تنصيره » علاقة بهذه المحاولة . وقد كانت هنا محاورات بين علماء فاس وبين القسيس الذي كان يتحدث بالعربية ، وقد شارك في بعض هذه المناظرات ملك البلاد نفسه وكبار أحبار اليهود كذلك . وأمام اصرار العلماء أصابت القسيس أندرى نوبة عصبية فألقى بنفسه في كومة ملتهبة من الحطب بفاس يوم الجمعة ٩ / ٢ / ١٥٣٢ م (٩ شهر رجب ٩٣٨ هـ) .

١٧٦) الخطيب غازي (٩٤٣ هـ) :

وبعد الخطيب الدقون تقدم أبو عبد الله محمد غازي ابن الفقيه ابن غازي السالف ذكره (٩١٩ هـ) . كان من الأساتذة المختصين في النحو ، ومن المتيقظين العارفين ، أمَّ بالقرويين أزيد من عشرين سنة . لم يحفظ عليه فيها سهو قط . الجذوة ص ٤٠ – ٢٠٤ .

١٧٧) البهلولي (٩٤٣ هـ) :

الفقيه الأديب المجاهد أبو عبد الله محمد بن يحيى البهلولي ، من شعره يحُضُّ على الجهاد قصيدة مطلعها :

قم للجهاد رعاكَ الله – منتهجاً نهجَ الرشاد الى الأقوام لو فهموا
من اجل اندلس ما زلت محتدماً لوكان يمكنني في الليل احتزم

أُثر عنه – وقد أخبر بوفاة زوجته بعد عودته من الغزو – أنه طلب إعادة الصلاة عليها ،ولأن الإمام الذي صلى عليها – وكان هو الخطيب غازي (الابن)-لا يتوفر فيه شرط الذكورة ! لكونه لم يحمل سيفاً للجهاد في سبيل الله . الدوحة – الاستقصا ٤ ص١١٣ – السلوة ٣ ر٢٨٠ .

١٧٨) القلصادي (٩٤٥ ه) :

أبو العباس أحمد بن الفقيه أبي عبد الله محمد القلصادي ، المؤقت بالمنار ، أحد أفراد بيت أبي الحسن عليّ القلصادي (ت ٨٩١ ه) الذي كان هاجر من الأندلس الى بلاد المغرب والذي ظلت مؤلفاته مرجع طلبة القرويين وعلمائها ، ولا بد أن له صلة بالموقت القلصادي الذي يشغل بعدَ منار القرويين وتوفي سنة ١٠٦٣ ه ، وأبو العباس من الذين درسوا الحساب والفرائض والتعديل والتوقيت وطرق استعمال الأسطرلاب . كانت بيده المصرية الثالثة التي كانت في مطلع واحد مع دار الموقت بجامع القرويين بحسب حوالة قديمة . النشر ص٢٠٦ Hes.1932 حجي : المراكز الثقافية المغربية أيام السعديين : البحث العلمي سبتمبر ١٩٦٥ ص ٥٠ .

١٧٩) كْلينار (٩٤٧ ه) :

كان القسيس نيكولا كْلينار (Nicolas Clénard) ضمن الذين وودوا على فاس من جامعة لوفان (Lauvain) لدراسة العربية على علماء جامعتها ، واقتناء المخطوطات ، وكان ذلك أيام السلطان أبي العباس الوطاسي ، مغتنماً فرصة الهدنة بين بلاده الفلامنك والمغرب ، قدَّم الينا معلومات طريفةً عن الحالة العلمية بفاس : العناية بحفظ القرآن ، ودراسة النحو في سائر مساجد فاس ، والحركة المذهبية السائدة ، وبيع الكتب بالمزاد العلني حيث ملتقى الفقهاء والأدباء ، سجل ذلك في رسائله الى بعض أصدقائه قبيل ورود السفير البرتغالي هانوراتوس (Hanoratus) على مدينة فاس عام ٩٤٨ للمصادقة على الصلح بين البلدين . . .

Correspondance de Nicolas Clénard publiée par alplonge roessh, membre de l'academie royale de Belgique Bruxelle 1940 tome III 118 – 119

١٨٠) الخطيب ابن هرون المطغري (٩٥١ ه) :

وبعد الخطيب ابن غازي خطب الفقه الأستاذ الموقت المتفنن أبو الحسن علي بن موسى بن هرون المطغري نسبة الى مطغرة بتلمسان ملازم ابن غازي وشيخ المنجور ، من شعره سينية يخاطب فيها زميلاً له بتونس ويشير فيها – في تحرّق – لاحتلالها على ذلك العهد من قبل الاسبان يقول في مطلعها :

شأنك الغيث اذا الغيث همى حضرة الانس البديع المؤنس

ممن استشارهم السلطان عبد الله الشيخ في امير قبلة القرويين كان يبتدئ حصته في التدريس عند الفجر بتلقين القراءات السبع للطلاب وبعد صلاة الصبح يصعد الكرسي ليلقي الرسالة ، وبعد ذلك ينتقل لمدرسة العطارين حيث يلقي دروسه في الفقه العالي – الجذوة ٤٠ – ٣٠٢ – نيل الابتهاج ٢١٢ .

١٨١) القاضي الونشريسي الصغير (٩٥٥ ه) :

أبو محمد عبد الواحد بن احمد الونشريسي (الابن) القاضي الخطيب المفتي بعد ابن هرون . كان يدرس بالمصباحية

على كرسي أبيه كتاب المدونة بحضور أعيان الطلبة ، وينتقل منها الى القرويين الى مسجد العقبة الزرقاء . كان الى جانب علمه بالفقه يعنى بالموسيقى ، استشهد على أحد أبواب جامع القرويين عندما رفض أن يؤكدبيعة السعديين . الدوحة ص ٤١ – ٤٣ نيل الابتهاج ١٨٨ – ١٨٩ – نزهة الحادي ٣٠ السلوة ٢ ر١٤٦ – البحث العلمي ١٩٦٥ ص٤٦ الحايك ، وتوجد حوالة بخطه سجل فيها الضائع من أموال الأوقاف ..

١٨٢) سقين (٩٥٦ هـ) :

الفقيه الأديب الرحالة عبد الرحمن بن علي سقين العاصمي راوية المغرب المحدث . رحل الى المشرق سنة ٩٠٩ هـ ، وأخذ عن أصحاب ابن حجر ، من أمثال القلقشندي ، وزكرياء الأنصاري ، والسَّخاوي بمصر ، وأبي فهد بمكة . . وآب الى السودان فدخل كنوا (Ghinea) وغيرها ، وتزوج هناك ، ثم رجع الى فاس عام ٩٢٤ هـ ، فتولى الإفتاء وإمامة جامع الأندلس ، وأخذ عنه جلة العلماء كاليشيني (ت ٩٥٩ هـ) ، والقاضي عبد الوهاب الزقاق (ت ٩٦١ هـ) ، والمنجور (ت ٩٩٥ هـ) . وتحتفظ الحوالة الحبسية بتعيين الحانوت السابعة يسار الخارج من سوق الشماعين على أنها كانت في اعتماره ، والتزم كراءها محمد بن علي الشامي لعام ٩٥٦ هـ ، كما كانت في اعتماره الحانوت الوحيدة يمين الخارج من سوق العطارين . الآس ص ٢٨٥ السلوة ٢ ص ١٥٩ الاستقصا ٥ ر١٩١ الحجوي : الفكر السامي ٤ ر١٠٢ – ليون الافريقي ٢ ر٤٦٤ محمد حجي : المراكز الثقافية بالمغرب ص ٦٤ من البحث العلمي ٦٤ . دجنبر ١٩٦٥ ابن الحسني ١٧١ .

١٨٣) المفتي اليسيتني (٩٥٩ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن اليسيتني من فقهاء المالكية الخطباء المفتين ، من أهل فاس . تولى الفتوى بعد الونشريسي وهو من شيوخ القاضي الحميدي وأمثاله ، له كتاب نفيس في حقوق السلطان على الرعية وحقوقهم عليه ، وشرح مختصر خليل ، وهو ممن رحلوا الى المشرق . نيل الابتهاج ٣٣٨ – فهرست المنجور ص ١٤ ، ابن عسكر : الدوحة ص ٤٥ – السلوة ٣ ر٥٩ ر٦٠ – الفكر السامي ٤ ر ١٠١ البحث العلمي ١٩٦٥ ص ٤٦ .

١٨٤) القاضي عبد الوهاب الزقّاق (٩٦١ هـ) :

القاضي الشهيد عبد الوهاب بن محمد بن علي الزقّاق ، ظهر نجمه بعد الونشريسي ، وهو حفيد المفتي أبي الحسن الزقّاق السابق (ت ٩١٢ هـ) . كان لا يجارى في حفظ خليل وفهمه . صاحب كرسي في القرويين ، يلقي عليه صباح كل يوم ثلاثة دروس متوالية في التفسير والفقه والتصوف ، وله غير هذا دروس أخرى مسائية . قتل بامر محمد الشيخ المهدي السعدي لاتهامه اياه بأنه من شيعة أبي حسون المريني الوطاسي الذي كان استولى على فاس عام ٩٦١ واخرج الشيخ منها فلما عاد الشيخ اليها في ٢٤ شوال من العام قتل أبا حسون وأمر بقتل الزقّاق بعد الامتحان في ذي القعدة. فهرست المنجور ٣١ – الدوحة ٤٣ – السلوة ٣ ص ٢٥٠ – ٣٠٧ الاستقصا ٥ر٢٩ – جولات في تاريخ المغرب . ص ١٠٥ – ١٢٢ .

١٨٥) القاضي الطّرون (٩٦١ هـ) :

القاضي أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الفاسي الطّرون من بيت القضاء والفقه والعدالة ، كانت في اعتماره قبل أن يصبح قاضياً الحانوت الثالثة يسار الخارج من باب القرويين ، على أنه يوجد شرقي القرويين درب صغير يحمل اسم زنقة الطّرون تحت الخلوة – قتل هو واخوه نائبه محمد في ذي القعدة بعد امتحانهما بامر محمد الشيخ

المهدي السعدي لاتهامهما بأنهما من شيعة أبي حسون الوطاسي على نحوما نفذ في الزقّاق - الجذوة ص ٦٦، السلوة ٣ ص ٢٥٠ .

١٨٦) ابن حرزوز (٩٦١ هـ) :

أبو عليّ الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن حرزوز المكناسي ، فقيه جليل علامة محدث ، أديب . رحل الى المشرق ، ولقي به عدداً من المشايخ . بلغ الغاية من الحظوة عند ملوك عصره ، لكنه امتحن من السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ السعدي لأمر بلغه عنه فأمر بقتله كما فعل بالسابقين . الاستقصا ٥ - ٢٩ - الاتحاف ٣ر٥ - ٦ .

١٨٧) الخطيب عبد الرحمن الدكالي (٩٦٢ هـ) :

وبعد الخطيب ابن هرون (ت ٦٥١ هـ) خطب الفقيه الإمام أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن إبراهيم المشترائي السالف ذكره (ت ٩١٠ هـ) ، وهو من دكالة جد أسرة (ابن ابراهيم) المعروفة الى اليوم . رسالة الكلالي : البحث العلمي يناير ١٩٦٦ ص ٢٥٣ . الجذوة ٤٠ - ١٤٩ .

١٨٨) أبو شامة الدكالي (٩٦٤ هـ) :

وبعد أبي زيد عبد الرحمن المشترائي ، تصدَّر للخطبة (الابن) الفقيه أبوشامة محمد بن عبد الرحمن المشترائي الدكالي أصلاً الفاسيّ داراً . الجذوة ٤٠ -١٥٣ ، السلوة ٢ ص ١٣١ .

١٨٩) الخروبي (٩٦٣ هـ) :

الفقيه السفير أبو عبد الله محمد بن عليّ الخروبي ، أصله من ضواحي طرابلس من المحلة المعروفة اليوم باسم الكركارش ثم انتقل الى الجزائر حيث اشتغل بالعلم ، وأوفدته حكومة الجزائر مرتين الى المغرب لتسوية قضية الحدود سنة ٩٥٩هـ وسنة ٩٦١هـ . وهنا نظمت له مناظرات ومساجلات ومجالس علمية ظلت مضرب الأمثال . الاستقصا ٥ رص ٢٧ - تاريخ الجزائر العام ٢ رص ٣٥٣ -

١٩٠) الماواسي (٩٦٥ هـ) :

أبو العباس أحمد بن محمد الماواسي ، كان يدرس كتب ابن البناء في الحساب ، ورسالة الأسطرلاب وروضة الجادري في التوقيت . كان في اعتماره الحانوت الثالثة عن يمين الخارج من باب القرويين (الشماعين) نشر المثاني ١ ص ٢٠ السلوة ٣ ص ٢٤٥ . المراكز الثقافية ، البحث العلمي دجنبر ١٩٦٥ ص ٥٠ .

١٩١) خروف التونسي (٩٦٦ هـ) :

أبو الفضل جار الله محمد خروف الأنصاري التونسي الأصل ، أسره الأسبان بعد هجومهم على جامع الزيتونة عند احتلال تونس ، وقد ملكه قسيس منهم فأخذ يدرس عليه كتاب المفصّل للزمخشري ، وهو الذي جاء به الى فاس فافتداه اميرها الوطاسي ، ولعله كان صاحب الحانوت الرابعة في سماط العدول عن يمين الخارج من سوق الشماعين حسب حوالة الوقف لعام ٩٦٢ ، وهو من شيوخ مولاي عبد الله الشريف في اللغة ومؤلفات العراقي . فقد أخذ الشريف عن البطوئي عن القصار عن خروف . ذكره المنجور في شيوخه . مساهمة القرويين في اللقاح العلمي بين المغرب وتونس الجذوة ص ٢٠٥ - السلوة ٣ر ٢٨١ - البحث العلمي دجنبر ١٩٦٤ ص ٤٤ .

١٩٢) القاضي الشامي (٩٧٠ هـ) :

القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب الشامي . نشر المثاني ٥٢

١٩٣) العسكري (٩٧٨ هـ) :
الفقيه الناظر عبد الحميد بن محمد العسكري ، ناظر الأوقاف على عهد السلطان الغالب .

١٩٤) الخطيب ابن جلال (٩٨٠ هـ) :
وبعد المشترائي (الابن) تصدَّر للخطبة عميد العلماء وشيخ الجماعة الفقيه المعقولي المفتي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني . كان عارفاً بالمنطق والعقائد والبيان وغير ذلك ، وكان من أعيان الفقهاء الذين يتأنقون بلباسهم ومركوبهم على خلاف بعضٍ ممن يجري على سنن التقشف . نال عند السلطان عبد الله السعدي ، حظوة عظيمة ، وصحبه عام ٩٨٠ هـ الى سوس فأقام بها سنة يدرس بالجامع الكبير في تارودانت (المحمدية) القديمة . الجذوة ٤٠ – ٢٠٦ الصَّفوة ٤٣ – السلوة ٢ ، ٢٦ : تعريف السلف برجال الخلف ص ٤١٣ / ٤١٤ .

١٩٥) ابن مجبر المساري (٩٨٤ هـ) :
أبو عبد الله محمد بن مجبر المساري ، من فقهاء فاس المتقدمين . كانت له مشاركة في الحساب والفرائض ، وكان يستظهر مختصر ابن الحاجب في الفروع المالكية ، وكان يدرس أيضاً في مسجد الشرفاء ومسجد العقبة الزرقاء – الجذوة ٥ – السلوة ٣ – ١٢٨ .

١٩٦) ابن عسكر (٩٨٦ هـ) :
أبو عبد الله محمد بن علي بن مصباح المعروف بابن عسكر ، بعد أن درس بشفشاون على مختلف الشيوخ الذين أخذوا دون شك من فاس ، رحل هوكذلك عام ٩٦٤ هـ الى فاس حيث تابع دروس الفقيه محمد بن عمر المختاري . مات في وقعة وادي المخازن . وهو مؤلف « دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر » . معجم المطبوعات . Les historiens des charfa P.240

١٩٧) الجزولي الدرعي (٩٨٨ هـ) :
الفقيه العالم سفير الخلفاء أبو محمد عبد الله بن محمد بن محمد بن علي الجزولي الدرعي ، ممن سفروا لأحمد المنصور الذهبي الى المشرق . وقد أخذ بمصر عن نجم الدين الغيطي (ت ٩٨١ هـ) ، ومحمد بن أبي بكر العلقمي (ت ٩٦٩ هـ) ، وعن أبي فهد بمكة ، كما كان أخذ عنه سقين (ت ٩٥٦ هـ) . السلوة ٣ ر ، ٢٨٤ الاستقصا ٥ ص ٨٩ – دعوة الحق يناير ٦١ ص ٢٥ . جولة في تاريخ المغرب الدبلوماسي طبعة فضالة ص ٢٠ .

١٩٨) الجنْوي (٩٩١ هـ) :
ابو النعيم رضوان بن عبد الله الجنوي ، بلغ درجة من التطلع والصَّلاح جعلت الناس يقولون فيه : انه ابن حنبل فقهاً وحديثاً ، والجنيد معرفة وتصوفاً ، وقد كان من شيوخ المنصور السعدي كان أبوه مسيحياً في جنْوة وأمه يهودية من الريان . . . له روضة خارج باب الفتوح . درة الحجال ١٤٧ السلوة ٢ ر ، ٢٥٧ – الاستقصا ٥ – ٦٥ – ١٩١ .

١٩٩) القدومي (٩٩٢ هـ) :
أبو العباس احمد القدومي من شيوخ المنصور الذهبي من انتفعت بهم القرويين على العهد السعدي . درة الحجال ص ٣٤ – روضة الآس .

٢٠٠) أحمد بن عرضون الزجلي (٩٩٢ هـ) :
القاضي ابو العباس احمد بن الحسن بن عرضون الزجلي ، من العلماء الاعلام له من التآليف كتاب اللائق في

الوثائق ، وكتاب احكام الانكحة ، وآداب الزواج وتربية الولدان . الصَّفوة ١٣٦ – السلوة ٢ ، ٢٦٨ معجم المطبوعات .

٢٠١) المنجور (٩٩٥ هـ) :

شيخ الاسلام ابو العباس احمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد الله المنجور المكناسي النجار ، الفاسي المولد والدار . كانت له معرفة تامة بالرجال والحديث والفقه والبيان والمنطق والاصلين والفرائض والحساب . له مؤلفات عديدة جيدة ، وقد اخذ عنه جمهور كبير من اعيان العلماء والامراء . وكان يتقن لعبة الشطرنج ، ويضرب على العود ، مع معرفة بالالحان ووضعها . قال فيه ابن القاضي : « ان الدنيا تصغر في عيني كلما تذكرت اكل التراب للسانه والدود لبنانه » . وكان يقول : « العلوم كلها نافعة ! ! » لأولاده ذكره في الحانوت الرابعة يمين الخارج من باب الشهود حيث كان الدكان المذكور بأيديهم . رسالة الكلالي : البحث العلمي ص ٢٤٧ – الجذوة ٦٧ – درة الحجال ١ ص ٨٤ – المقرئ : الآس ص ٣٤ – الصَّفوة ٤ ، السلوة ٣ ص ٦٠ – ٦٢ .

٢٠٢) عبد الوهاب الدكالي (٩٩٦ هـ) :

الفقيه عبد الوهاب المشترائي ، ممن كانوا يقرئون مختصر الشيخ خليل بجامعة القرويين – الجذوة ؟

٢٠٣) اليدري (٩٩٩ هـ) :

يعقوب اليدري مكارم بن هرون إمام الفرائض والحساب يدرس الفقه بصدر جامع القرويين وهو من شيوخ الكلالي ، وشيوخ ابن القاضي . الجذوة ٣٥١ – نيل الابتهاج ص ٣٤٩ – السلوة ٣ ص ٣١٨ – المنوني : رسالة الكلالي ، البحث العلمي يناير ١٩٦٦ ص ٣٤٩ .

٢٠٤) الزجني (٩٠٠ هـ) :

الرياضي المتقن أبوعبد الله محمد الصغير الزجني . كان يساير الرياضي أحمد الماواسي . المراكز الثقافية بالمغرب . البحث العلمي ١٩٦٥ ص ٥٠ فهرست المنجور .

٢٠٥) الزموري (١٠٠١ هـ) :

أبو العباس أحمد الزموري . كانت بيده قاعة مدرسة العطارين ، وكان ذا باع طويل في العلم كذلك . وكان القاضي الحميدي يتنفس الصَّعداء لخبر موته ، وهو من شيوخ الكلالي صاحب رسالة تنبيه الصغير من الولدان . البحث العلمي يناير ١٩٦٦ ص ٢٥٠ – السلوة ١ ، ٢٧٠ – ٢٧١ .

٢٠٦) سعيد الهوزالي (١٠٠١ هـ) :

سعيد بن علي الهوزالي نسبة لجبل هوزال الشيخ الإمام القاضي. كان في صدر من خصص الأوقاف لتقوية دراسة التجويد بجامع القرويين، ولتدريس الشاطبية فيها، أدركه أجله بتمكروت، وكان يوصي الطلبة دائماً بالاحتراف، وهو من اسرة ابي العباس الهوزالي، د. التازي : التاريخ الدبلوماسي ٥١,٨

٢٠٧) السالمي (١٠٠٢ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن احمد السالمي القاضي . أخذ بفاس عن عبد الحق المصمودي السكتاني ، وعن القاضي أبي مالك الونشريسي ، وأبي الحسن بن هرون ، وأبي عبد الله اليسيتني ، مخطوط لابي المزايا وهو غير الاستاذ الصالح محمد الذي كان بالمصباحية (ت ١١٢٣) المذكور في السلوة ٣ ، ٢٨٨ .

٢٠٨) الزرهوني (١٠٠٢ هـ) :

أبو حفص عمر بن عبد العزيز الخطاب الزرهوني . كان من تلامذة الأستاذ التلمساني بجامعة القرويين . درة الحجال ١١٨٦ نشر المثاني ج ١ ص ٢٤ الاتحاف ٥ ، ٤٩٥ .

٢٠٩) القاضي الحميدي (١٠٠٣ هـ) :

قاضي الجماعة أبو مالك عبد الواحد الحميدي ، من بيت الفقه والعلم بفاس ، حامل لواء المذهب المالكي ومرجع النوازل . استمر في القضاء أزيد من ثلاثين سنة ، وكانت بيده الحانوت الأولى عن يمين الخارج من باب جامع القرويين الشماعين ، وذلك قبل أن يعين قاضيًا ، ولكثرة ما كان يعتد بنفسه كان يباسط العلماء بقوله : كلكم نُوَّاب عني . ! وقد اشتهر بالاجتهاد والتصرف في النصوص ، من تلامذته الحسن الزياتي ويوسف القصري وعبد الرحمن المكناسي وعلي بن جلون ، له كرسي بالقرويين وآخر بالمدرسة المصباحية ، وكان يبطل يوم الأربعاء لحضوره ديوان السلطان . ينبغي ان تقرأ عنه الكثير في رسالة تلميذه الكلالي المنشورة في مجلة البحث العلمي ١٠٦٥ ص ٤٩ حوالة ٩٨١ – ٩٨٤ نزهة الحادي ٤٥ روضة الآس ص ٣٥ . درة الحجال ٢٧٧ .

٢١٠) اعراب (١٠٠٣ هـ) :

الفقيه العالم أبو زيد عبد الرحمن اعراب المكناسي ، من تلامذة الشيخ المنجور بجامعة القرويين ، والشيخ محمد ابن أحمد المساري . درة الحجال رقم ١٠١٣ نشر المثاني ج ١ ر٣١ الاتحاف ج ٥ – ٢٧٩ رسالة الكلالي : البحث العلمي ص ٢٤٧ .

٢١١) المسفيوي (١٠٠٣ هـ) :

الحسن المسفيوي ، ممن أخذوا عن الشيخ المنجور ، عرَّب بعض المؤلفات الطبية التي كتبها الاروبيون ومن شيوخه في الطب الغساني . . ص ١٧٢ من روضة الآس .

٢١٢) أبو القاسم بن سودة (١٠٠٤ هـ) :

أبو القاسم ثالث ثلاثة ممن كتب لهم المنصور السعدي جميع أحباس الشيخ المنجور ، وضِمْن ذلك الكرسي في الركن الغربي الجنوبي بالقرويين . البحث العلمي ص ٢٤٩ السلوة ٢ ص ٦١ – ٦٢ .

٢١٣) عبد العزيز ابن القاضي (١٠٠٦ هـ) :

أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن محمد بن قاسم بن عليّ بن عبد الرحمن بن أبي العامية الزناتي الشهير بابن القاضي من علماء القرويين . (مخطوط لأبي المزايا) .

٢١٤) الدراوي (١٠٠٦ هـ) :

أبو محمد الحسن بن أحمد الدرعي المعروف بالدراوي العالم المعقولي ، مؤلف شرح الصغرى للسنوسي ، وشرح لامية الإمام المجراد السلوى في قواعد الجمل ، من المدرسين الملازمين بجامع القرويين . نشر المثاني ١ – ٤٤ – البدور الضاوية ورقة ٢٥ – الزاوية الدلائية ص ٩٤ .

٢١٥) يحي السراج الحفيد (١٠٠٧ هـ) :

وبعد الخطيب ابن جلال (٩٨٠ هـ) تصدى للخطبة ابنه الأكبر سيدي محمد (١٠٠٨ هـ) . إلا أنه نقل بعد أيام الى جامع الأندلس ، وتصدر للخطبة على منبر القرويين العلامة الكبير المفتي الشيخ أبوزكرياء يحي (الثاني) ابن محمد السراج حفيد سيدي يحي الأكبر كانت له عناية كبرى بالفقه إذ كان قيّماً على مختصر خليل ، كما كانت له اليد الطولى في النحو . رسالة الكلالي . الجذوة ٤٠ – ٣٤٠ – الصّفوة ٢٩ السلوة ٢ ر٢٨ .

٢١٦) سعيد المقّري (١٠١٠ هـ) :

سعيد بن أحمد المَقّري العلامة المفتي الخطيب (ابن عاشور ، مجلة المغرب ١٩٦٥ ص١٣) .

٢١٧) المنصور (١٠١٢ هـ) :

واسطة عقد الدولة السعدية أحمد المنصور الذهبي ولد ومات بفاس . كان عالماً متضلعاً في التفسير والحديث والفقه وعلوم الآلة . درس بفاس على شلة من أعيان العلماء ، نذكر منهم سقين (٩٥٦ هـ) ، والجنوي (٩٩١ هـ) ، والقدومي (٩٩٢ هـ) ، والمنجور (٩٩٥ هـ) ، والحميدي (١٠٠٣ هـ) ، والسراج (١٠٠٧ هـ) . ونال اجازة عدد من علماء المغرب والمشرق ، في صدرهم البكري . وكان قوي الصلة بسلاطين آل عثمان . خلاصة الاثر – من الوثائق التاريخية المغربية في بغداد – دعوة الحق السادس والسابع – ابريل ومايه ١٩٦٧ .

٢١٨) الخطيب القصار (١٠١٢ هـ) :

وبعد سيدي يحي السراج تصدر للخطبة والفتوى بالقرويين العلامة النظار المفتي أبو عبد الله محمد بن قاسم بن عليّ القصّار القيسي الغرناطي الفاسي . كان متبحراً في جميع العلوم معقولها ومنقولها ، وكانت له معرفة بالتاريخ وانساب الناس ، تولىّ كرسي التفسير الذي كان للزموري بجامع الاندلس وكرسي المرادي الذي كان للزموري أيضاً بمدرسة العطّارين . ترجمه المحبي في خلاصة الأثر ترجمة واسعة ، وقال : « إن سوق المعقول كان كاسداً في فاس ، فنفق في زمن القصّار ما كان كاسداً من سوق الاصلين والمنطق والبيان وسائر العلوم . » الاستقصا ٦ ر١٤ – ٥ ر١٤٥ – البحث العلمي ص٢٦١ روضة الآس للمقّرى ٣١٦ كشوى ٢٤٦

٢١٩) أبو المحاسن الفاسي (١٠١٣ هـ) :

العلامة العارف أبو المحاسن يوسف بن محمد بن محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الفاسي . كان جده يوسف أول من تلقب عند أهل مدينة القصر بالفاسي ، لكثرة تردده على فاس وحكاياته المستمرة عنها ، وهكذا ورد أبو المحاسن ليطلب العلم ، فمكث بها بضعاً وعشرين سنة أخذ فيها عن خيرة العلماء . وكان في عداد الذين شاركوا في موقعة وادي المخازن . الصّفوة ٢٨ السلوة ٢ ر٣٠٢

٢٢٠) القاضي المغراوي (١٠١٤ هـ) :

القاضي عبد العزيز بن عليّ المركني المغراوي العلامة النوازلي ، قاضي الجماعة بفاس بعد استاذه أبي مالك الحميدي . وكانت بيده قبل أن يمسي قاضياً الحانوت السادسة عن يمين المنعطف لبوطويل مع جليسه سيدي أحمد الفشتالي . النشر ١ ص٩٩ – الصفوة ١٠٢ .

٢٢١) الشيخ الشاوي (١٠١٤ هـ) :

أبو العباس أحمد بن محمد الشاوي الشيخ الجليل المعروف بأوقافه على المجالس العلمية بالقرويين . السلوة ١ ص ٢٧٤ - ٢٧٩ .

٢٢٢) ابن أبي القاسم بن سودة (١٠١٥ هـ) :

الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن سودة الاندلسي المري الغرناطي . كان من المدرسين الذي تصدروا للتعليم بجامع القرويين . كان من مشايخه سيدي عبد الرحمن الفاسي الذي كان مجلسه بباب الرواح . الصفوة ٨٠ .

٢٢٣) الوهراني (١٠١٧ هـ) :

القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد الوهراني ، قاضي الجماعة بها . نشر المثاني ٨٩ .

٢٢٤) الاغصاوي (١٠١٧ هـ) :

من فقهاء فاس وقادتها محمد بن عليّ الاغصاوي عندما سلّم محمد الشيخ المأمون بن المنصور العرائش الى الاسبان ، كان ممن عارضه بشدة محمد بن عليّ الاغصاوي فقتله صبرا بفاس عام ١٠١٧ ، السلوة ١ر٢٦٦ ، المعجم لابن عبد الله ٦٢ .

٢٢٥) القاضي ابن عمران السلاسي (١٠١٨ هـ) :

القاضي الشهير أبو الحسن عليّ بن عمران السلاسي الفاسي الخطيب المفتي . كان يدرس بالقرويين ، وقد حضر مجلسه المَقَّري صاحب نفح الطيب يوم وصوله الى فاس في ٤ صفر ١٠٠٩ هـ . المَقَّري : روضة الآس ص (بـ) نشر المثاني ١ ٥٤ - الصّفوة ١٣٧ .

٢٢٦) المرّي التلمساني (١٠١٨ هـ) :

أبو عبدالله محمد بن أحمد المرّي التلمساني الفقيه المفتي بجامعة القرويين ، استقضي بفاس وبتلمسان ، كان يقوم أتم قيام على العربية والفقه والتفسير والأدب . الحفناوي ٢ ر ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

٢٢٧) ابن الزُّبير المصباحي (١٠١٨ هـ) :

أبو القاسم بن الزُّبير القصري المصباحي العالم الفقيه . أخذ عن فطاحل العلماء ، وأخذ عنه عالم المغرب الشيخ عبد القادر الفاسي . خلاصة الاثر .

٢٢٨) عبد الرحمن الدلائي (١٠٢٠ هـ) :

أبو زيد عبد الرحمن بن أبي بكر الدلائي ، أحد العلماء النابغين في العهد الأول للزاوية الدلائية . ارتحل الى مدينة فاس ليأخذ العلم في جامعتها عن الإمام محمد بن قاسم القصار وغيره من كبار العلماء ، رجع الى الزاوية ليتصدر للتدريس ، وبها أدركه أجله . الحوات : البدور الضاوية ورقة ٢٤ - حجي : الزاوية الدلائية ص ٨١ .

٢٢٩) ابن عليّ الفشتالي (١٠٢٠ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن عليّ الفشتالي ، أحد وزراء المنصور ، من صدور الأدباء في عصره . قال صاحب الريحانة : « أديب فاس وريحانة فضلائها الأكياس » . من مآثره الأدبية اللامية في الوفيات : النبوغ : ص ٢٩٤ .

٢٣٠) الخطيب الهواري (١٠٢٢ هـ) :

وبعد الخطيب القصار تصدر للخطابة بالجامع ابو عبد الله محمد بن محمد الهواري ، وكان الذي تولى بعده هو المقري صاحب النفح الى ان غادر المغرب الى المشرق عام ١٠٢٧ هـ . مخطوط لابي المزايا .

٢٣١) أحمد بن يوسف الفاسي (١٠٢١ هـ) :

ومن علماء القرويين نذكر الامام المحدث الصوفي أحمد بن أبي المحاسن الفاسي . كان مجلسه يغص بالاكابر وأعيان الطلبة والعلماء . الصَّفوة ٤٦ .

٢٣٢) القاضي الحميدي الصغير (١٠٢٢ هـ) :

عبد الوهاب بن الشيخ عبد الواحد الحميدي ، خريج جامعة القرويين ، وقاضي البيضاء . أخذ عن أبيه وعن الشيخ القصار ، وأبي القاسم بن أبي النعيم ، وسيدي يحيى السراج . الروض الهتون ص ٦١ – نشر المثاني ١ ر١١٧ .

٢٣٣) القاضي أحمد بن القاضي (١٠٢٥ هـ) :

الرحالة السفير أبو العباس أحمد بن محمد ابن القاضي المكناسي ، جده الاعلى هو موسى بن أبي العافية . تخرج على أكابر علماء القرويين ، مثل المنجور (٩٩٥ هـ) والسراج (١٠٠٧ هـ) والقصار (١٠١٢ هـ) ، ورحل الى المشرق . وحج وجاور مدة ، وأخذ في مصر عن الإمامين بدر الدين القرافي (١٠٠٩ هـ) وسالم السنهوري (١٠١٥ هـ) وغيرهما . انفرد بعلم الحساب والفرائض في وقته شرقاً وغرباً . وقد اتصل بالسلطان المنصور السعدي ، وبعثه في سفارة الى الديار المشرقية حيث وقع في أسر القراصنة في بحر الزقاق . كان يسكن بالسبع لويات ، أستاذاً للفقه ، يختم مختصر خليل كل أربعة اشهر بالقرويين وبجامع ابن يوسف من مدينة مراكش في اثناء وظيفته هناك ، وأستاذاً لصحيح البُخاري في جامع الأبارين ، وكان سارده سيدي عبد الواحد بن عاشر صاحب المرشد ، ويحضر مجلسه أعيان العلماء أمثال المقري . له مؤلفات عديدة ، منها : جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس ، والمنتقى المقصور ، ودرة الحجال ، والدر المملوك ، ولقط الفرائد ، والاكسير في صناعة التكسير ، والمدخل في الهندسة ، وغيرها . ومن شعره :

ولما رأيت الغانيات تركنني ... وقد كان في وجهي لهنّ نصيب
نطقت : فما ذنبي لكن ؟ فقلن لي ... شبابك فضل والمشيبُ ذنوب !

روضة الآس ص٢٨٧ ، الرسالة المصرية ١١ مارس ١٩٣٥ العدد ٨٨ النبوغ المغربي ٢٥٤ الكتاب الذهبي ١٢٢ – الزاوية الدلائية ٨٦ – ٨٧ .

٢٣٤) ابن يوسف بن رضوان (١٠٢٥ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن يوسف بن رضوان النجاري ، من علماء فاس . روضة الآس للمقري ص (مج) –٣٣٣ .

٢٣٥) الفاسي (١٠٣٠ هـ) :

شيخ الإسلام عبد الرحمن بن محمد الفاسي ، أخو الشيخ يوسف ، صاحب التآليف المفيدة العديدة ، قال المقري لما سئل عن أعيان العلماء بفاس من قبل أهل مصر : « هو الإمام الجنيد ، ظهر في وقته . » الصَّفوة ٣٦ .

٢٣٦) عبد العزيز الفشتالي (١٠٣١ هـ) :

الفقيه الكاتب السفير الوزير أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم التغلبي الصنهاجي الفشتالي ، كان منذ صغره

رفيقا لمخدومه أحمد المنصور السعدي ، نعته الشهاب الخفاجي في رحلته بانه « أديب عذب اللسان ، ممن أسهموا في التحبيس على القرويين ، وسفروا الى صاحب القسطنطينية » . ترجم له المقري في روضة الآس ص ١١٢ - ١٦٣ Les historiens des charfa P.93 . مجلة المغرب مارس ١٩٣٤ السلوة ٢ ر٣٠٢ - كتاب مناهل الصفا في أخبار الشرفا وخلاصة الأثر ٢ ر٤٢٥ . دراسة حول تاريخ المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ، مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ١١ ر١٩٦٤ ص٨ النبوغ المغربي ص٢٦٢ .

٢٣٧) بابا التنبكتي (١٠٣٢ هـ) :

أبو العباس أحمد بابا السوداني التنبكتي ، ممن أخذ عنه بفاس المقّري ، له علاقة متينة بقاضي الجماعة بفاس أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني ، وهو صاحب كتاب تكميل الديباج . خلاصة الاثر - النشر ١ ص ١٥١ - نيل الابتهاج - الاستقصا ٥ - ١٣٠ - الكتاب الذهبي ١٧١ .

٢٣٨) أحمد الزقاق (١٠٣٢ هـ) :

أبو العباس أحمد الزقاق ، تخرج عليه جماعة من أهل فاس . الجذوة . المحبي : خلاصة الاثر .

٢٣٩) كوليوس (١٠٣٢ هـ) :

كان المهندس جاكوب كوليوس JACOBUS GOLIUS كاتب السرّ للبعثة « الدبلوماسية » الهولاندية التي وردت على المغرب أيام السلطان زيدان ، فكث سنتين (١٦٢٢ م) زار خلالها مدينة فاس زيارة طويلة ، وكانت له بها لقاءات بعلمائها من أجل تحسين معارفه في العربية ، وقد ظهر ذلك في الاستشراق في ليدن (هولاندا) حيث كان أستاذاً للغات الشرقية ، كان من جملة المخطوطات التي صحبها من المغرب « العمدة » لابن رشيق القيرواني (٤٦٣ هـ) ، وكتاب ابن بكلارش يوسف بن اسحاق في الطب الذي ألفه حوالي (٥٠٠ هـ) للمستعين بالله بن محمد بن هود ، ما تزال شذرات منه بخزانة القرويين تحت رقم ٢٧٨٧ بعنوان (المستعيني) ، وتاريخ ابن صاحب الصلاة المؤلف اواخر القرن السادس . ابن ابي اصيبعة : طبقات الاطباء ص ٥٠١ A journey to mequinez P.10 - 17 Hes 1930 T.10 Fas II : Ambassades et missions Marocaines au Payons Fas. Hes. tomanda III Fas 1. درويس DRAWES : جامعة ليدن (الكتاب الذهبي ص ٧٠) مقدمة تاريخ المن بالامامة لابن صاحب الصلاة بيروت ١٩٦٤ ص ٤٠ - مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ١١ - ١٩٦٤ ص٢٤٨ - ٢٤٩ .

٢٤٠) الوجدي (١٠٣٣ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن عليّ الغماد الوجدي ، من نبغاء فاس أيام السعديين ؛ استأثرت بالتعريف به (روضة الآس) للمقّري أخذ عن يحيى السراج والحُميدي والقصار والدرعي . راجع ص لب وص ٧١ .

٢٤١) الدكّالي (١٠٣٣ هـ) :

المهندس الفقيه عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم بن موسى المشترائي الدكّالي ، كان جدّه ابراهيم المذكور أول من قدم منهم من دكالة وسكن مدرسة العطارين ، كان يعرف بالهندسة ، واشتهر أولاد ابن ابراهيم الثلاثة الدكّاليون عبد الرحمن وأبو القاسم ، ومحمد بن عبد الرحمن الامام الخطيب بالقرويين . رسالة الكلالي ص ٢٥٣ - السلوة ٢ ر١٣٠ .

٢٤٢) القاضي ابن عبد الوهاب الدكّالي (١٠٣٦ هـ) :

القاضي المفتي محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم الدكّالي . أخذ عن جملة من العلماء فيهم يحيى السراج ، وهو من أولاد ابن ابراهيم من بيوتات فاس . الصَّفوة ؟ سلوة ٣ ر٢٨٦ .

٢٤٣) البطوئي (١٠٣٨ هـ) :

القاضي أبو الحسن عليّ بن عليّ بن عمرو البطيوي ، من شيوخ مولاي عبد الله الشريف في الآجرومية والألفية ، والقزويني ، والسنوسي في المنطق ، وكذلك من شيوخ ميارة الذين كان يعتز بهم ، ويظهر أن له علاقة بالبطيوي الذي كانت له حانوت في سماط العدول . تحفة الاخوان في شرفاء وزان .

٢٤٤) ابن عاشر (١٠٤٠ هـ) :

أبو مالك عبد الواحد الانصاري الفاسي المعروف بابن عاشر . كانت له معرفة تامة بالنحو والتفسير والمنطق والاصلين والبيان والعروض والتوقيت والهيئة ، كثير الإنصاف في المناقشات العلمية وربما أخذ عمن هو أقل منهُ ،إيماناً منه بأن الحكمة ليست وقفاً على من اشتهروا ،إكباراً للعلماء . من تآليفه : المرشد المعين الذي غزا كل مدينة وكل قرية في بلاد المغرب ،وكانت له مناظرة مع مولاي عبد الله الشريف في الفقه . الصَّفوة ٥٧ النشر ١ ص ١٥٤ الابتهاج ٧٠ سلوة ٢ ر٢٧٤ . البحث العلمي ١٩٦٦ ص ٢١ . مجلة المغرب ١٩٦٥ ص ١٣ .

٢٤٥) الزياتي والقاضي الغساني وابن القاضي من ضحايا تسليم العرائش (١٠٤٠ هـ) :

بالاضافة الى كارثة الأسطول، وشهداء الأوبئة والسيول، كانت هناك الأحداث السياسية التي أبعدت أو أودت أو أخرست الكثير من العلماء ، وكان من أهم ذلك تسليم العرائش لأسبانيا عام ١٠١٩ من قبل الأمير المأمون في مقابلة مناصرته على أخيه زيدان . ! فوقع زهاء سبعة الآف قتيل في الحرب الاهلية التي تزعمها رجال القرويين .

فرَّ عدد من أمثال الحسن الزياتي (ت ١٠٢٣ هـ) شارح جمل ابن المجراد (ت ٧٧٨ هـ) ، واستشهد عدد من أمثال القاضي ابن أبي النعيم الغساني (١٠٣٢ هـ) ومحمد بن قاسم ابن القاضي لإتهامهما بالميل الى عبد الله بن المأمون ، وأظلم جو فاس ، وطما بها بحر الأهوال ، فهجرها أعيان الطلاب من أمثال مولاي عبد الله الشريف الذي كان يسكن المدرسة المصباحية . تحفة الاخوان في التعريف بشرفاء وزان . مخطوط بالخزانة العامة . نفح الطيب ١ ر ص ٢٨ . الاستقصا ٦ ر٢٠ –٢٢ –٥٢ –٥٣ – نشر المثاني ١ ص ١٢٥ – درة الحجال رقم ٣٧٢ روضة الآس ص ٦٧ –٢٣٩ –٣٤٦ – الصَّفوة ٧٥ – السلوة ٢ ر١٠٤ –١٠٥ – الاستقصا ٤ ر٨٢ – المراكز الثقافية البحث العلمي (يناير ١٩٦٦) .

٢٤٦) الخطيب المفتي المقَّري (١٠٤١ هـ) :

وبعد الخطيب الهواري تقدم أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني المقري . قدم الى فاس ، وأخذ بها عن القصار (ت ١٠١٢ هـ) ، وابن أبي النعيم (ت ١٠٣٢ هـ) ، وأبي العباس أحمد بابا السوداني التنبكتي (ت ١٠٣٢ هـ) ، وغيرهم . وتولى الخطابة بها ، والتدريس والامامة والفتوى ، واستفادت منه مدينة مراكش الى أن غادر فاساً فراراً من سماسرة الفتن الذين اتهموه بالميل الى من فرطوا في العرائش ، توجه الى المشرق عام ١٠٢٧ هـ . وادركته المنية عام ١٠٤١ هـ ولم يجد سلوى عن فاس الا في الشام التي ترك فيها آلافاً من التلاميذ كما ترك له طائفة من الطلاب في الأزهر

الشريف وعدداً آخر كذلك في المسجد الأقصى . وهو صاحب أزهار الرياض ، وإضاءة الدجنة ، ونفح الطيب ، وروضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من اعلام الحضرتين مراكش وفاس ، وقد تحدث عن عدد من رجالات فاس . كاليزناسي والجاناتي والقيرواني واليالصوتي ، وابن عبد الكريم والجزولي والمكناسي والسجلماسي . . . نفح الطيب ١ ر٢٨ – ٦٦ روضة الآس ٦٦ – ١٧٥ – الصفوة ٤٣ – ٧٢ – ٧٤ – الجذوة ١١٨ الاحاطة – ٢ ر١٣٦ – الشرابي : مجلة الرسالة المصرية عدد ١٠ يونيه ١٩٣٥ . الكتاب الذهبي ١٧١ .

٢٤٧) المكلاتي (١٠٤١ هـ) :

الفقيه الأديب محمد بن أحمد المكلاتي (الأكبر)، صاحب المقامة الزهرية والشعر الرائق له تذييل على نظم الوفيات لابن عليّ الفشتالي، كان في أواخر العهد السعدي، ويظهر أن له علاقة بالقاضي أبي محمد عبد الحق بن سعيد المكلاتي القاضي على عهد ابي عنان سالف الذكر رقم ٨٨ وقد نعت صاحب الروض الهتون : بيت المكلاتيين بأنه بيت كتابة وعدالة. الروض الهتون ص ٥١

٢٤٨) الكلالي (١٠٤٧ هـ) :

أبو سالم إبراهيم بن عبد الرحمن الورياكلي الجلالي ، مؤلف الرسالة الفريدة (تنبيه الصغير من الولدان على ما وقع في مسألة الهارب مع الهاربة من الهذيان لمدعي استحقاق الفتوى آجليان) التي تصف الدراسة بالقرويين أيام المنصور السعدي ، ورد عام ٩٩٤ مع أخيه لطلب العلم بجامعة القرويين ، وكان يسكن بالمصباحية ، ثم صار عدلاً بالسماط ، ثم قاضياً ببني ورياكل ، ثم عاد الى فاس . وهو ابن أخي العلامة أبي عمران موسى الكلالي الذي كان يسكن أيضاً مع والد صاحب الرسالة في المدرسة المصباحية بفاس ملتقى سائر الجهات والأسر المغربية . الصفوة ١٥ – البحث العلمي ص ٢٤٢ – ٢٤٣ .

٢٤٩) أبو القاسم الوزير الغساني الطبيب (١٠٤٧ هـ) :

أبو القاسم بن محمد الوزير الغساني من أهل فاس ، أخذ الطب عن أبيه وأخذ عن المنجور والحميدي وغيرهما . له كتاب حديقة الازهار في الاعشاب والعقاقير ، وكتاب في الحميات والاورام ، قدم على المنصور بعض اكابر الروم فاتحفه بكتاب في الطب فترجمه الغساني وهذا هو الطبيب الذي اخبر المقّري صاحب نفح الطيب بما وقع لابن زهر الحفيد مع المنصور الموحّدي الذي فاجأ ابن زهر باحضار عائلته من اشبيلية في قصة طريفة ومثيرة... د. التازي : ابن زهر الحفيد الدرس الافتتاحي لجامعة ابن زهر في سنتها الجامعية ١٩٩٧=١٩٩٨، وهو غير القاضي ابن ابي النعيم الغساني المعاصر له.

جامع القرويين

فهرست المجلد الثاني

فهرست المجلد الثاني

الباب الثاني :

القرويين على عهد المرينيين والوطاسيين والسعديين

الفصل الاول :

الفصل الثاني :

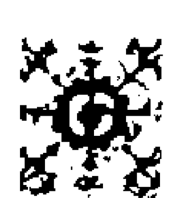
الفصل الثالث – القسم الاول

الفصل الثالث – القسم الثاني

ملحق للباب الثاني

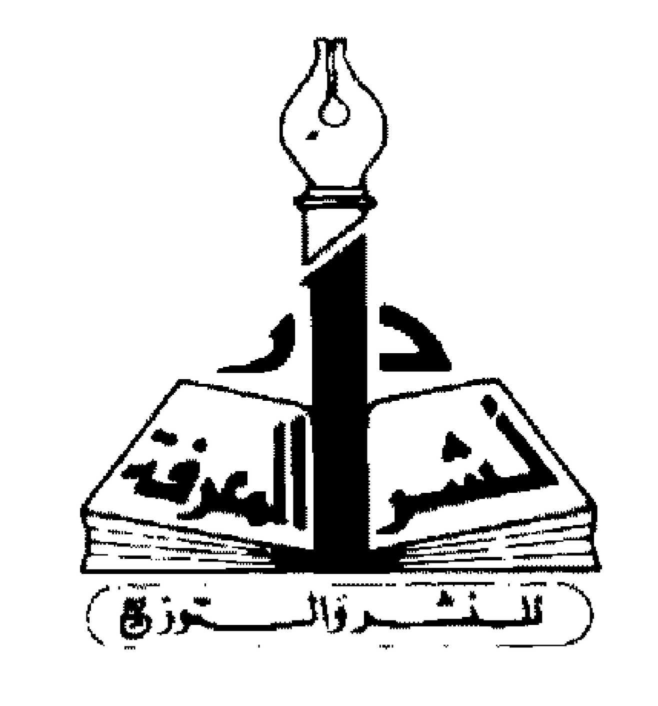


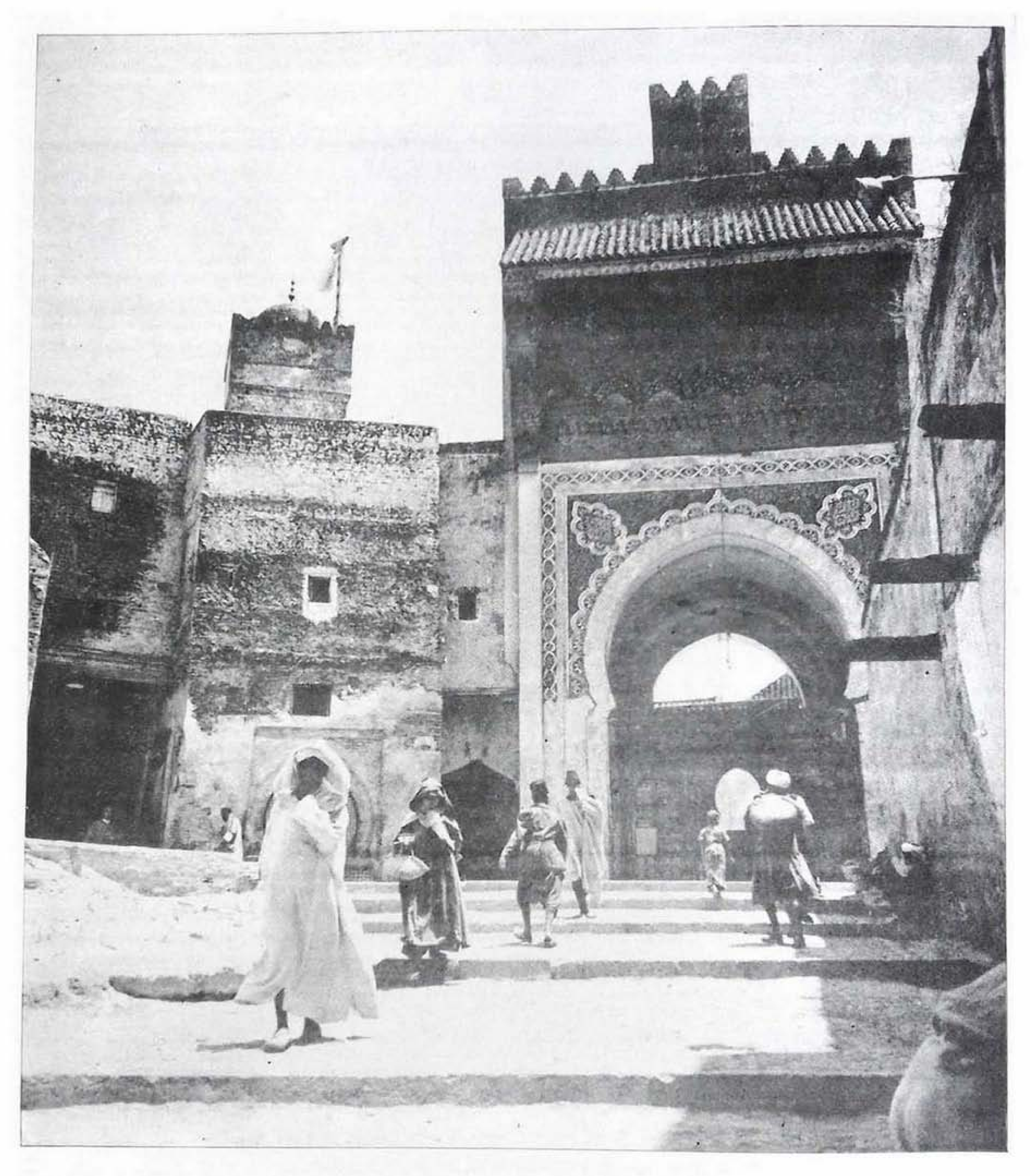
جامع القرويين



لوحات ورسوم

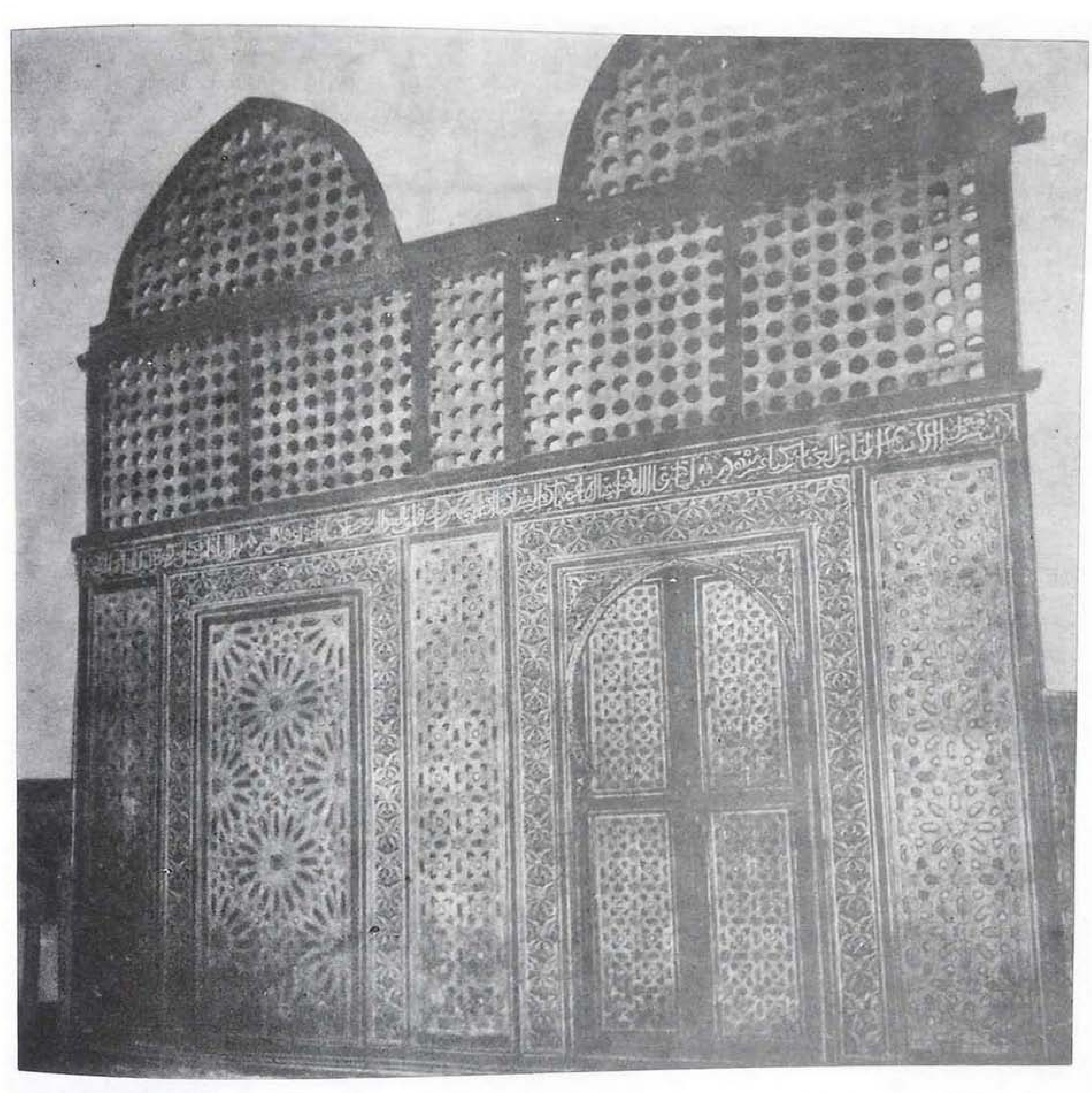
المجلّد الثاني





رقم (٢٠٠) ص ٣١٨ / ٣١٩

باب جامع الاندلس الذي استهوى الوالي الحدودي فأنشأ على منواله بابا مماثلا بجامع القرويين . . . لكن امير المسلمين امر بغلقه لما ان الوالي تجاوز اختصاصاته .



رقم (٢٠١) ص ٣١٨ / ٣١٩
باب الحدّودي من داخل المسجد وتلاحظ الالواح التي وضعت عليه بعد الامر باغلاقه وظهر البويب الصغير (الخوخة) الذي غدا يودي الى مصرية الامام الخطيب .

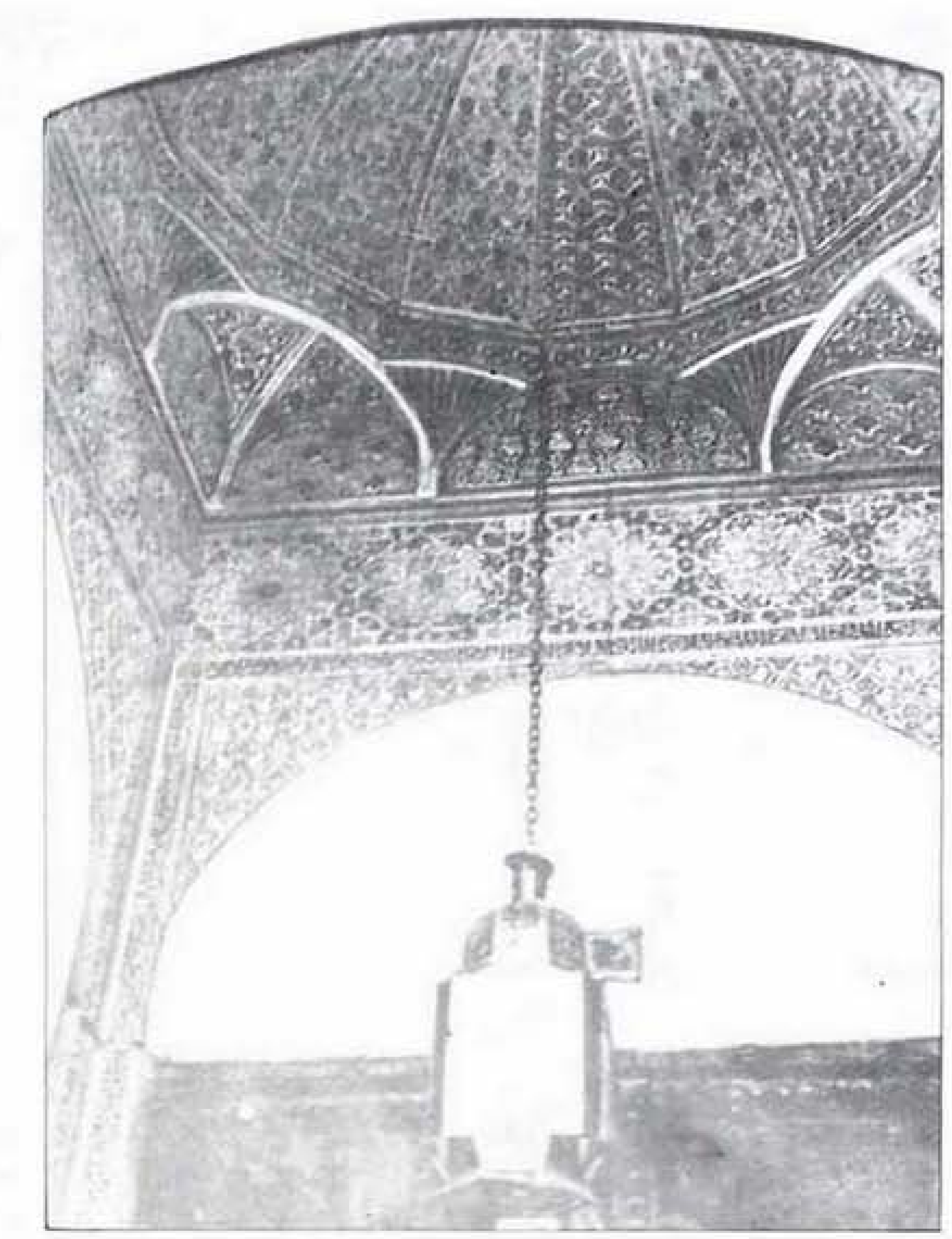


رقم (٢٠٢) ص ٣١٨ / ٣١٩

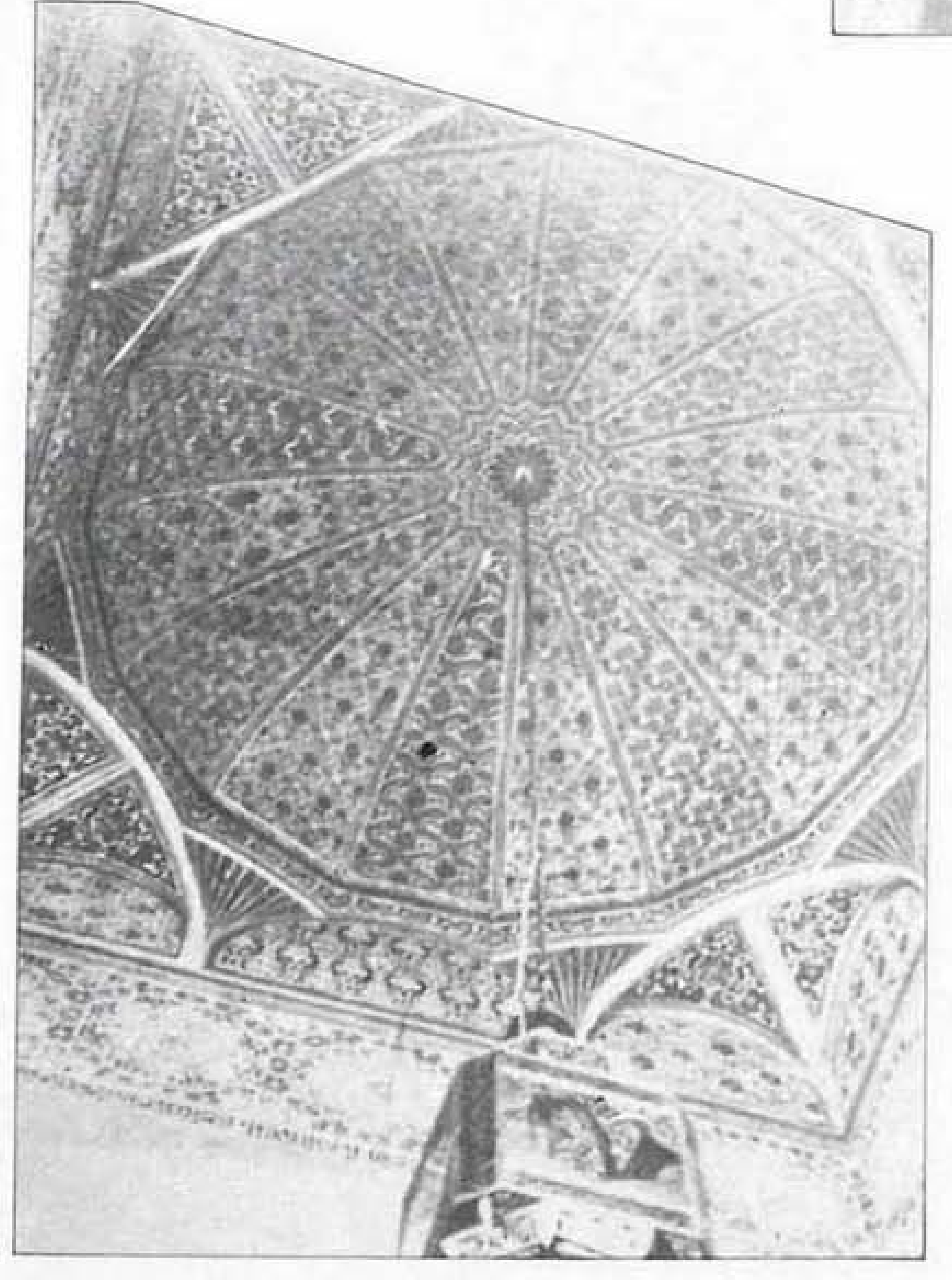
بعض مما نقش على اعلى الساقية التي بناها الوالي الحدودي اسفل ادراج الباب ، ويمكن ان نقرأ الآية الشريفة « ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا . . . »



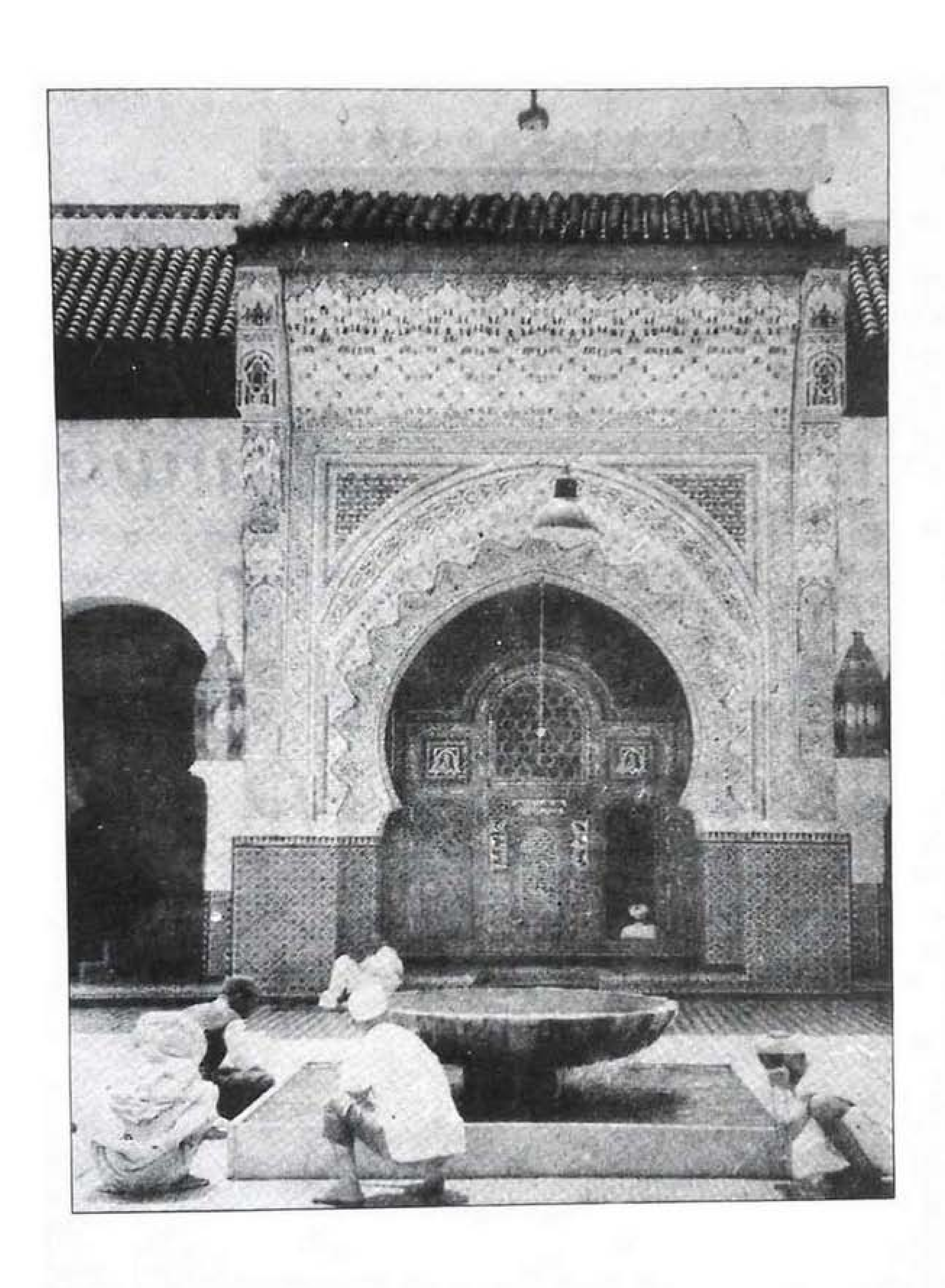
رقم (٢٠٣) ص ٣١٩
رواق باب الصَّفر . . ويلاحظ تاريخ شهر ذي القعدة الحرام
عام ثمانية واربعين وثمانمائة ايام الرئيس زكرياء بن زيان .



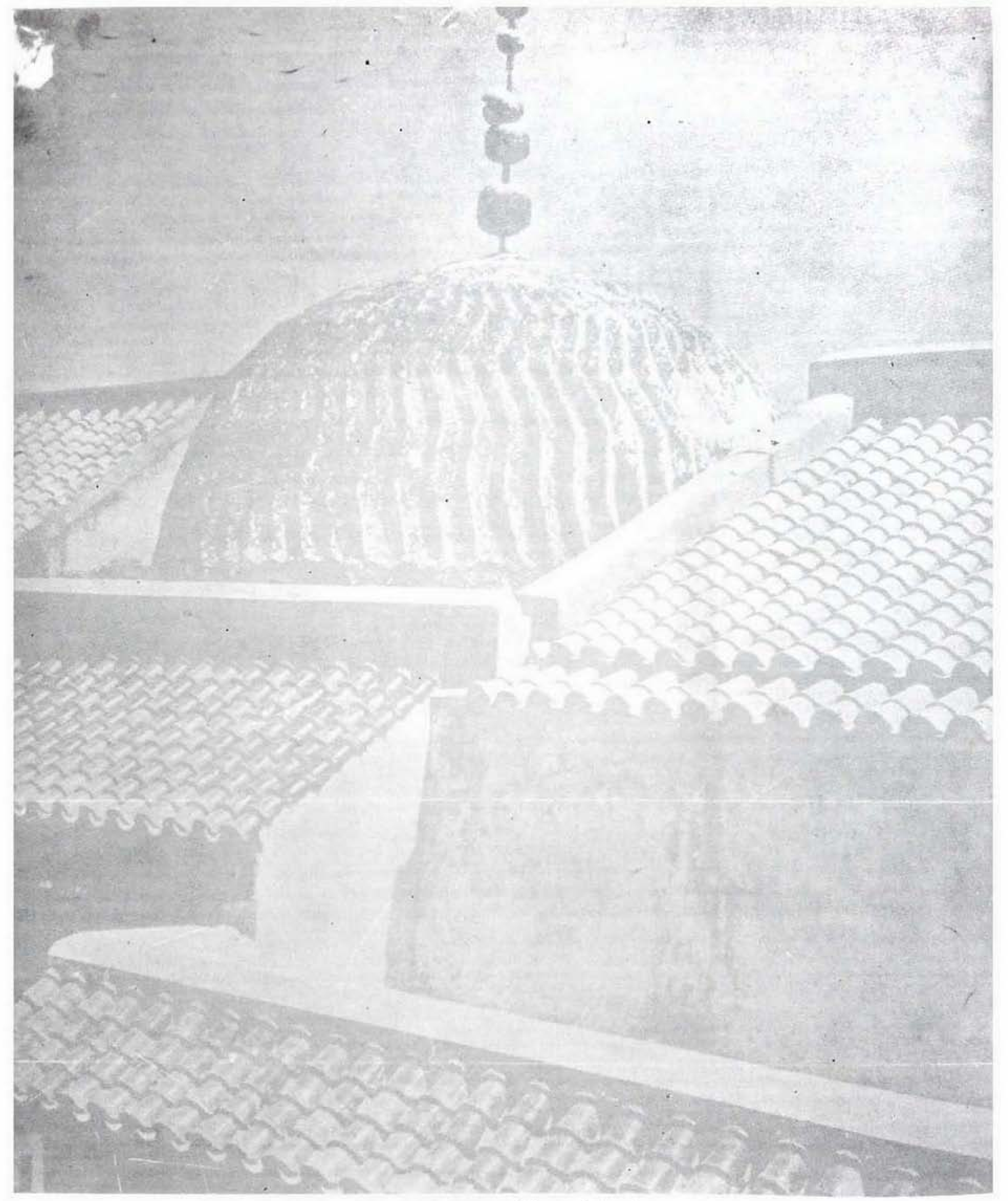
رقم (٢٠٤) ص ٣١٩
قبّة باب الصفر الداخلية...



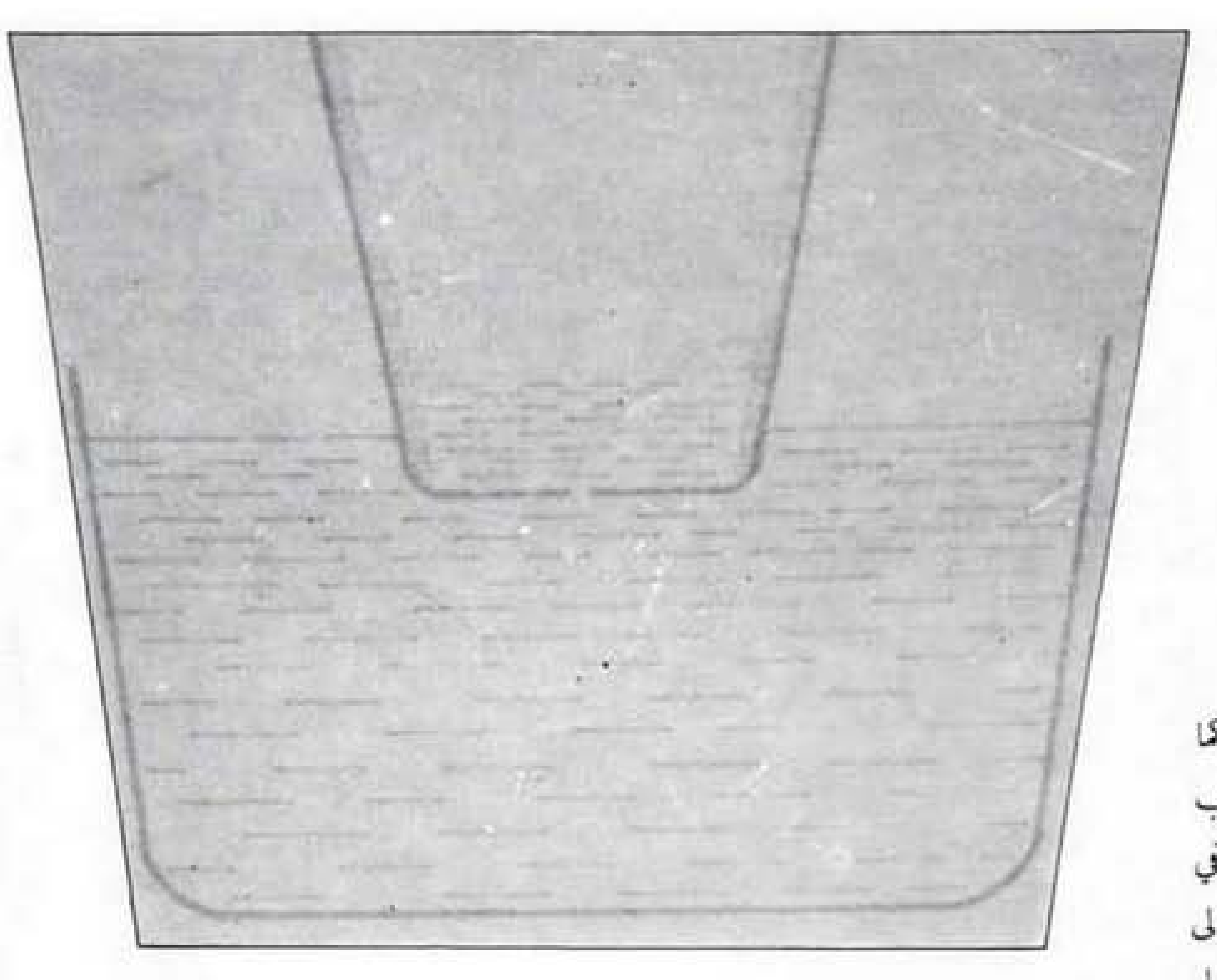
رقم (٢٠٥) ص ٣١٩
لوحة اخرى من داخل باب الورد...



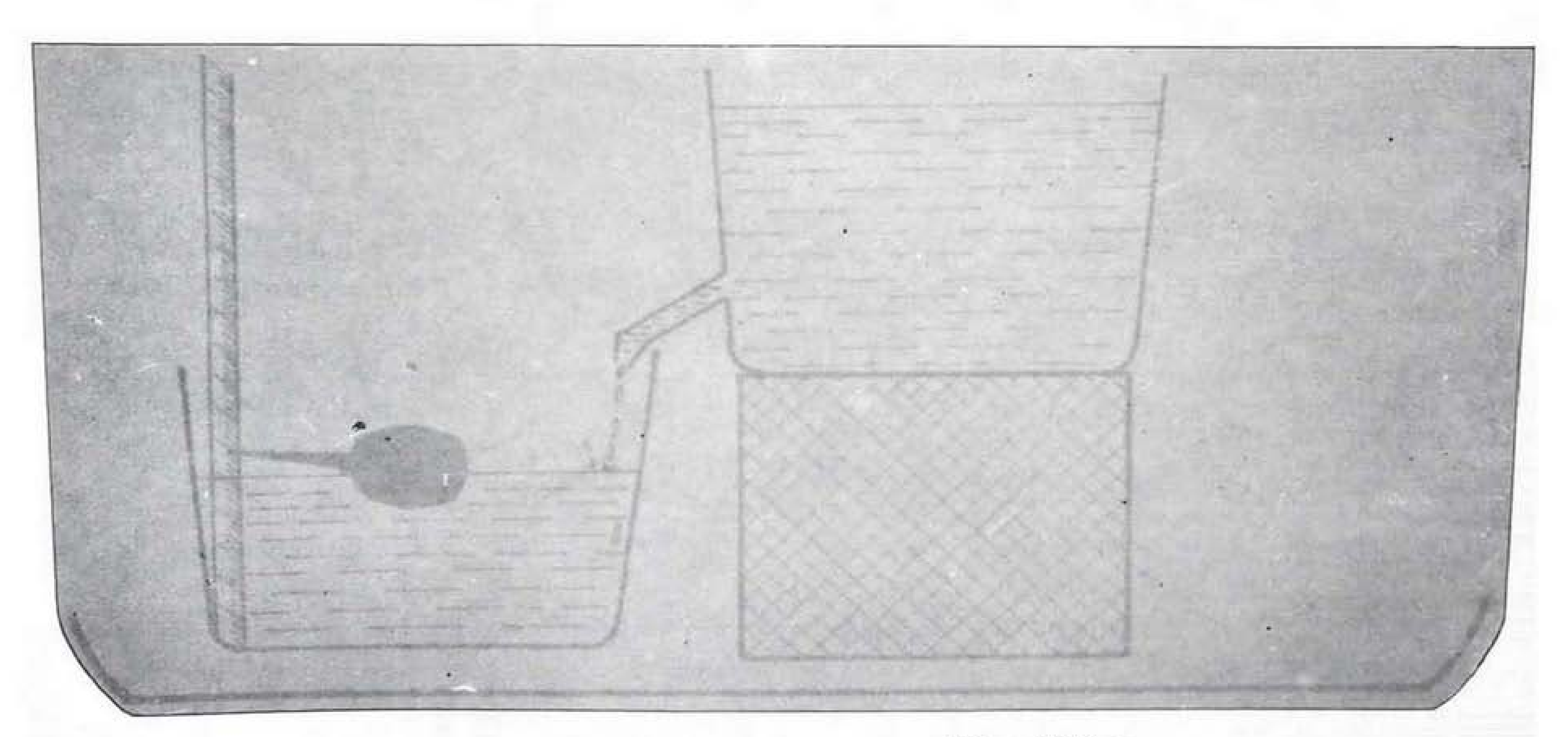
رقم (٢٠٦) ص ٣٢٠
العنَزة (بفتح النون) عبارة عن هذا المحراب الصيفي الذي يتميّز بنصب الواح موشاة وسط الدائرة التي تقع في الصحن على مقربة من الخصّة الوسطى .



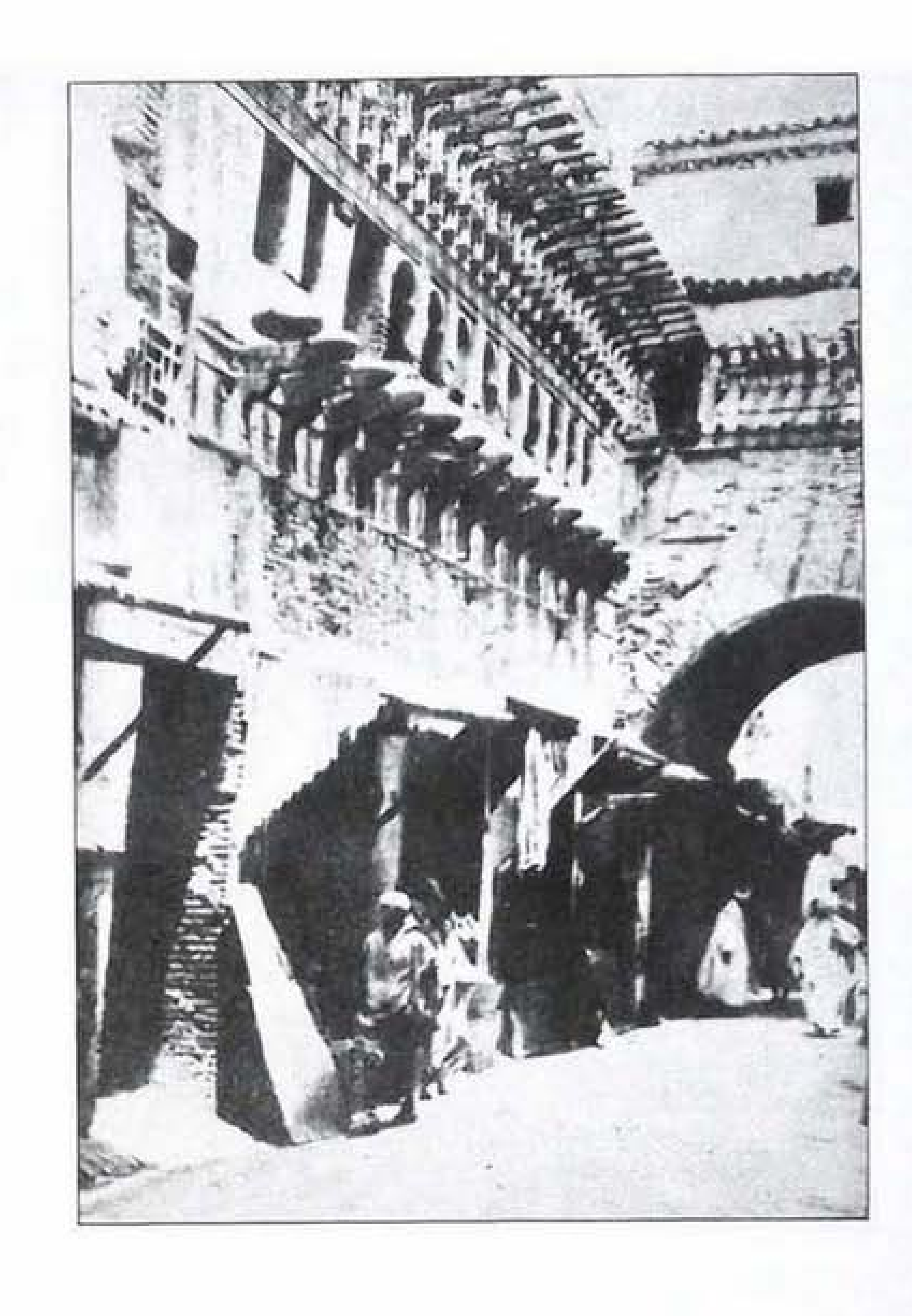
رقم (٢٠٧) ص ٣٢٠
القبّة التي تقع على اول البلاط المتّصل بالعنزة .



رقم (٢٠٨) ص ٣٢٣
ساعة ابن الحباك المائية (٦٨٥هـ) كما تصورها الدكتور بدرون تلاحظ على جوانب الحوض الاعلى خطوط تشير للساعات ، وفي اسفله ثقب يخرج منه الماء بقدر معلوم الى الحوض الاسفل الذي جزئ هو الآخر الى حصص .



رقم (٢٠٩) ص ٣٢٣
ساعة الصنهاجي - القرسطوني المائية (٧١٧هـ) كما تصورها الدكتور بدرون . هناك ظرف كبير يحتوي الحوضين معا : الحوض الايمن الذي وضع على دكة ، ينفذ منه الماء بقدر معلوم الى الحوض الايسر حيث يوجد عائم يطفو مؤشرا على مسطرة منتصبة هناك فيها البروج والشهور الفلاحية والساعات والدقائق .



رقم (٢١٠) ص ٣٢٤

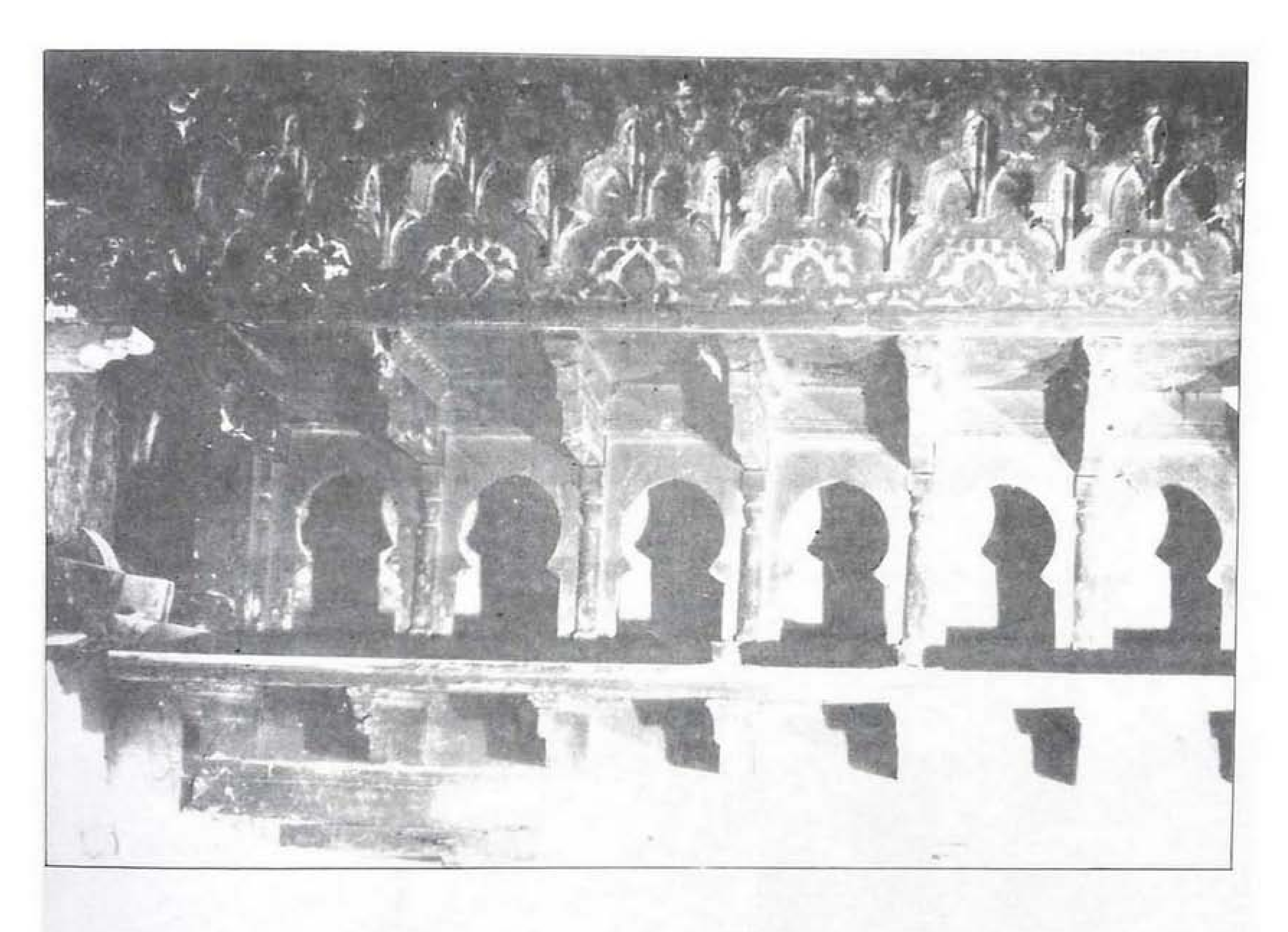
منجانة التلمساني التي نصبها السلطان ابو عنان على مقربة من (المدرسة العنانية) . . . تحتوي على اثني عشرة ساعة فقط . يلاحظ اثنا عشر بابا . . . وتحتها ثلاث عشرة طاسة . . الطاسة الزائدة للاستعداد لاعادة تشغيل الساعة . . .



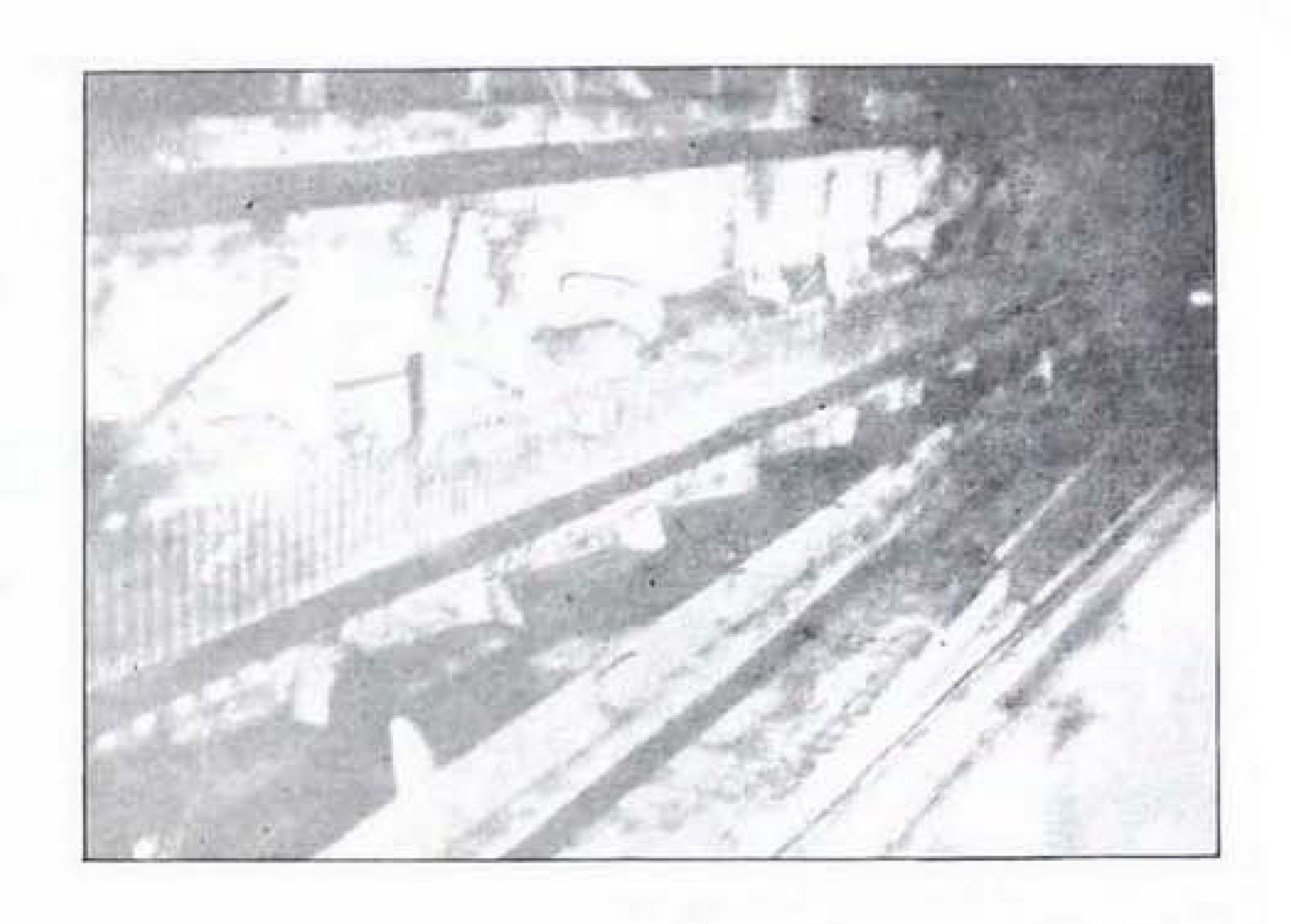
رقم (٢١١) ص ٣٢٤

جانب آخر من الساعة العنانة . . . ثلاث عشرة طاسة تحت اثني عشر بابا . . . يتأكد ان التصميم كان يشبه تصميم ساعة المدرسة المستنصرية (٦٣٣هـ) ولهذا فان الدكتور مصطفى جواد عندما تخيل ان ساعة بغداد من اثني عشرة طاسة إنما كان يقرب للقراء الفكرة . . . .

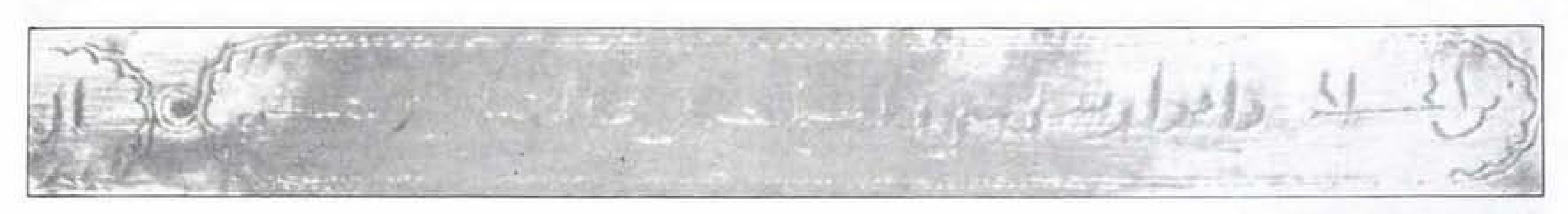
مجلة العلم والحياة ، بغداد آذار ١٩٦٩ .

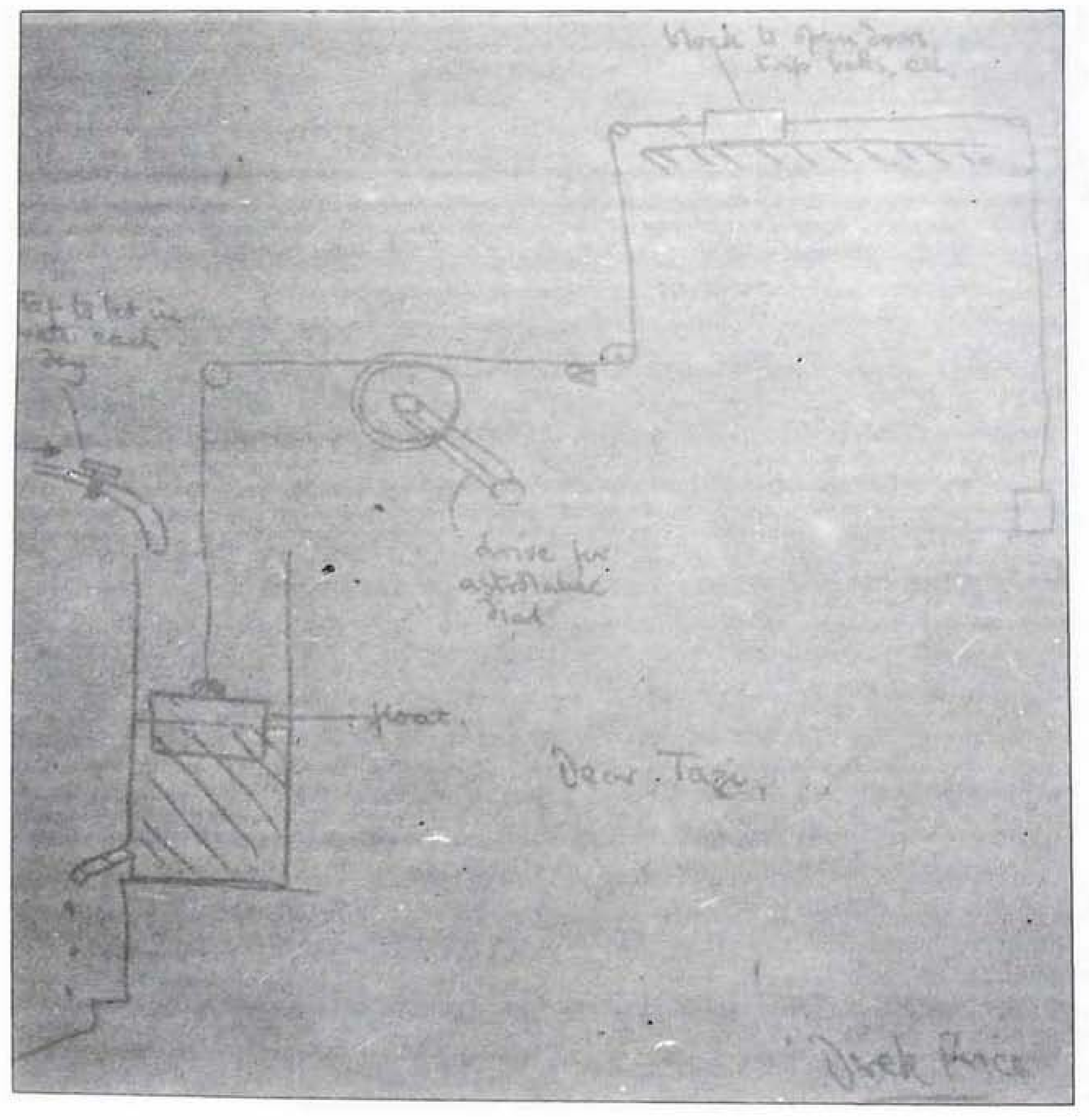


رقم (٢١٢) ص ٣٢٥
عندما تدخل الى الغريفة ستلاحظ يمينك هذا ٢٤ بويبا صغيرا على امتداد زهاء خمسة امتار، كل باب يمثل ساعة زمانية.. تلك بقية من ساعة الجاي (٧٦٣هـ).



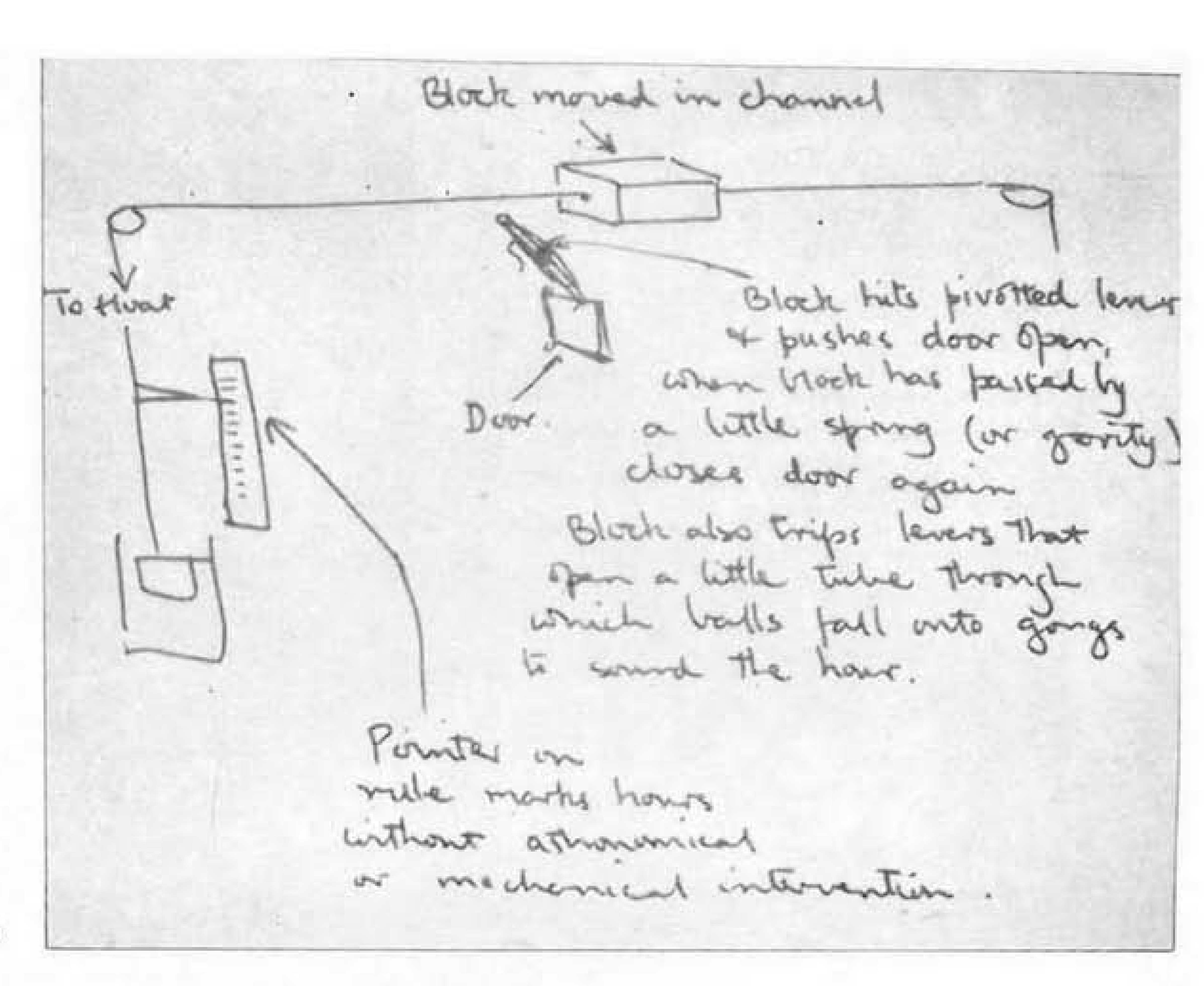
رقم (٢١٣) ص ٣٢٥
جانب من الساعة المائية التي صنعها الجاي وتلاحظ القناة الطويلة المتدرّجة تساعد على تدحرج الأكر التي تنزل على الطاسات مؤذنة بحلول الساعة .





رقم (٢١٤) ص ٣٢٥
جانب من الصفائح النحاسية التي تحيط بالاسطرلاب المرتبط بساعة الجاي والذي يعتقد انه من بقايا ساعة الصنهاجي . . . ويلاحظ ان الخط رديء وتمكن قراءة كلمة (من الحلك) .

رقم (٢١٥) ص ٣٢٥
ساعة الجاي (٨٧٦٣) في تخطيط الدكتور برايس من جامعة يال الامريكية : القطعة فوق تضغط في طريقها على اداة فتدفع هذه بابا ينفتح ايذانا بالساعة كما تدحرج كرة تقع على طاسة لتحدث صوتا . امـــا الدائرة فهي التي تربط الساعة بالاسطرلاب المتصل بها وبالمسطرة التي تؤشر اجزاؤها للساعات والدقائق حسب الجسم الذي يطفو على الماء .


رقم (٢١٦) ص ٣٢٥

رسم يوضح آلية ساعة الجاي (٧٦٣هـ) القطعة التي تحرك الابواب وتلقي بالصنجات وهي تسير حسب الضغط المفروض عليها عبر المبكرة التي تمر عليها الثقالة.. والرسم للدكتور برايس. من جامعة يال الامريكية.

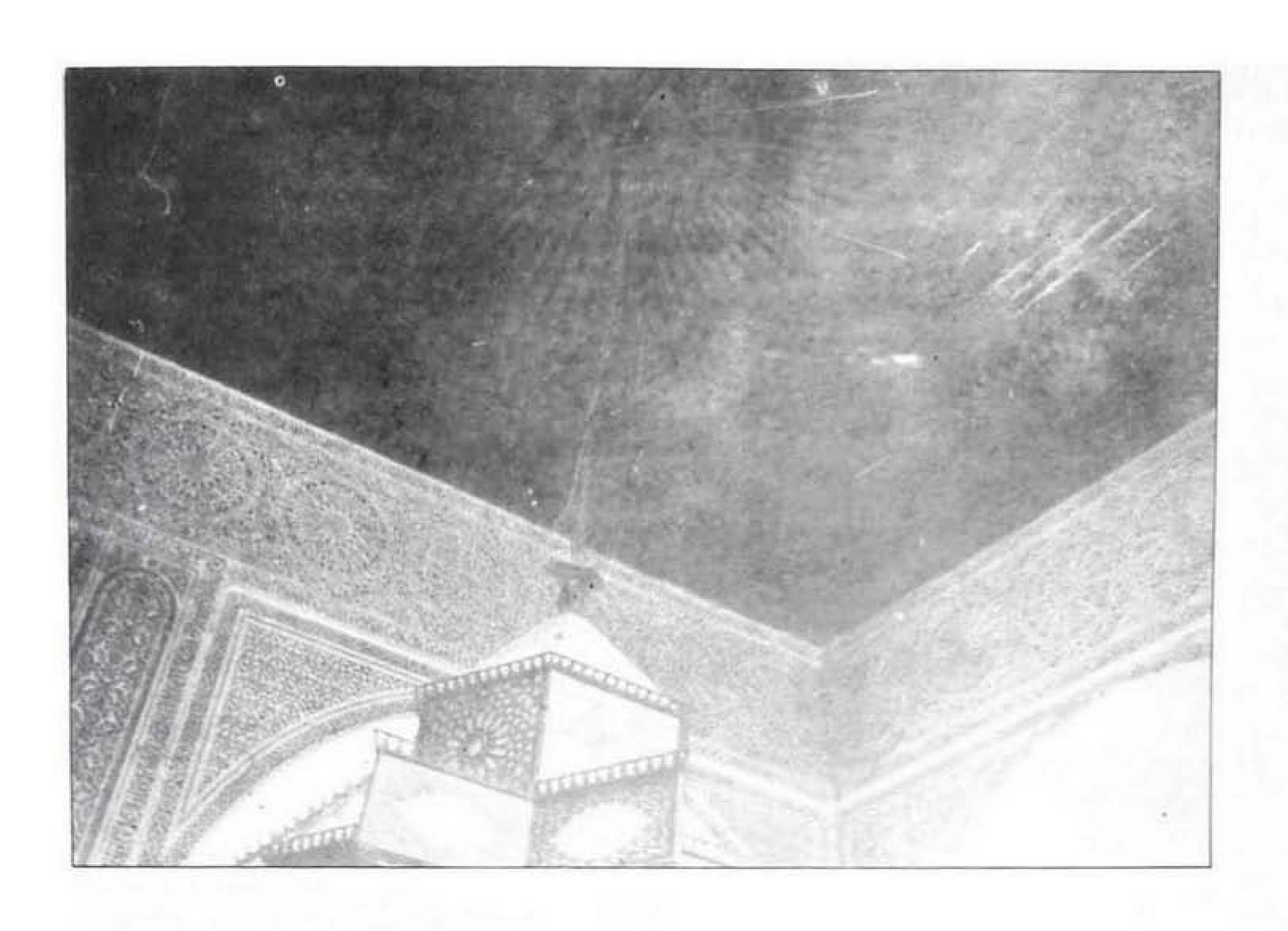
رقم (٢١٧) ص ٣٢٦

اختصّ ابن العربي بصناعة الساعة الشمسية التي توجد خارج باب الغريفة عن يمين الخارج منها الى سطح الجامع وهي من ادق الساعات الشمسية التي اعتمدها الموقتون...

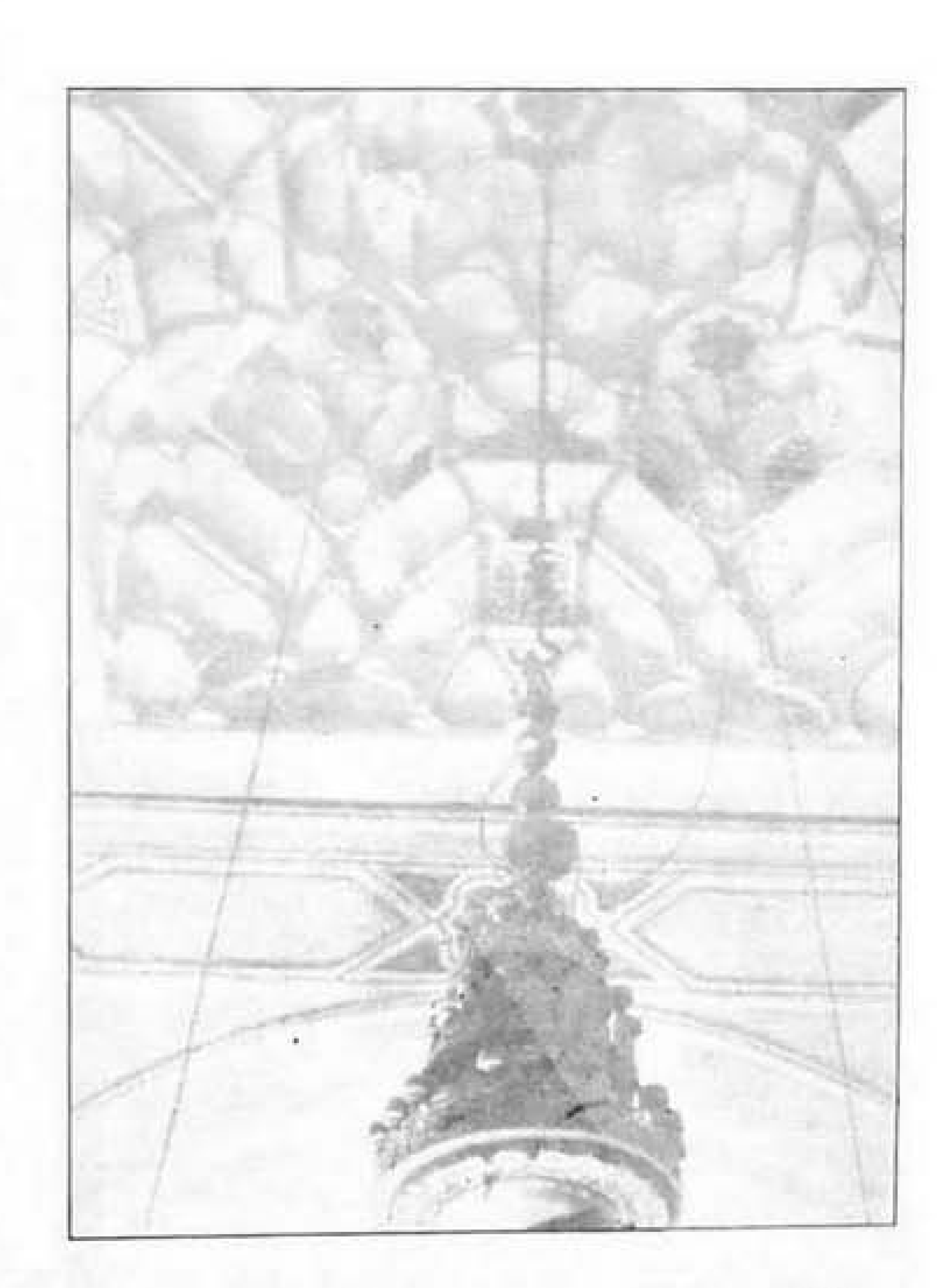


رقم (٢١٨) ص ٣٢٦
باب الصومعة بعد الاصلاحات التي
ادخلها بنو مرين على المئذنة...

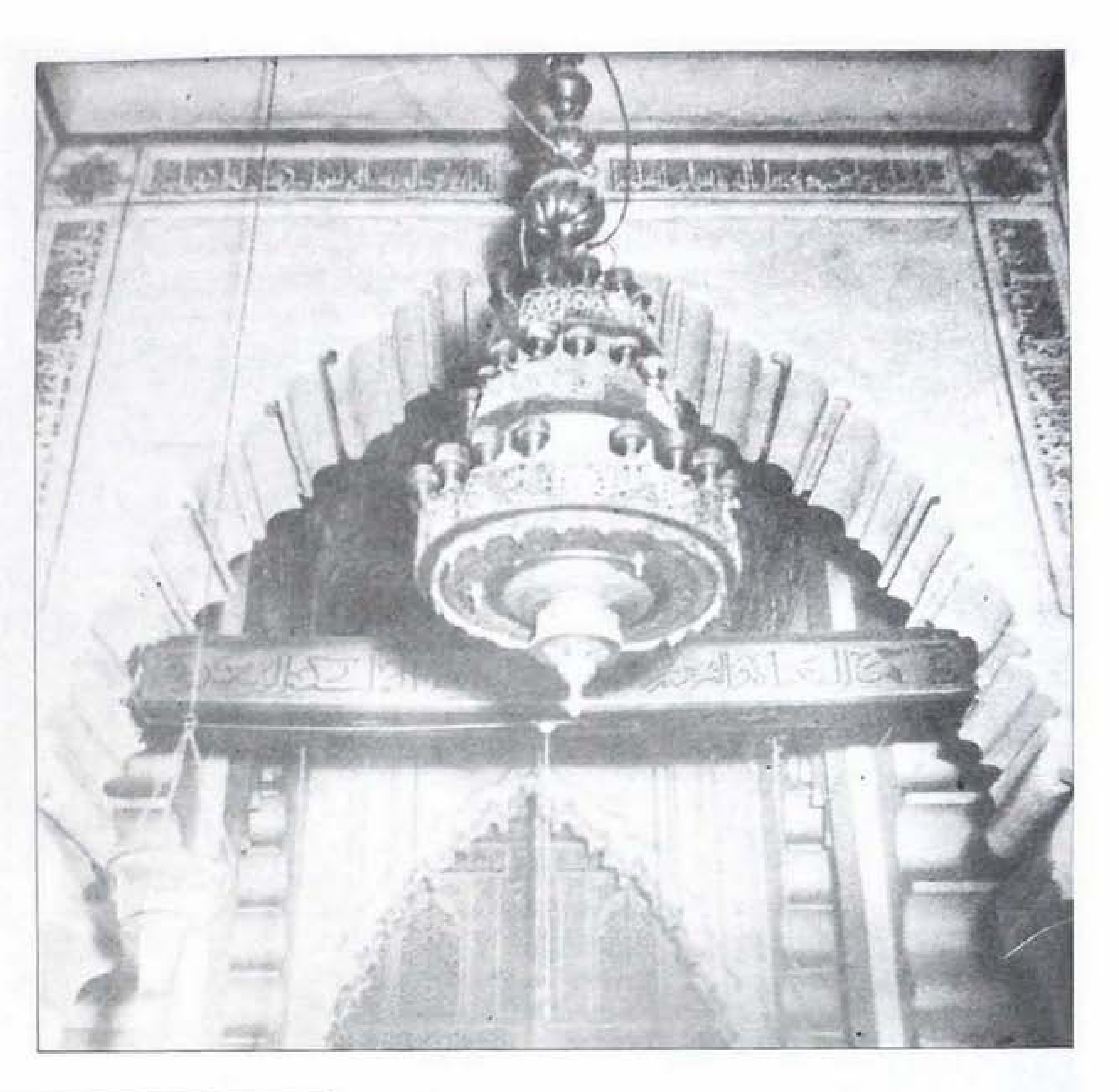
رقم (٢١٩) ص ٣٢٦
اعالي باب المئذنة بنقوشها الجميلة ويظهر
جانب من السقف وقد طرّز بالبرشلة.



رقم (٢٢٠) ص ٣٢٦
الثريا التي يزدان بها حريم باب الصومعة وقد عوّضت ثريا كانت هنا قديمة .



رقم (٢٢١) ص ٣٢٨
مما تزدان به القبة الرابعة ثريا لطيفة كانت في الاصل ناقوسا ترن اصداؤه في احدى الكنائس الاسبانية غنمه المجاهدون وحوّلوه الى ثريا . . . توالت الاصلاحات عليه وهو يحمل اسم الملك محمد الخامس عندما قام باصلاحه . . .



رقم (٢٢٢) ص ٣٢٨
منظر ثان للجرس المعلق في القبة الرابعة ابتداء من قبة المحراب ذات تصميم مربع . .

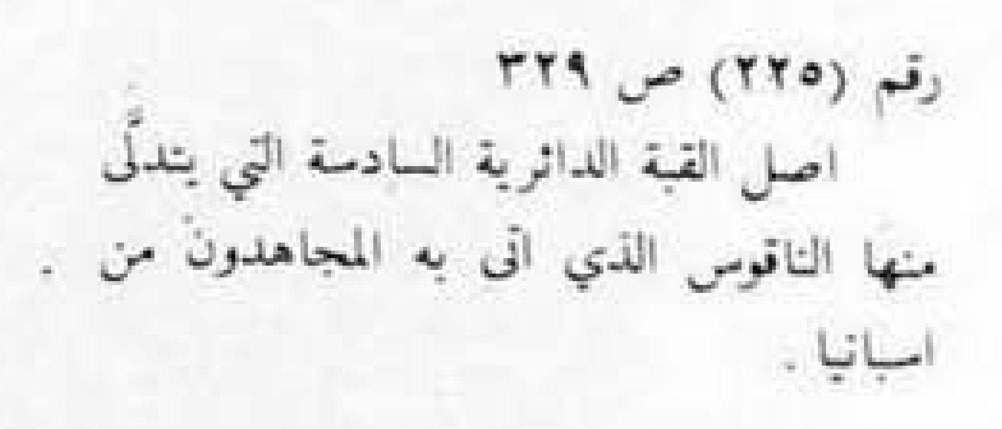


رقم (٢٢٣) ص ٣٢٨
ثلاثة صفوف من حاملات المصابيح ، وقد كم فم الجرس بصفيحة ختمت بقطعة تشبه مرشة زهر.

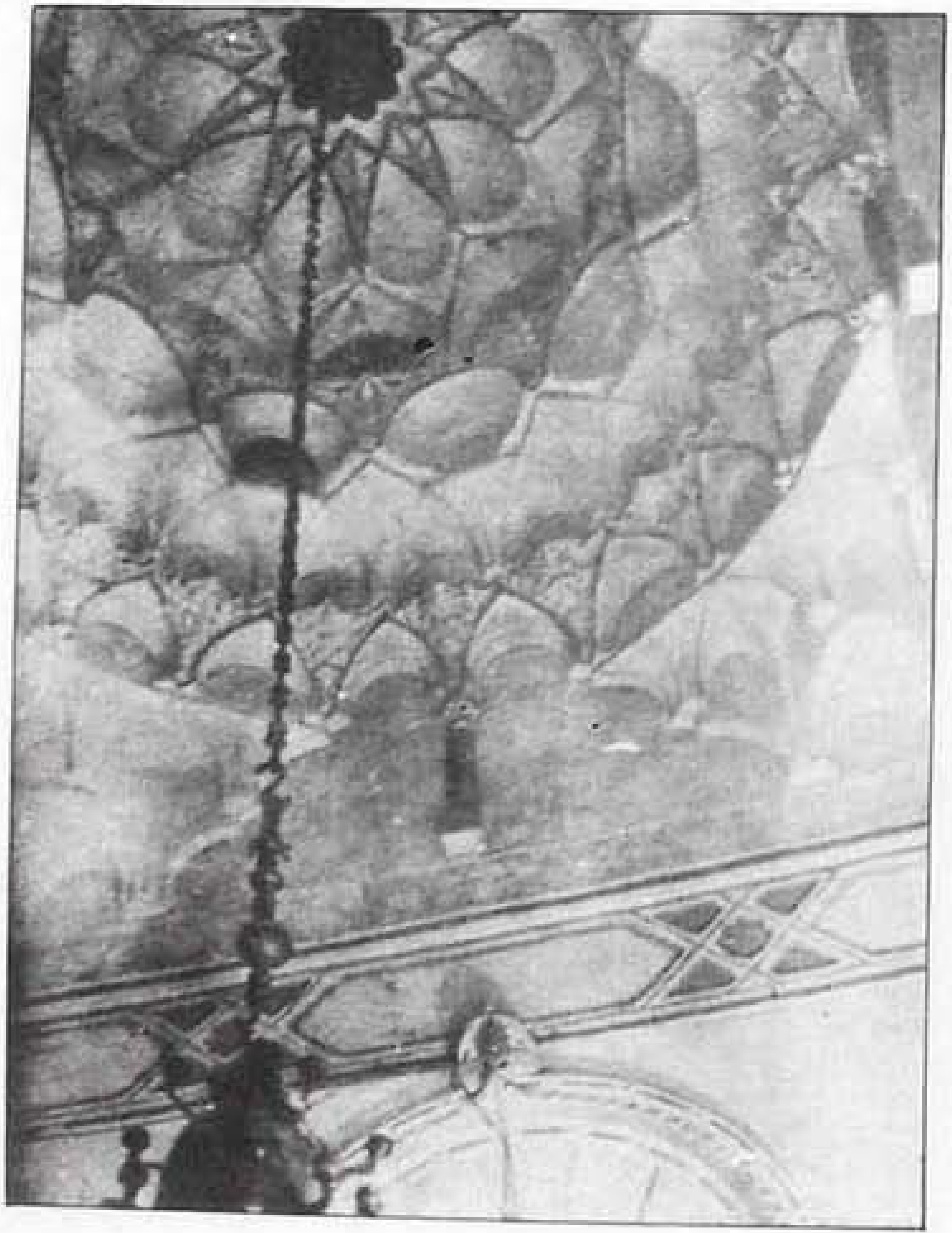


رقم (٢٢٤) ص ٣٢٩

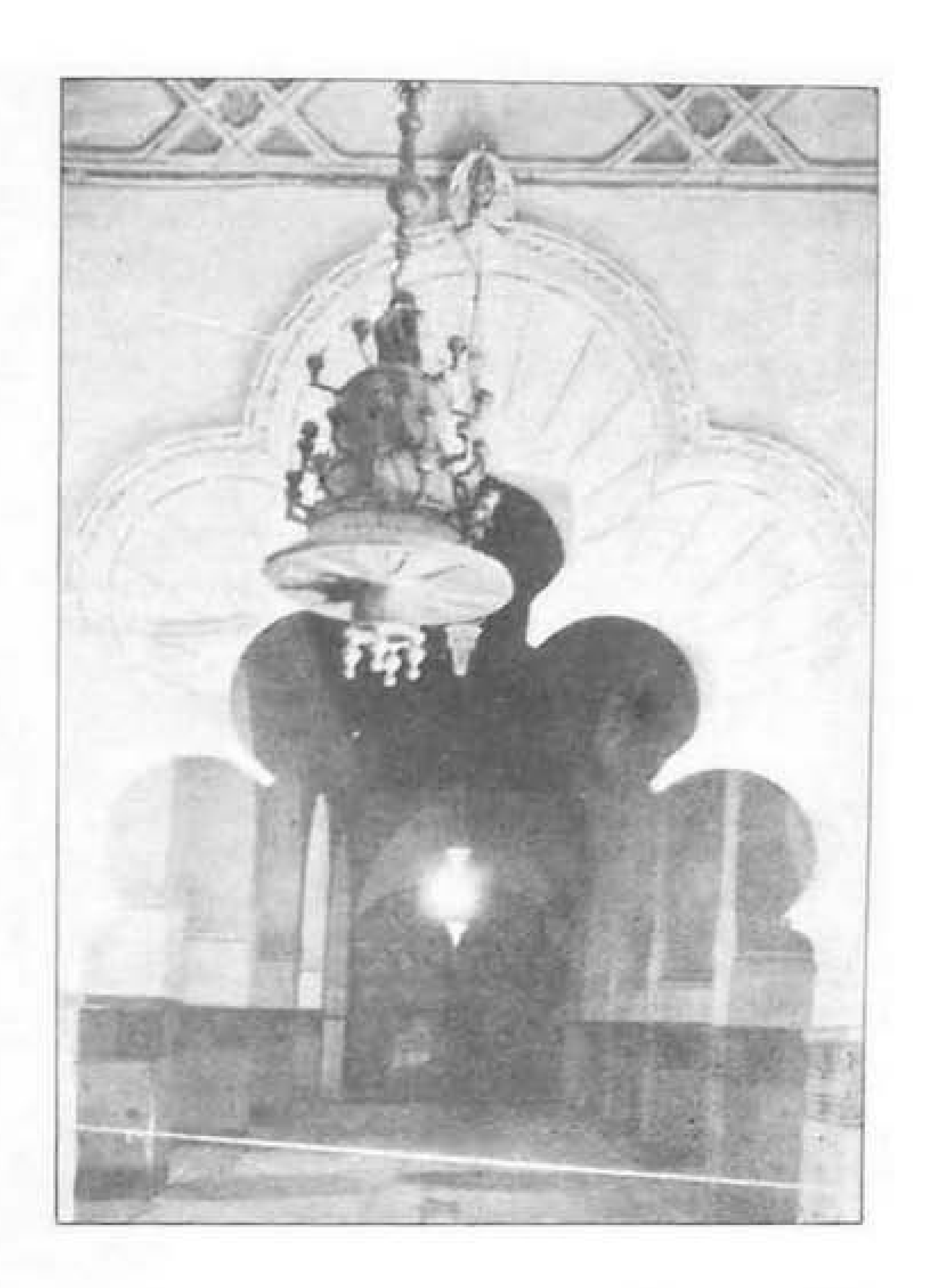
تمتدّ على طول البلاط الاوسط سلسلة من النواقيس المحوّلة الى ثريات .. وهذا منظر لهذه السلسلة ابتداء من القبة السادسة.



رقم (٢٢٥) ص ٣٢٩
اصل القبة الدائرية السادسة التي يتدلّى منها الناقوس الذي اتى به المجاهدون من اسبانيا .



رقم (٢٢٦) ص ٣٢٩
جانب ايضا من القبّة ذات التّصميم الدائريّ التي تحمل الناقوس الثريا .

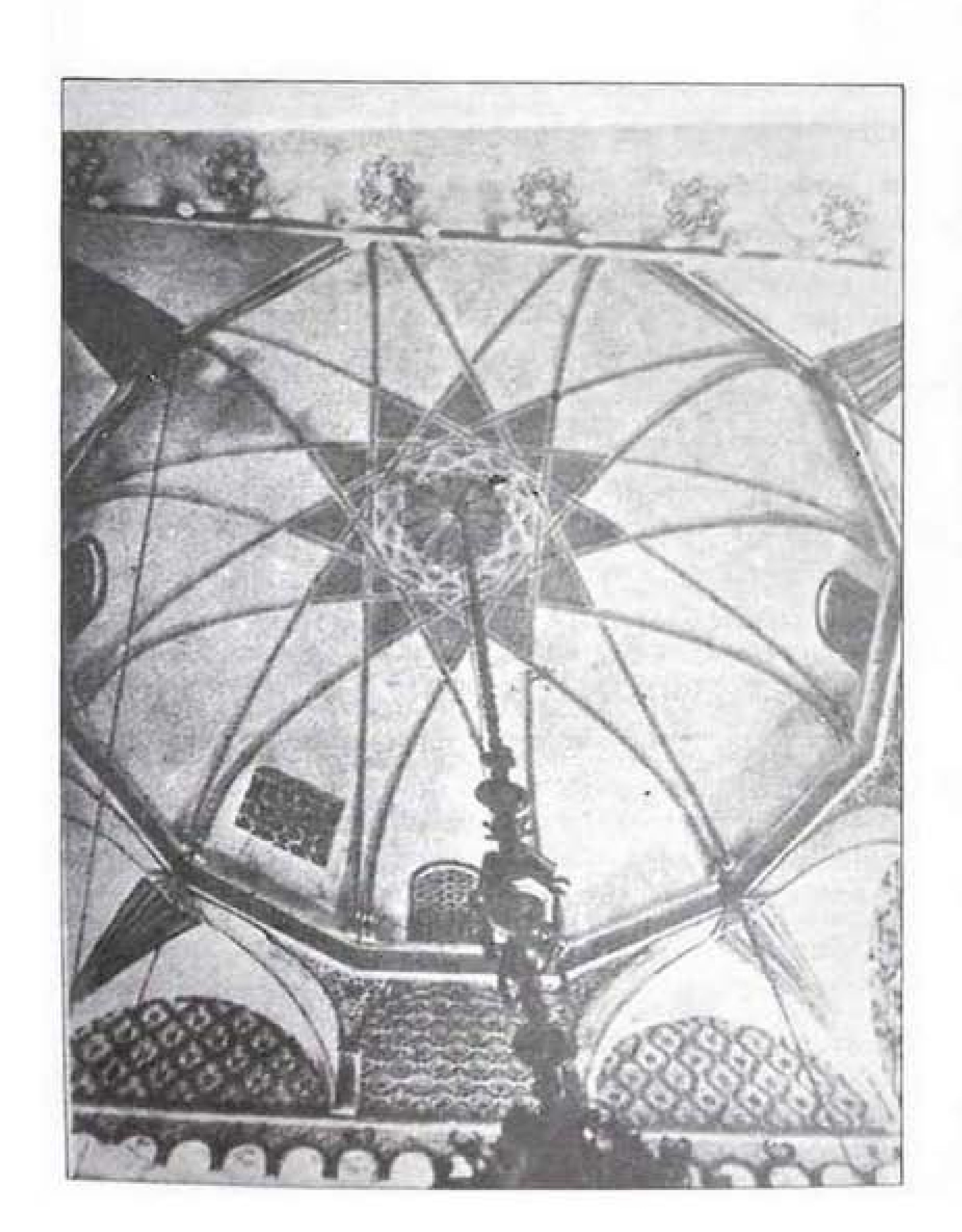


رقم (٢٢٧) ص ٣٢٩
منظر واضح للجرس الذي تحول الى ثريا في القبة السادسة من جهة المحراب .

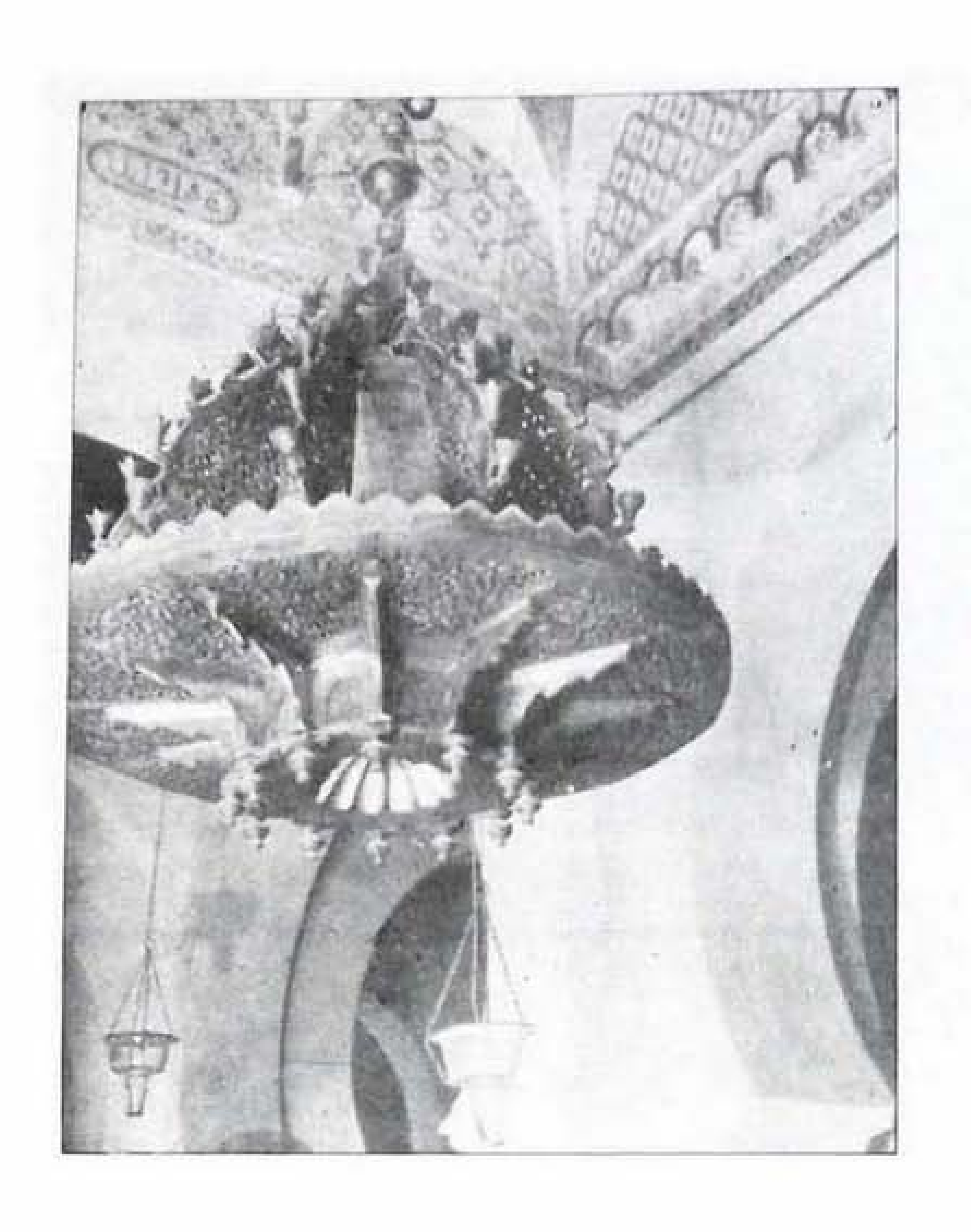


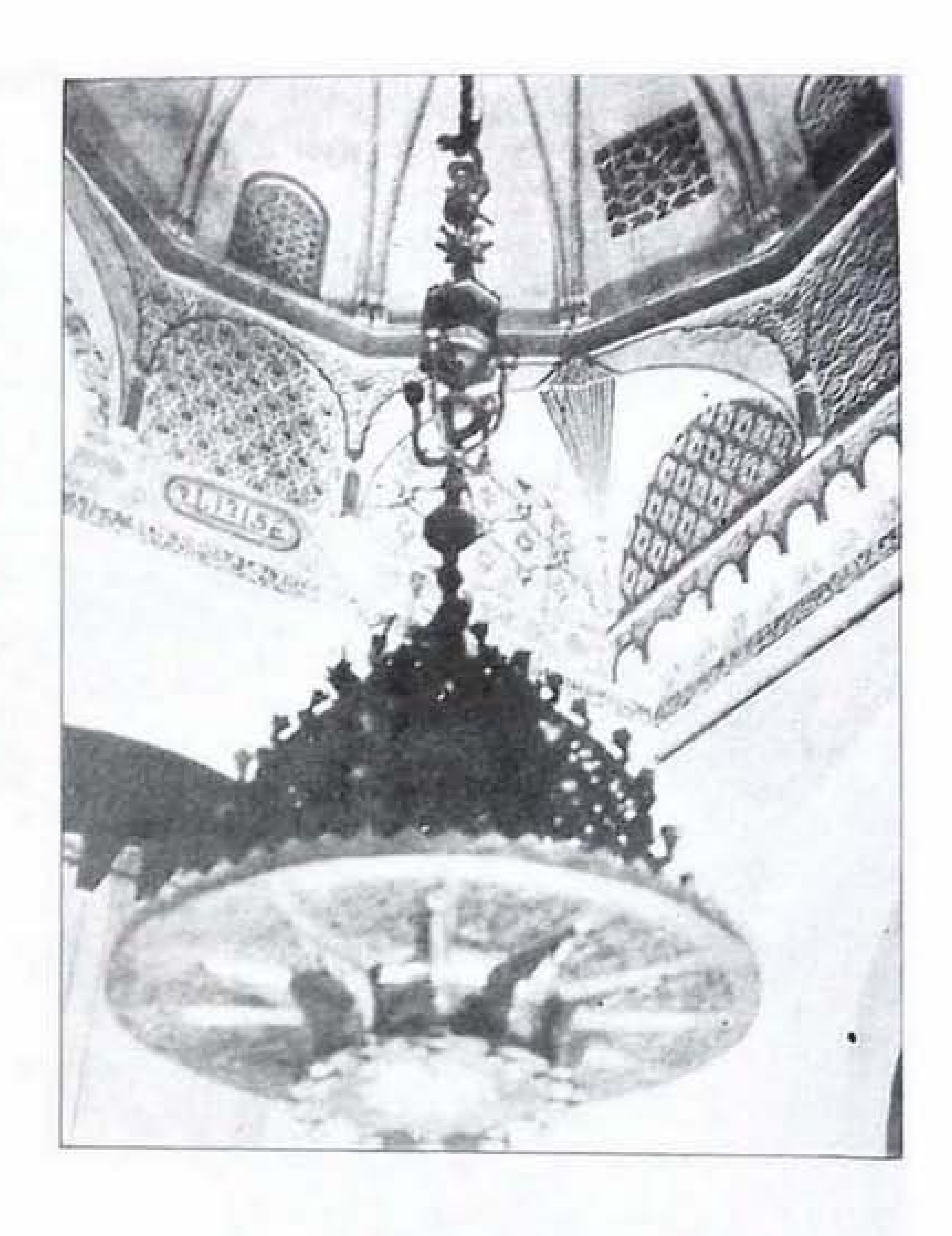
رقم (٢٢٩) ص ٣٢٩
في القبة السابعة وهي من خشب يتدلى ايضا جرس تحول الى ثريا كمم فمه بصفيحة تنتهي بدائرة مختومة بثلاثة اقراص .

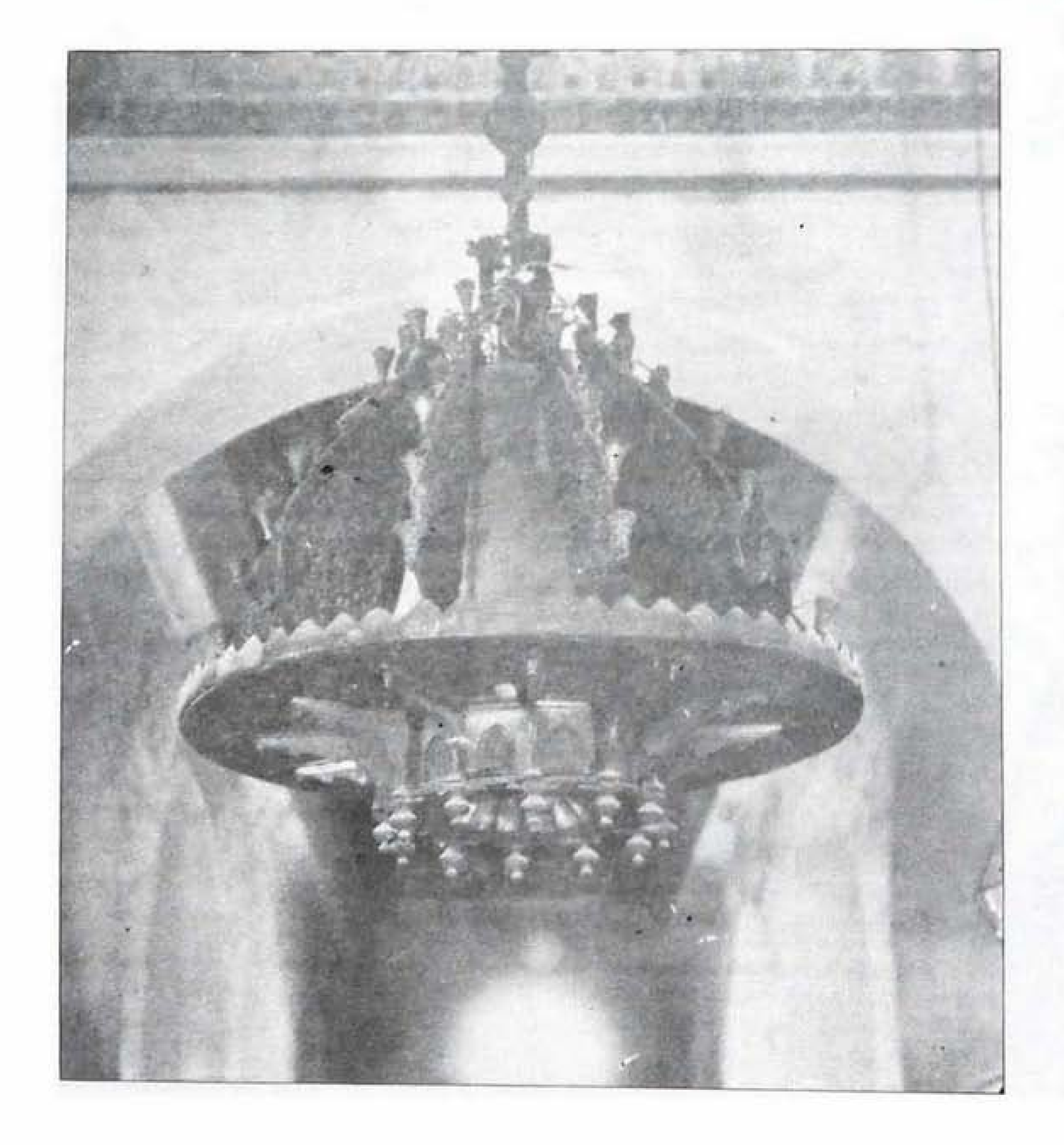
رقم (٢٢٨) ص ٣٢٩
بالرغم من التغييرات التي ادخلت على الناقوس فقد احتفظت ذروته بهذا النقش بالحروف اللاتينية التي يمكن ترجمتها هكذا : « صوت الله يجلجل في بيته » .



رقم (٢٣٠) ص ٣٣٠
في القبة الثامنة التي يتقاطع عليها باب الكتبيين وباب ابن حيون يوجد الناقوس الاكبر الذي حمل من جبل طارق .







رقم (٢٣١) ص ٣٣٠
الجرس الاكبر يتدلى من القبة الثامنة المضلّعة . . .

رقم (٢٣٢) ص ٣٣٠
الجرس الاكبر وقد علته المصابيح التي حاولت ان تخفي معالمه .

رقم (٢٣٣) ص ٣٣٠
الجرس الاكبر وقد كمت فتحته باشكال هندسية رفيعة .



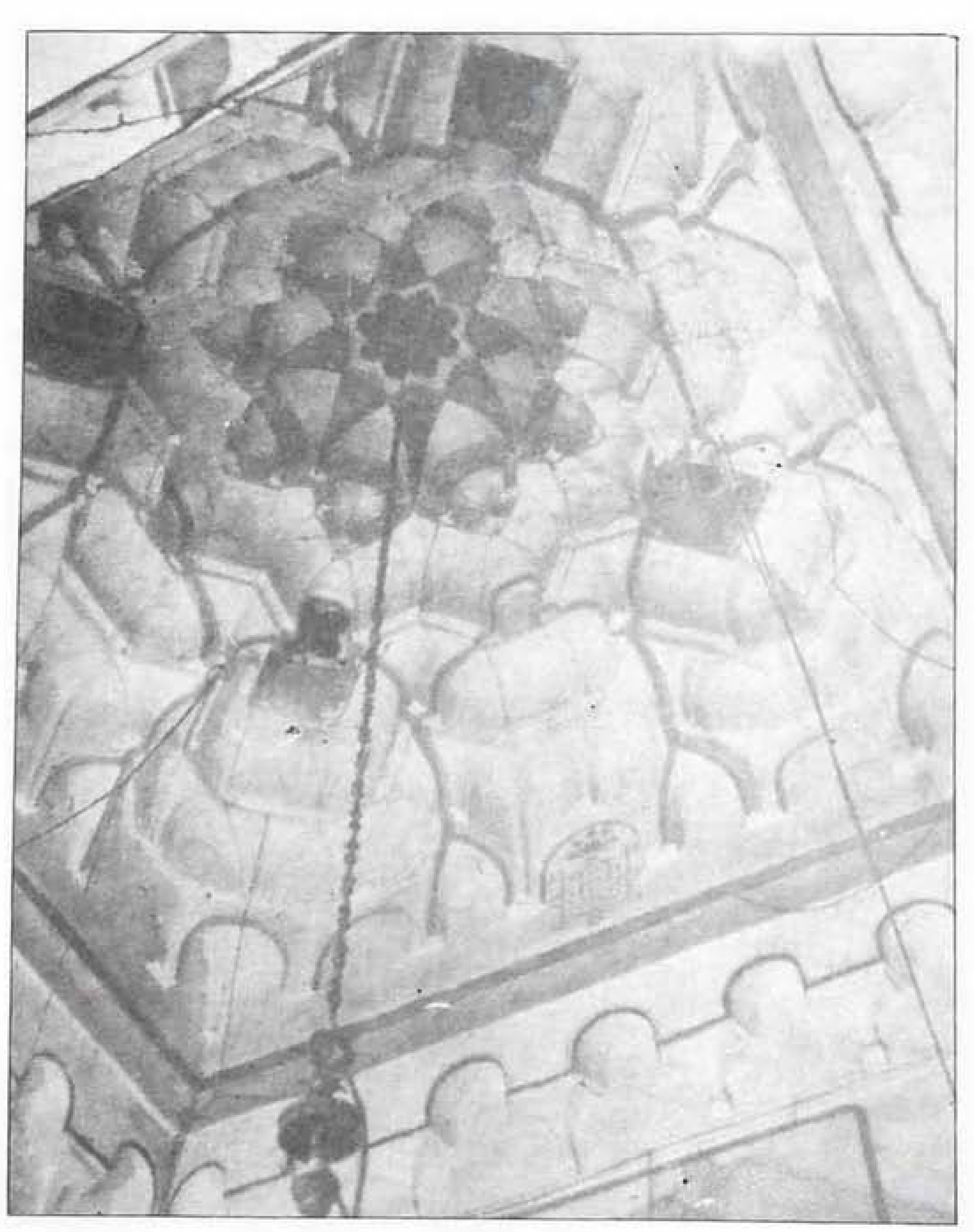
رقم (٢٣٤) ص ٣٣٠
الجرس الاكبر كما يتجلّى في لقطة اقرب .



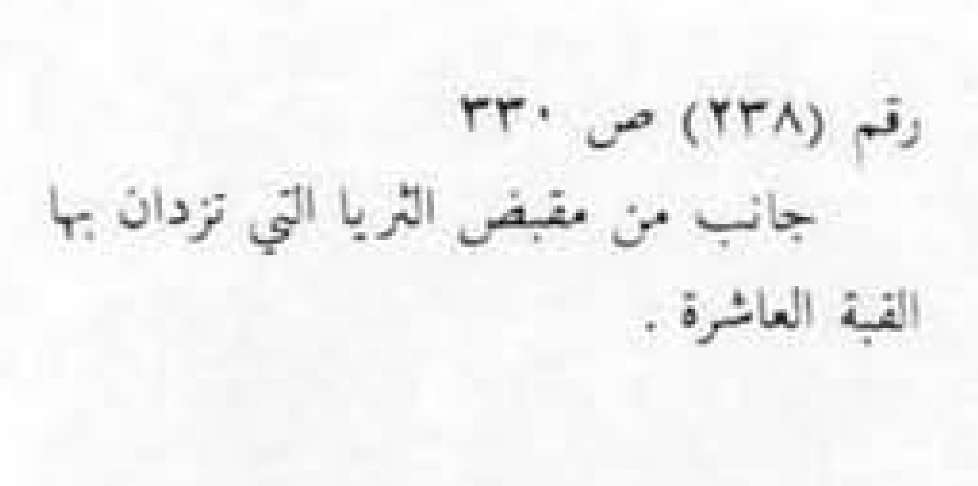
رقم (٢٣٥) ص ٣٣٠
اسفل الجرس الاكبر . .



رقم (٢٣٦) ص ٣٣٠
نقشت على ظهر الجرس باللاتينية هذه الكلمات التي يمكن ترجمتها هكذا « جدير بالنفس التقية ان تشكر فضل الله عليها في النجاة من شرور الضلال » .

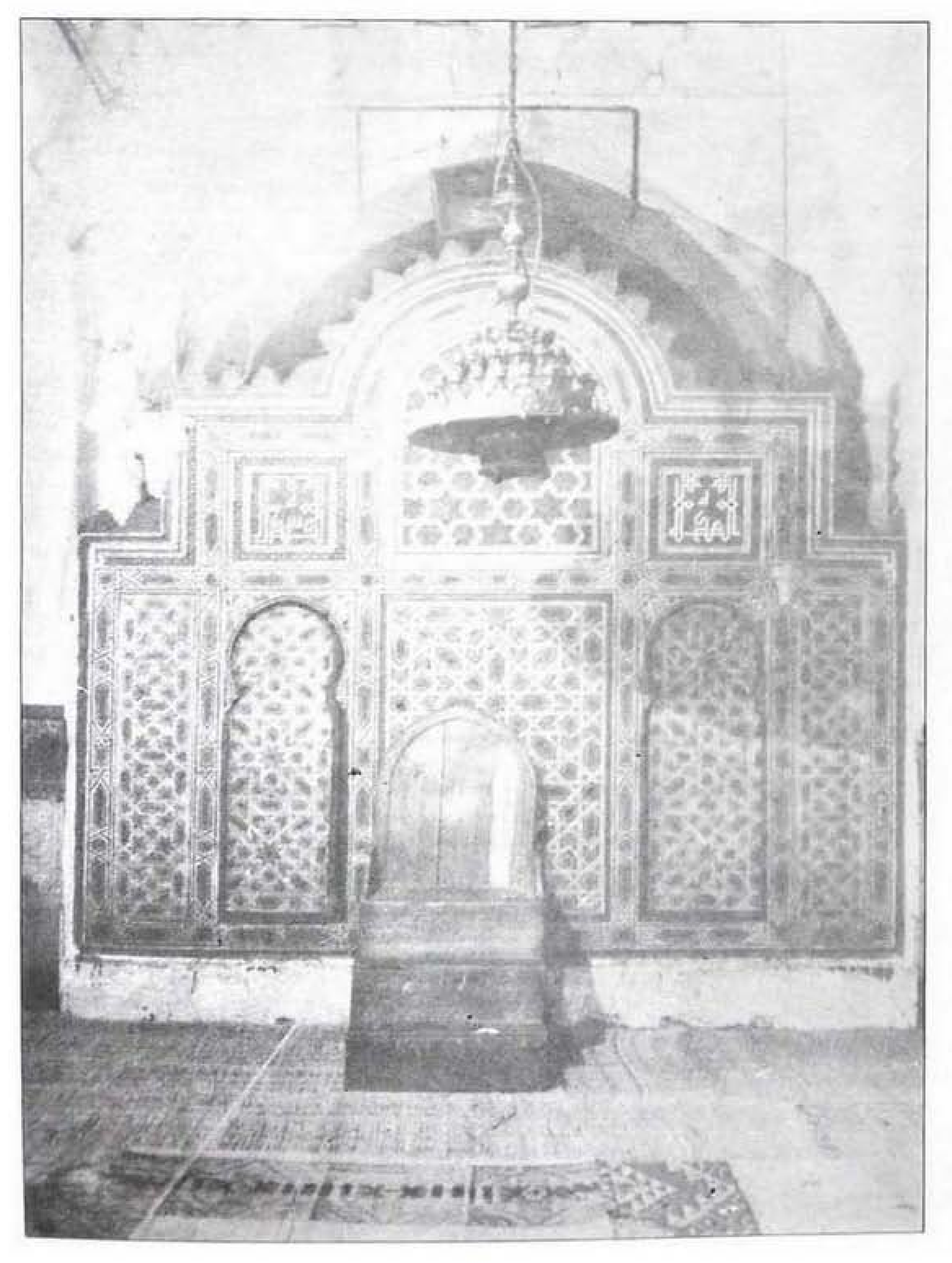


رقم (٢٣٧) ص ٣٣٠
تتدلى من القبة العاشرة من جهة المحراب وهي المباشرة للعنزة ثريا من الطراز المعروف ايام بني مرين .



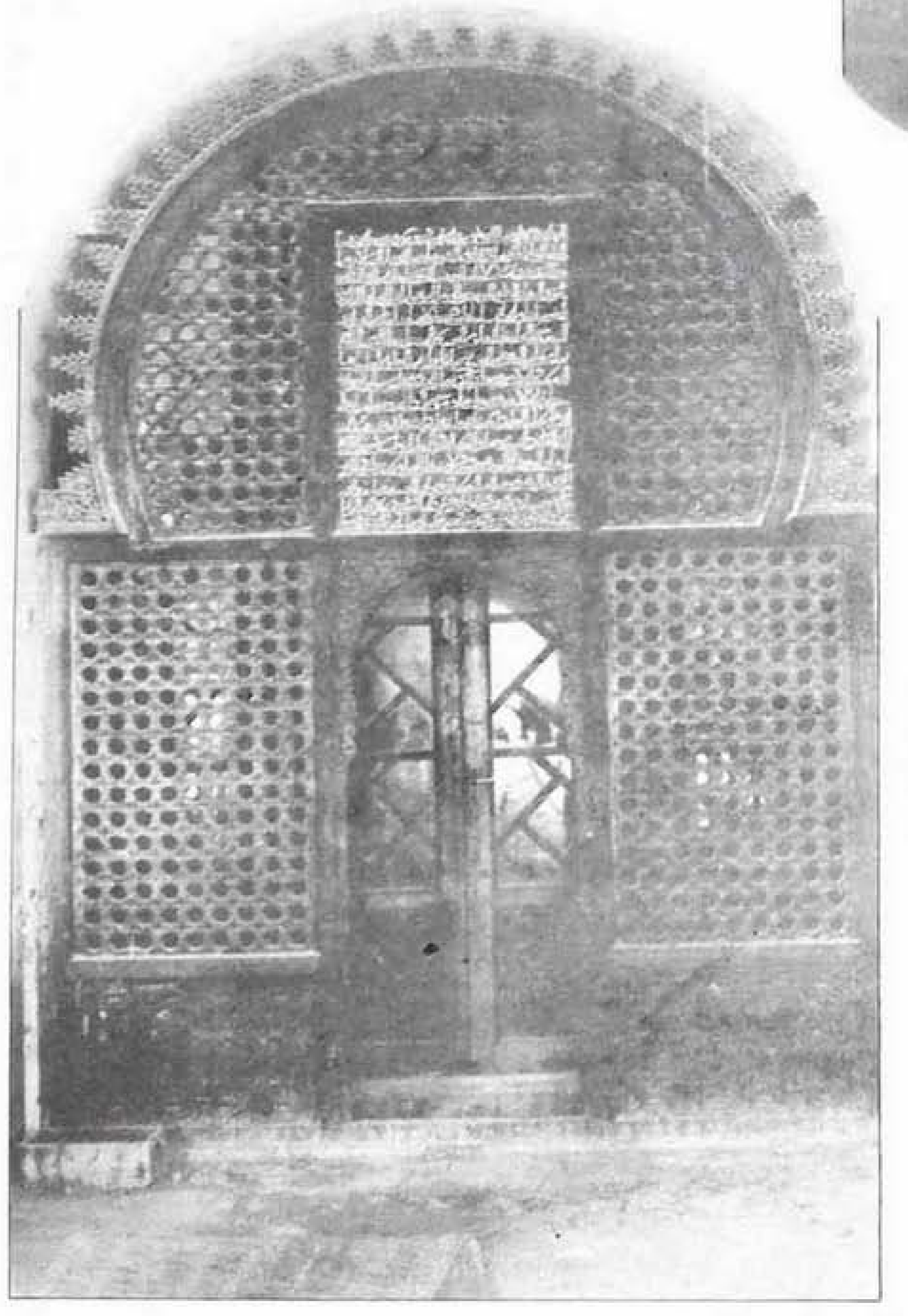
رقم (٢٣٨) ص ٣٣٠
جانب من مقبض الثريا التي تزدان بها القبة العاشرة .

رقم (٢٣٩) ص ٣٣٠
الثريا التي توجد في القبة العاشرة ، وهي القبة التي توجد خلف العنزة ، ويرى احد الكراسي العلمية التي اعتاد علماء الجامعة ان يلقوا دروسهم عليها .

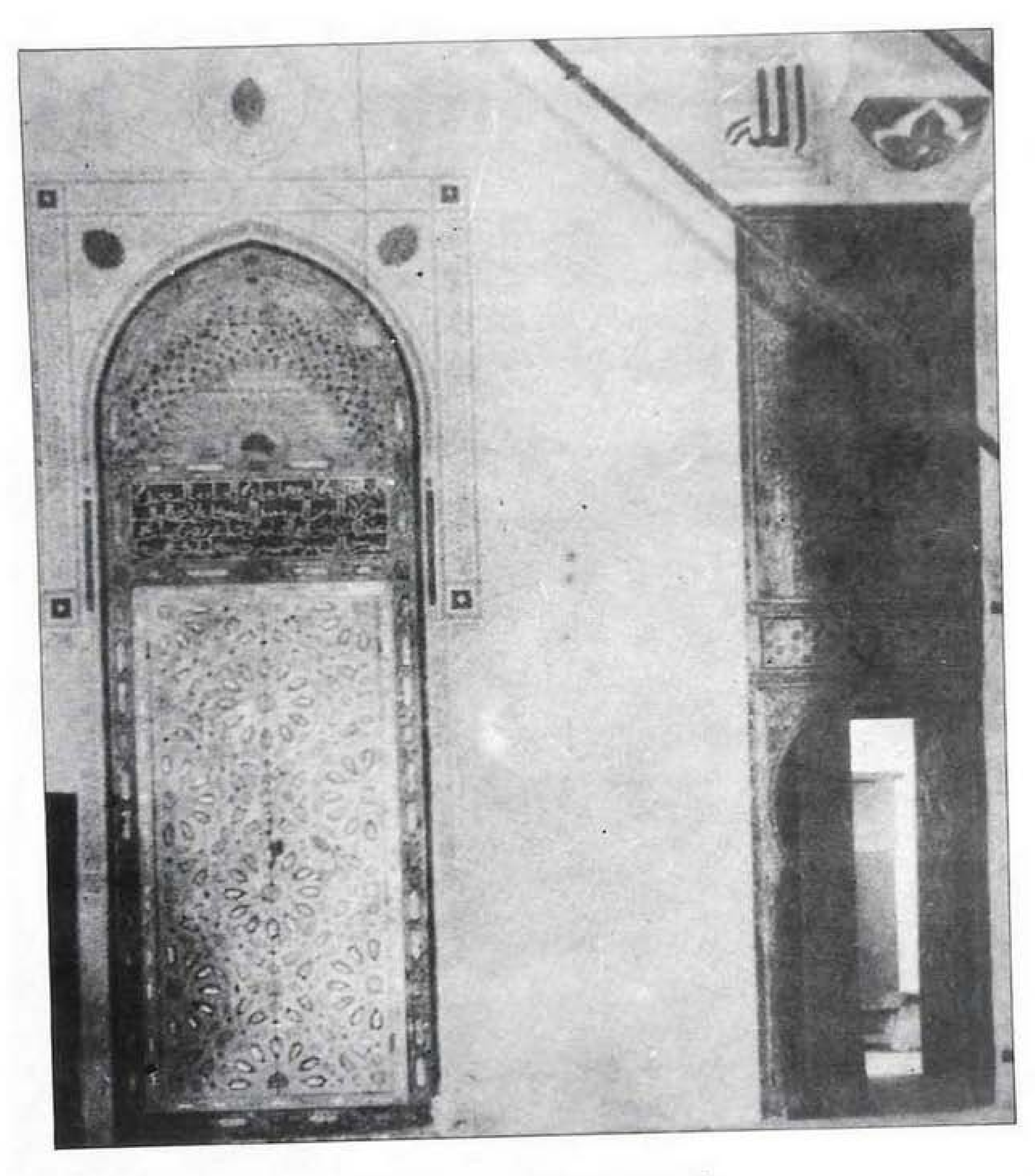




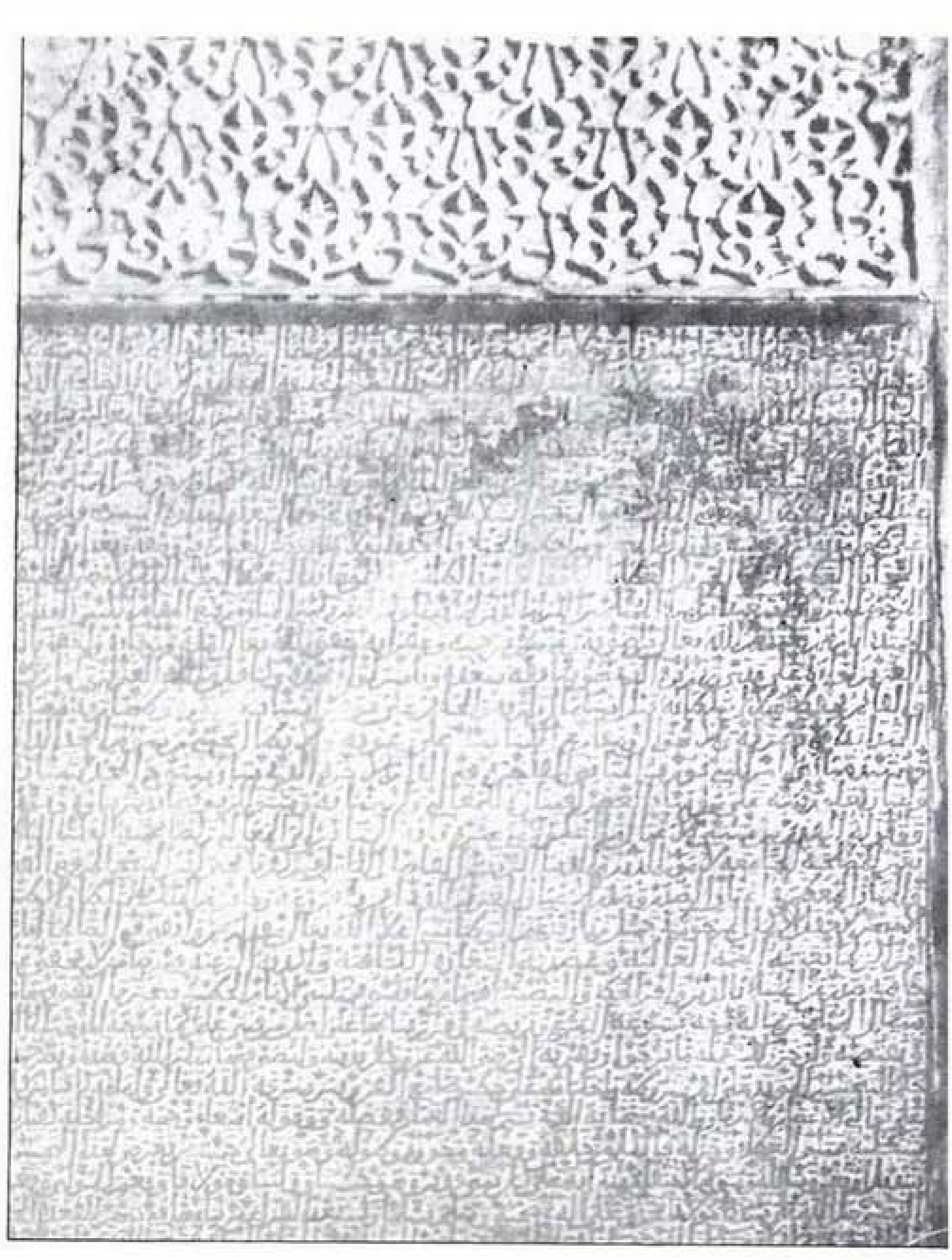
رقم (٢٤٠) ص ٣٣٠
هذا هو الناقوس المعلق داخل باب الشماعين وقد نقش على الصفيحة التي تكمّمه كلمات العزّ لله . . وختم باقراص اربعة . .



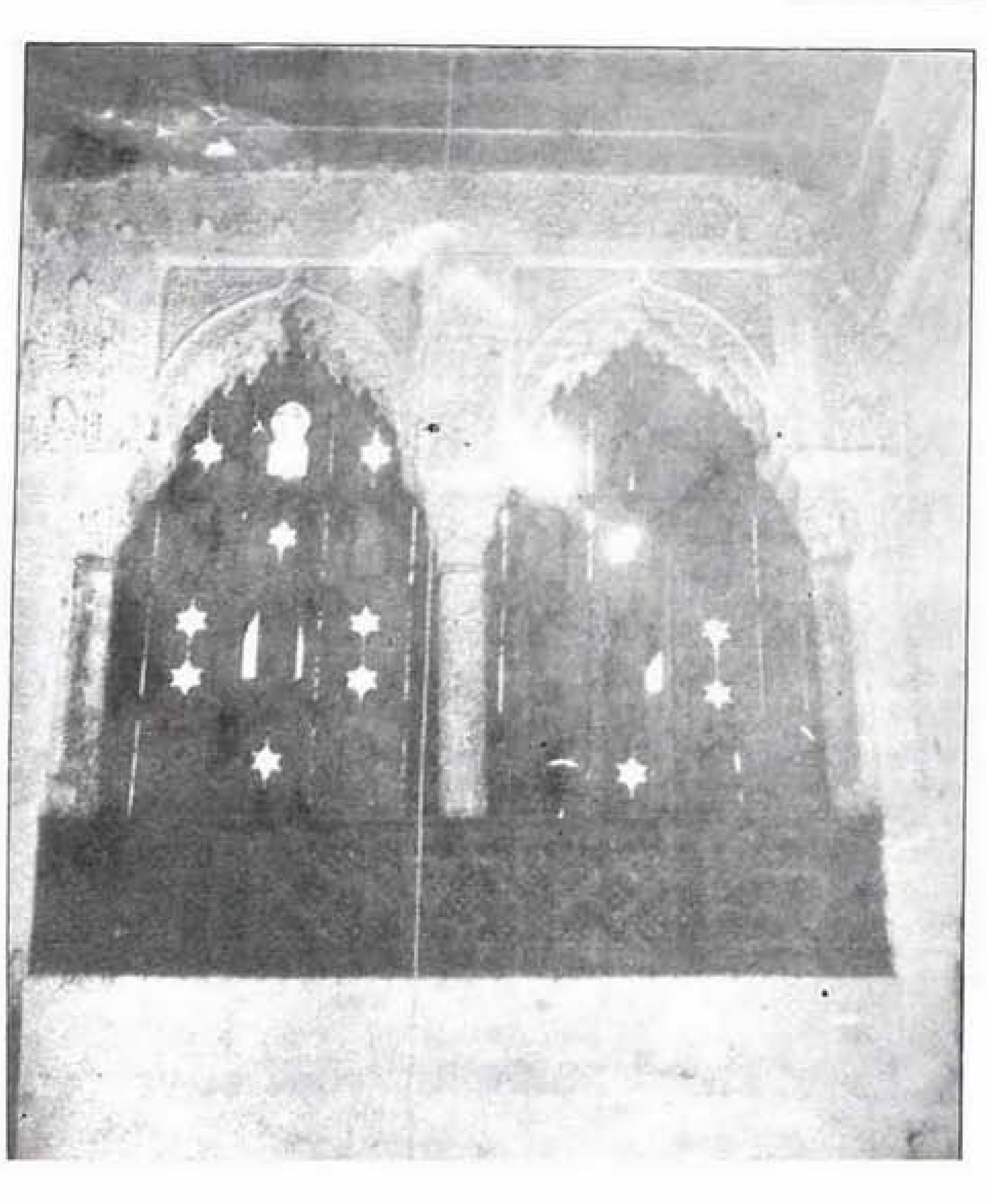
رقم (٢٤١) ص ٣٣١
باب مكتبة السلطان ابي عنان العلمية التي انشأها عام ٧٥٠ داخل جامع القرويين . . .



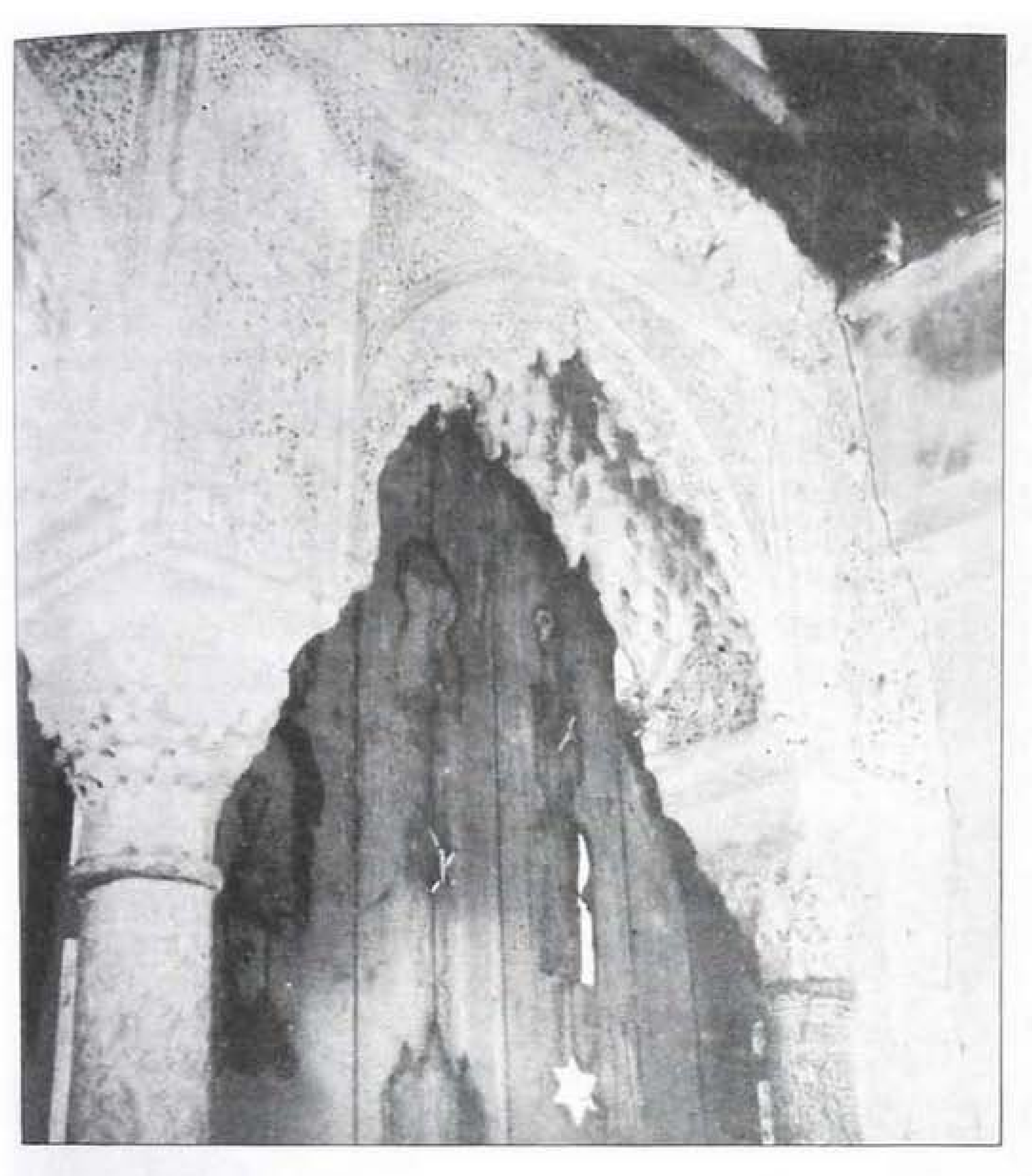
رقم (٢٤٢) ص ٣٣٢
الخزانة الخاصة بالمصاحف انشأها كذلك ابوعنان عام ٧٥٠ يسار باب مقصورة الامام . . .



رقم (٢٤٣) ص ٣٣٣
اللوحة الرخامية المنقوشة على باب مصرية الامام الخطيب التي بنوها في مكان الحدودي المستغنى عنه وقد غرست فوق البويب الذي ينفذ الى مقر المجلس العلمي السابق .



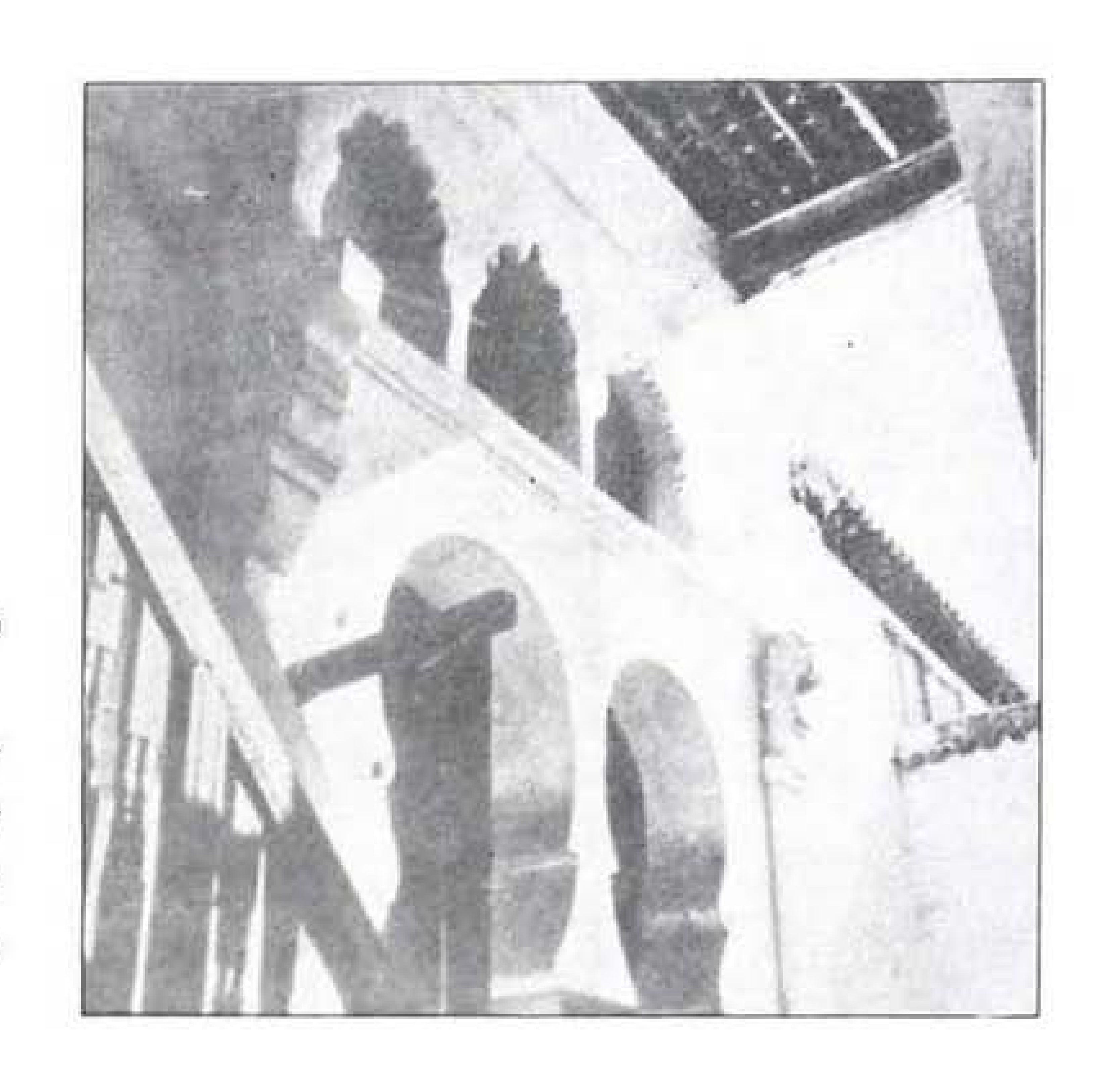
رقم (٢٤٤) ص ٣٣٤
خلوة الاسبوع العليا كان لها نافذتان تطلان على البلاط الاول تتوسطهما سارية من رخام .



رقم (٢٤٥) ص ٣٣٤
منظر للنافذة اليمنى وتلاحظ سارية من رخام مغروسة في الجدار . لقد عطلت اليوم هذه النافذة .

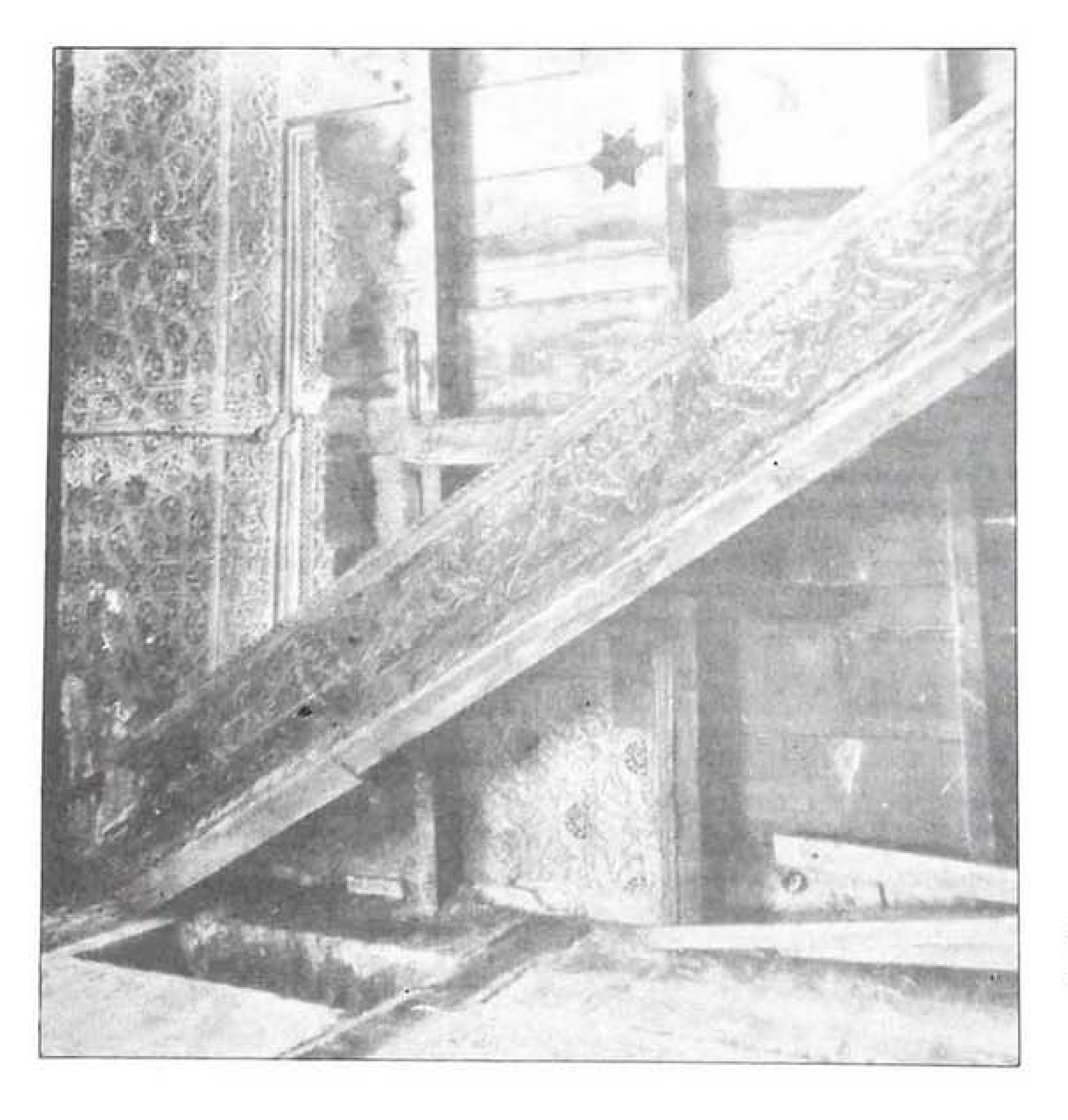
رقم (٢٤٦) ص ٣٣٤
الجانب الايسر من نافذة خلوة الاسبوع العليا . . .





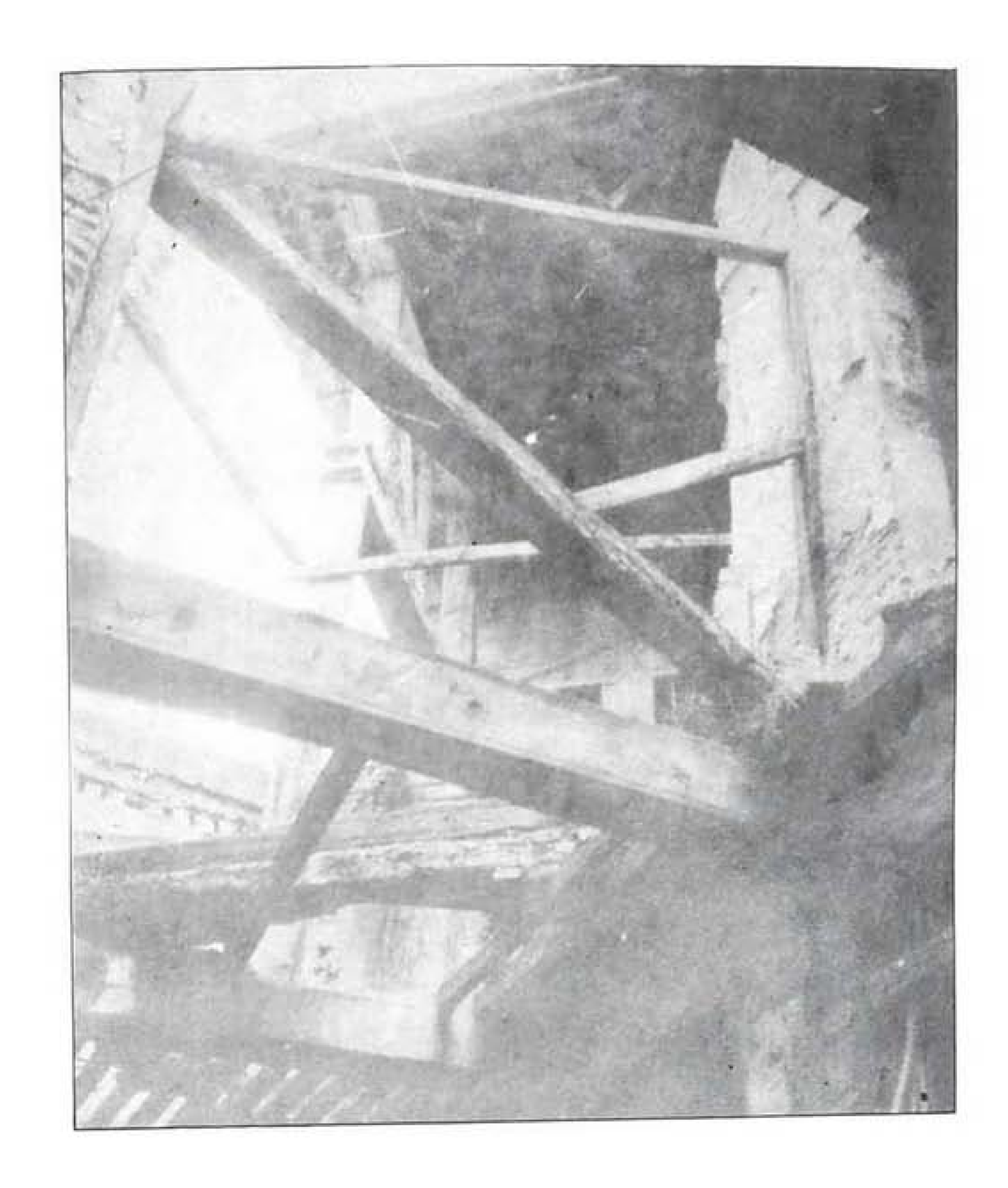
رقم (٢٤٧) ص ٣٣٥

كان مدخل خلوة الاسبوع العليا عن طريق درج كانت موجودة يسرة الداخل للقرويين من باب الخلفاء الذي ينفذ لصحن جامع الجنائز، ويمنة الخارج من باب الرواح الاعلى. يرى جانب من الحواجز الخشبية التي كان يستعين بها الصاعدون للخلوة .. لقد اختفت هذه الادراج الآن.

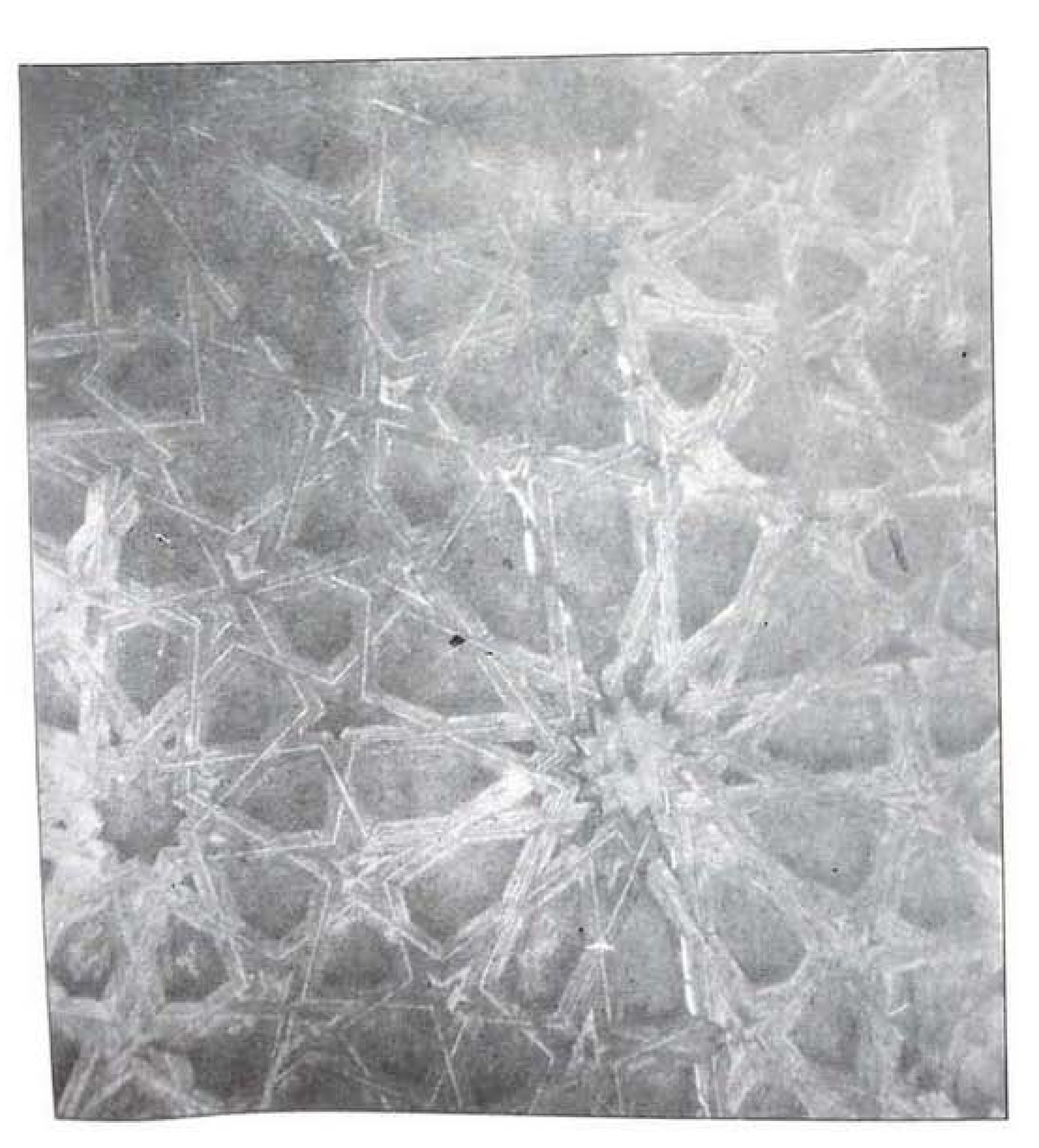


رقم (٢٤٨) ص ٣٣٥

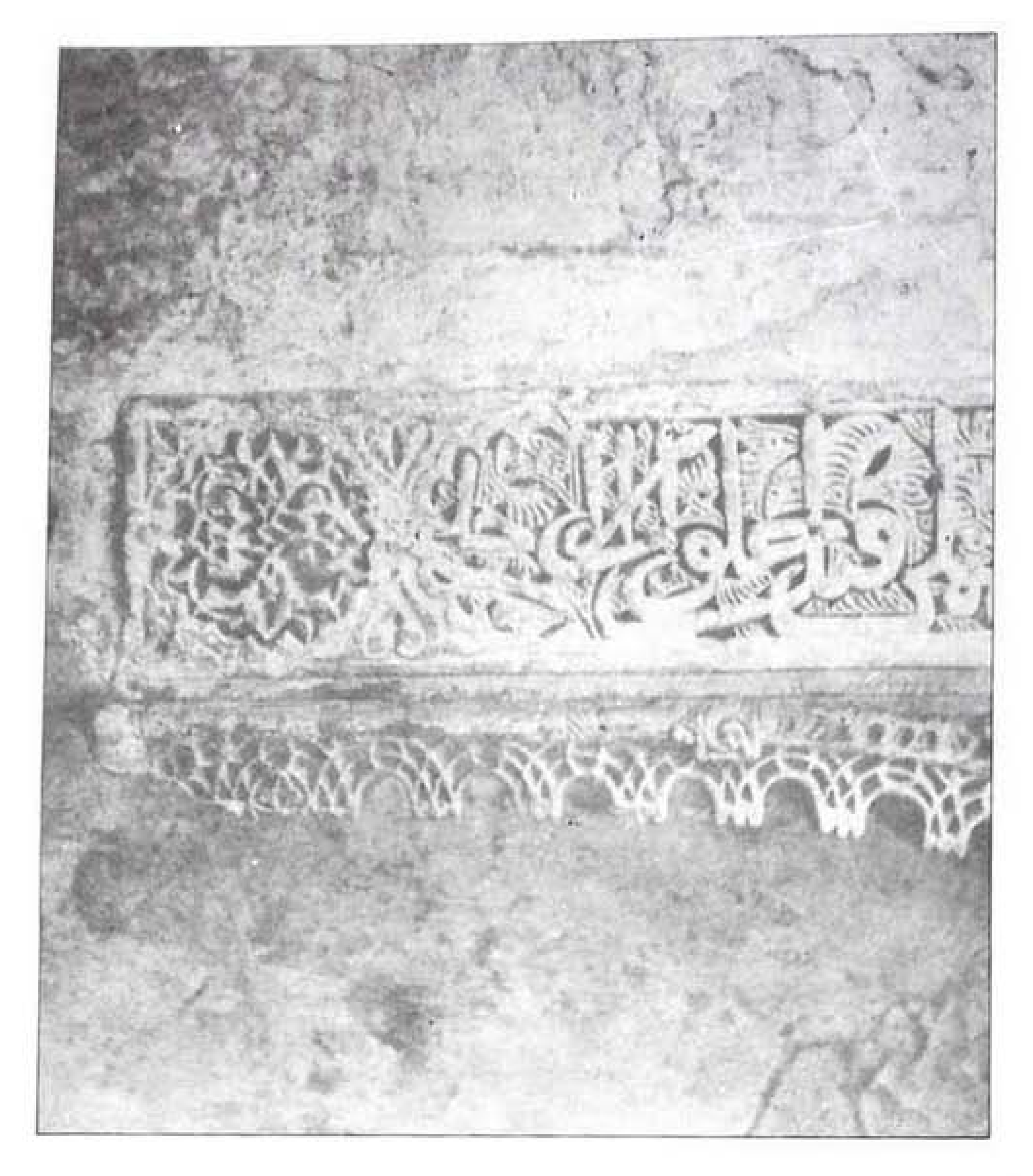
خلوة الاسبوع من الداخل، يرى جانب من النافذة المطلة على البلاط الاول من الجامع...



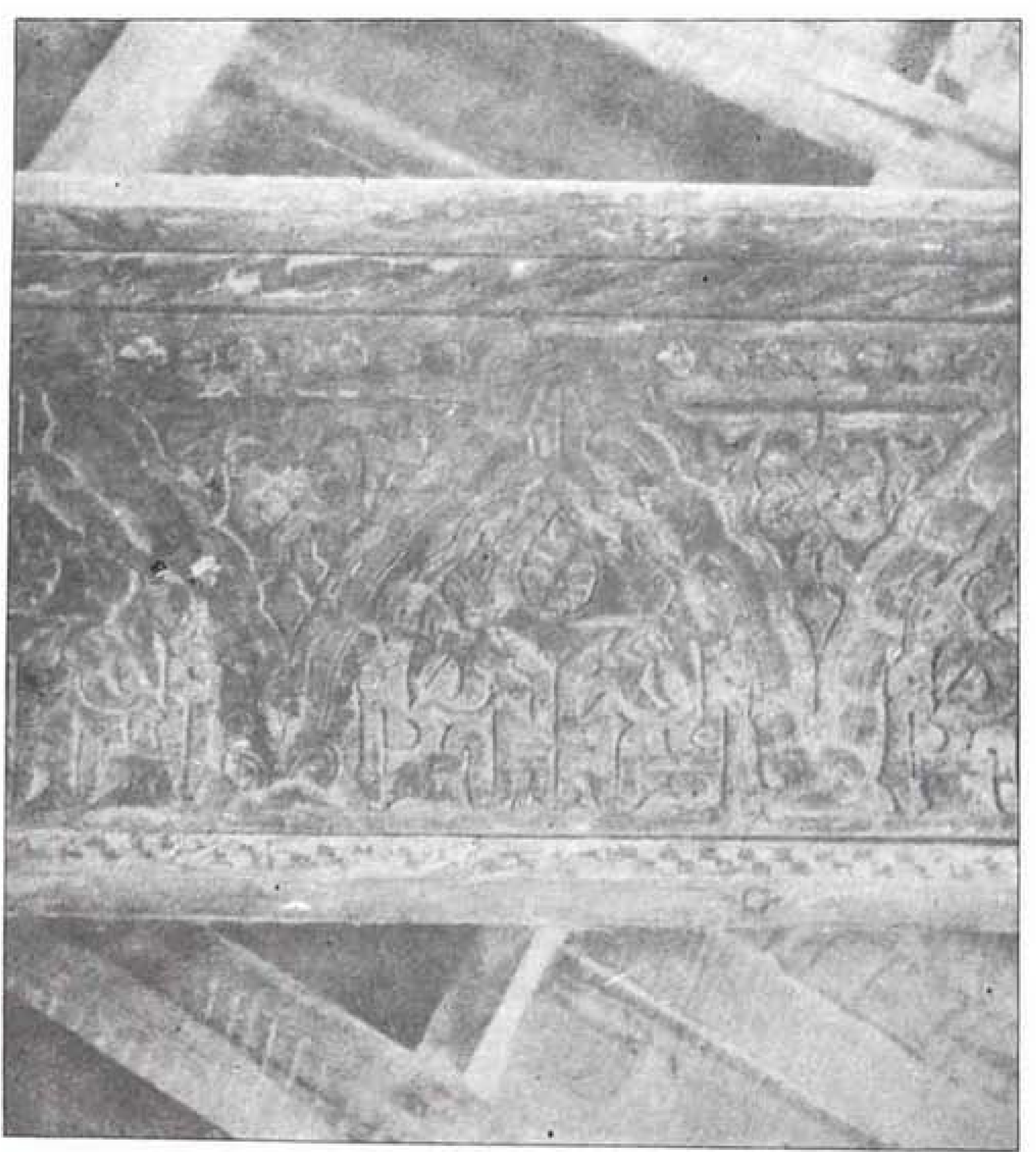
٢٤٩) ص ٣٣٥
خلوة الاسبوع العليا كانت محملة على ساباط بين باب السبطرين وباب الخلفاء؟ لقد بقي من هذا الساباط اليوم هذه الآثار...



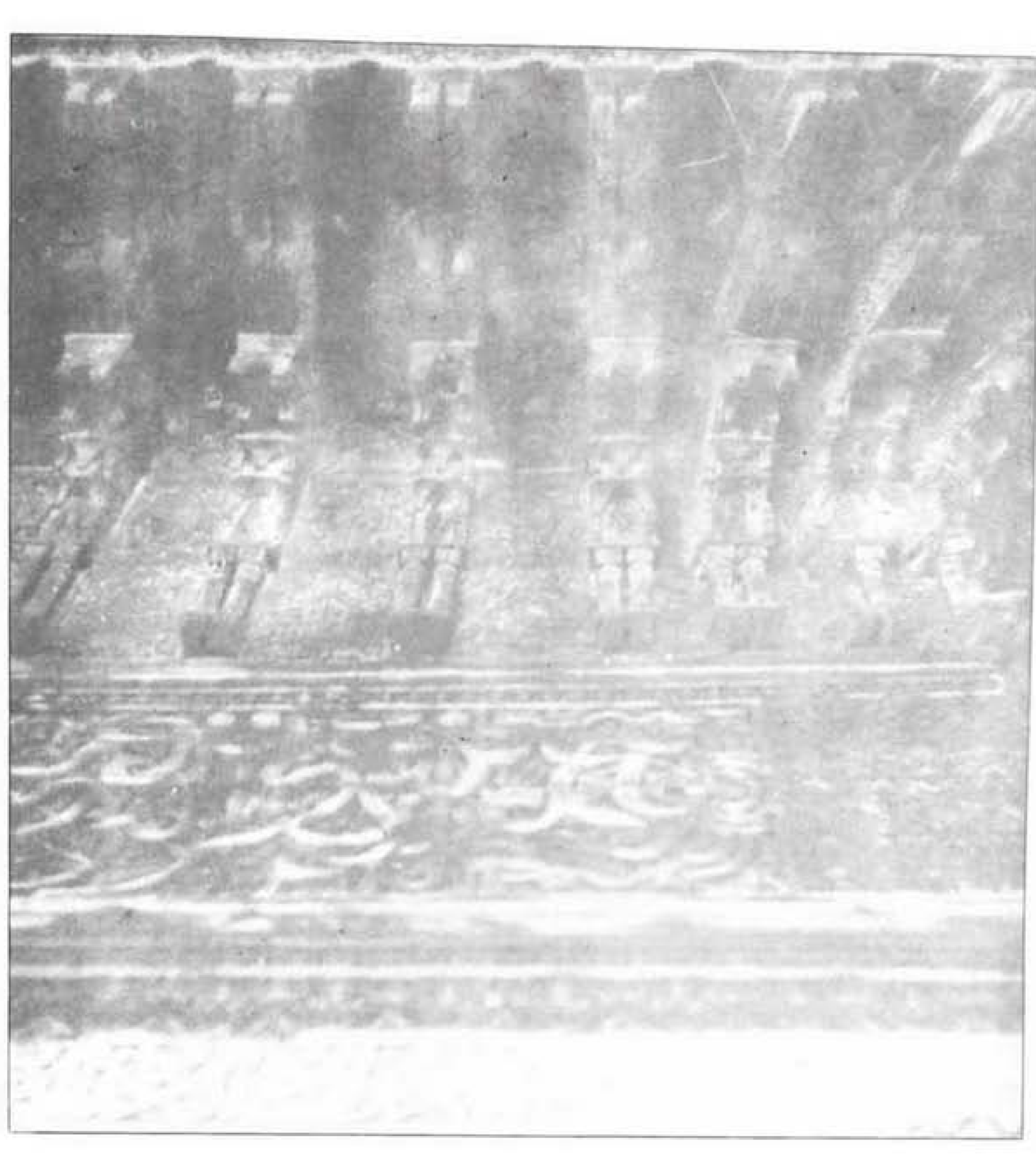
رقم (٢٥٠) ص ٣٣٥
سقف خلوة الاسبوع العليا وقد كان ابداعا في اشكاله الهندسية الرائعة .



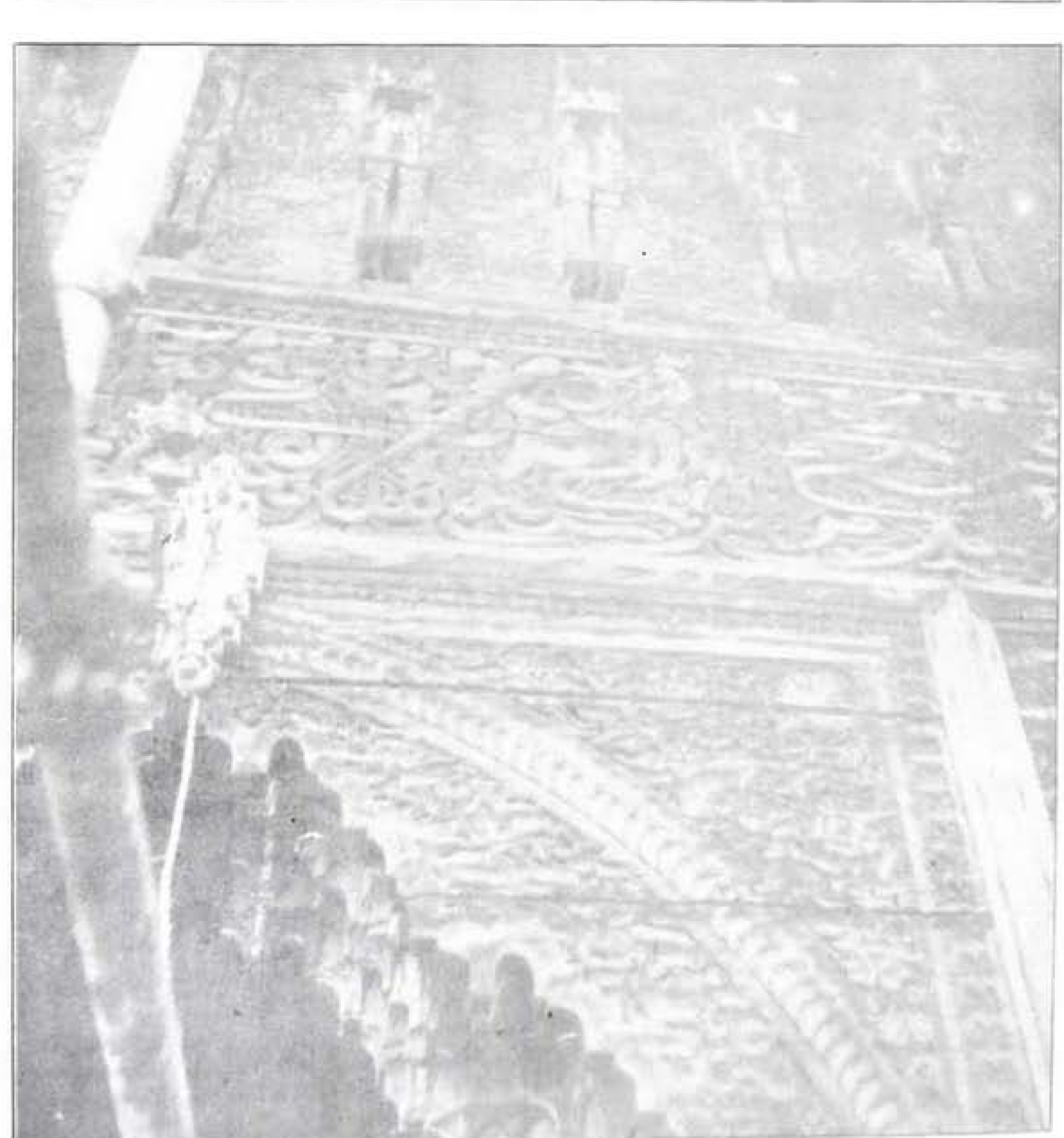
رقم (٢٥١) ص ٣٣٥
ايضا نالت القطع الجبسية حظًّا من النقوش الرائعة ، انها تتمة بيت من الشعر كان يحيط بقوس :
اختم بخيرٍ عملي ٭ قبْل حلول الأجل



رقم (٢٥٢) ص ٣٣٥
جانب من الافاريز الخشبية التي نقشت بالخطّ الكوفي .



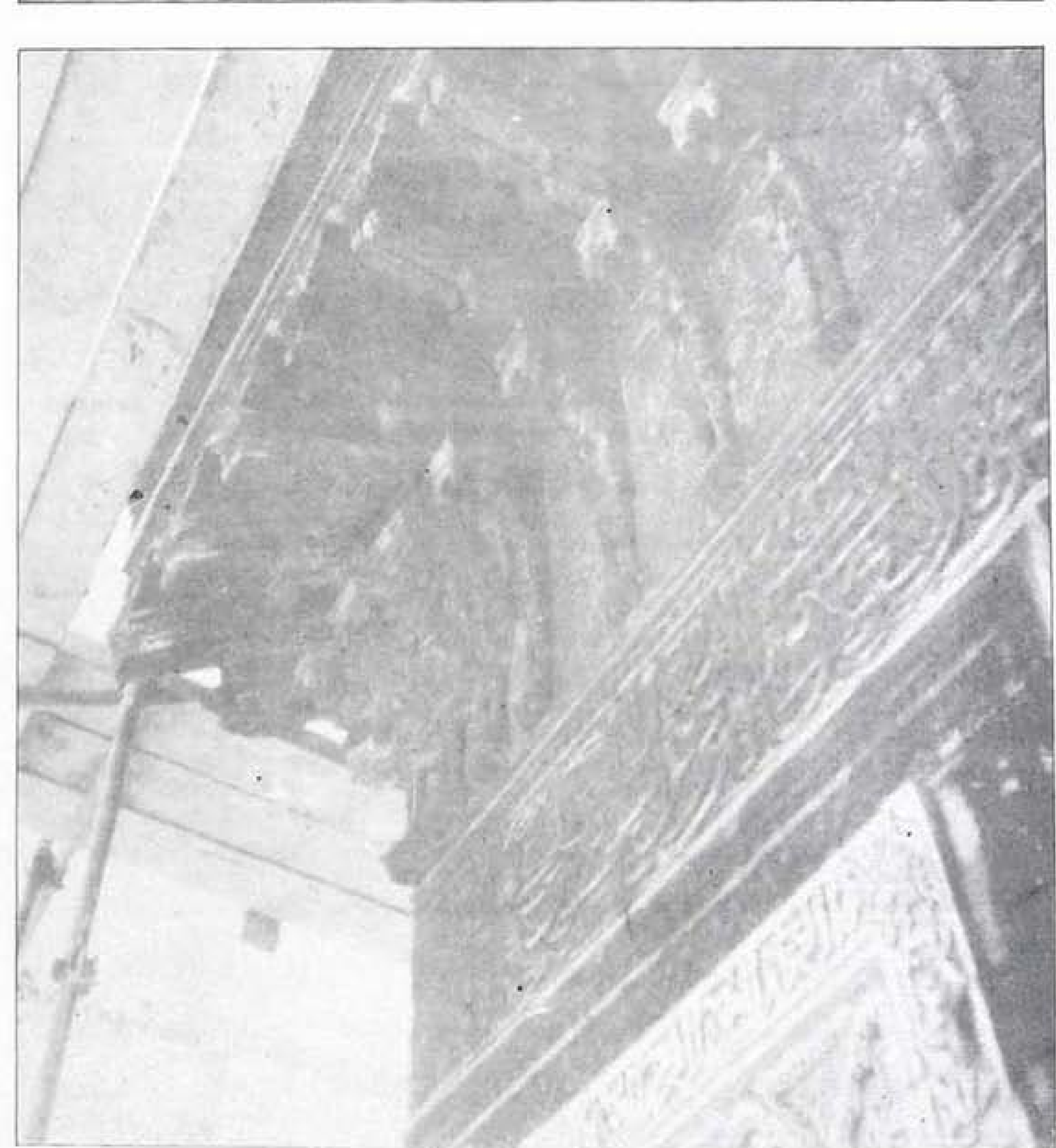
رقم (٢٥٣) ص ٣٣٨
بنى المنصور السعدي قبّة رائعة على الخصة التي عوّض بها الخصّة الحسناء.. وهذا جانب النقوش التي تزدان بها القبة (انظر الى صنعي البديع الوائق).



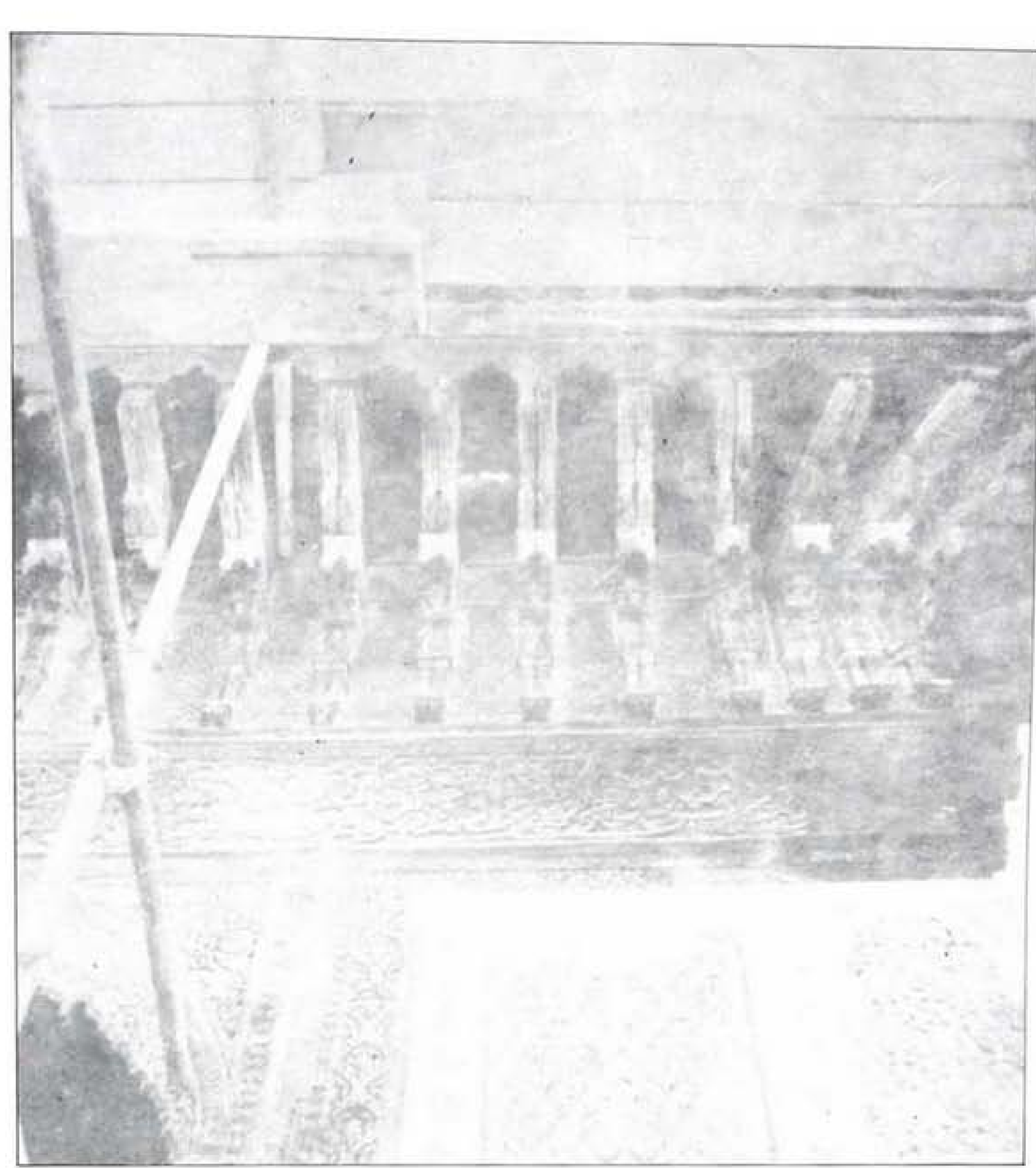
رقم (٢٥٤) ص ٣٣٨
تتمة النقش (البديع الرائق متأملا في منظري الفائق).



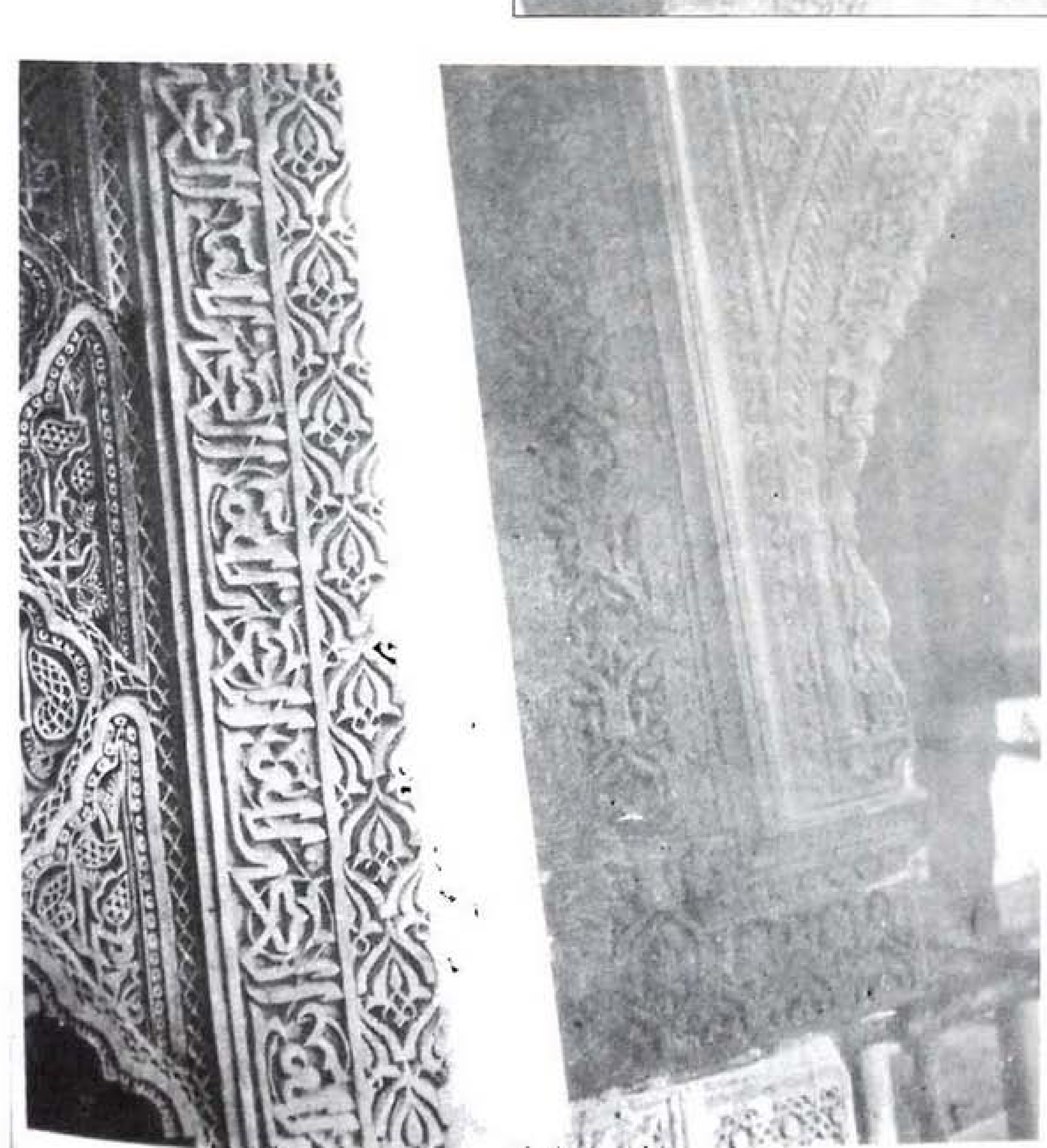
رقم (٢٠٠) ص ٣٣٨
جانب آخر من النقوش على القبّة :
"وارشف حباب زلالي..."



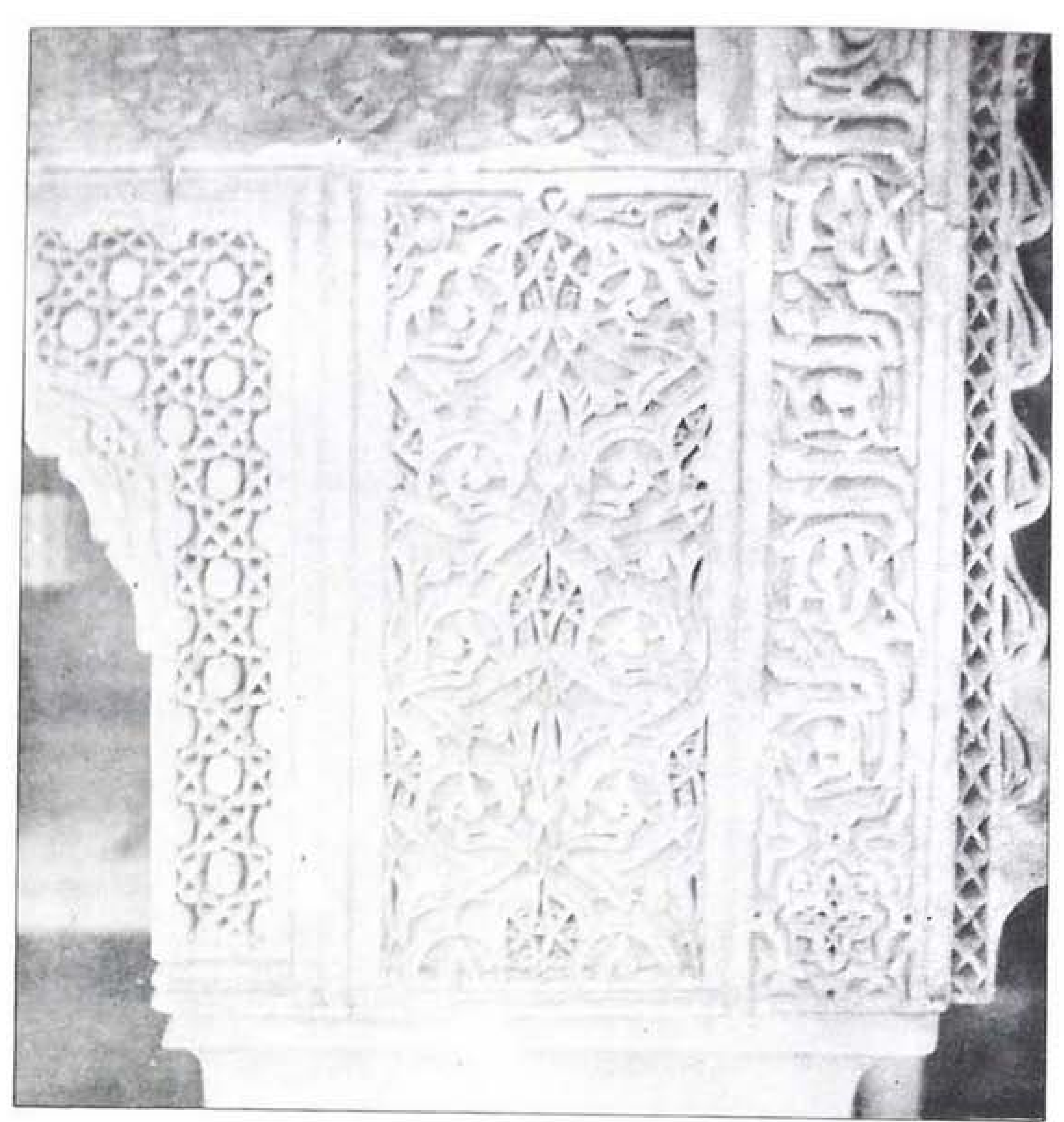
رقم (٢٥٦) ص ٣٣٨
جانب آخر من الاشعار التي نقشت على الخشب.



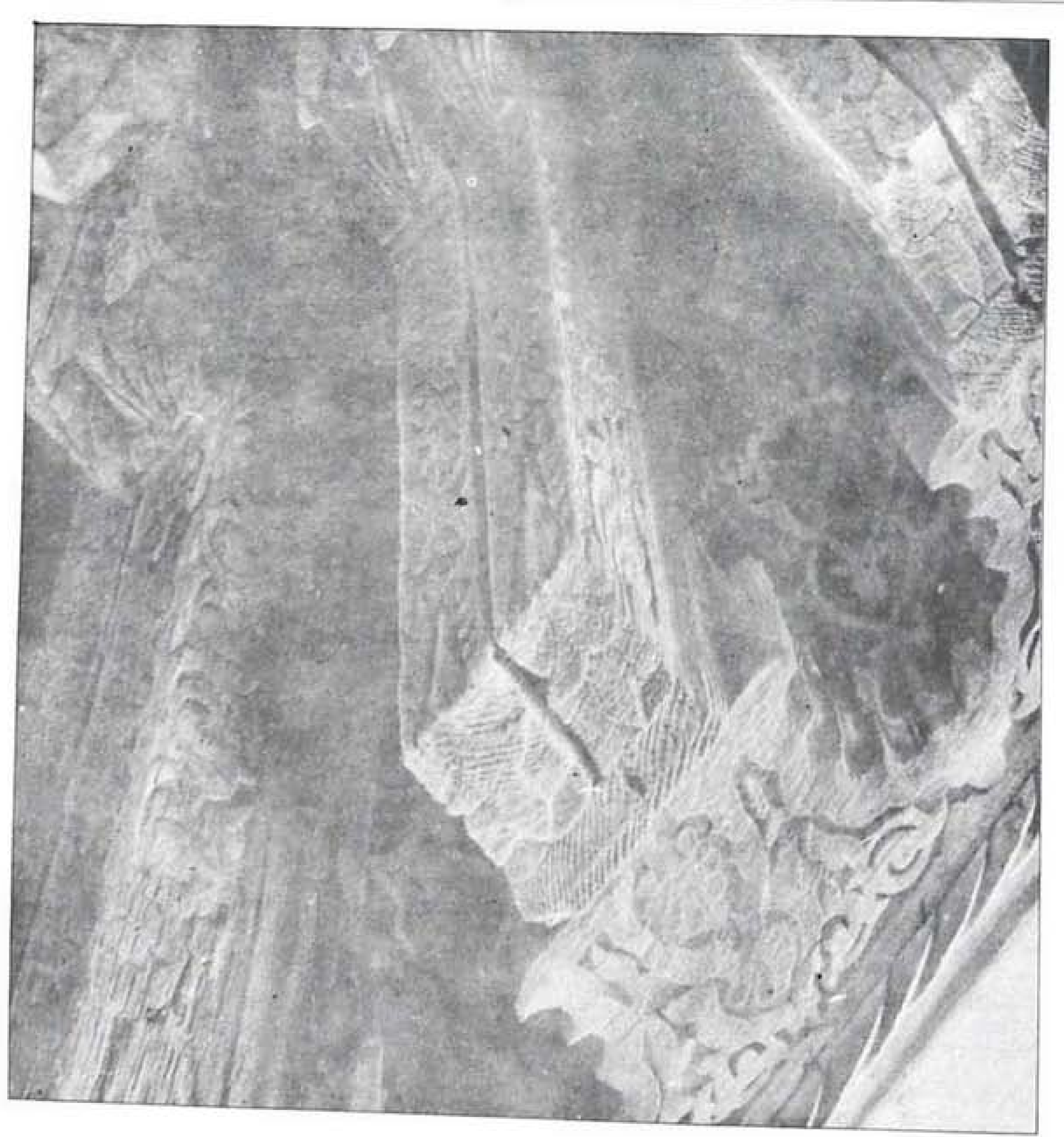
رقم (٢٥٧) ص ٣٣٨
يمكن ان نتبيّن من النقوش هنا :
ابن نبيّ الهدى المنصور ابدعني .



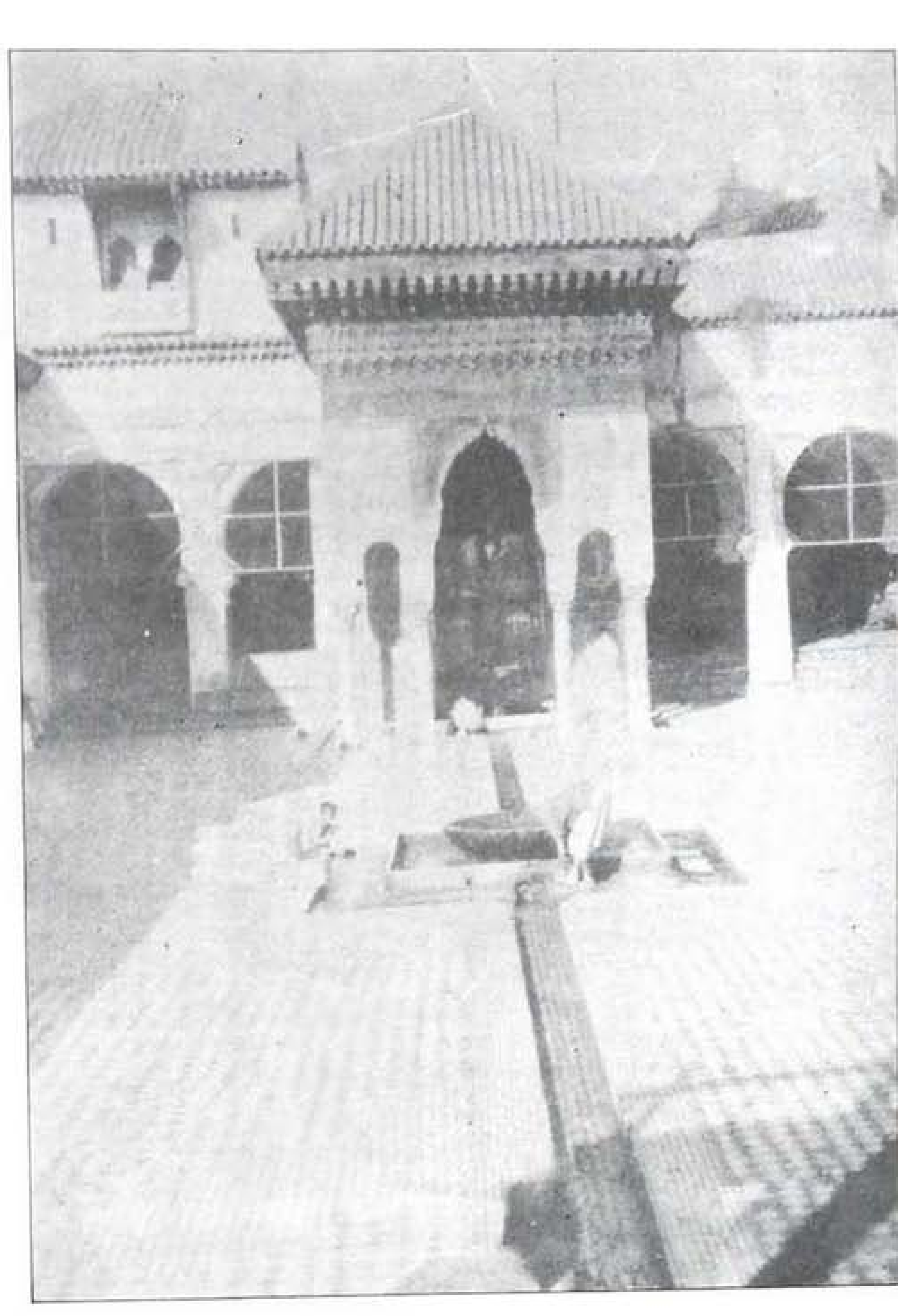
رقم (٢٥٨) ص ٣٣٨
نقشت على الجبس كلمات «العزّلله»



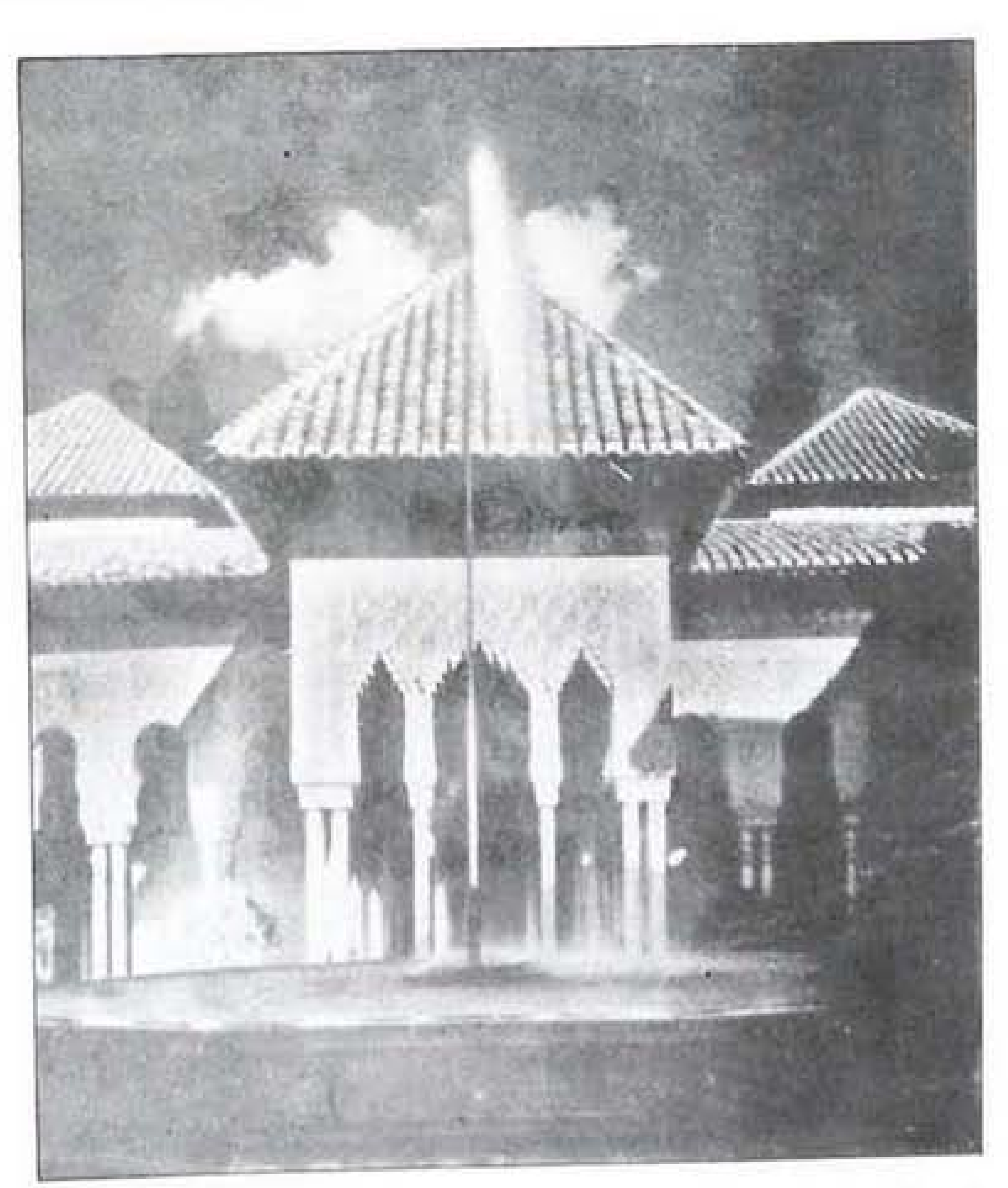
رقم (٢٥٩) ص ٣٣٨
جانب آخر مما نقش على جبس القبة الشرقية .



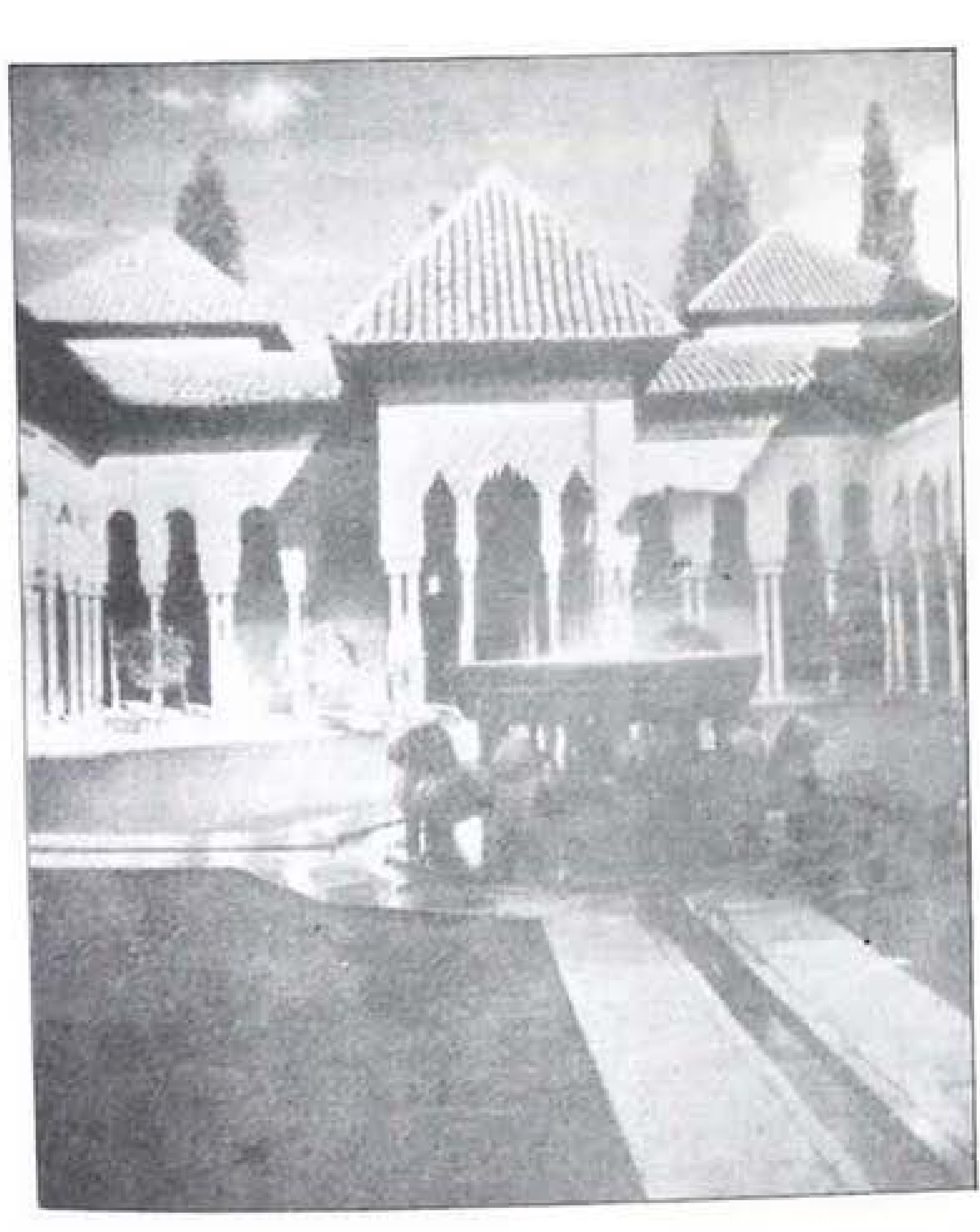
رقم (٢٦٠) ص ٣٣٨
جانب من داخل الظلّة التي شيدت على الخصّة . . .



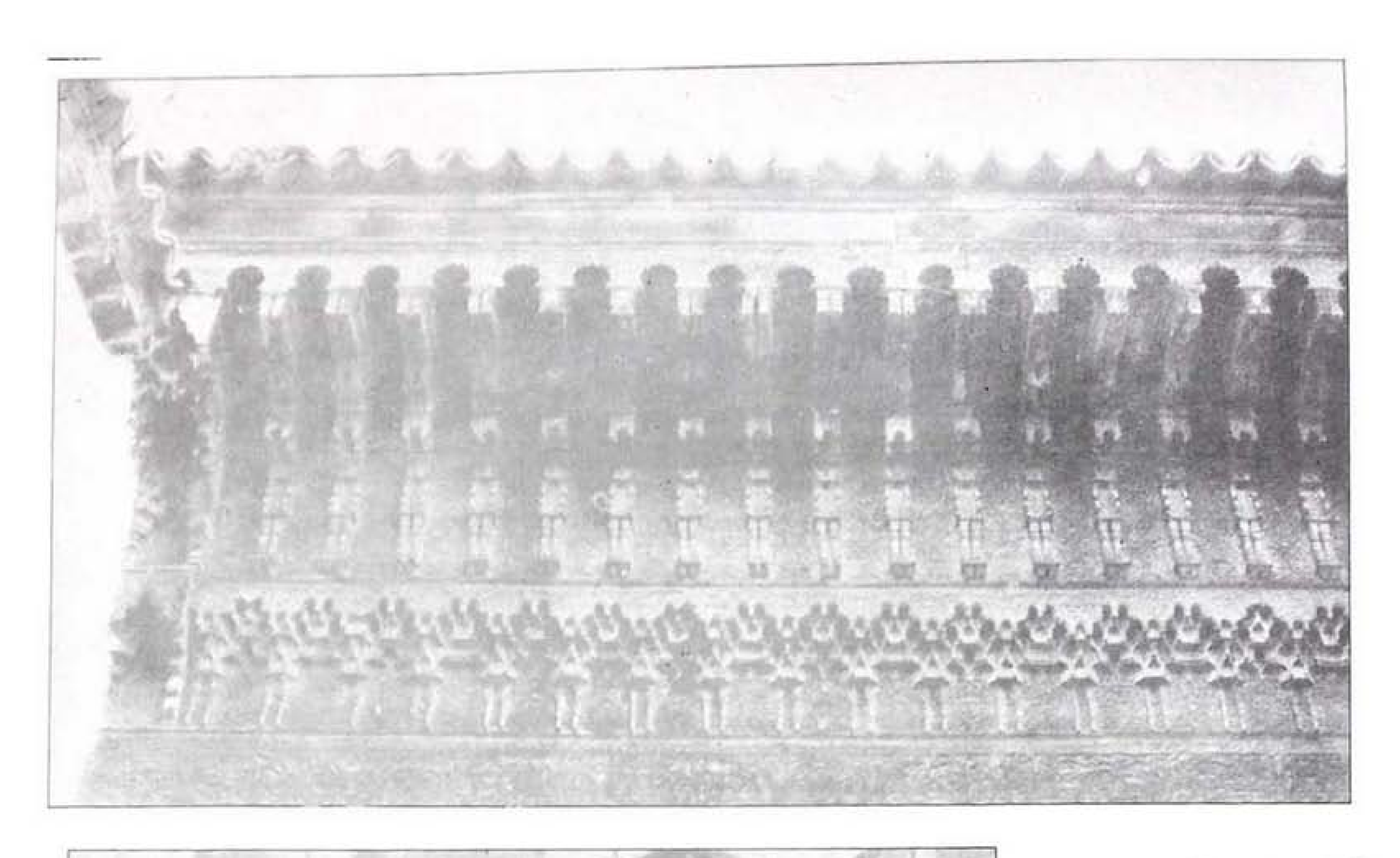
رقم (٢٦١) ص ٣٣٨
نقلت الى صحن القرويين صورة طريفة من الاندلس ، من غرناطة بالذات ، ومن ساحة الاسود . . هذه القبّة الغربية التي بنيت مقابلة للقبة الشرقية . . تقع تحت الصومعة

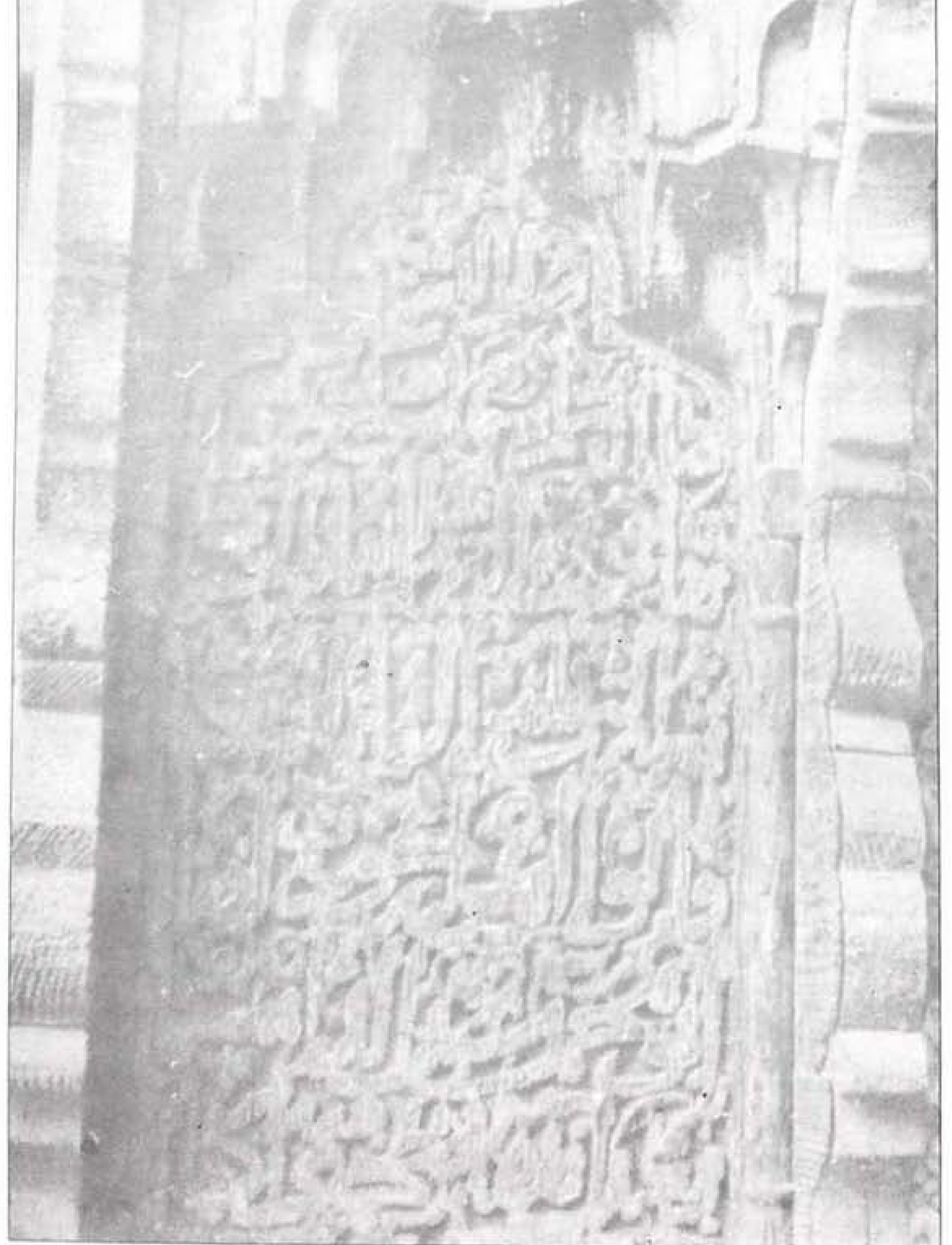


رقم (٢٦٢) ص ٣٣٨
تصميم واحد : ظلتا قصر الحمراء وظلتا خصتي القرويين بفاس .



رقم (٢٦٣) ص ٣٣٨
جانب آخر من ساحة الاسود في غرناطة وهو يشبه جوانب صحن جامع القرويين .



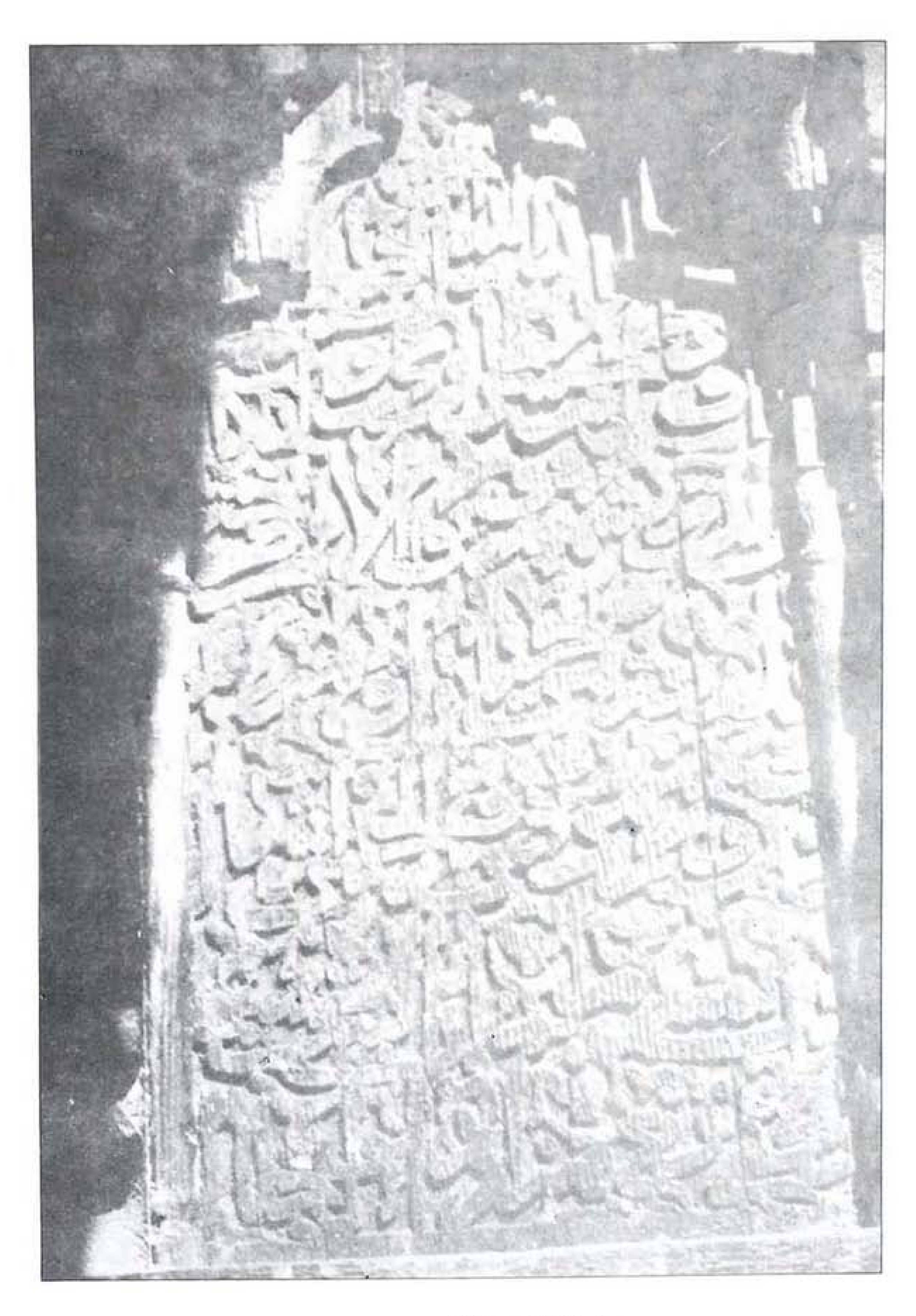


رقم (٢٦٤) ص ٣٣٨

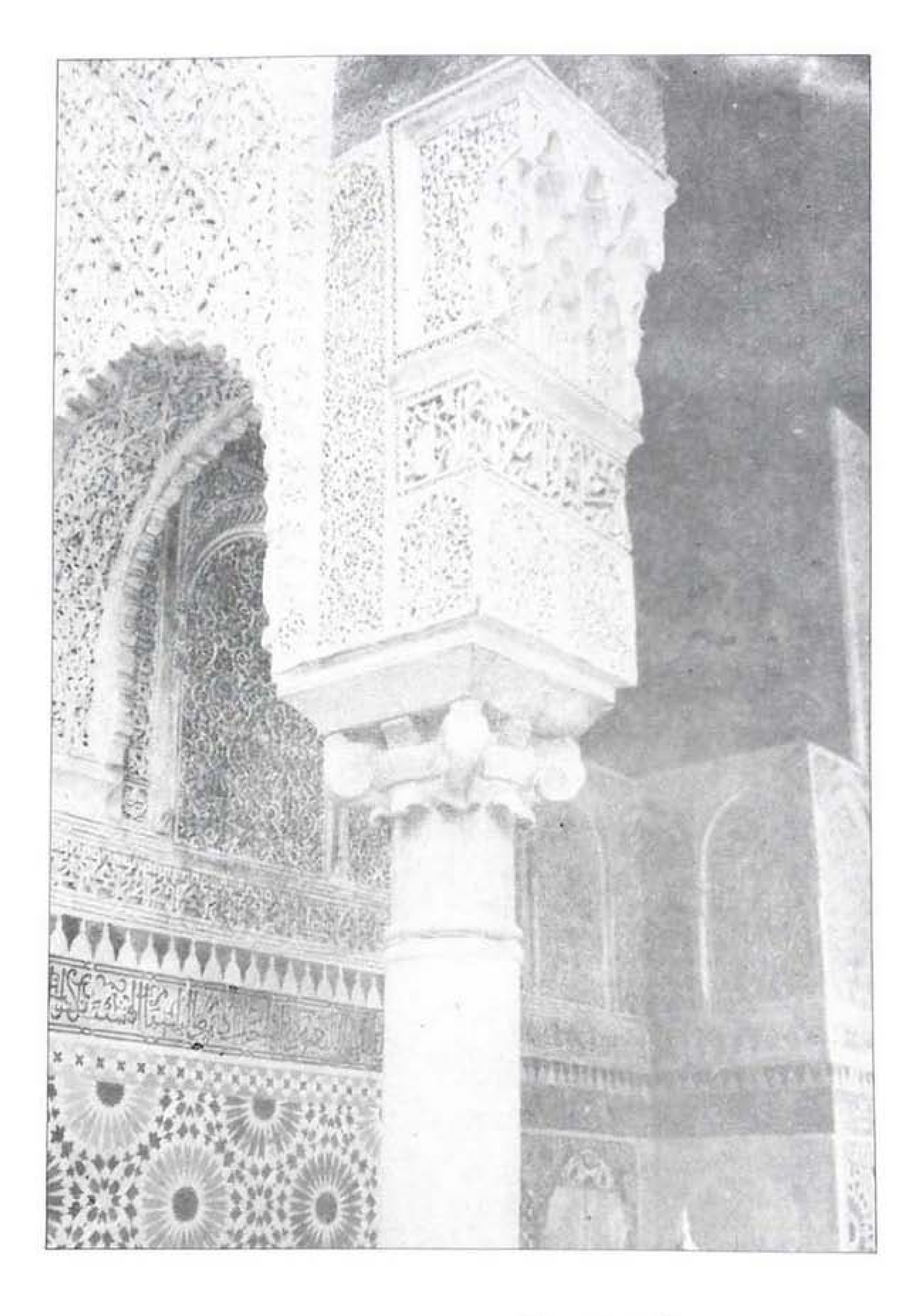
جانب من اعالي الظلّة الغربية التي تغطي الخصة السعدية .

رقم (٢٦٥) ص ٣٣٩

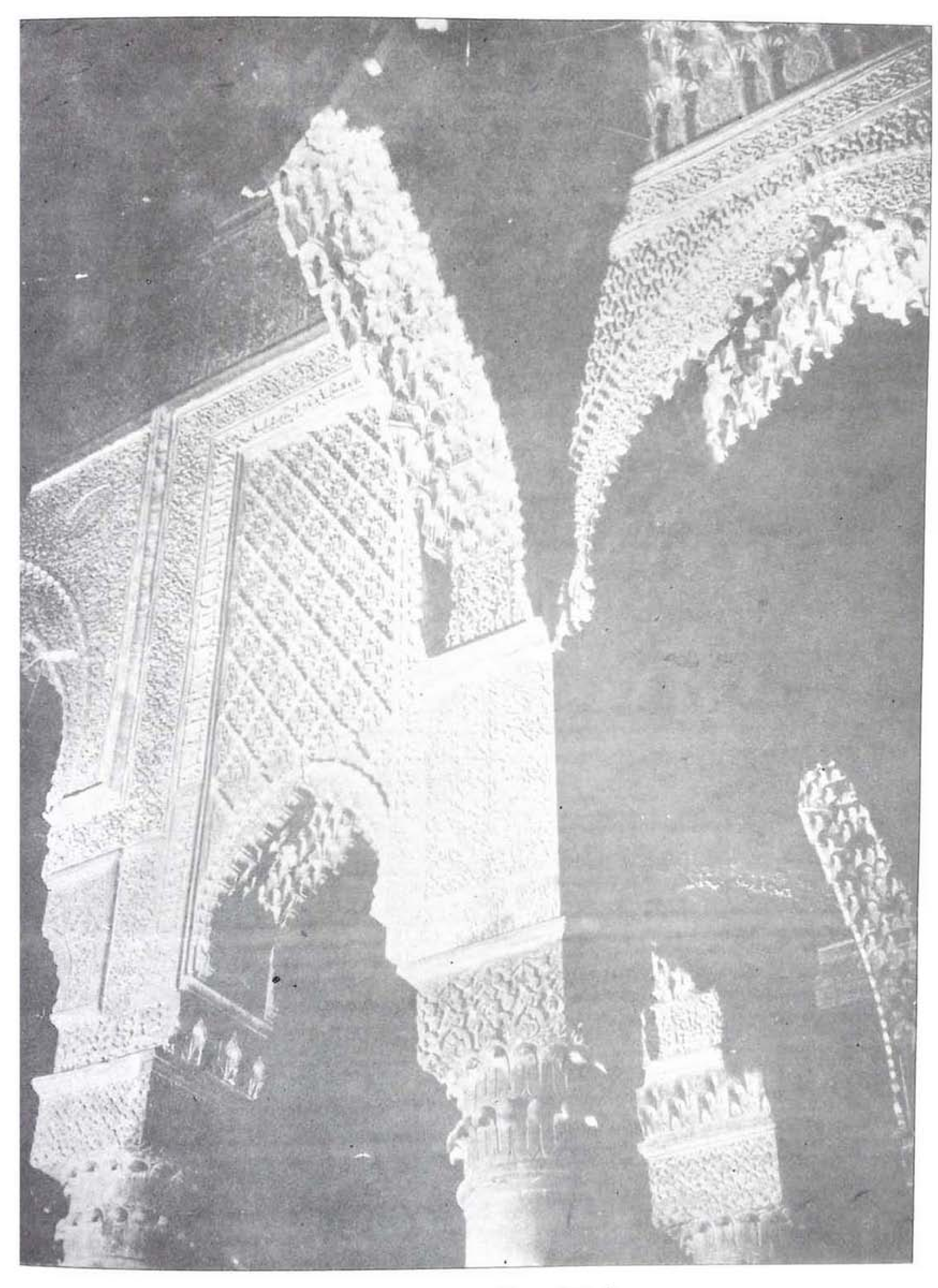
على القبة الغربية في القوس المواجه للقبة الشرقية توجد لوحتان متقابلتان نقش عليهما ما يشبه ان يكون قطعة شعرية لامية هذه هي اللوحة الاولى تبتدئ هكذا : صلى الله على محمد .



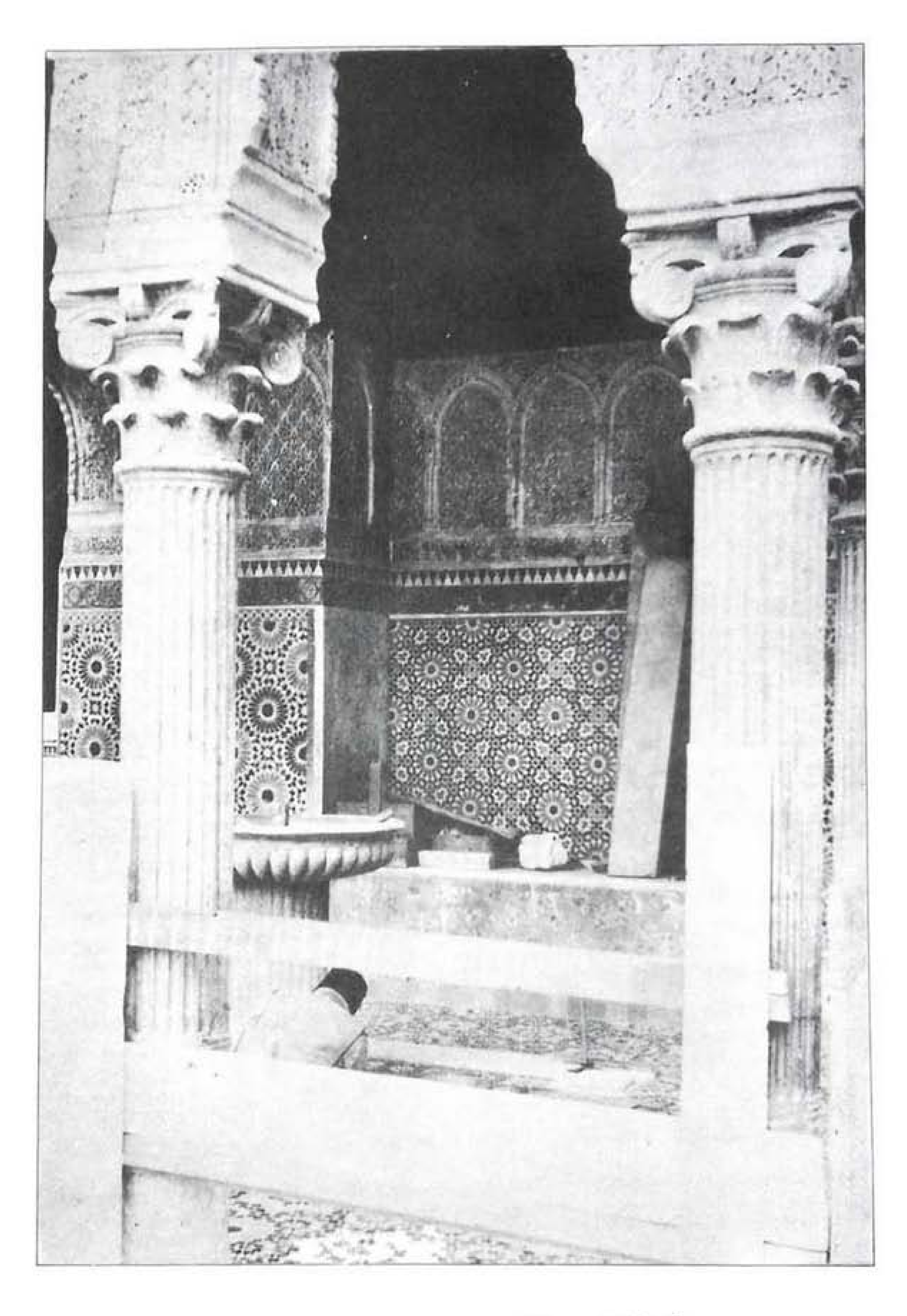
رقم (٢٦٦) ص ٣٣٩
اللوحة الثانية التي توجد بقوس القبة الغربية ونمكن قراءة (في الحسن اشكال).



رقم (٢٦٧) ص ٣٤٠
جانب بديع من القبة الغربية التي انشأها السعديون .



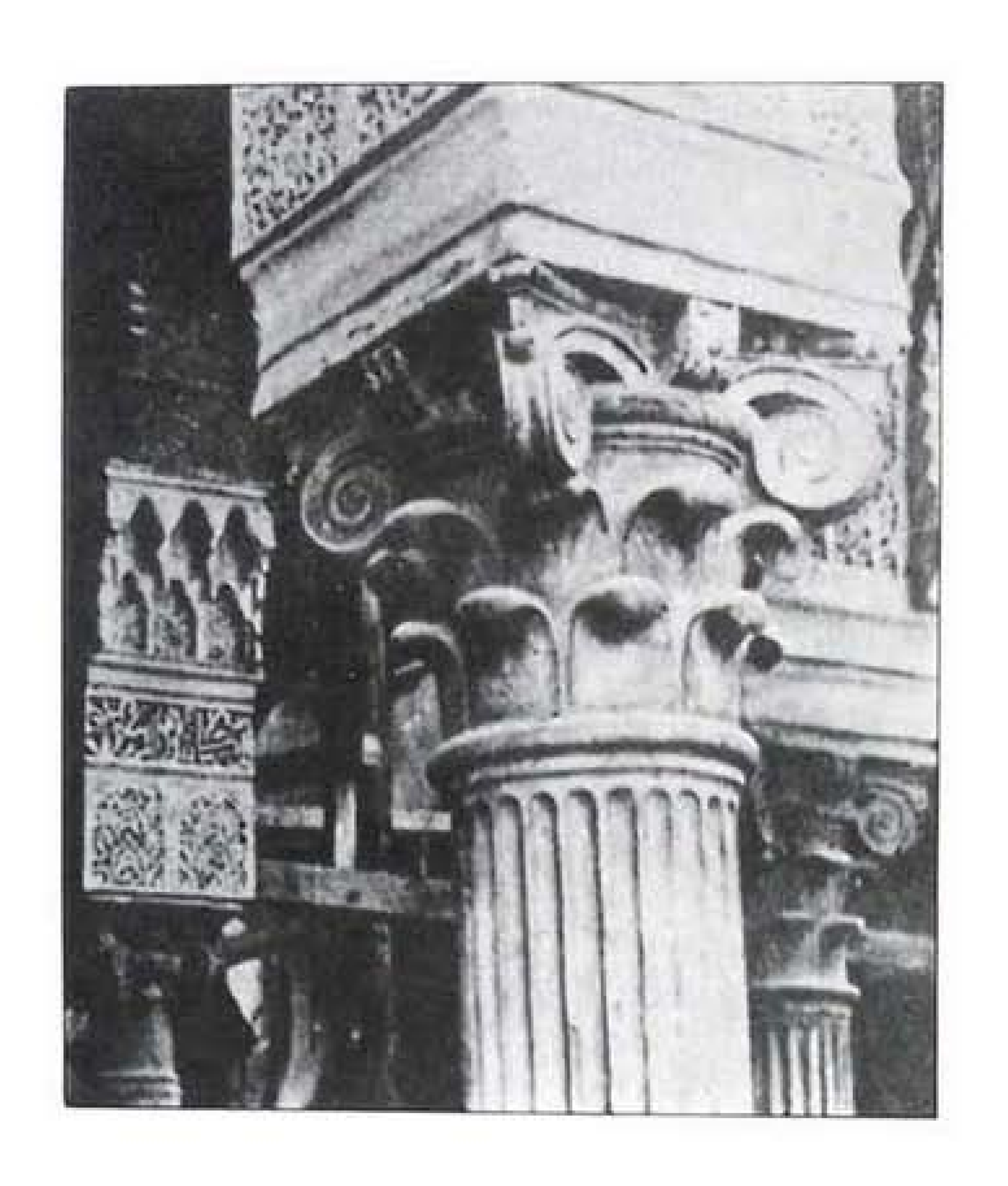
رقم (٢٦٨) ص ٣٤٠
مقبرة السعديين بمدينة مراكش كانت تنزع الى قبة القرويين .



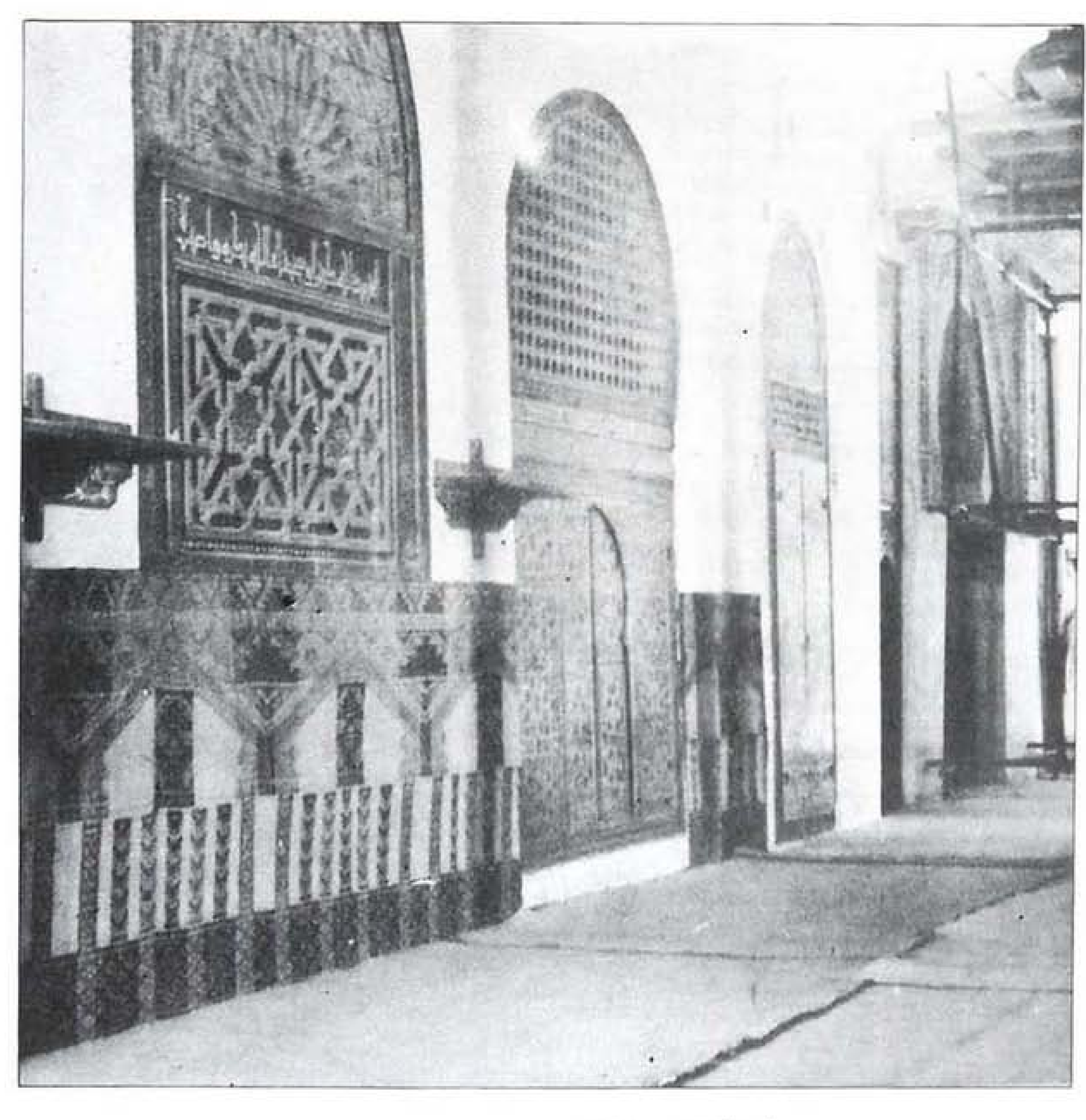
رقم (٢٦٩) ص ٣٤٠
سواري القبة الغربية كانت احدث صنعا من القبة الشرقية .




رقم (٢٧٠) ص ٣٤٠
بالرغم من ان سواري القبة الغربية حديثة لكن تيجان هذه السارية والتي تقابلها تحمل تاريخ ٧٤٥ واسم السلطان ابي الحسن علي بن ابي سعيد ؟



رقم (٢٧١) ص ٣٤٠
اكاليل سارية جلبت من ايطاليا .

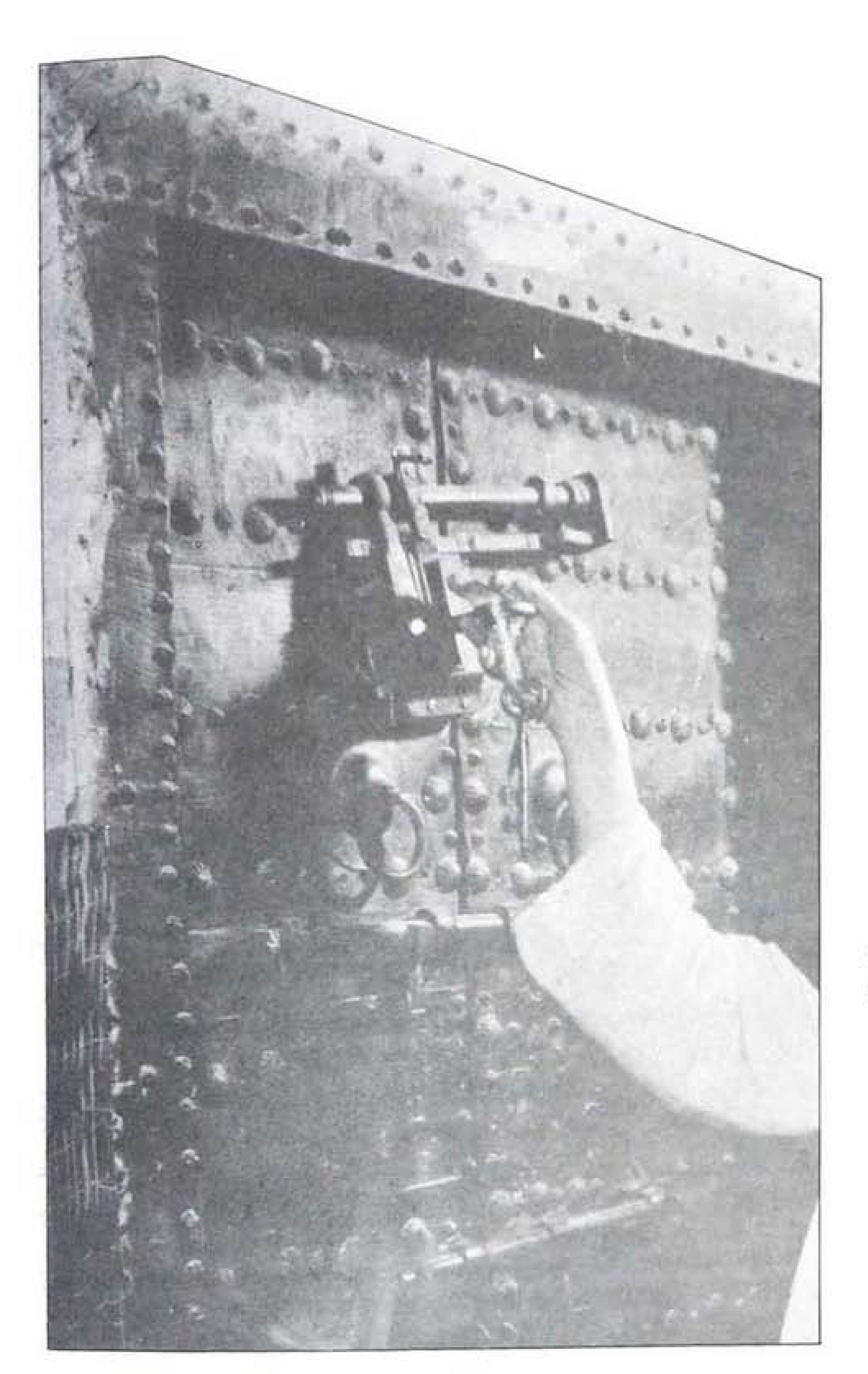


رقم (٢٧٢) ص ٣٤١
اسس احمد المنصور السعدي خزانة علمية سنة ١٠١٠ لتعزز الخزانة التي كان انشأها بنو مرين ويجري باب الخزانة الاحمدية وسطا . . .



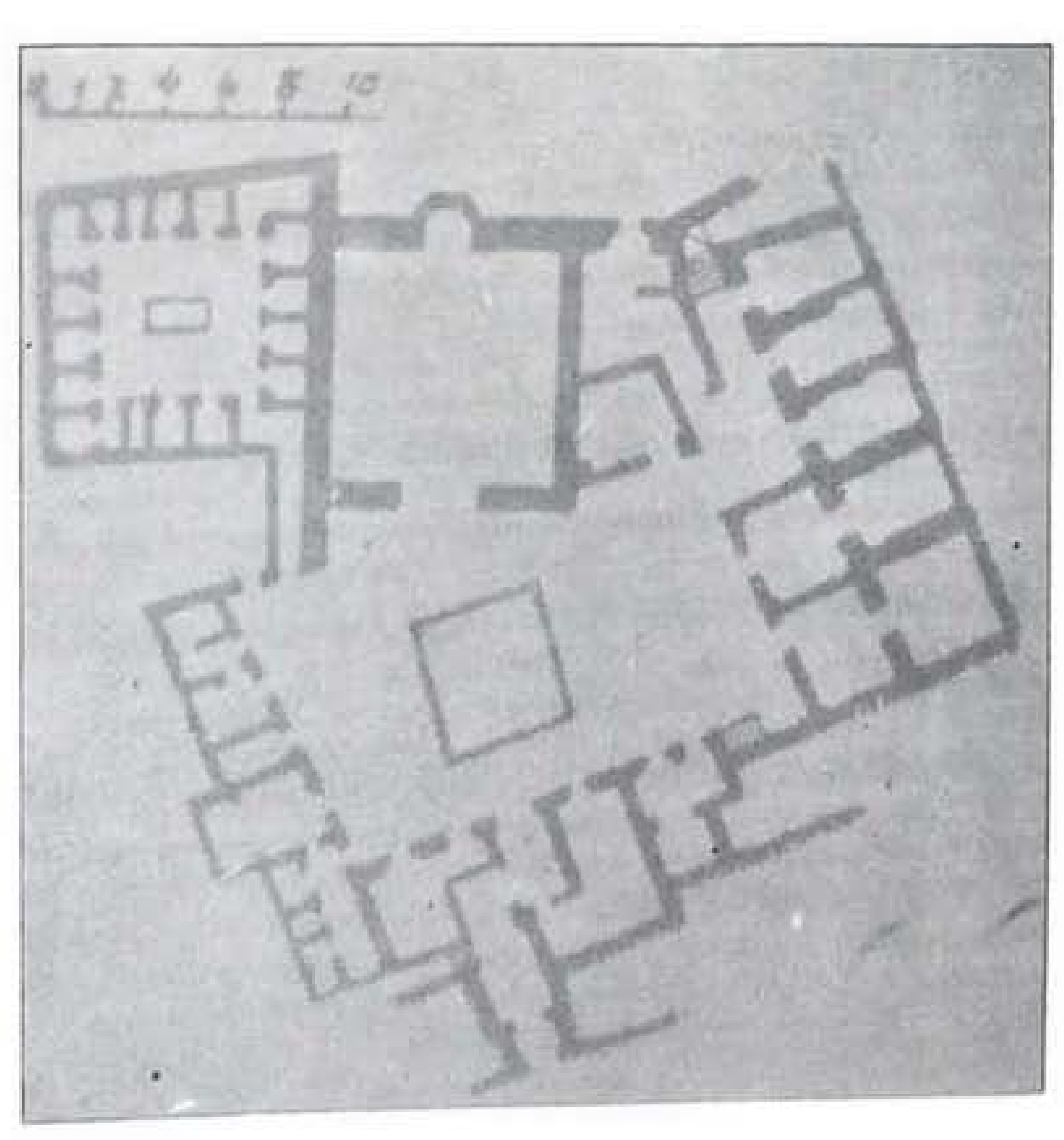
رقم (٢٧٣) ص ٣٤١
باب حريم الخزانة الاحمدية كما يرى من قرب وقد استغنى عنه.

رقم (٢٧٤) ص ٣٤١
احدى النوافذ القديمة التي كانت تدخل الضوءلحريم الخزانة الاحمدية وقد الغيث منذ زمان..



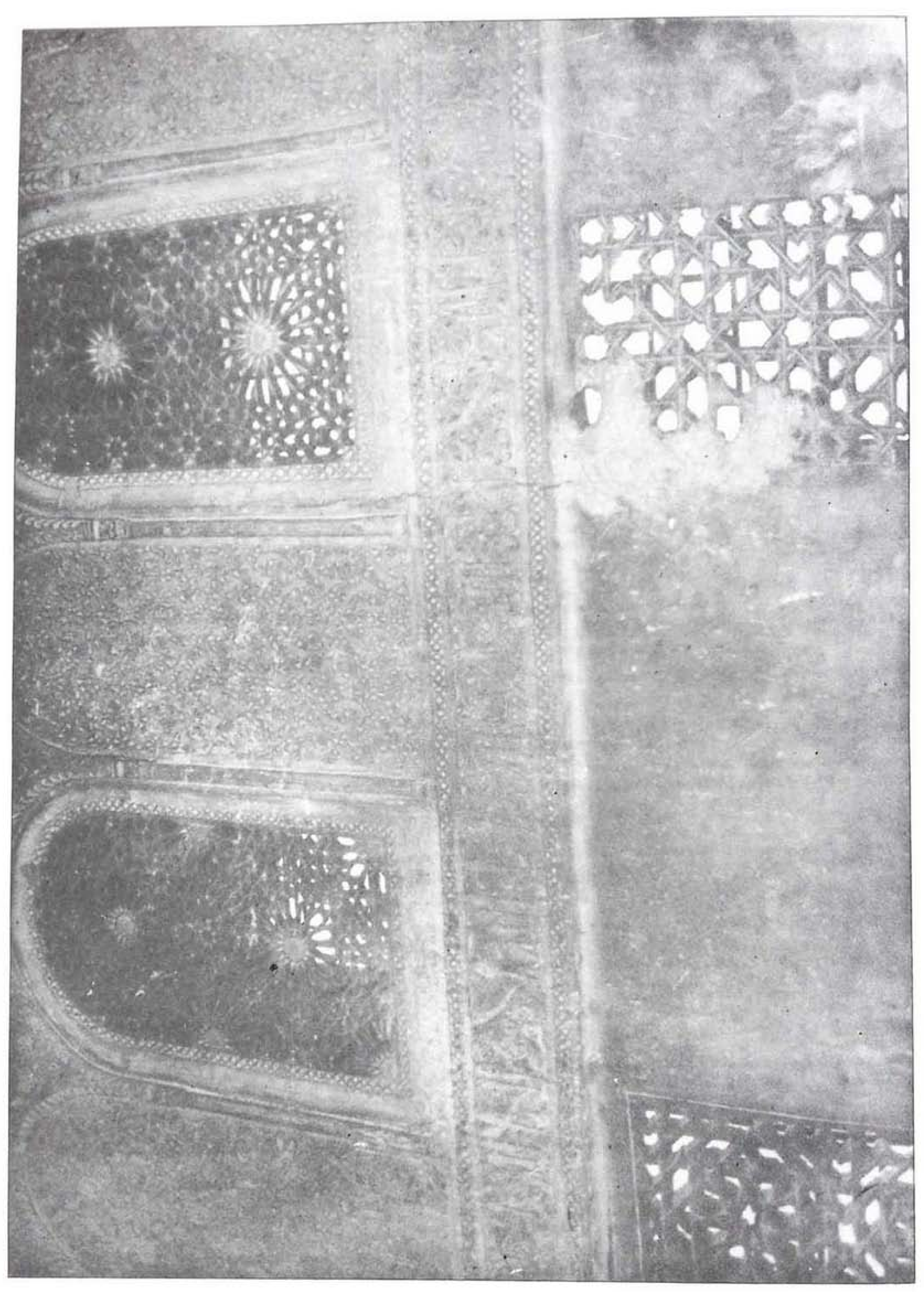
رقم (٢٧٥) ص ٣٤١

بعد حريم الخزانة نجد باب الخزانة الحديدي الذي يؤدي لمستودع المخطوطات ، انه من اربعة اقفال ؛ كل قفل بيد عون من الاعوان ، فلا يفتح الا بحضورهم جميعهم .



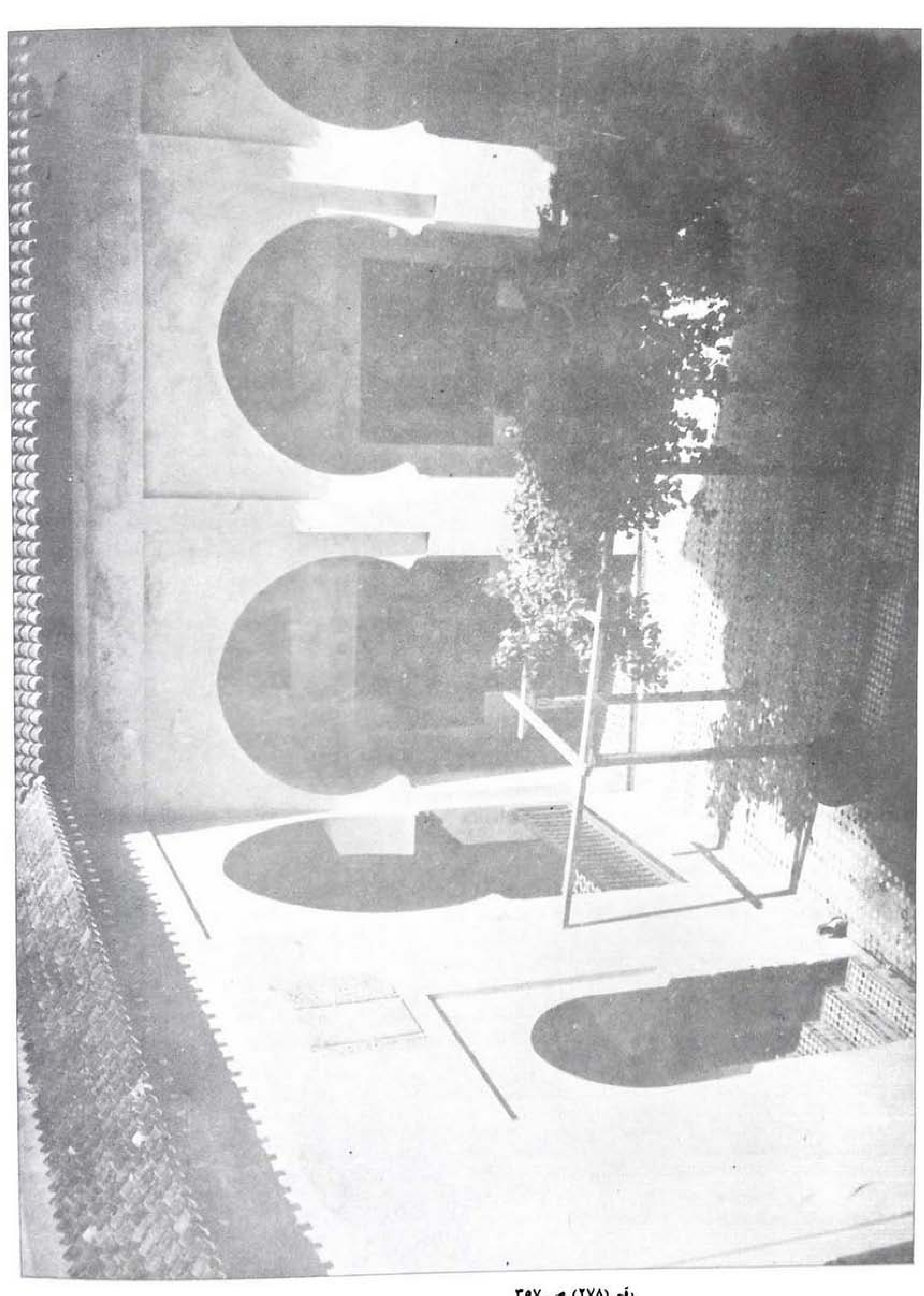
رقم (٢٧٦) ص ٣٤١

داخل الخزانة الاحمدية . . النوافذ الفوقية تدخل الهواء والشمس لحفظ المخطوطات .

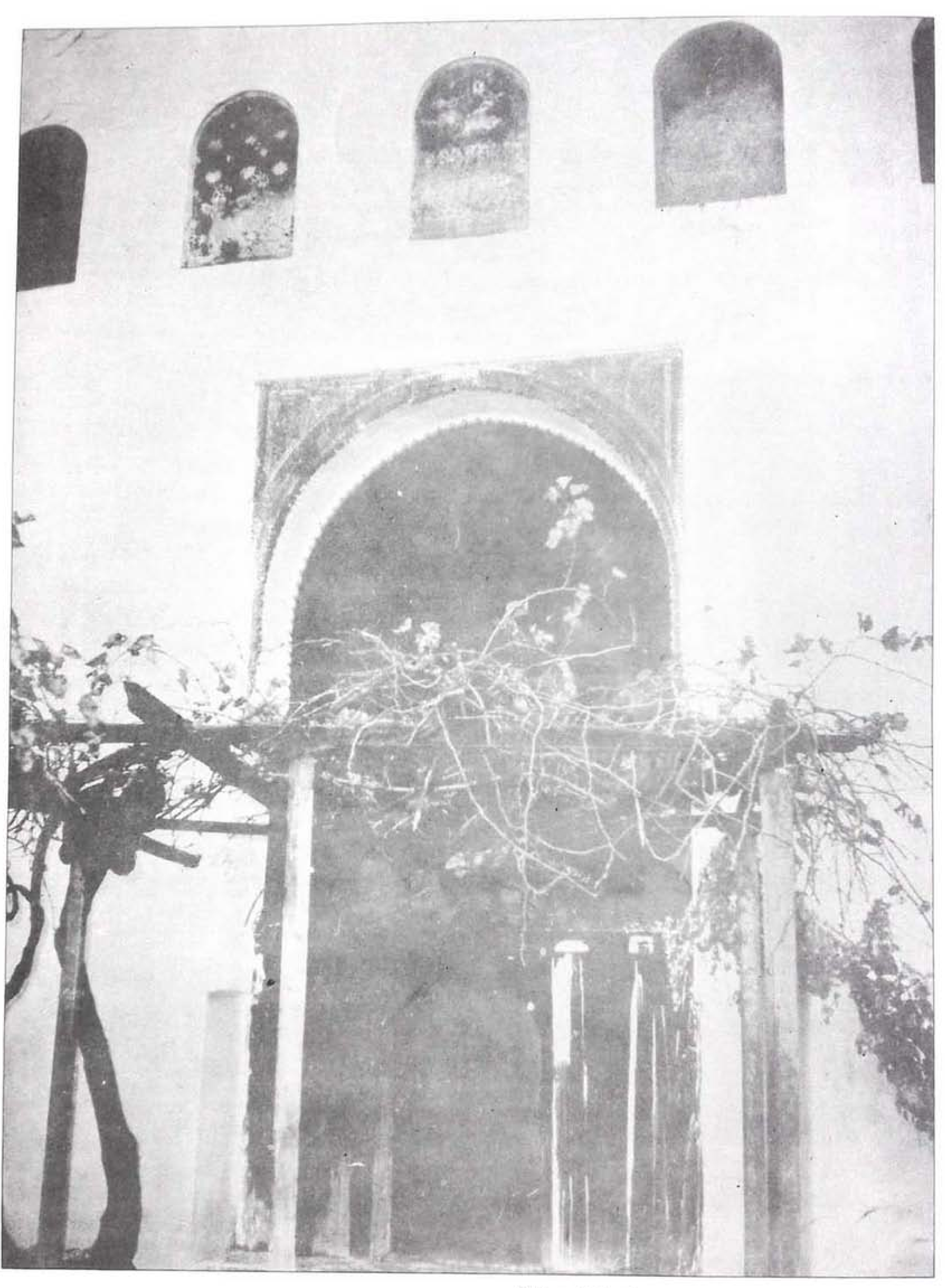


رقم (٢٧٧) ص ٣٥٧


تصميم مدرسة الحلفاوين كما يخططه مارسى : صهريج وسط الفناء وقاعة الدرس والصلاة قبالة الباب بينما دار الوضوء عن يسار القاعة .



رقم (٢٧٨) ص ٣٥٧
فناء مدرسة الحلفاويين (الصفّارين) بعد الاصلاحات الاخيرة.



رقم (٢٧٩) ص ٣٥٧
باب قاعة الدرس والصلاة وهي تقع قبالة الباب .



رقم (٢٨٠) ص ٣٥٧

صورة لحجرة صغيرة مغروسة في جدار قرب قاعة الصلاة بمدرسة الصفارين يقال انها جلبت من البقاع المقدسة وكانت متمماً للشيخ الجزولي .

رقم (٢٨١) ص ٣٥٧

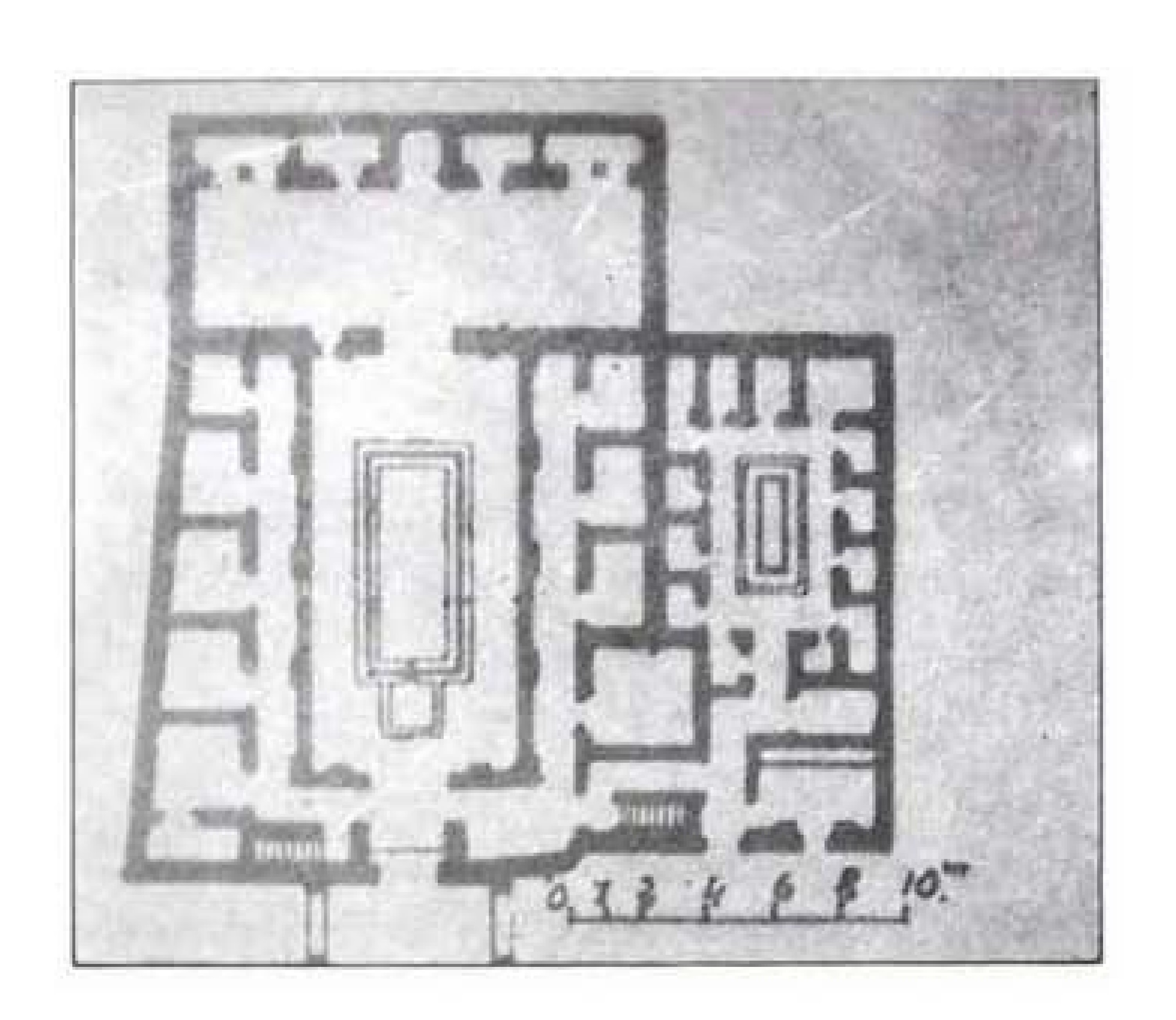
البيت الذي كان يقيم فيه الشيخ الجزولي من مدرسة الحلفاويين والذي الف فيه كتابه دلائل الخيرات



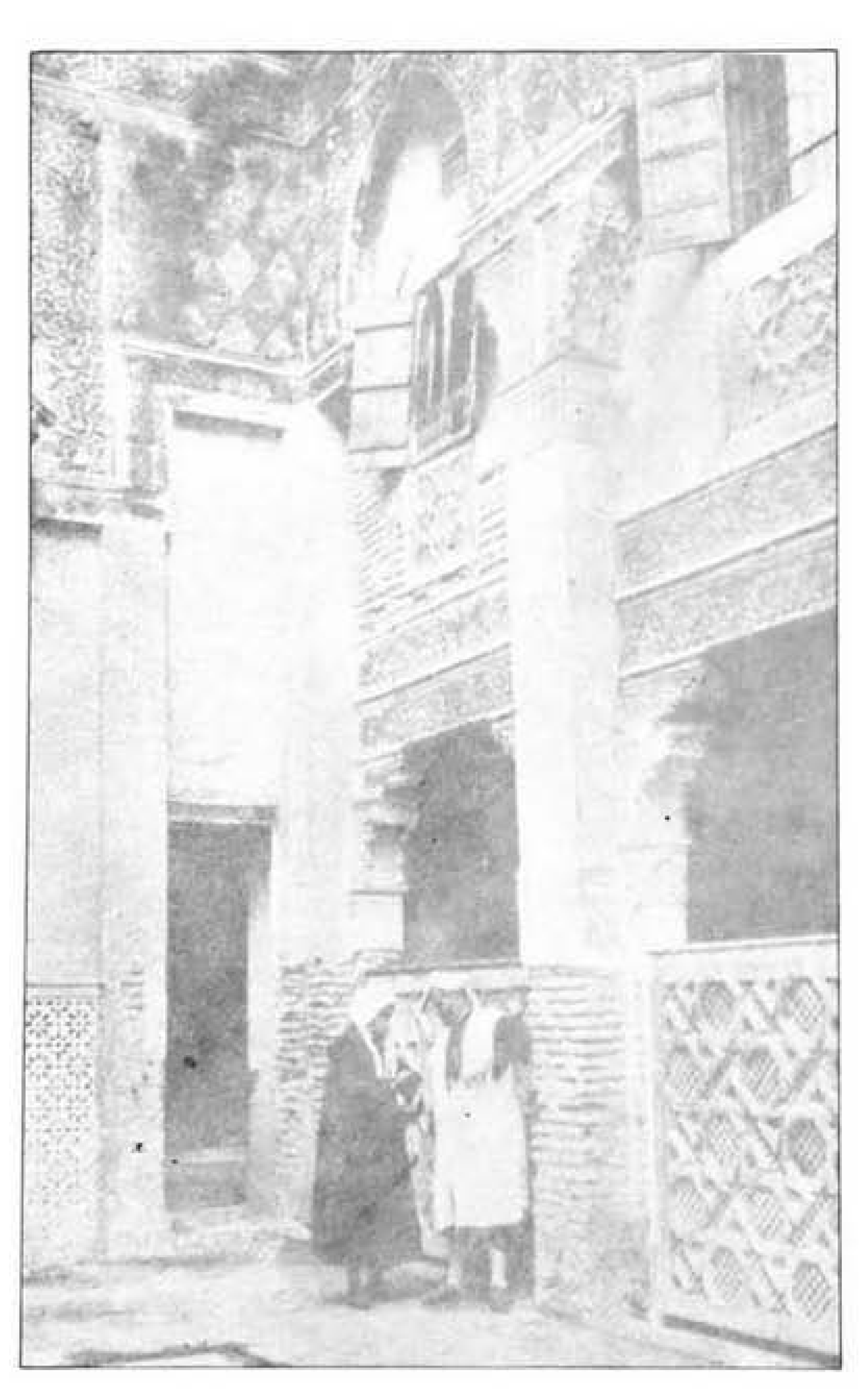
رقم (٢٨٢) ص ٣٥٨
صحن المدرسة التي انشأها السلطان ابو سعيد بفاس الجديد
عام ٧٢٠ بالرغم من انها بعيدة عن القرويين لكنها تعتبر فرعا من فروعها .

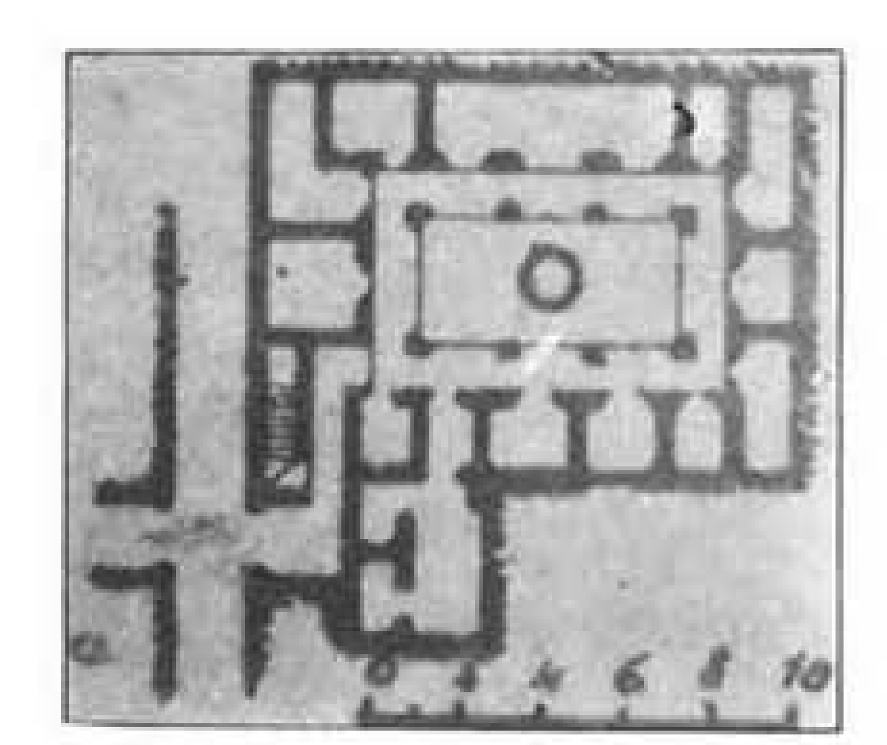


رقم (٢٨٣) ص ٣٥٨
رخامة لائحة العقارات الموقوفة على مدرسة ابي سعيد بفاس الجديد ، لقد نقش عليها ان تلك الاوقاف حبست « على تدريس العلم بالمدرسة » .



رقم (٢٨٤) ص ٣٥٨
تصميم مدرسة الصهريج بعدوة الاندلس . ويرى اثر الصهريج وسط فناء المدرسة . . .



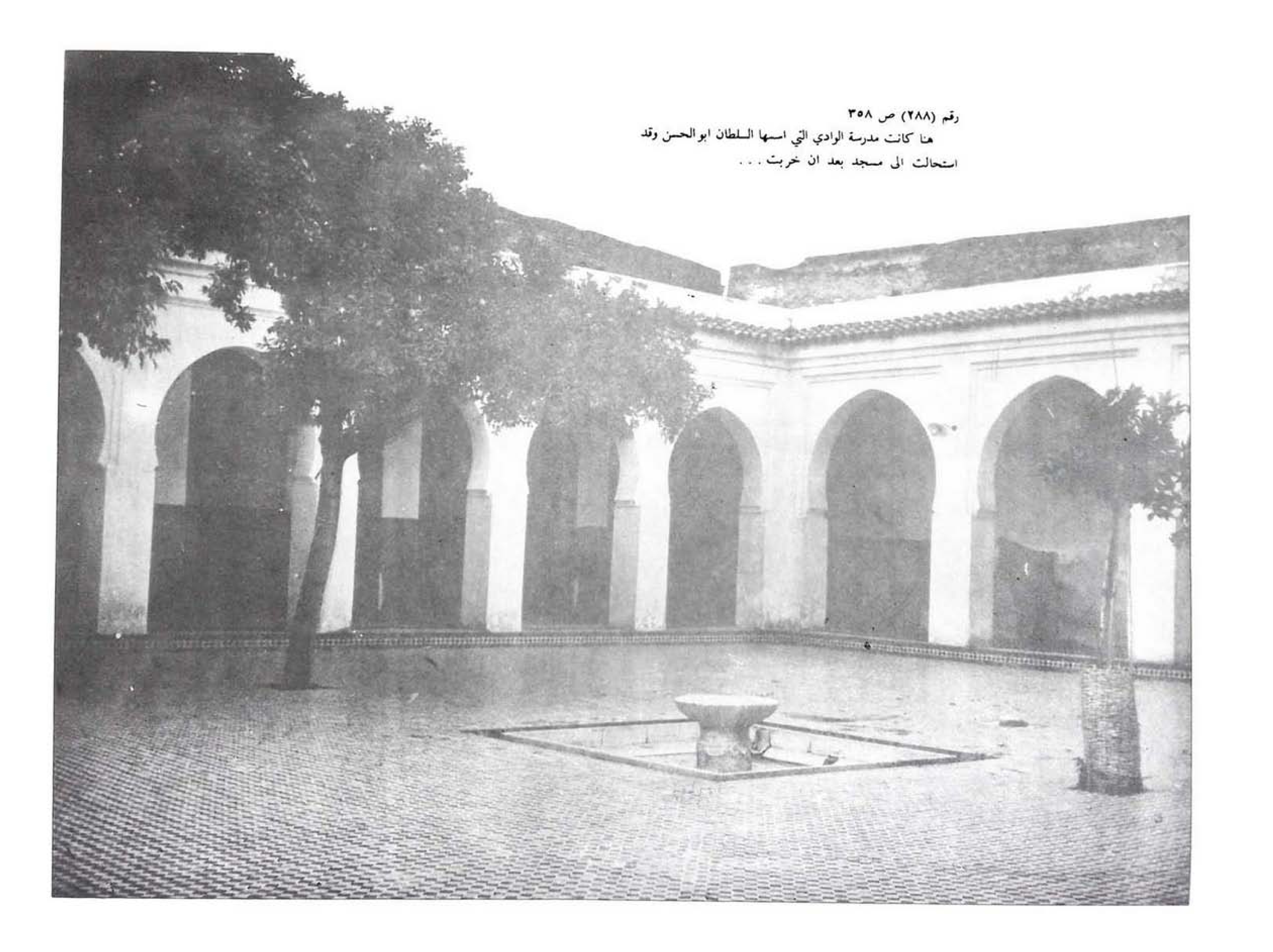


رقم (٢٨٥) ص ٣٥٨
جانب من فناء مدرسة الصهريج حيث وقف طالبان يتحدثان بعضهما الى البعض الآخر . .

رقم (٢٨٦) ص ٣٥٨
تصميم مدرسة السبعين التي تقع بلصق مدرسة الصهريج يدخل اليها من درب مجاور لجامع الاندلس .



رقم (٢٨٧) ص ٣٥٨
احدى الصور المنقوشة بمدرسة السبعين يرى في الوسط رسم لاحدى الزهور...

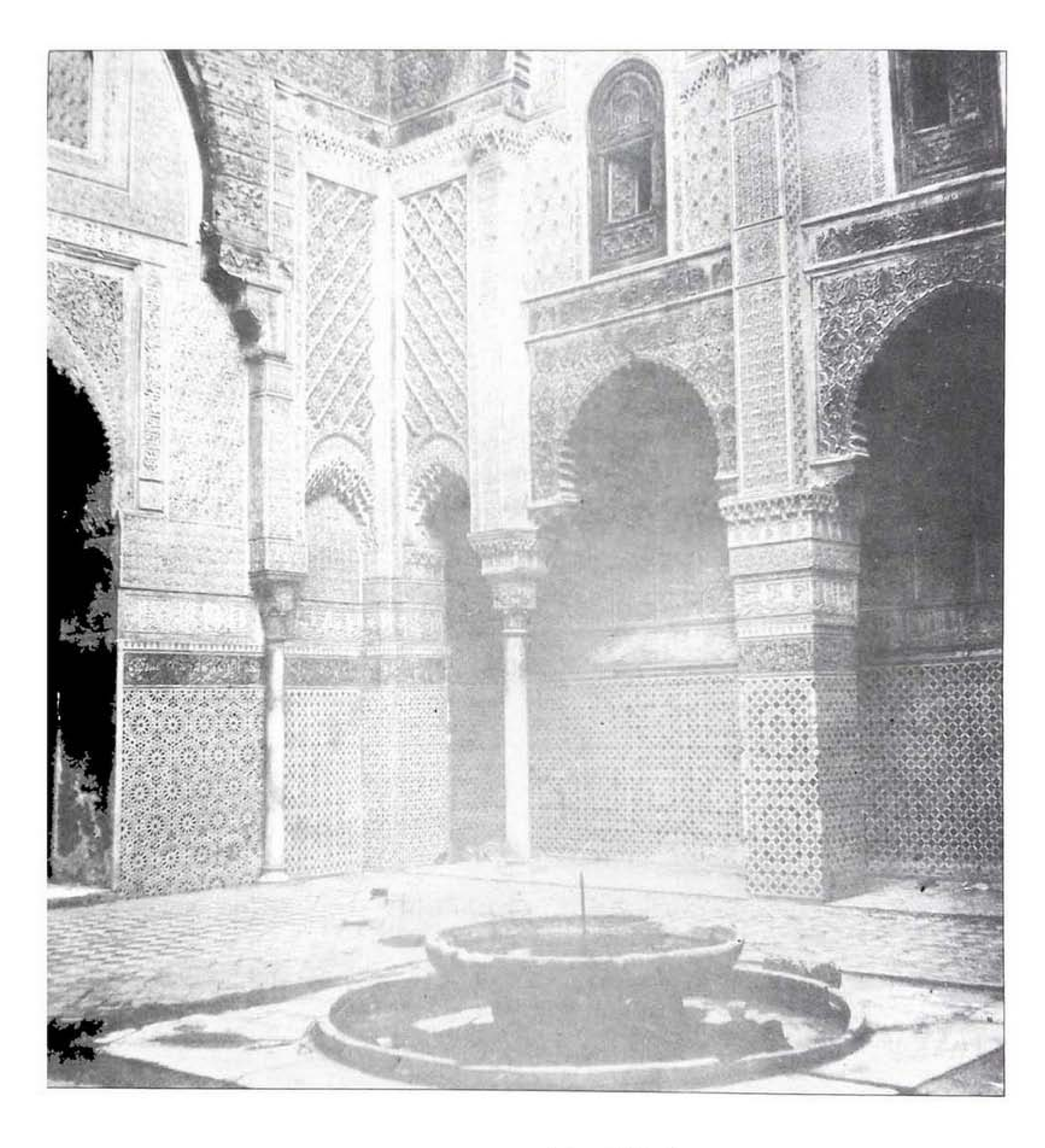


رقم (٢٨٨) ص ٣٥٨
هنا كانت مدرسة الوادي التي اسسها السلطان ابو الحسن وقد
استحالت الى مسجد بعد ان خربت . . .

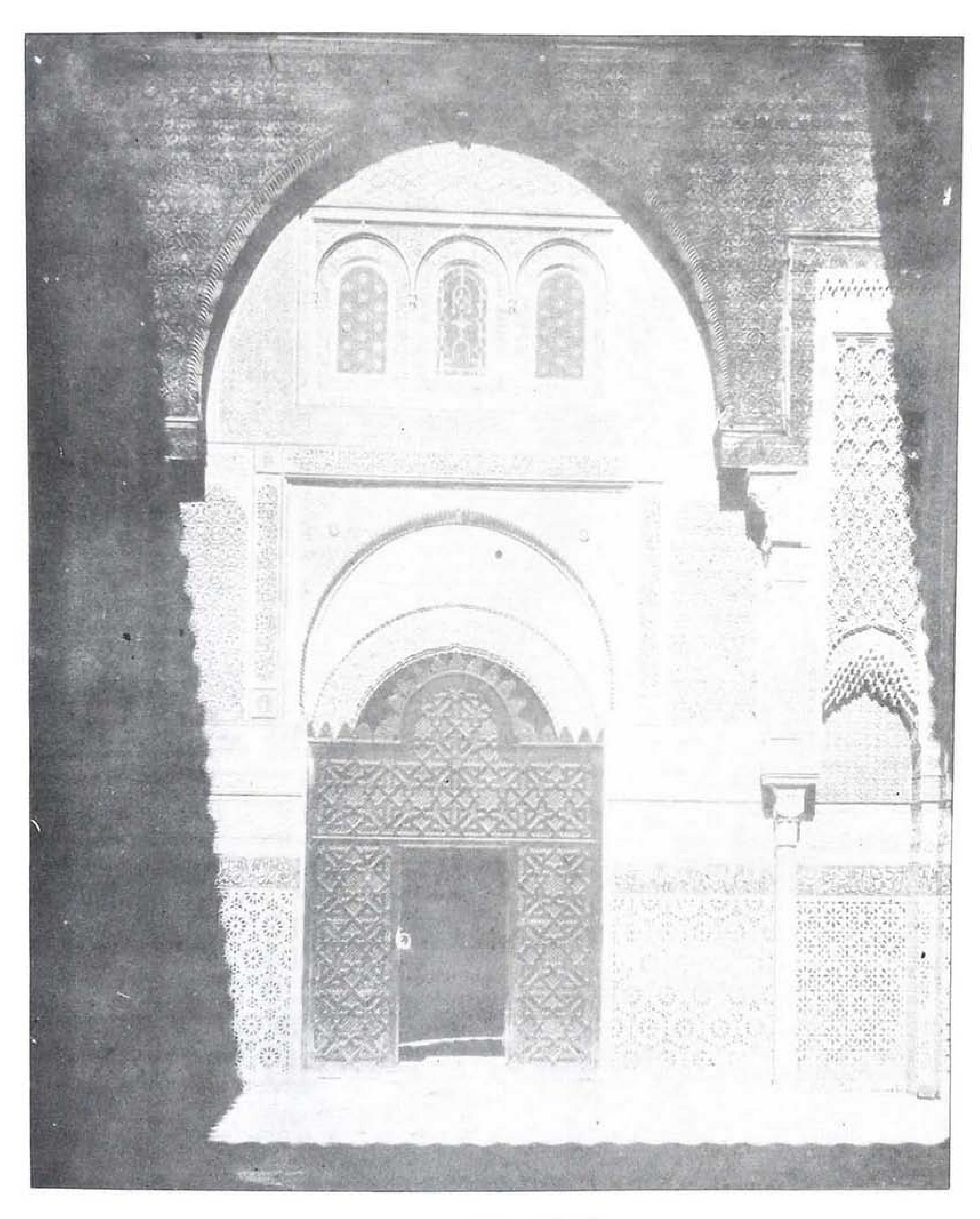
رقم (٢٨٩) ص ٣٥٨
تصميم مدرسة العطارين التي لا تبعد عن جامع القرويين الا بيضع خطوات . .

رقم (٢٩٠) ص ٣٥٨
الرخامة التي تتضمن لائحة بالعقارات الموقوفة على مدرسة العطارين من اجل « تدريس العلم » .

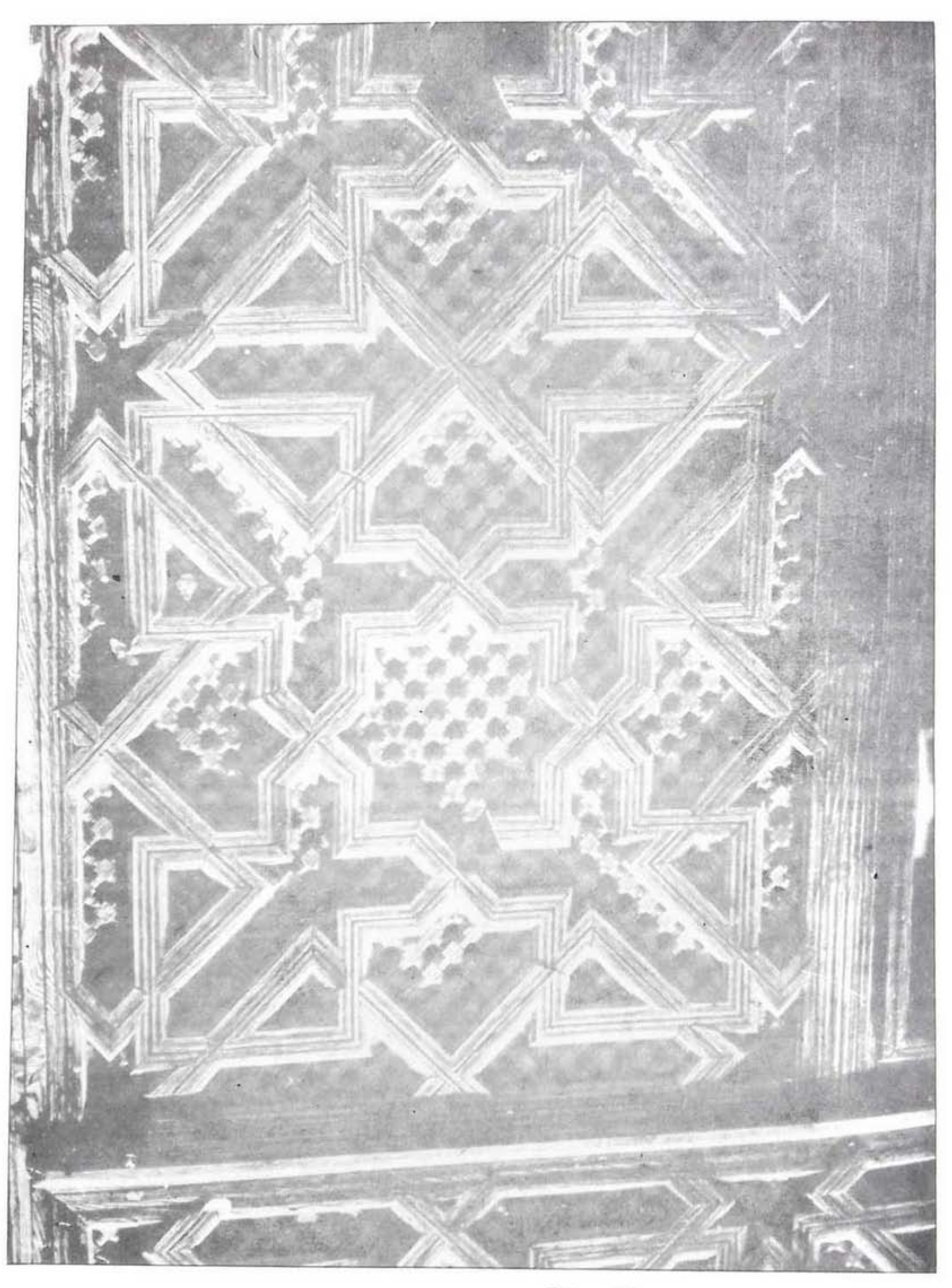




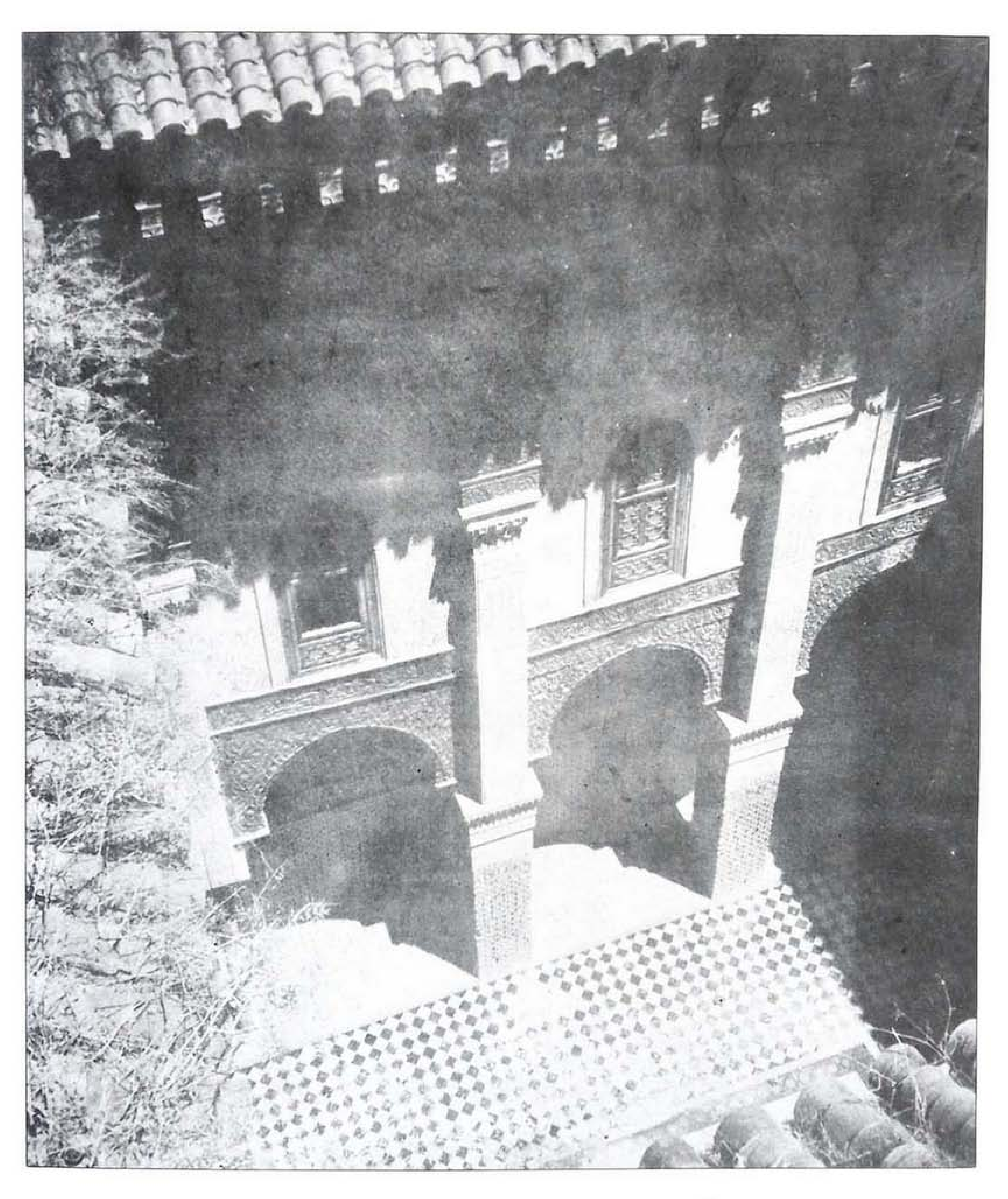
رقم (٢٩١) ص ٣٥٨
يقول رجال الآثار عن مدرسة العطّارين انها « اعجوبة فاس »
نظرا لما احتوت عليه من جميل الفنون . . وهذا فناء المدرسة .



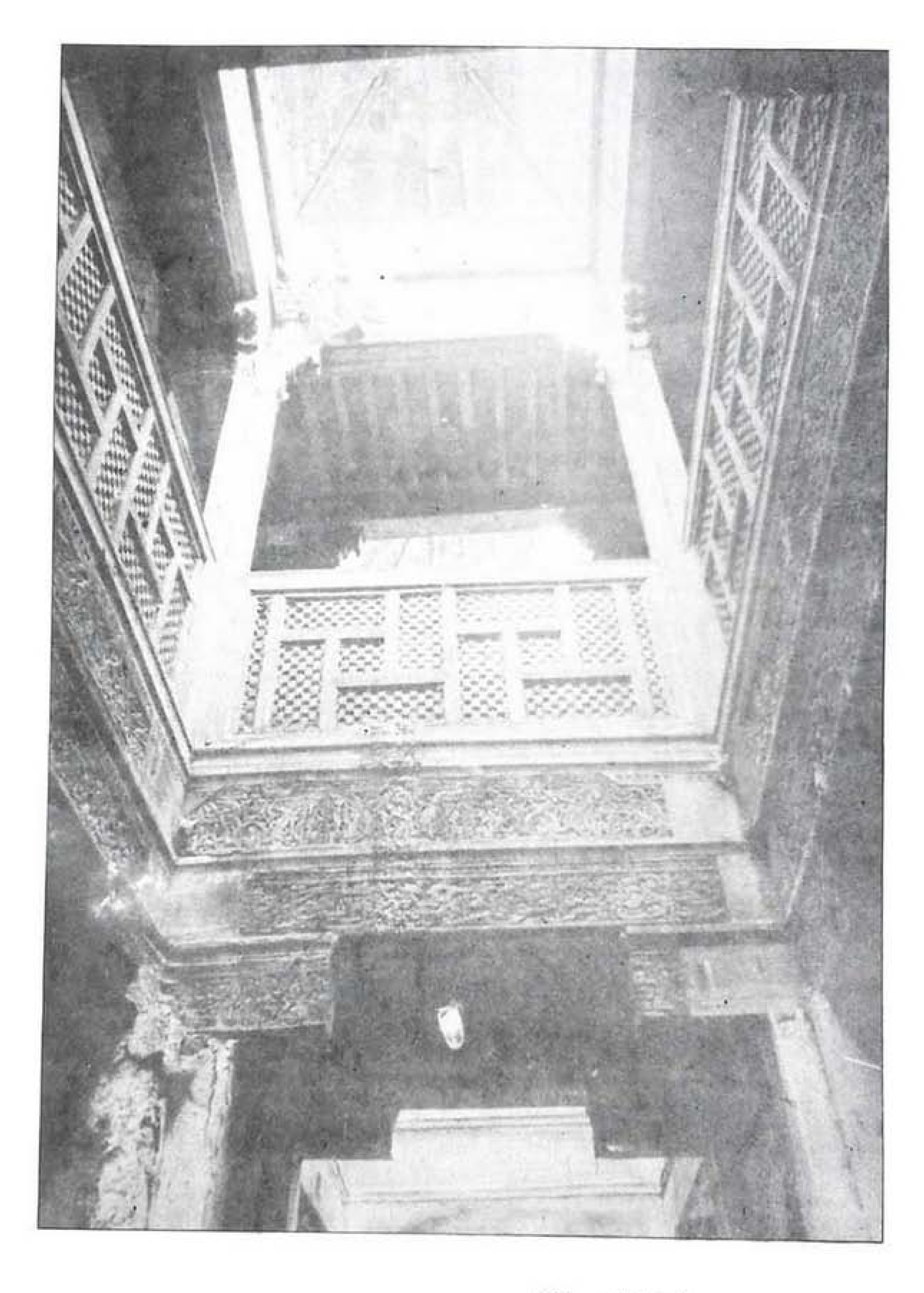
رقم (٢٩٢) ص ٣٥٨
باب فناء المدرسة من داخل الصّحن .



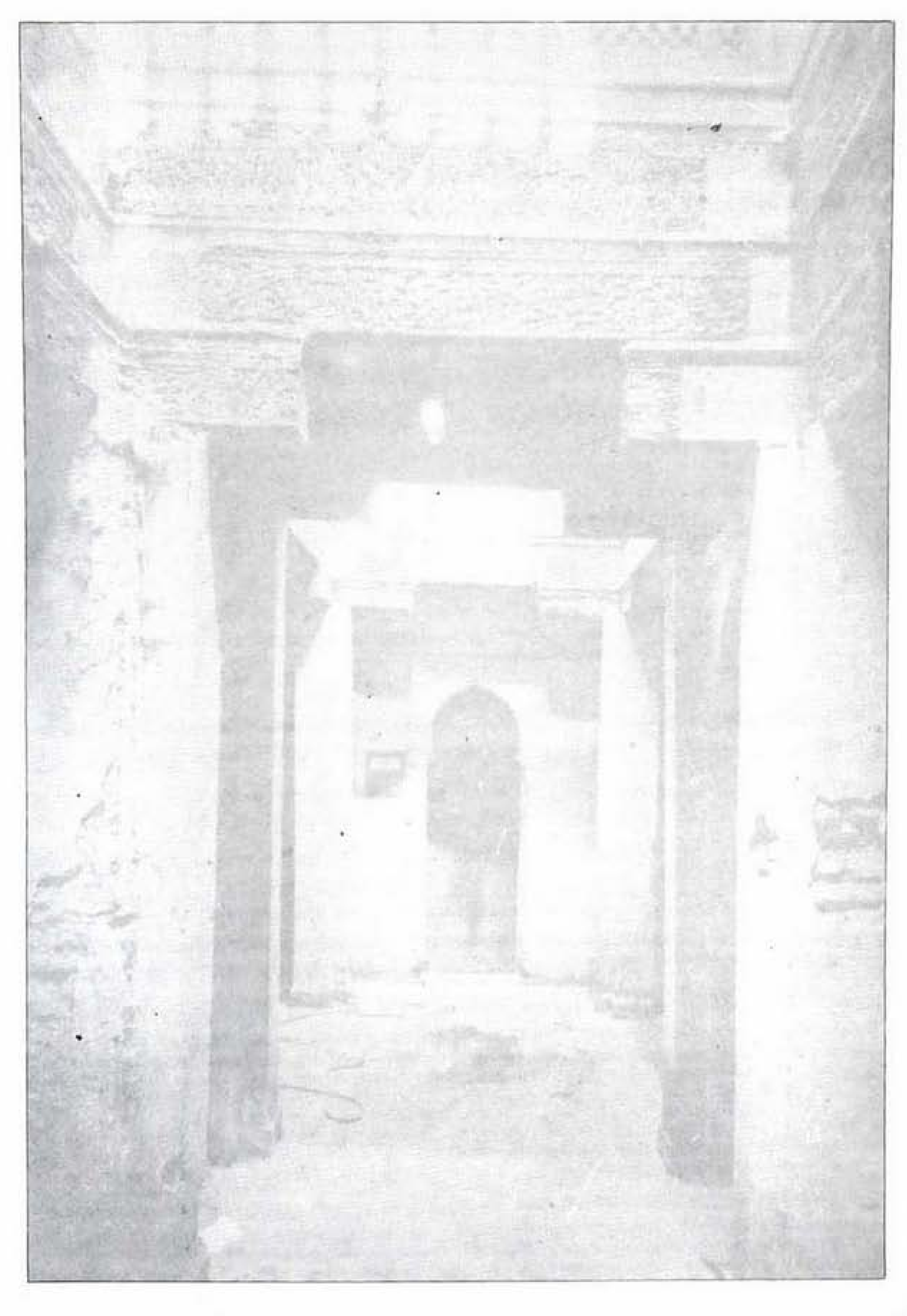
رقم (٢٩٣) ص ٣٥٨
لوحة تظهر تفصيل النقوش على الباب الخشبي لفناء مدرسة العطارين .



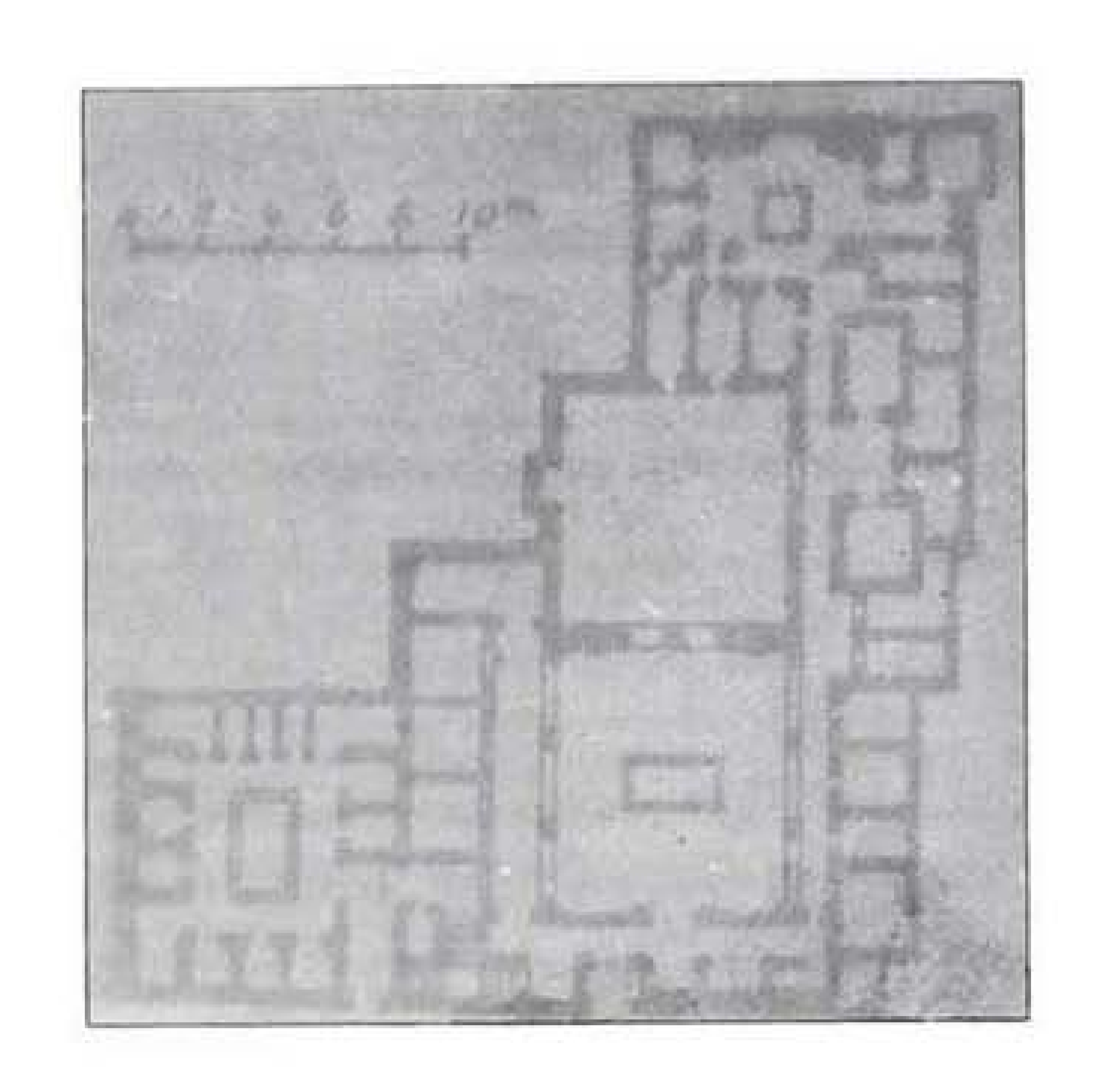
رقم (٢٩٤) ص ٣٥٨
منظر آخر للمدرسة وتظهر نوافذ غرف الطلاب التي تطل على الصّحن .



رقم (٢٩٥) ص ٣٥٨
احدى الطبقات العليا لمدرسة العطارين وهي كذلك كلها وشي ونقش.

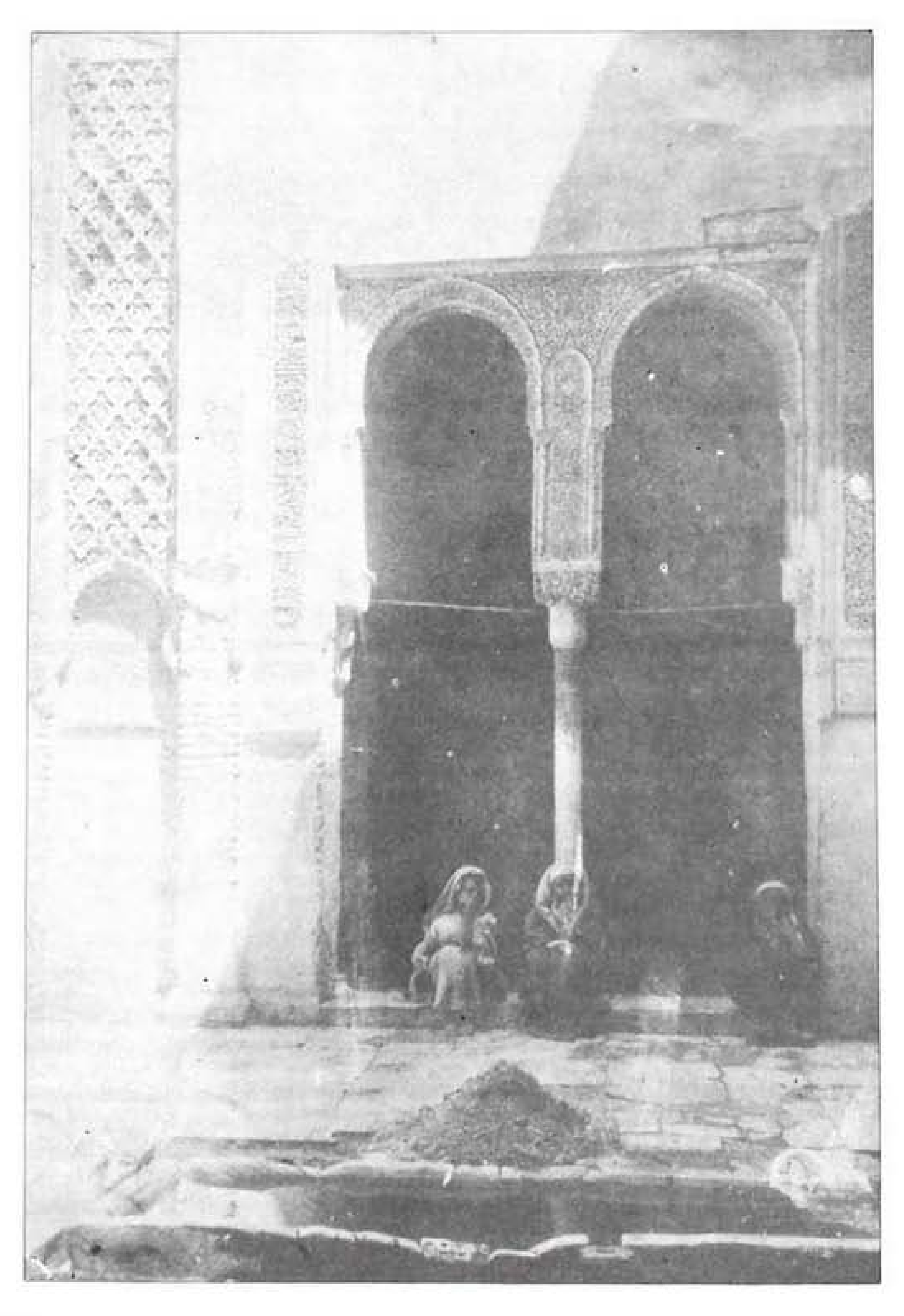


رقم (٢٩٦) ص ٣٥٨
تتراءى احدى الغرف التي كان طلبة المدرسة يسكنونها . .




رقم (٢٩٧) ص ٣٥٩
تصميم المدرسة المصباحية كما يؤخذ من مارسي ونلاحظ الى يسار المدخل دار للوضوء خاصة بالطلاب .

رقم (٢٩٨) ص ٣٥٩
قاعة الدرس بالمدرسة المصباحية ويرى الصهريج الرخامي الذي حمل اليها من الاندلس .





رقم (٢٩٩) ص ٣٥٩
الرخامة التي تحمل لائحة الموقوفات على المدرسة المصباحية وتوجد مغرسة في قاعة الدرس.. والمدرسة اليوم مغلقة لاشرافها على السقوط.

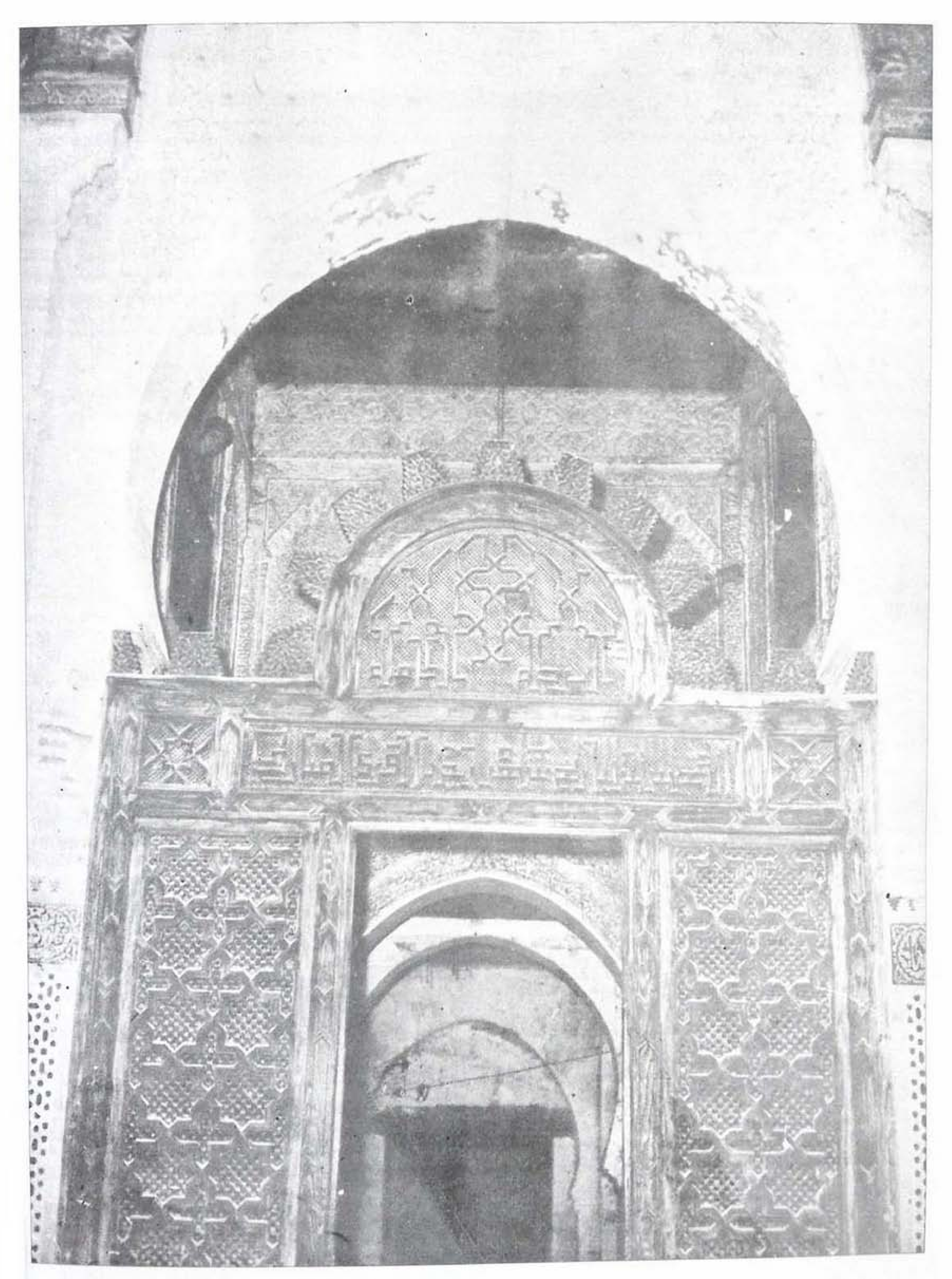


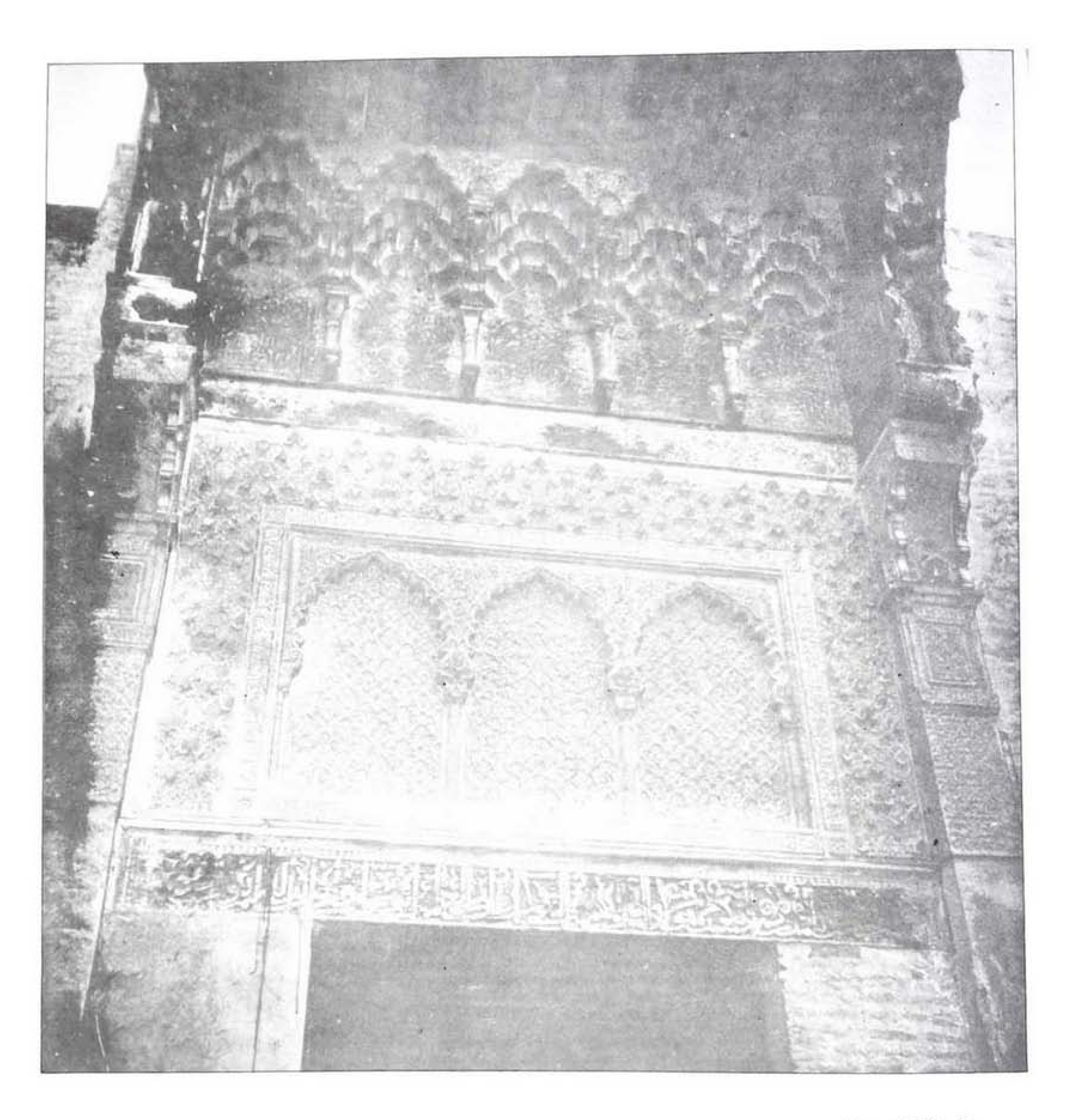
رقم (٣٠٠) ص ٣٠٩

في اعلى المدرسة المصباحية يقع مسجد صغير يحتوي على محراب كما نرى.. وقد استعمل هذا المسجد محكمة للقاضي في فترة من الفترات، لقد كنا نجهل ان هنا مسجدا له محراب باعلى المدرسة.

رقم (٣٠١) ص ٣٦٠


تصميم المدرسة العنانية كما خططه مارس.

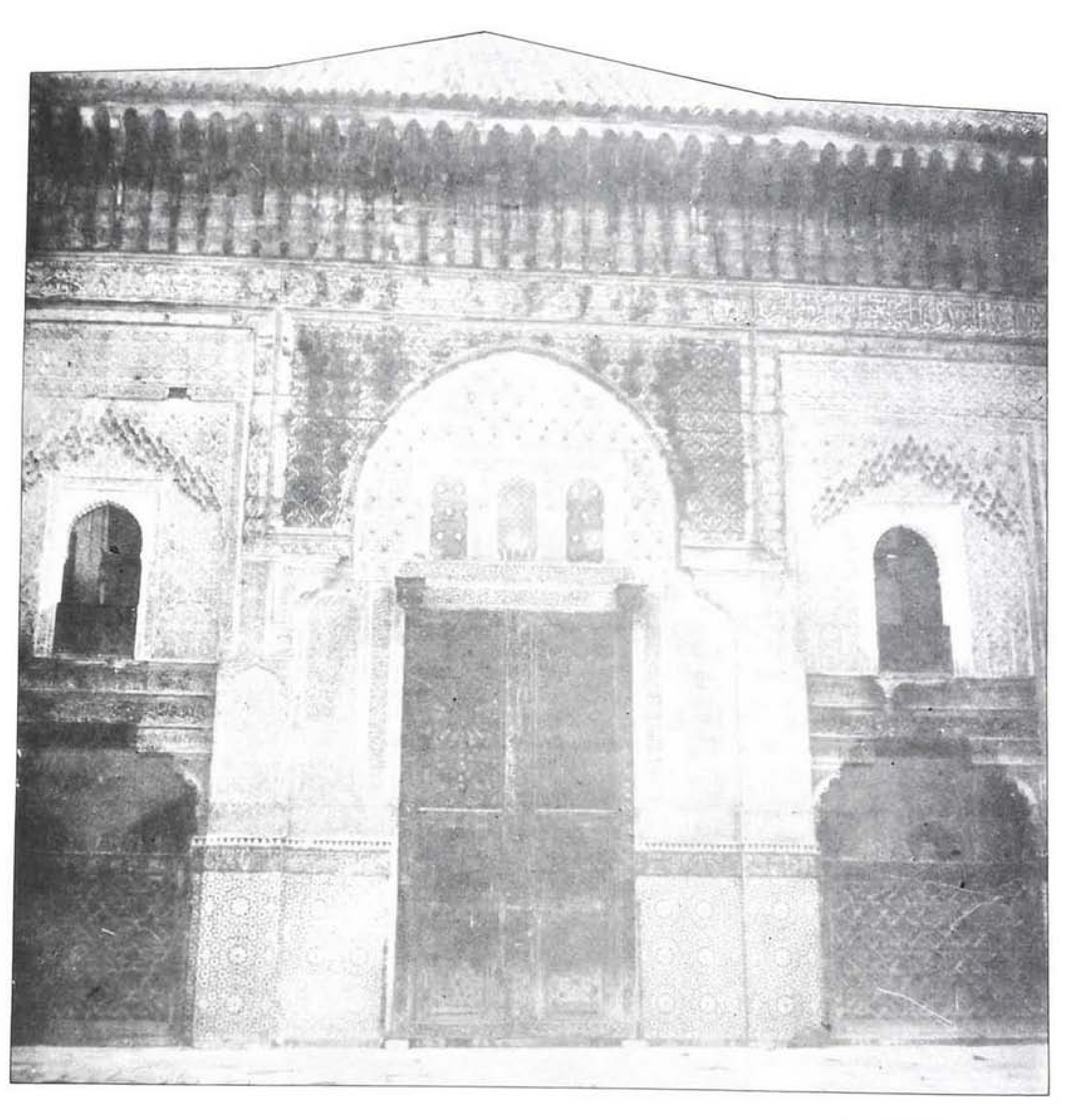




رقم (٣٠٣) ص ٣٦٠
الباب الثاني للمدرسة من جهة الطالعة الصغرى

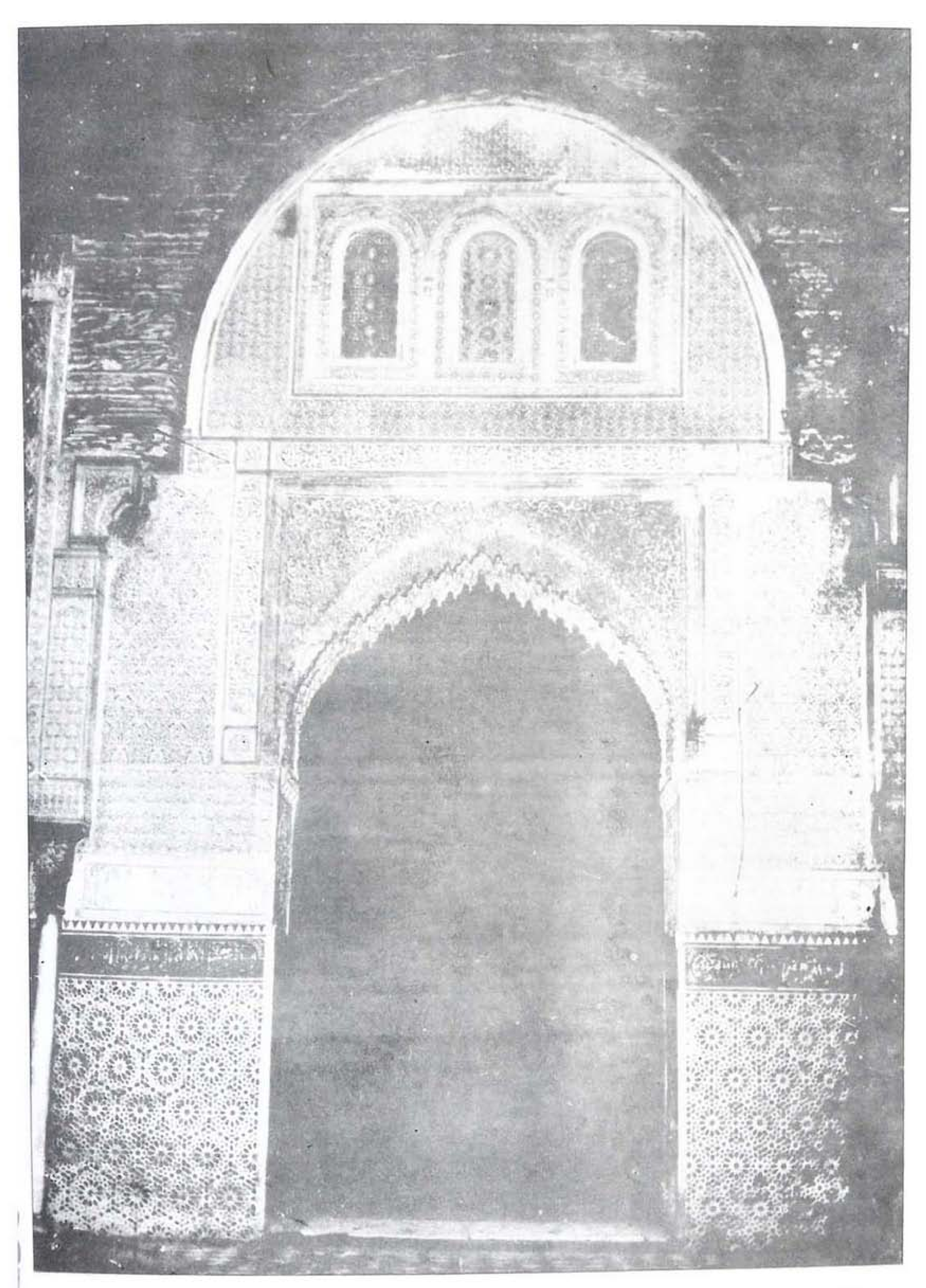
رقم (٣٠٢) ص ٣٦٠
◄ للمدرسة العنانية بابان احدهما على الطالعة الكبرى والثاني على الطالعة الصغرى . وهذا هو الاول قريباً من الساعة المائية .

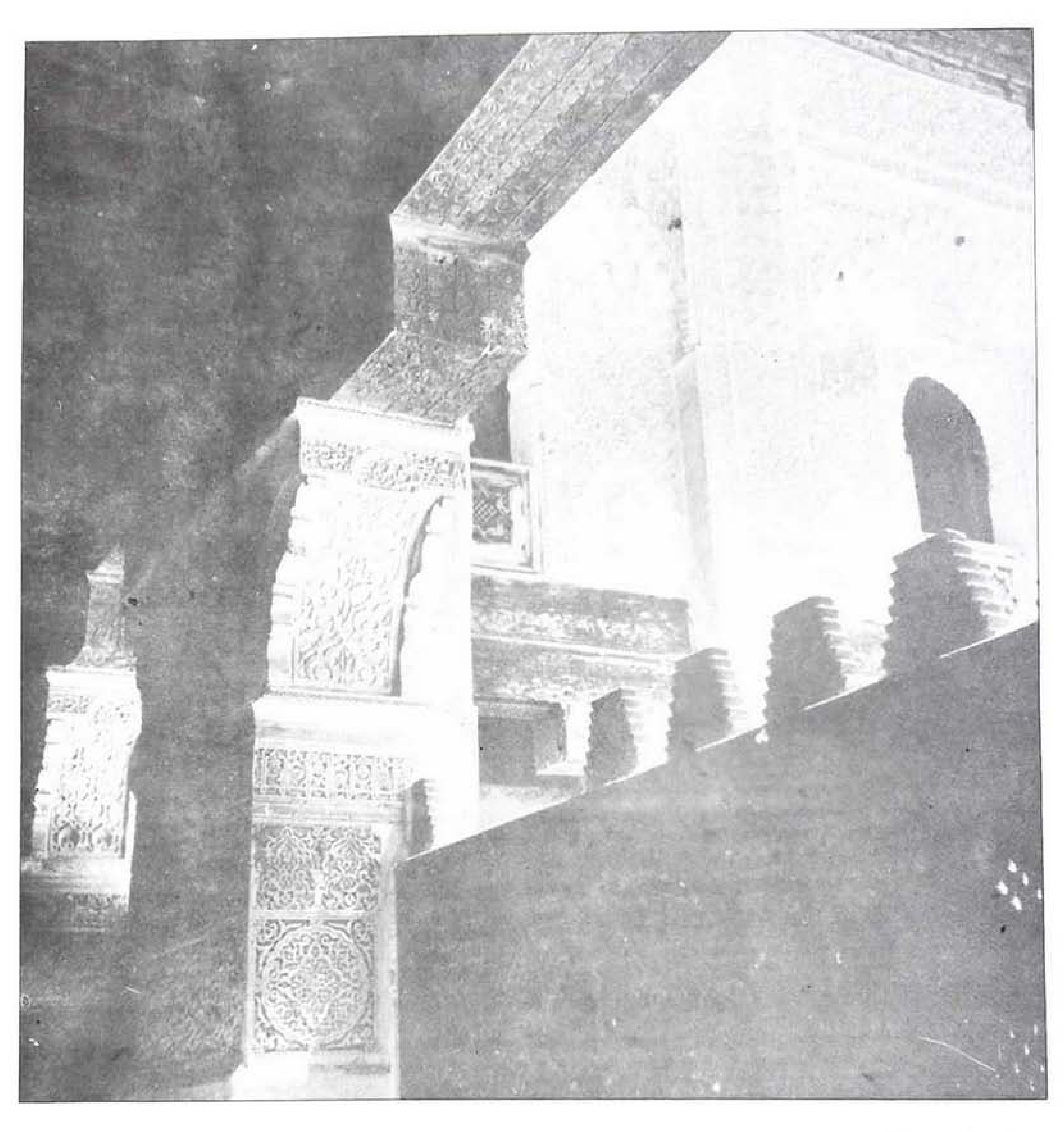




رقم (٣٠٥) ص ٣٦٠
ثانية اثنتين من قاعتي الدرس اللتين تزدان بهما المدرسة العنانية .

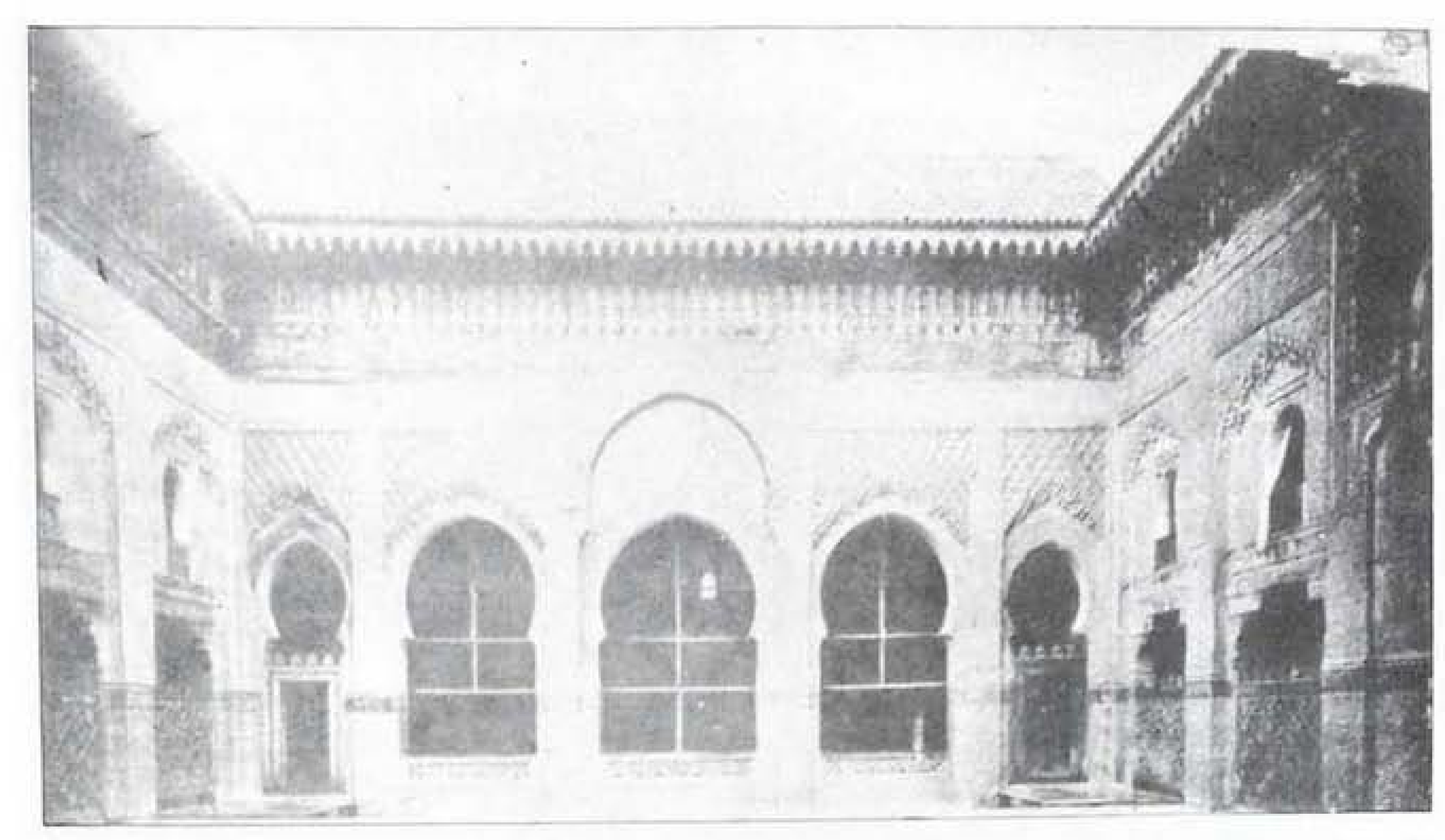
رقم (٣٠٤) ص ٣٦٠
◀ جانب من مدرسة ابي عنان التي قال عنها ابن بطوطة انه انه لم ير مثلها في جهات المعمورة التي زارها .





رقم (٣٠٧) ص ٣٦٠
جوانب اخرى من المدرسة حيث لا يقع البصر الا على زخرف .

رقم (٣٠٦) ص ٣٦٠
القاعة الثانية التي كانت تعطى بها الدروس بالعنانية .

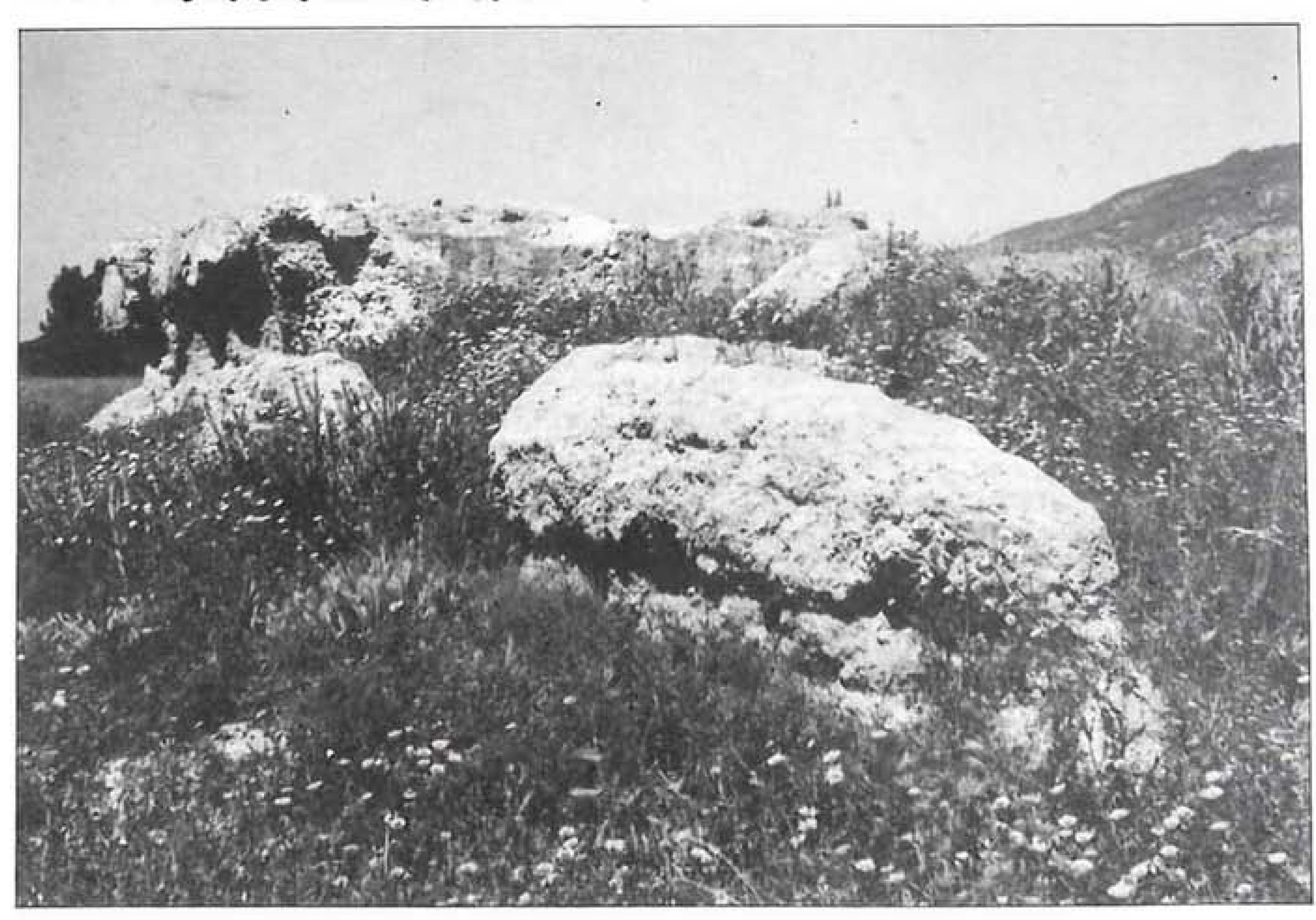


رقم (٣٠٨) ص ٣٦٠
منظر للصحن الفسيح لمدرسة ابي عنان
وترى غرف الطلبة مطلة على الفناء .

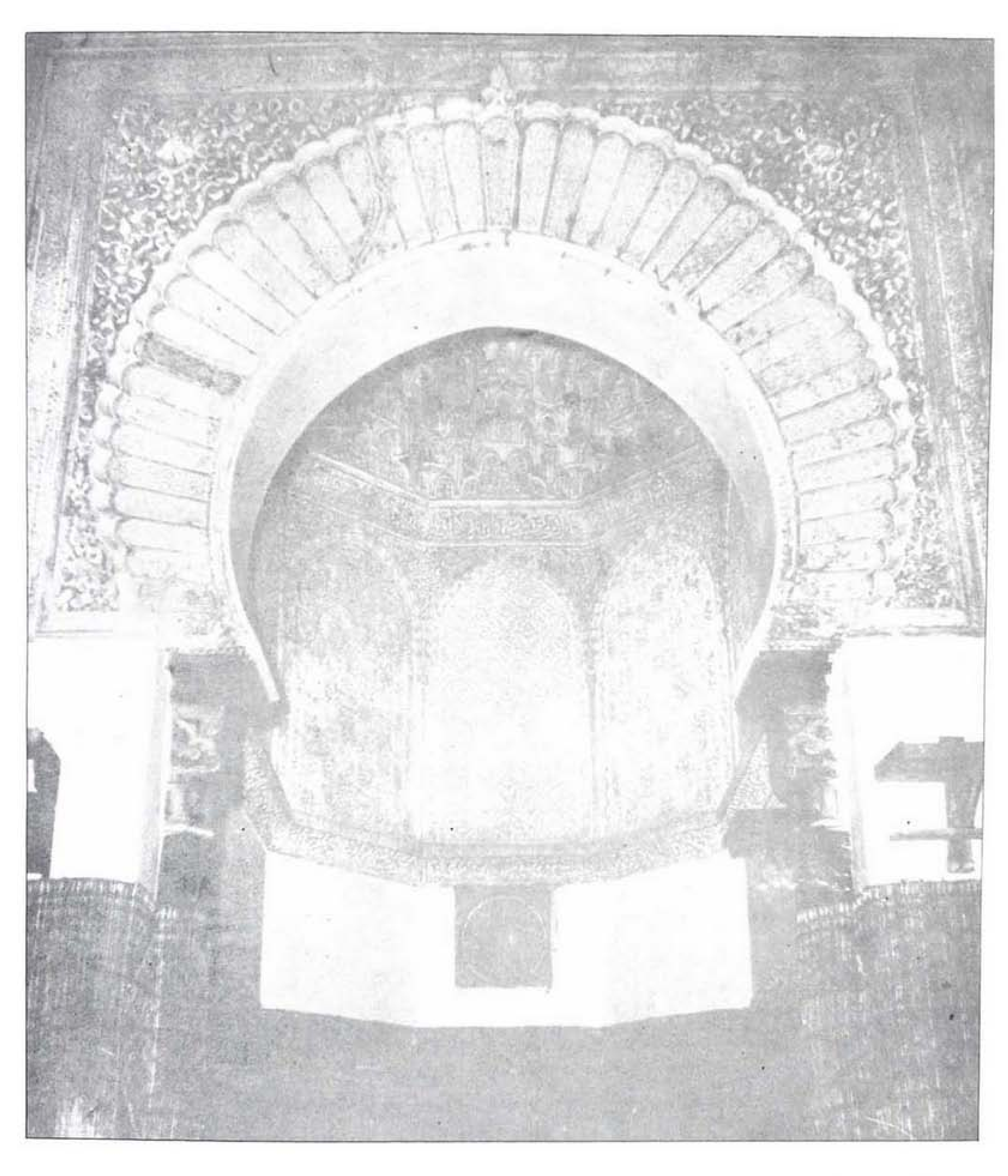


رقم (٣٠٩ مكرر) ص ٣٦٠
هنا كانت الزاوية المتوكلية العظمى

رقم (٣٠٩ مكرر) ص ٣٦٠
اطلال الزاوية المتوكلية شمال غرب وادي فاس : ٦-٥-١٩٩٨



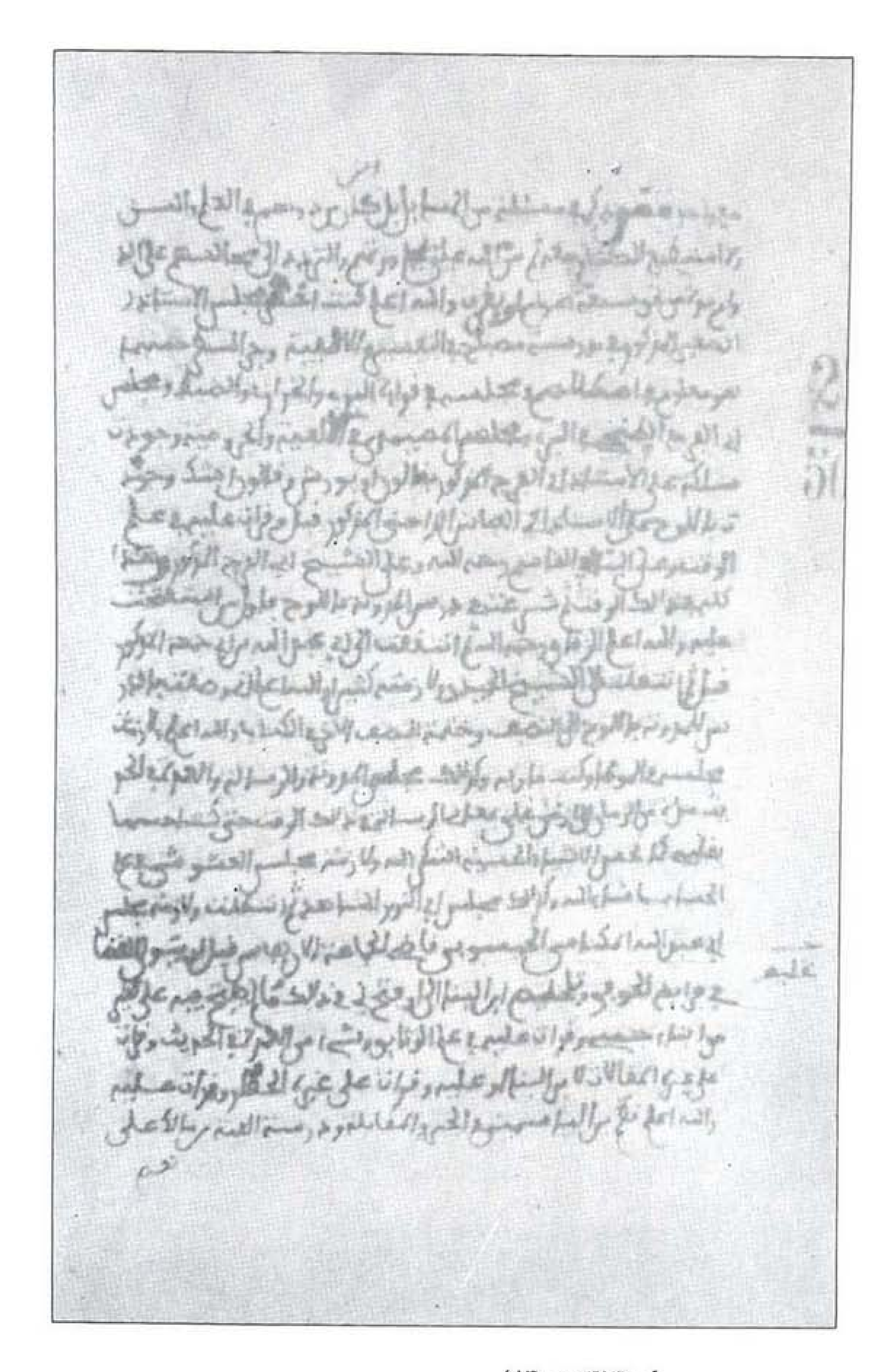
رقم (٣٠٩) ص ٣٦٠
قاعة الصلاة التي كانت هي الاخرى مكانا للدرس حيث كان عدد من الكراسي العلمية .



رقم (٣١٠) ص ٣٦٠
محراب مدرسة السلطان ابي عنان الذي كانت تعقد على ابوابه المجالس العلمية .

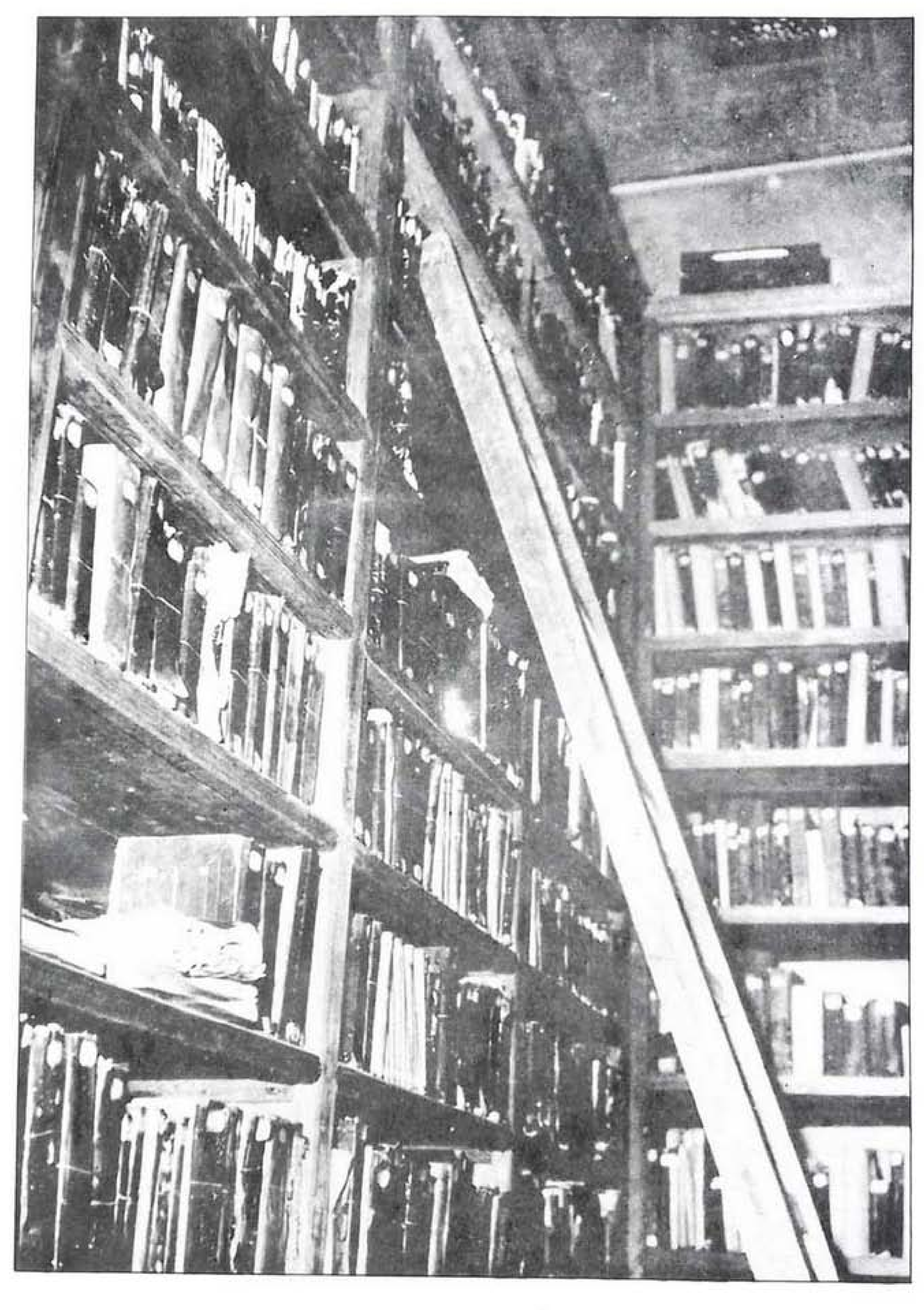
رقم (٣١١) ص ٣٦٠
باب مدرسة عجيسة التي أنشأها بنو وطاس .

رقم (٣١٢) ص ٣٦٠
الطبقة العليا لمدرسة باب عجيسة بعد الاصلاحات الجديدة .

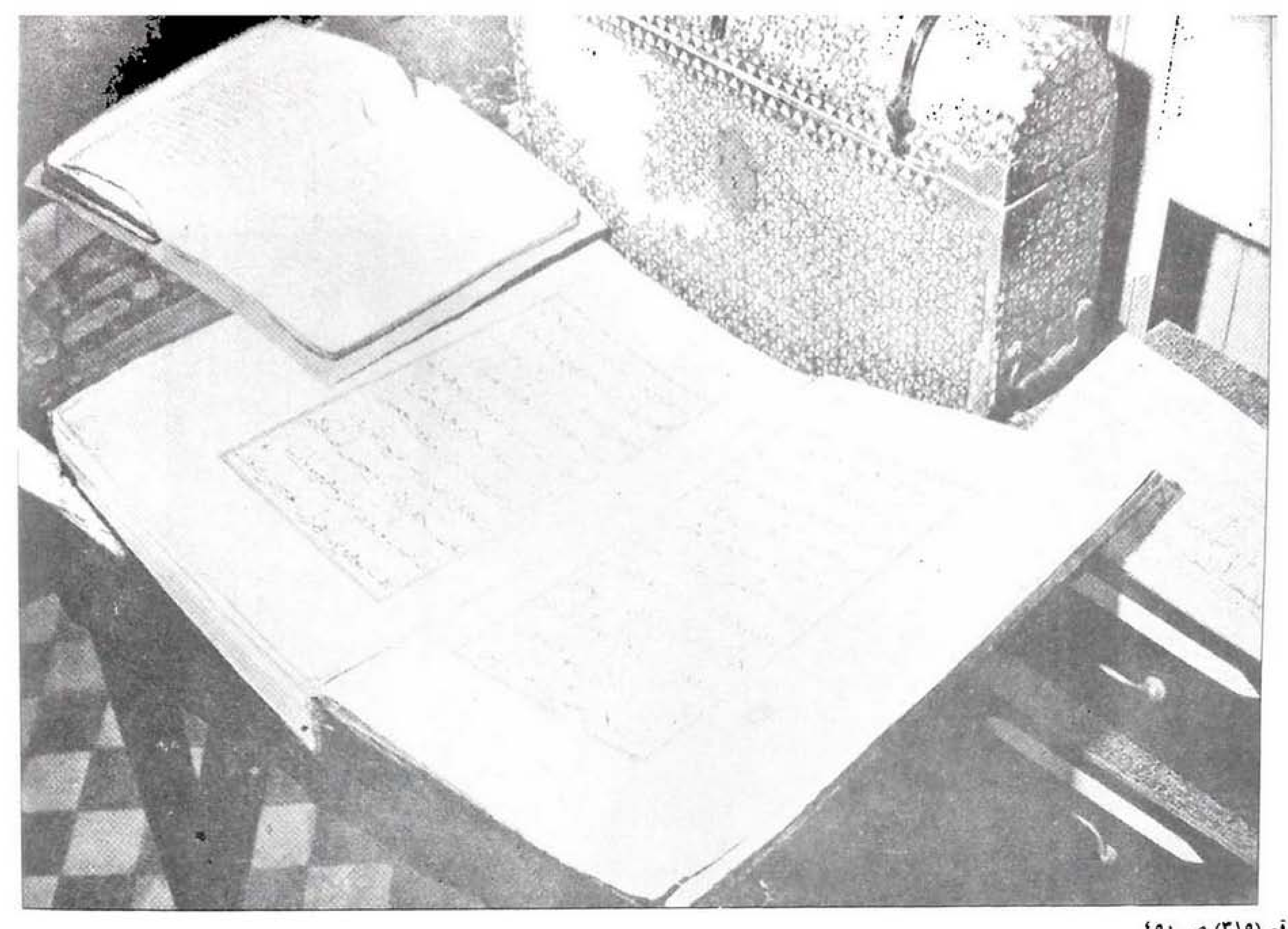


رقم (٣١٣) ص ٤١٣

صفحة من مخطوط الغماري الذي يصف الدراسة بجامع القرويين اوائل القرن العاشره . . لازمت مجلس ابي عبد الله المكناسي الحـوبي قاضي الجماعة في فرائض الحوفي وعلم الوثائق . . . وقرأت على غيره المقالات لابن البنّا . . . ونظم ابن الياسمين في الجبر والمقابلة . . . »



رقم (٣١٤) ص ٤٥٠
الرفوف المتراكبة وهي تحتضن أنفس المخطوطات التي تستأثر بمعظمها مكتبة جامعة القرويين.

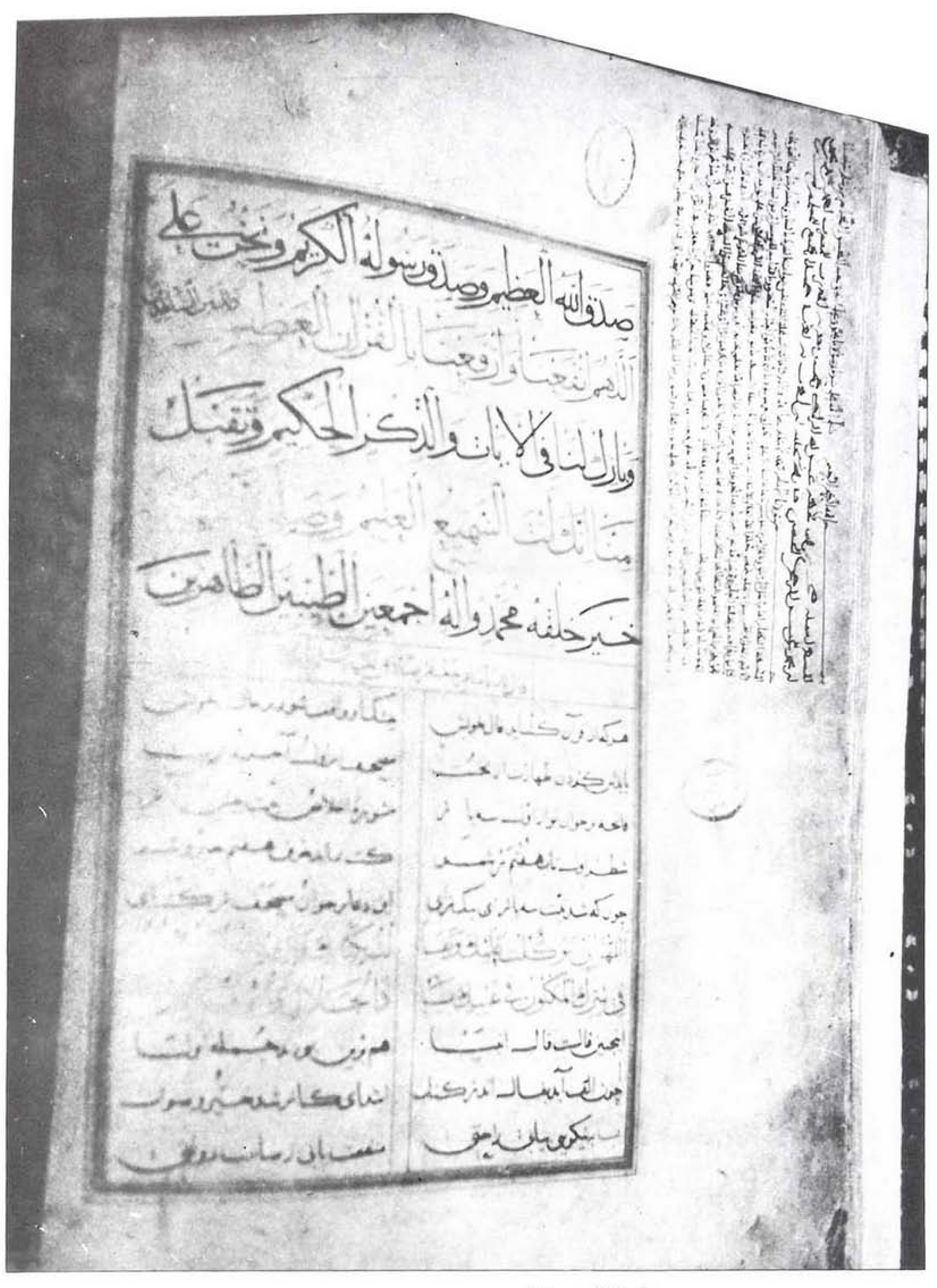


رقم (٣١٥) ص ٤٥٠

المصحف الاكبر الذي حبسه المنصور احمد السعدي عام ١٠١١ عند تدشين الخزانة الكبرى ، وترى الى جانبه (الربعة) المطرزة بالاصداف الثمينة حيث يحفظ المصحف .

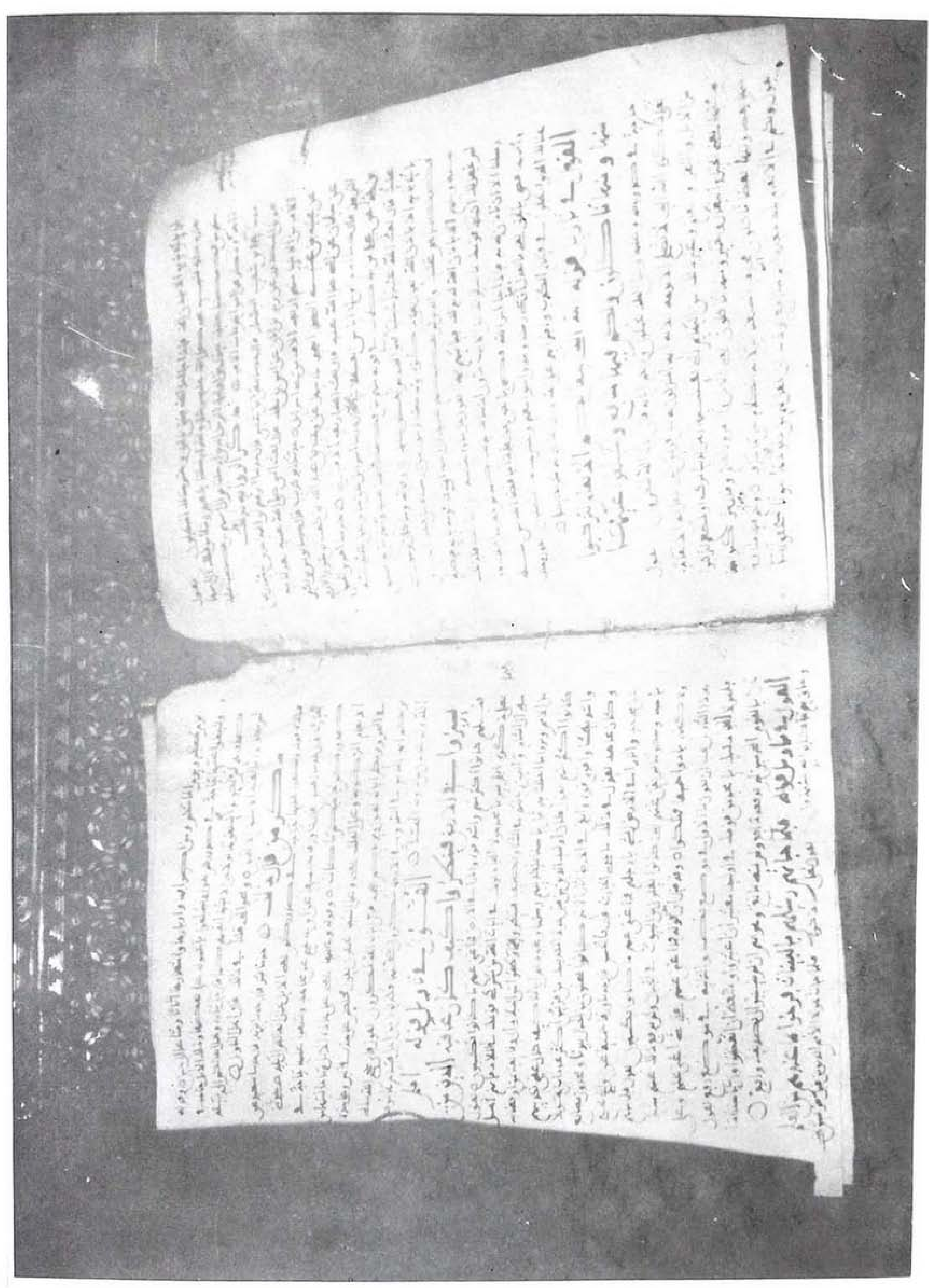
رقم (٣١٦) ص ٤٥٠

تحتوي الصفحة الواحدة من المصحف الكبير على احد عشر سطرا . . . . .



صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم ونحن على
اللهم انفعنا وارفعنا بالقرآن العظيم
وبارك لنا في الآيات والذكر الحكيم وتقبل
منا انك انت السميع العليم وصلى
خير خلقه محمد وآله اجمعين الطيبين الطاهرين

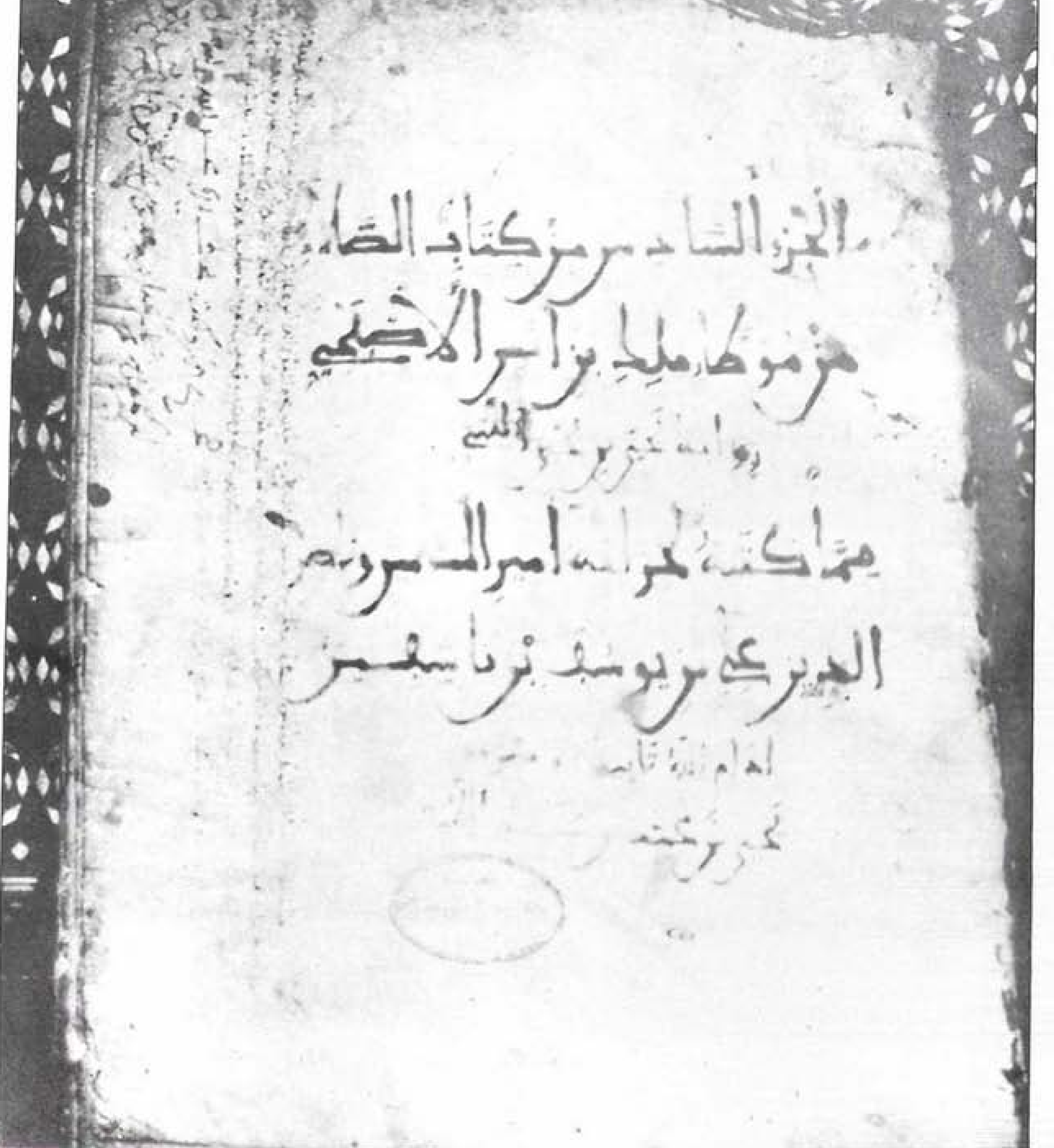
رقم (٣١٧) ص ٤٥٠
آخر صفحة من المصحف الاكبر ويلاحظ على هامش الورقة تحبيس السلطان المنصور السعدي « اواسط رمضان المعظم من عام احد عشر بعد الالف » .



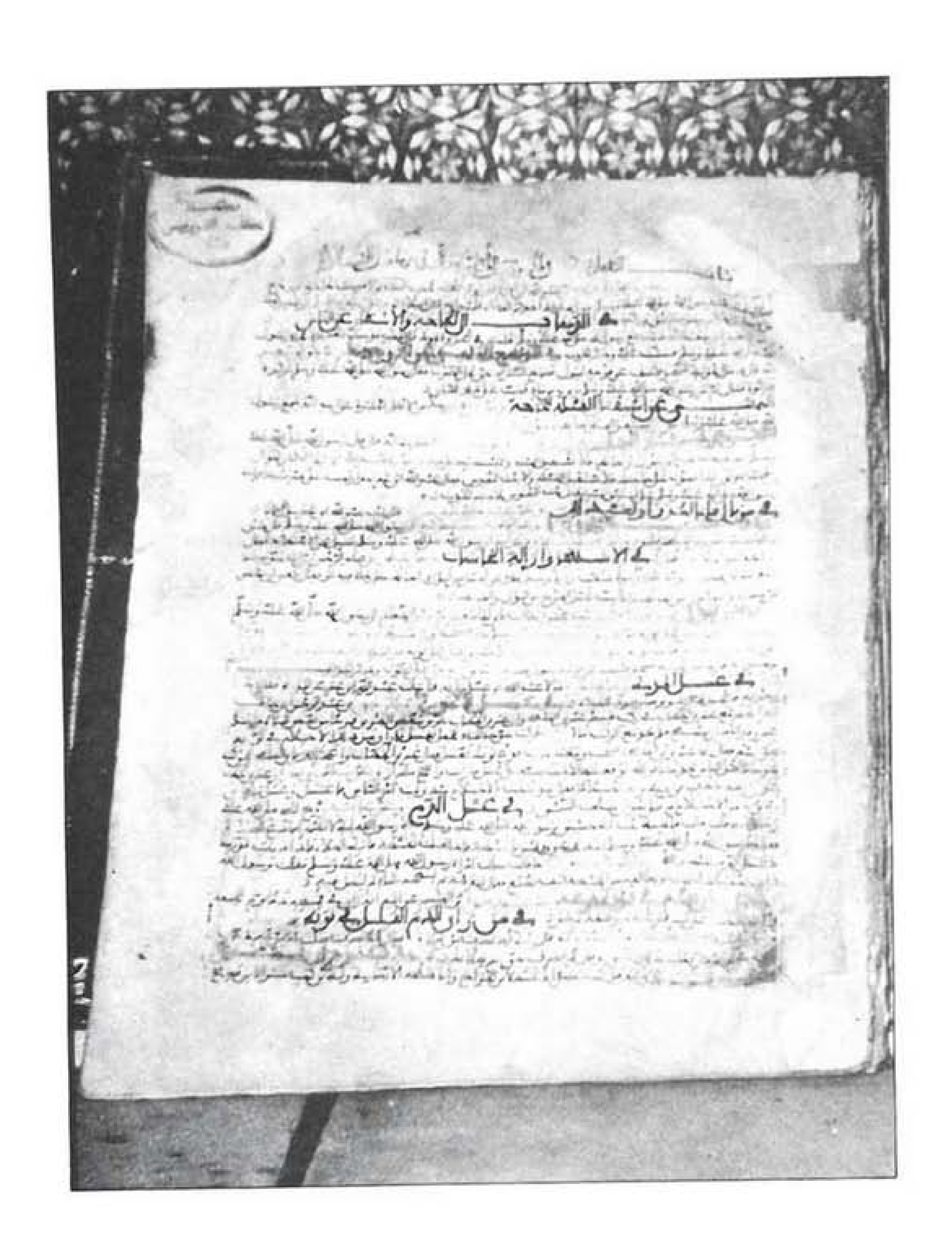
رقم (٣١٨) ص ٤٥٠

تفسير الامام الطبري ثلاثة مجلّدات بعضها على رق الغزال ، وهو من نوادر الخزانة الكبرى .

رقم (٣١٩) ص ٤٥٠
الجزء الثاني من سيرة ابي اسحاق، نسخة قديمة بخط مشرقي عليها عدة سماعات...



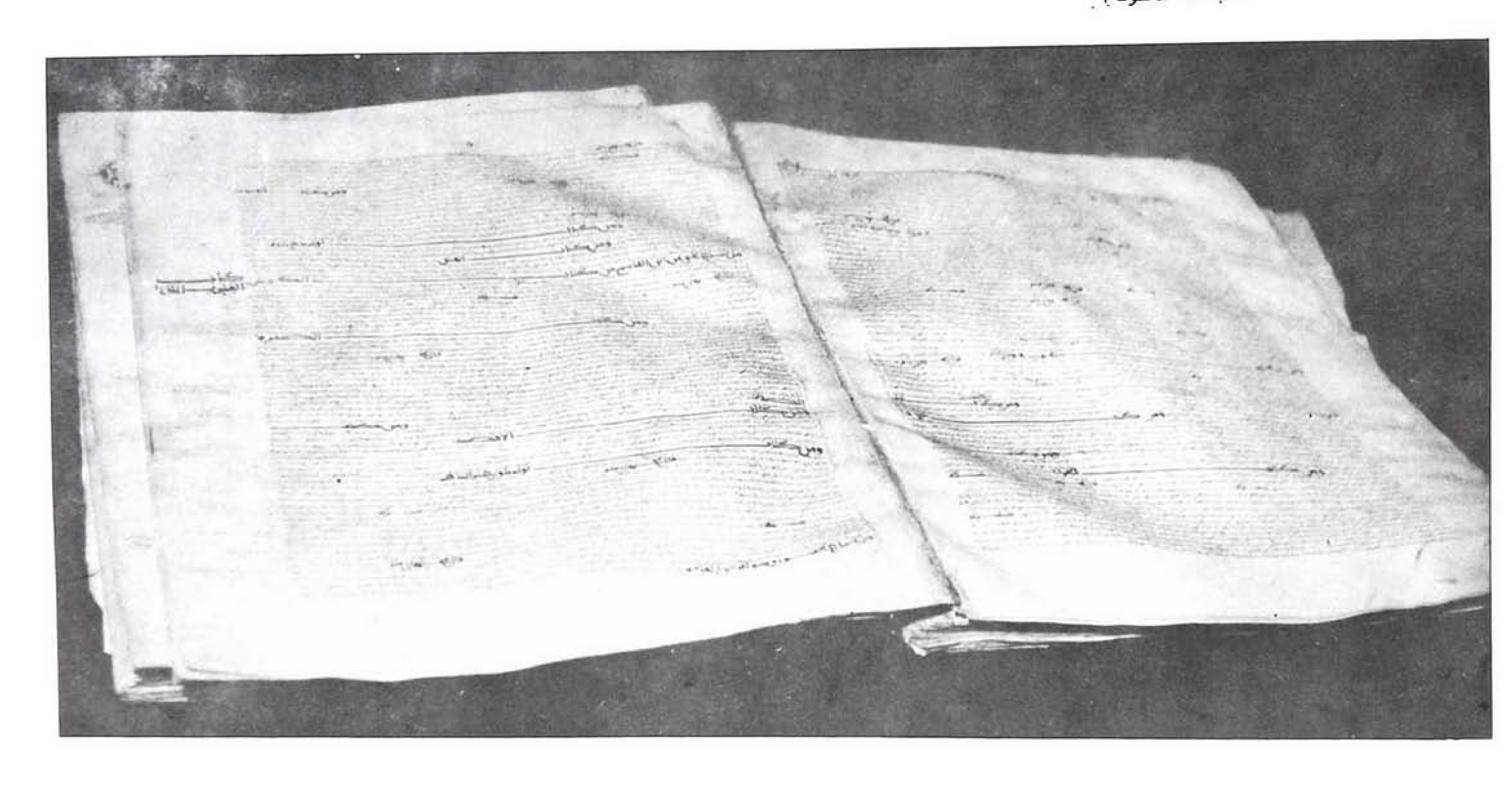
رقم (٣٢٠) ص ٤٥٠
جزء من موطا مالك بن أنس مما كتبه لخزانة امير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين.



رقم (٣٢١) ص ٤٥٠

ورقة من محاذي الموطا للمهدي بن تومرت على رق الغزال وباولها سند عند المؤمن بن علي عن المهدي.

رقم (٣٢٢) ص ٤٥٠
البيان والتحصيل لابن رشد عدد الاوراق ٣١٨ من رق الغزال كان يجب اصطياد سرب من الغزلان لا يقل عن ١٦٠ لكتابة هذا المخطوط !



رقم (٣٢٣) ص ٤٥٠

العبر لابن خلدون الذي ألّف باسم السلطان ابي فارس المريني واهدي الى خزانة القرويين في صفر عام ٧٩٩هـ.

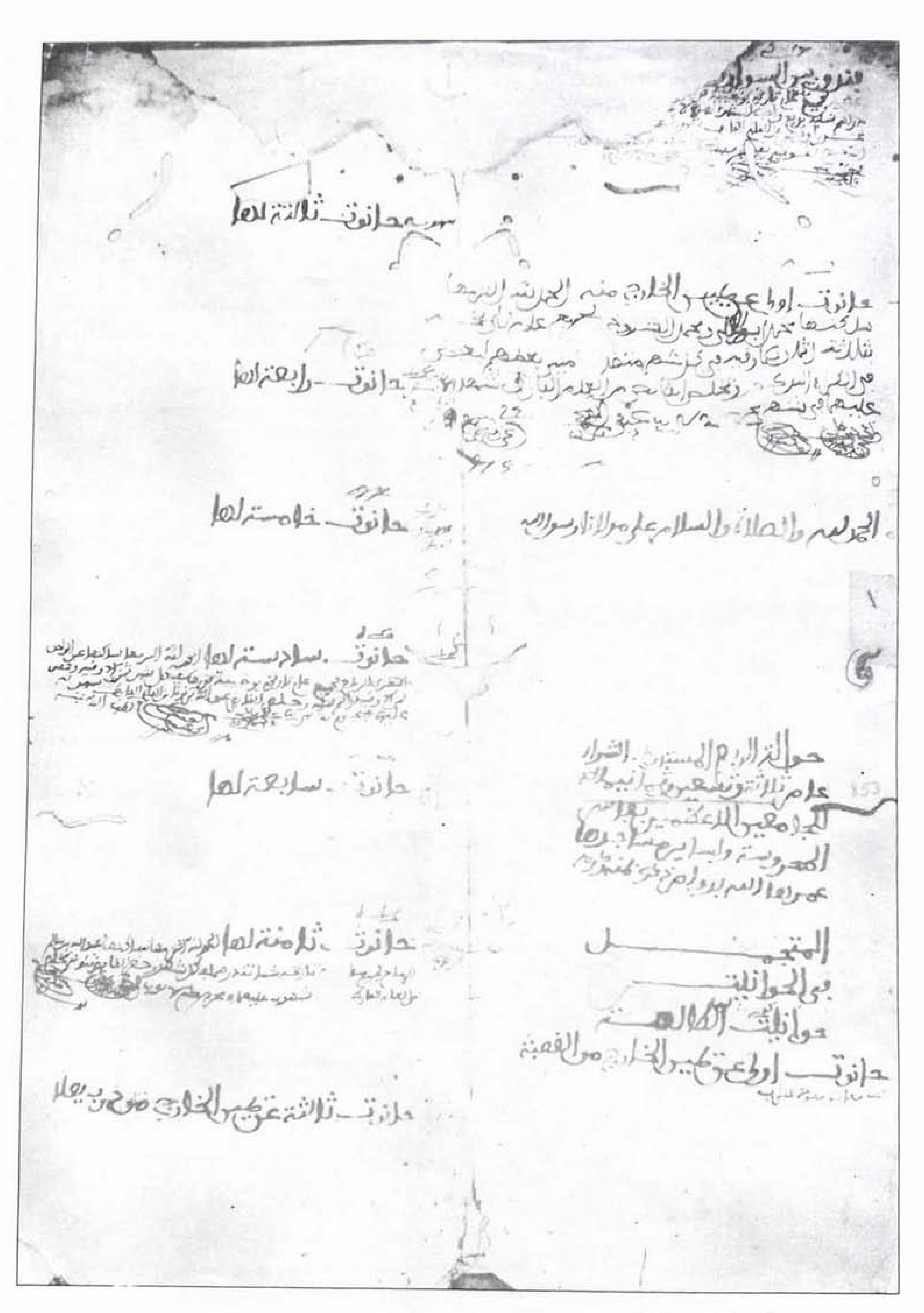


رقم (٣٢٥) ص ٤٥٠

صفحات اخرى من الانجيل المترجم الذي تحتضنه الخزانة الكبرى لجامعة القرويين.

رقم (٣٢٤) ص ٤٥٠

جانب من الانجيل المترجم بالخزانة الكبرى وهو عبارة عن شذرات مخطوطة على رق الغزال من اناجيل لوقا ومرقس ويوحنا.



حانوت ثالثة لها

حانوت رابعة لها

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

حانوت خامسة لها

حانوت سادسة لها

حانوت سابعة لها

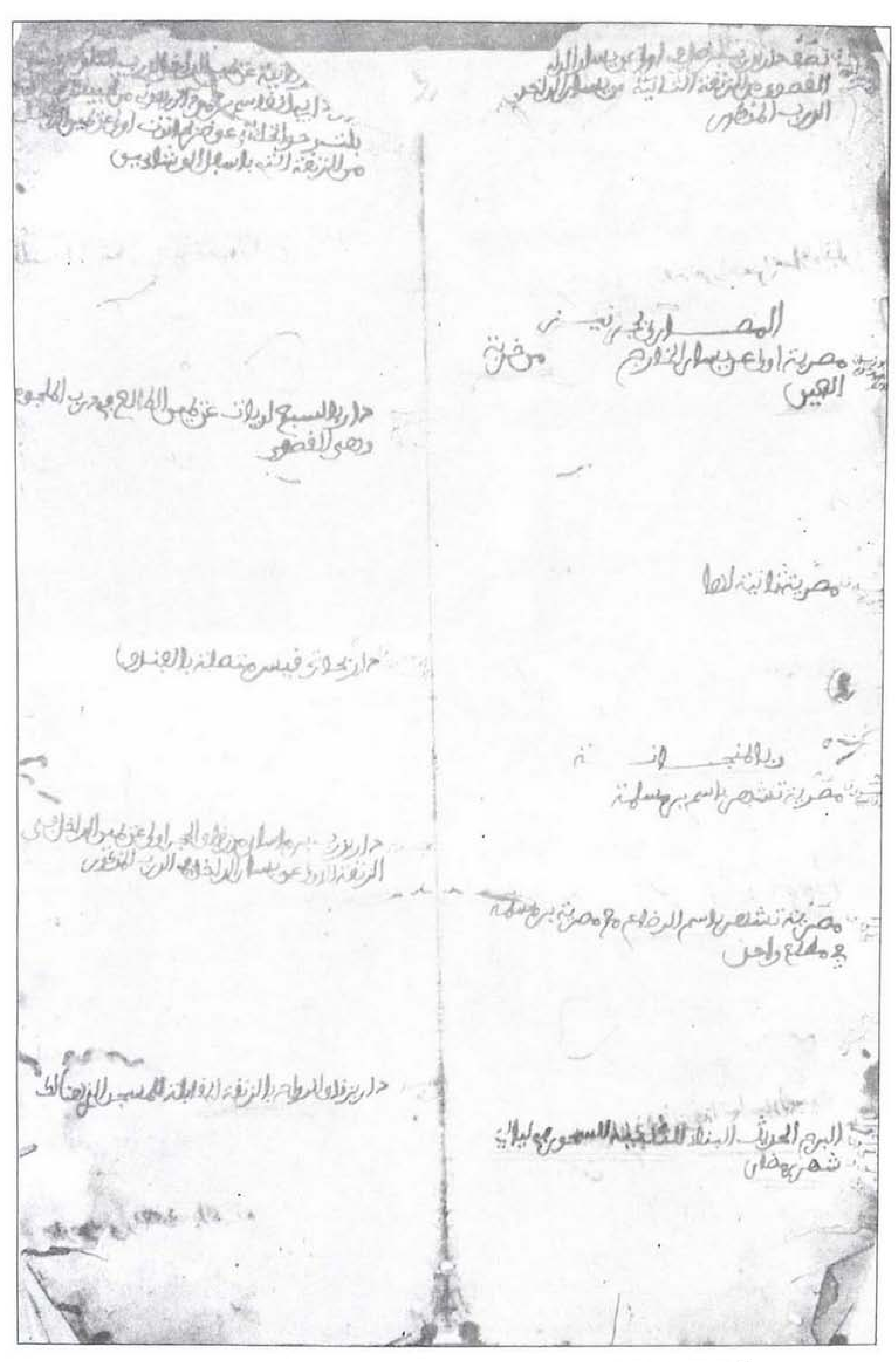
حانوت ثامنة لها

المتعين

في الحوانيت

رقم (٣٢٦) ص ٤٦٠

اقدم ورقة ما تزال شاخصة من الحوّالات الحبسية هي التي ترجع لعام « ثلاثة وتسعين وثمان مئة . . . »



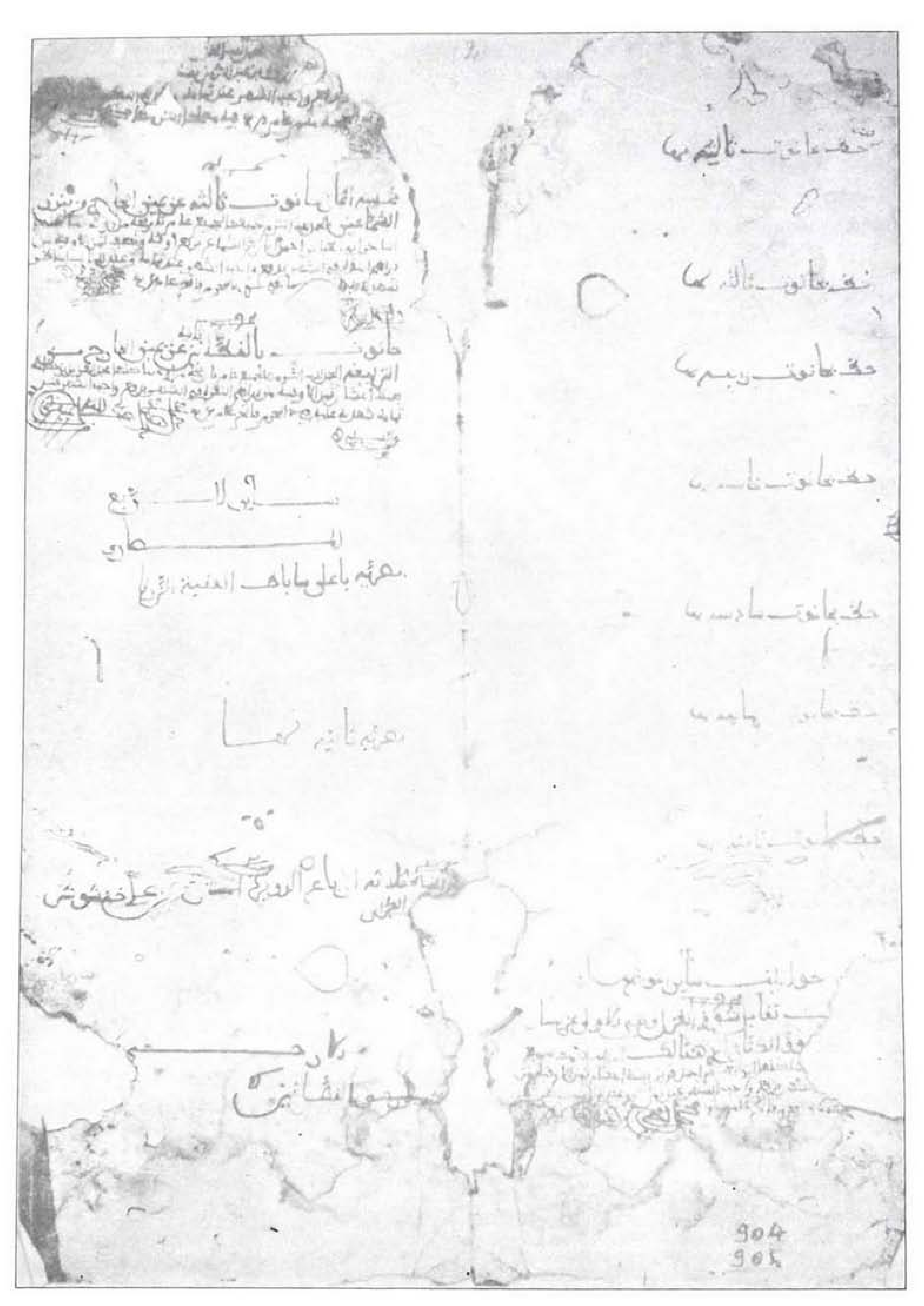
مصرية ثانية لها

مصرية تشتهر باسم ابن مسلمة

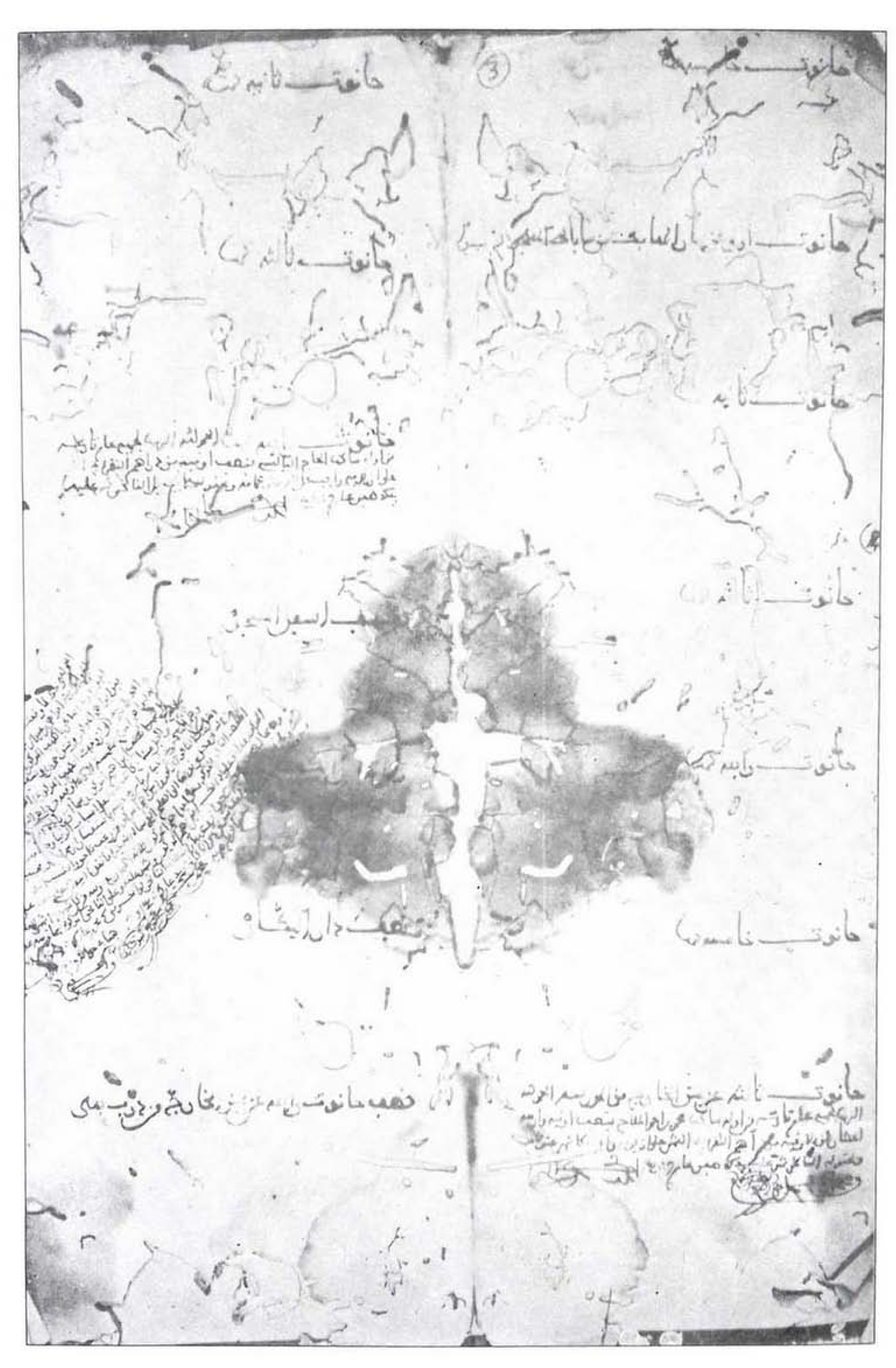
البرج الحديث البناء للتنبيه للسحور في ليالي شهر رمضان

رقم (٣٢٧) ص ٤٦٠

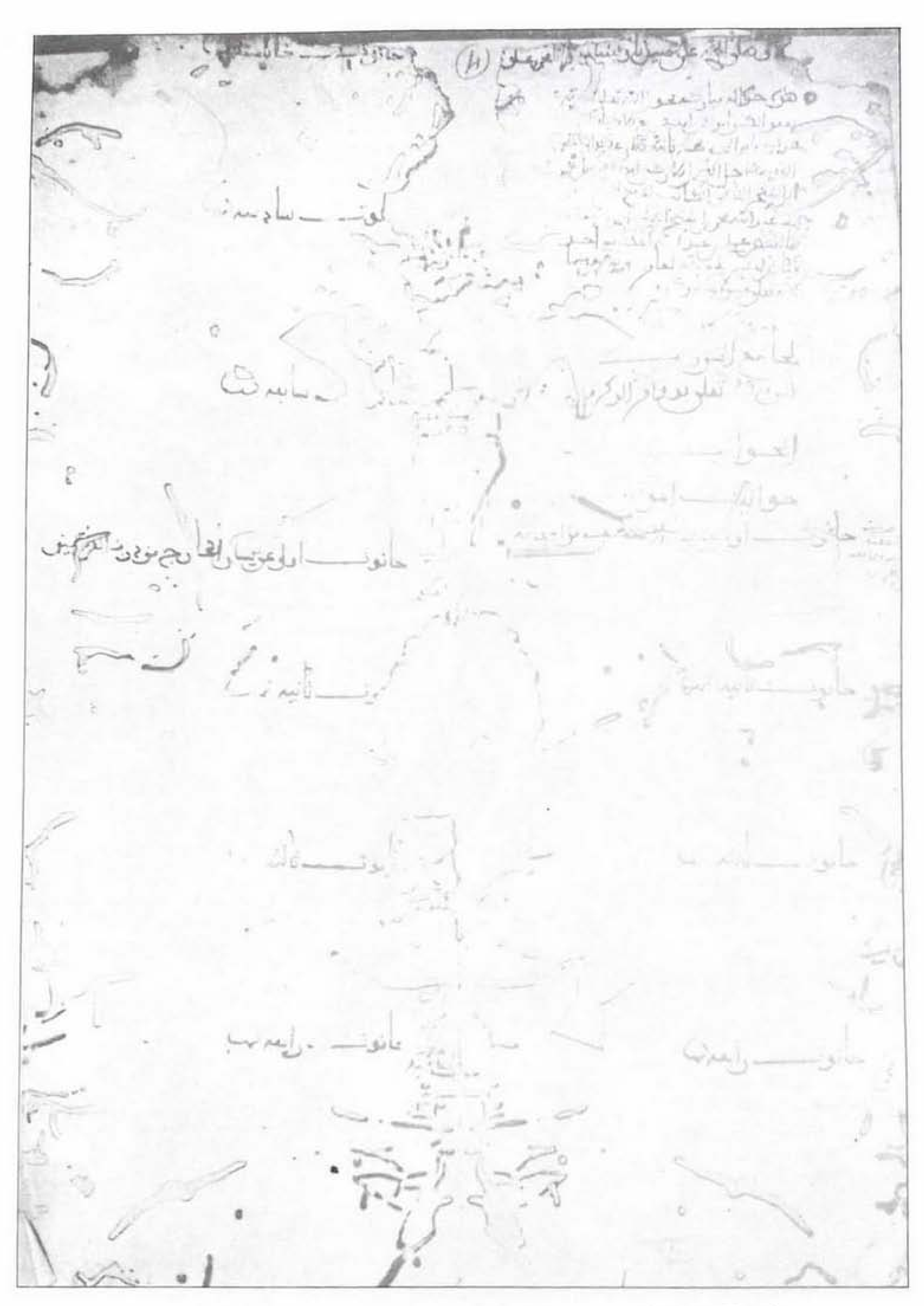
يمكن ان نقرأ في احدى اوراق الحوالة الحبسية لعام ٨٩٣ لائحة بالمصاري : الموجود منها بزنقة المنجانة والبرج الحديث البناء للتنبيه للسحور في ليالي شهر رمضان ، يعني البرج الذي يظهر على مقربة من صومعة القرويين . .



رقم (٣٢٨) ص ٤٦٠
كان مما تضمنته حوالة ٩٠٤ - ٩٠٥ الربع المخصص ربعه لمكة المكرمة .



رقم (٣٢٩) ص ٤٦٠
حوالة عام ٩٠٧ - ٩٠٨ كان من الشهود فيها الشيخان أحمد بن غازي ومحمد رضوان . . .



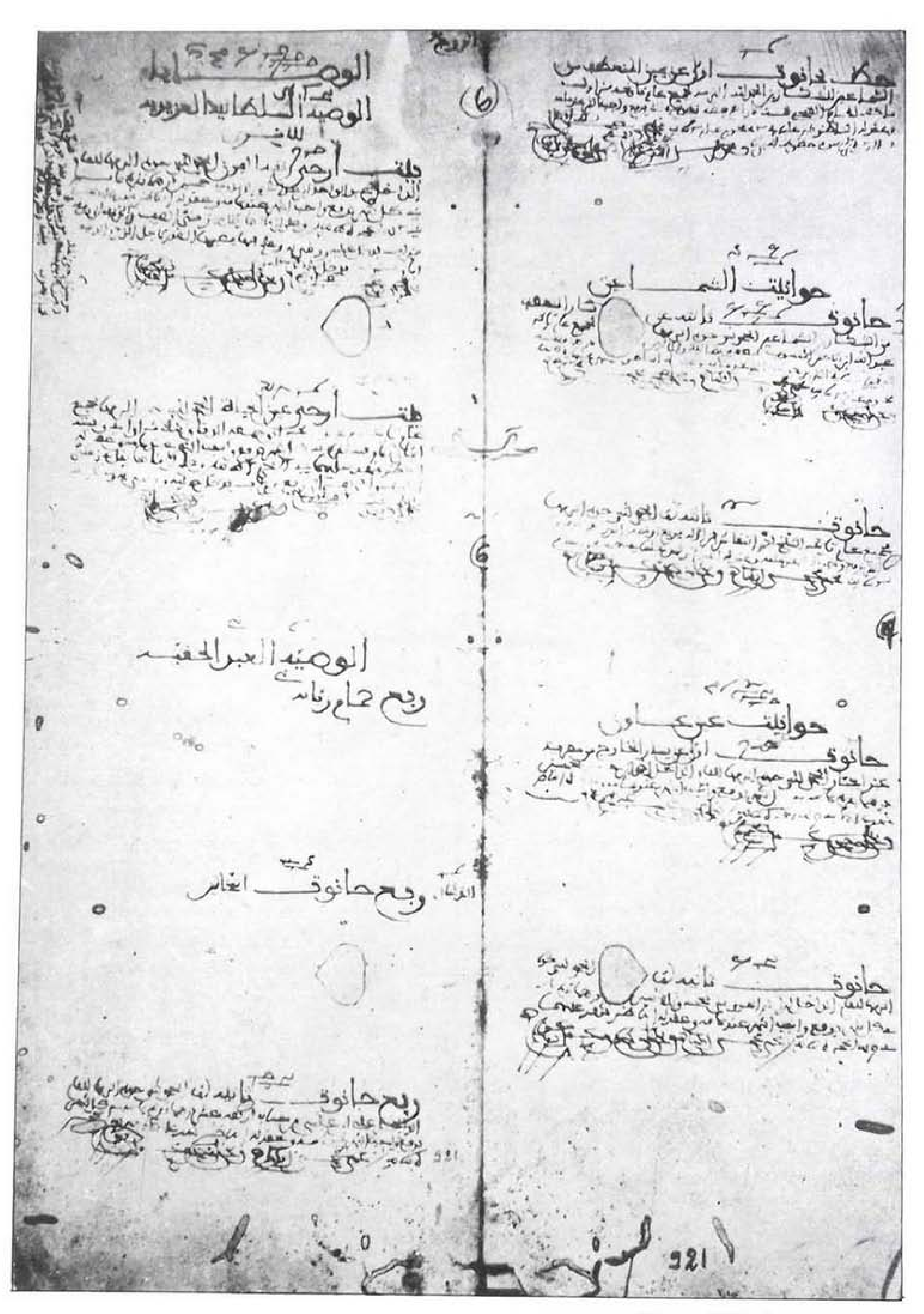
رقم (٣٣٠) ص ٤٦٠

حوالة عام ٩١٠ تحتوي على دكاكين سماط العدول الموثقين ابتداء من الحانوت الاولى يسار المنعطف من زنقة المنجانة . .



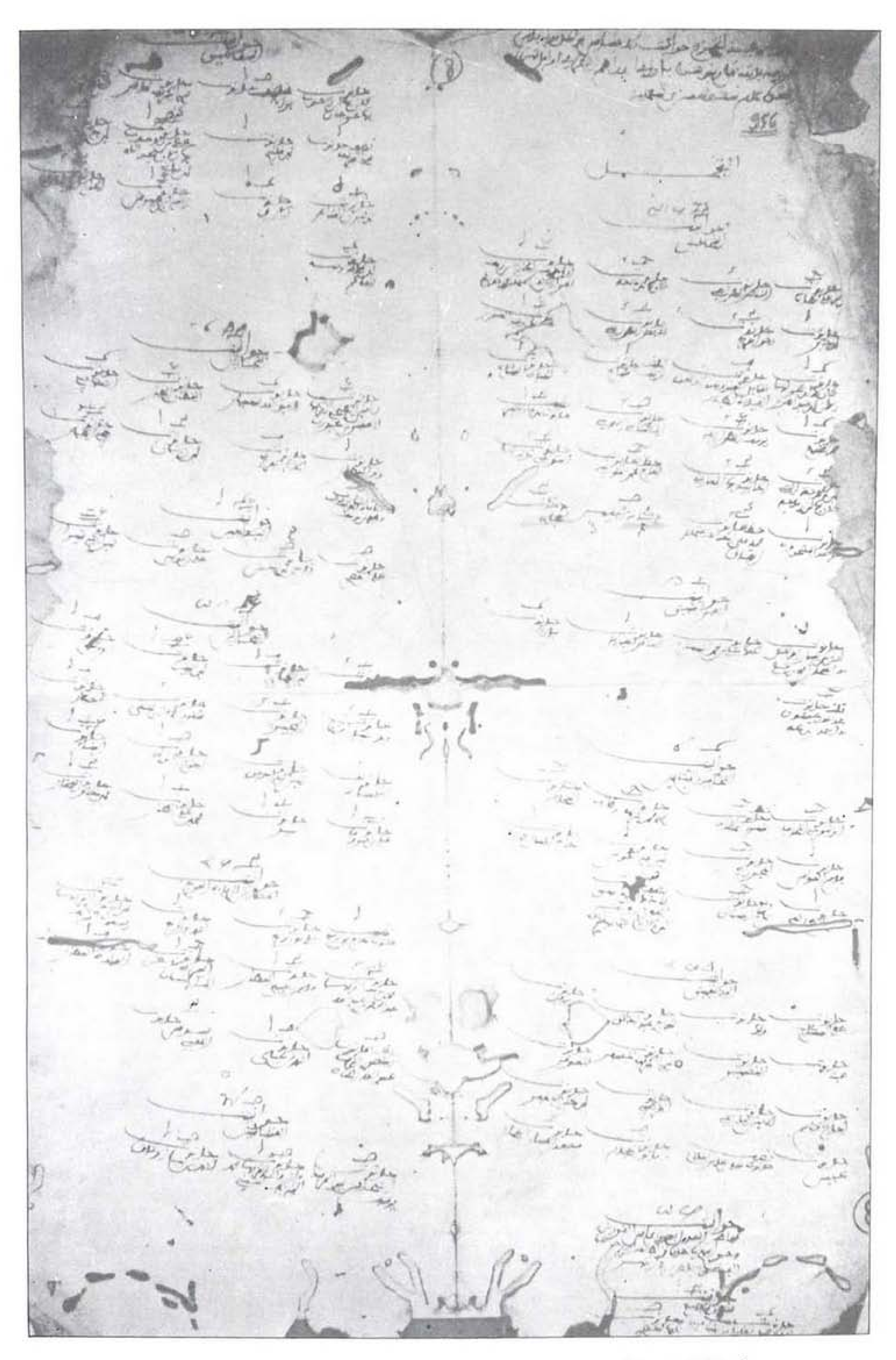
رقم (٣٣١) ص ٤٦٠

حوالة ٩١٠ تحتوي ايضا على الاكرية الموقوفة على مؤذني الليل بصومعة القرويين على يد مزوارهم الشيخ المشاط.



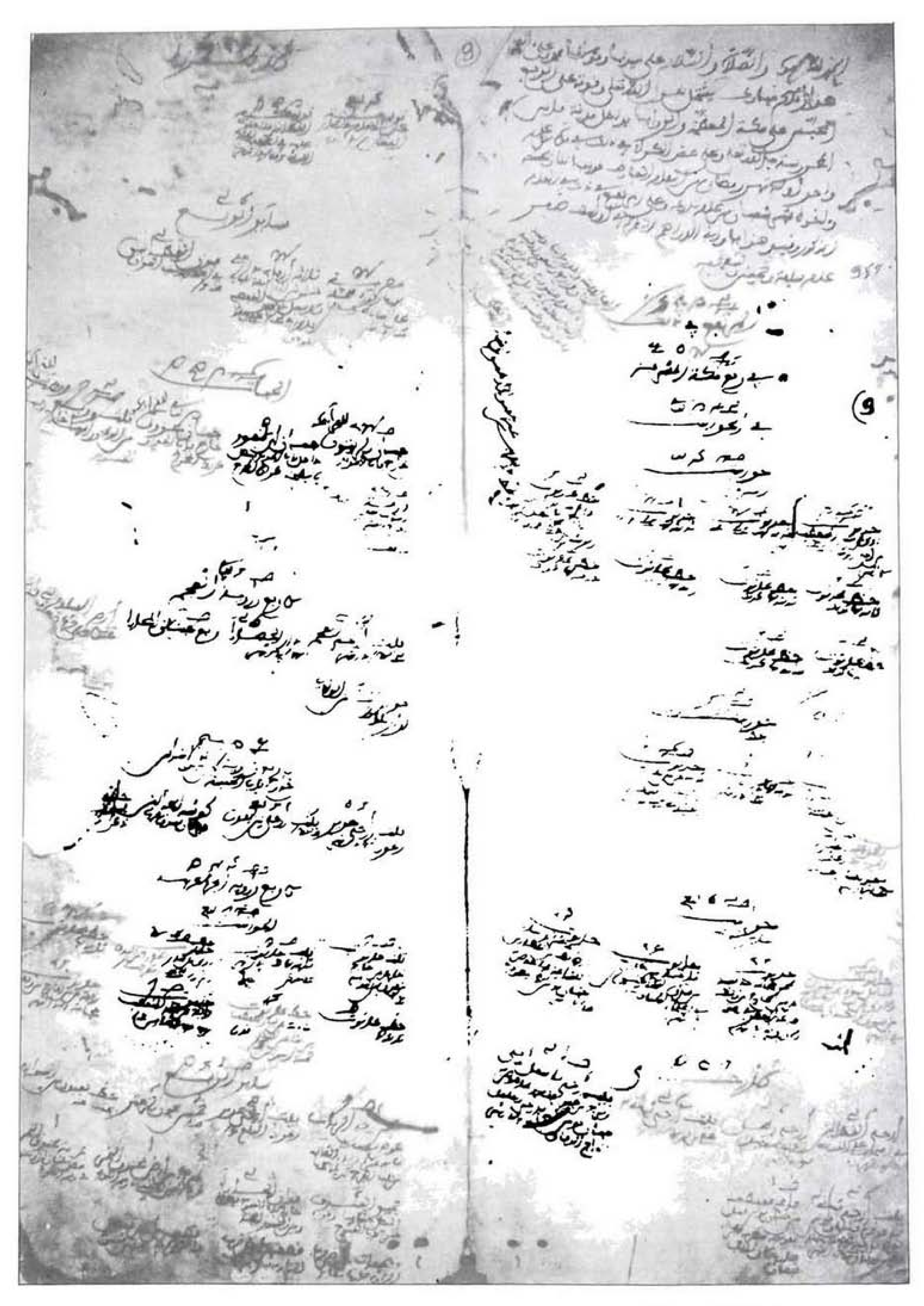
رقم (٣٣٢) ص ٤٦٠

حوالة ٩٢١ في عهد محمد البرتغالي وقد اثبت في صدرها ما كان اوصى به العاهل المريني ابو فارس عبد العزيز وكذلك عبد الحق على الاسرى من المجاهدين.



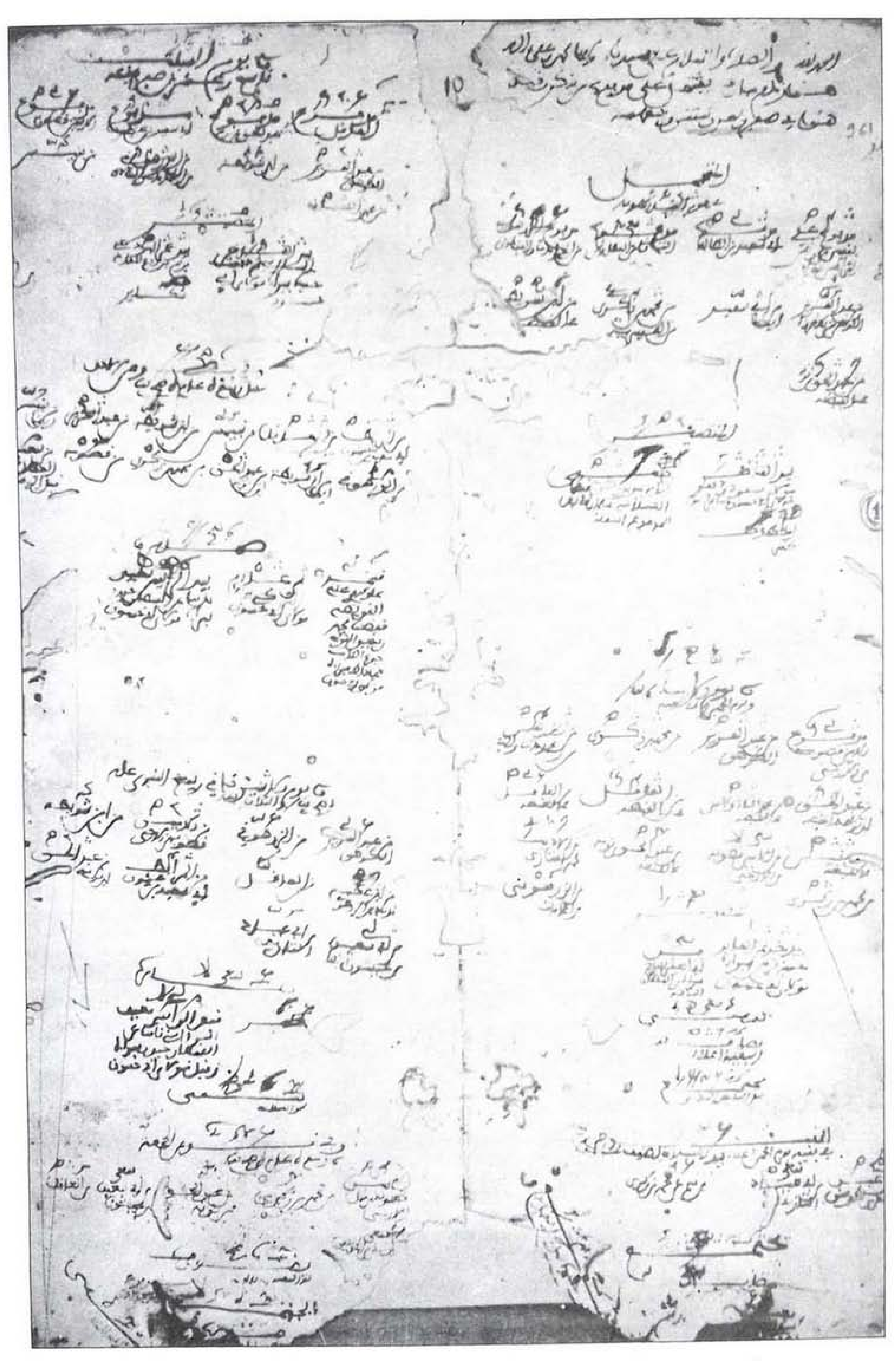
رقم (٣٣٣) ص ٤٦٠

جانب من حوالة عام ٩٥٦ وبها جرد مفصّل لعدد من العقارات بما فيها سماط عدول جامع الاندلس والسماط المستحدث بالطالعة قرب المدرسة العنانية.



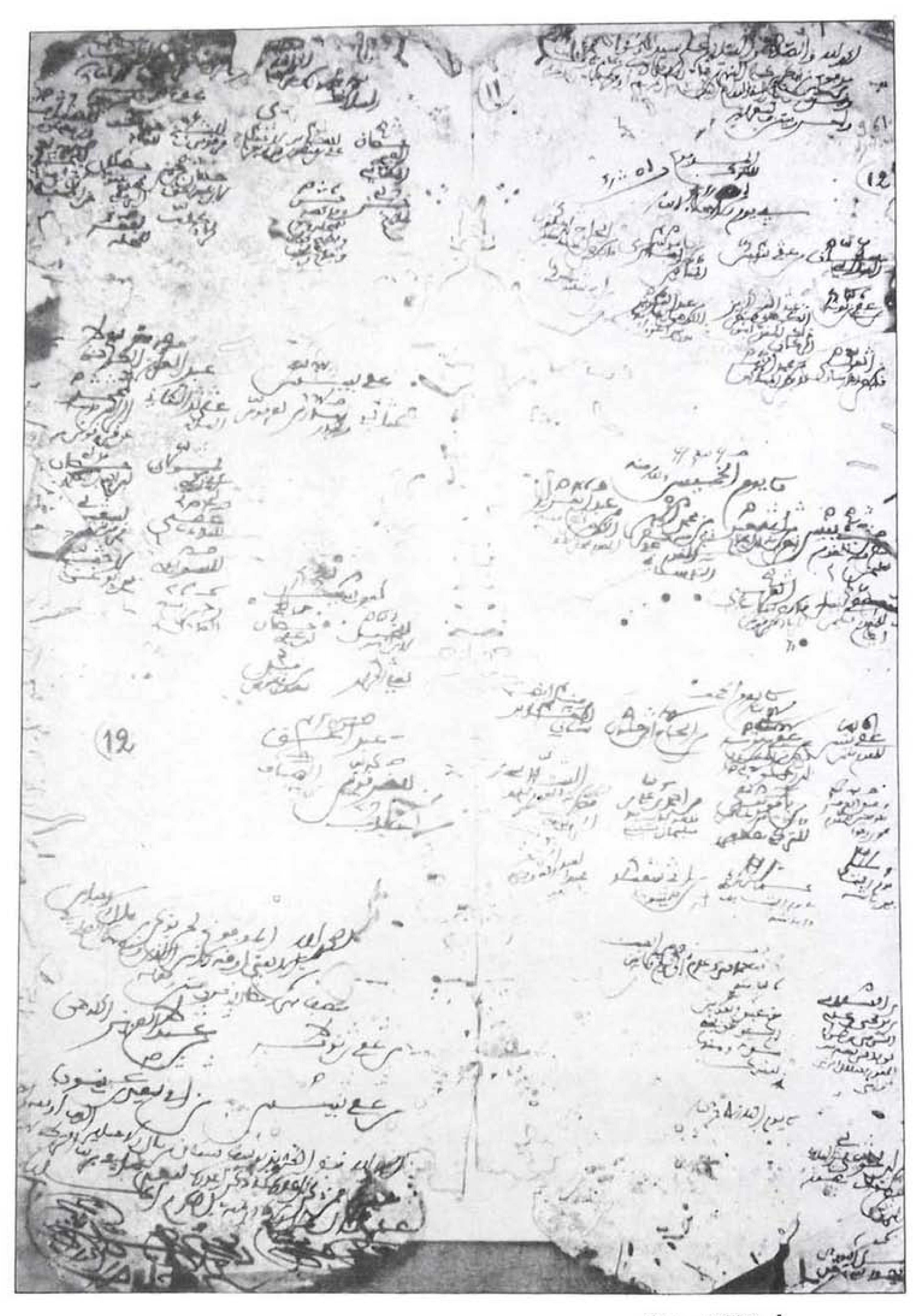
رقم (٣٣٤) ص ٤٦٠

حوالة ٩٥٧ جانب منها يتضمن زماما مباركا يحتوي على الربع المحبس أيضاً على مكة المعظمة والزوايا بداخل فاس .



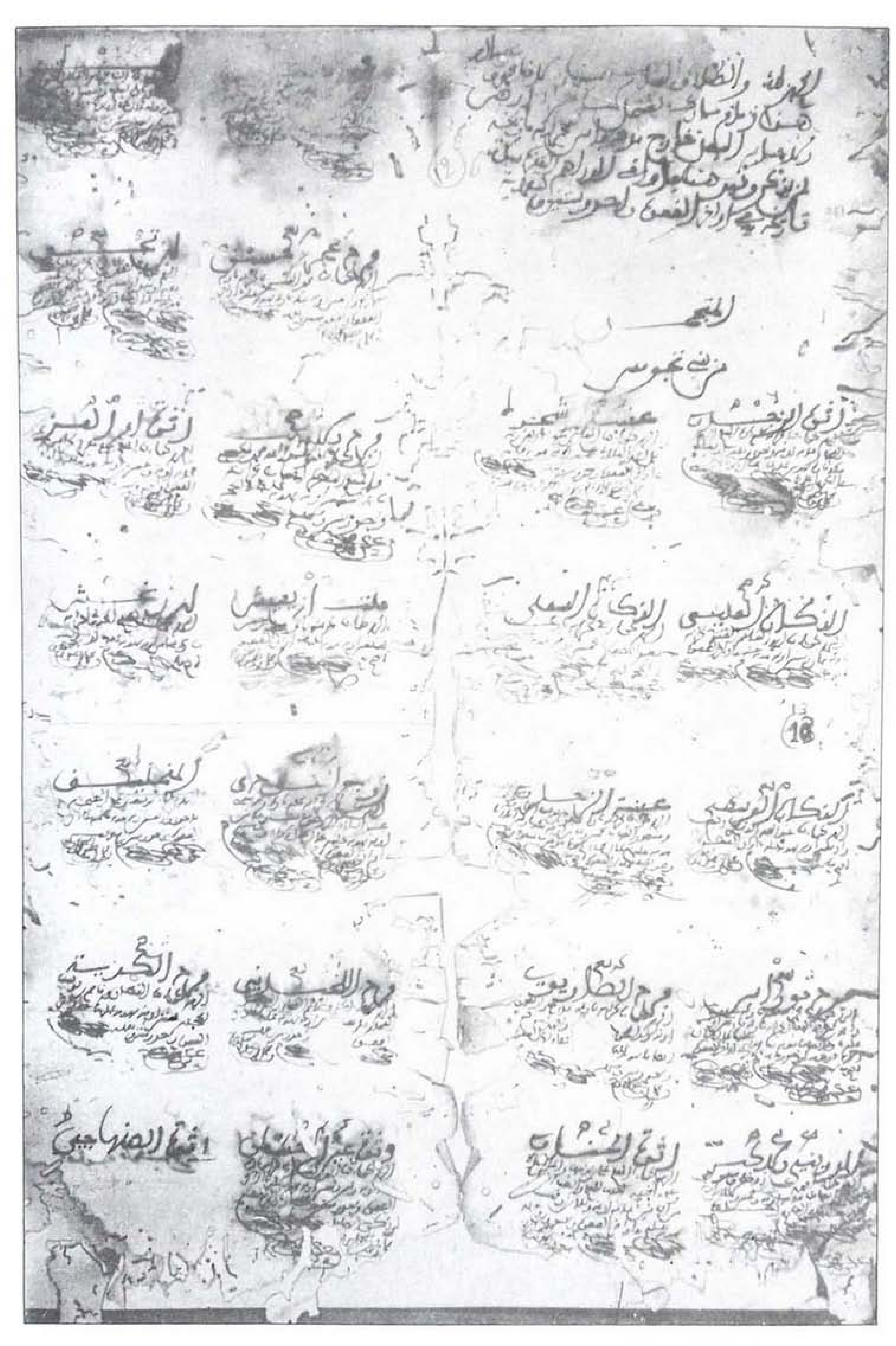
رقم (٣٣٥) ص ٤٦٠

احد سجلات القابضين لعام ٩٦١ ويمكن ان نتبيّن اسماء عبد العزيز الكوهن ومحمد بن زكرى ومحمد التازي . . . الذين سلموا المبالغ المستحقة للناظر مسعود الذي رفعها للسلطان ابي حسون آخر ملوك بني وطاس . . .
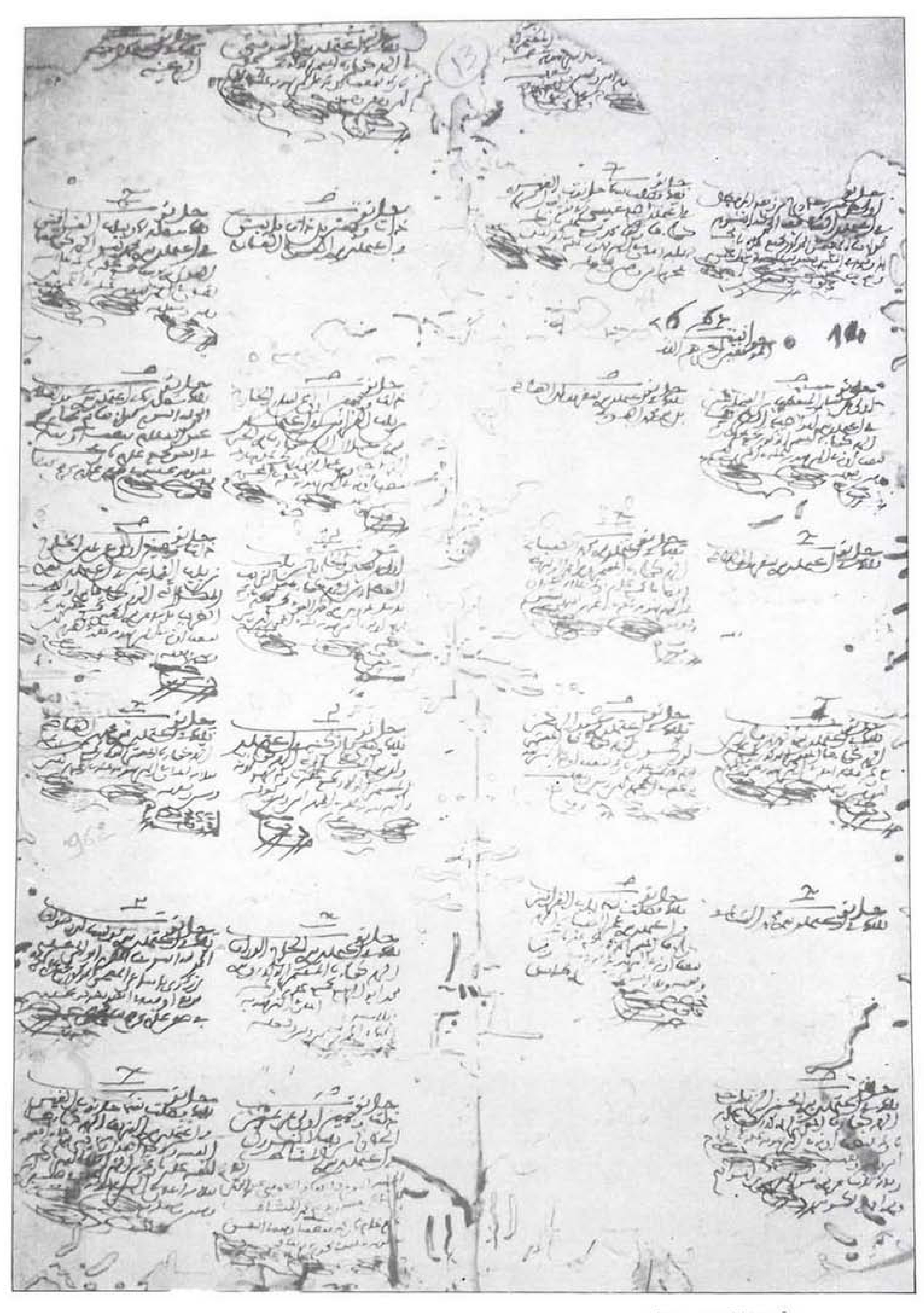


رقم (٣٣٦) ص ٤٦٠

احد الزمامات التي ترجع ايضا لعام ٩٦١ وفيها « ما دفع للقائد يوسف سنان من مال الاوقاف ليجرها في مرتب الترك . . . » ايام السلطان ابي حسون . . .



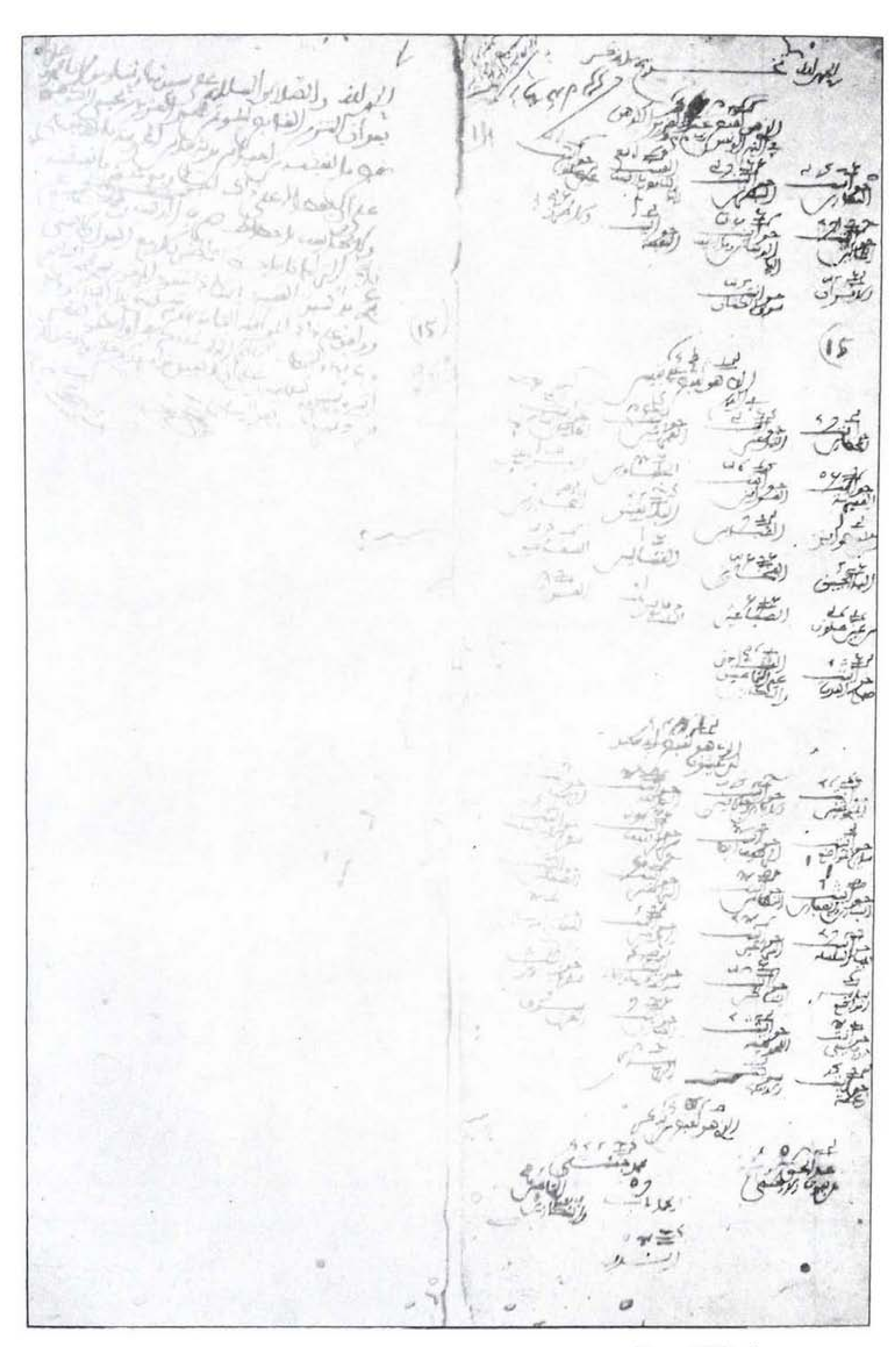
رقم (٣٣٧) ص ٤٦٠

احد زمامات ٩٦١ وهو خاصّ بجرد الاراضي خارج مدينة فاس الموقوفة على القرويين . . ونلاحظ اسماء غريبة اختفت الآن .



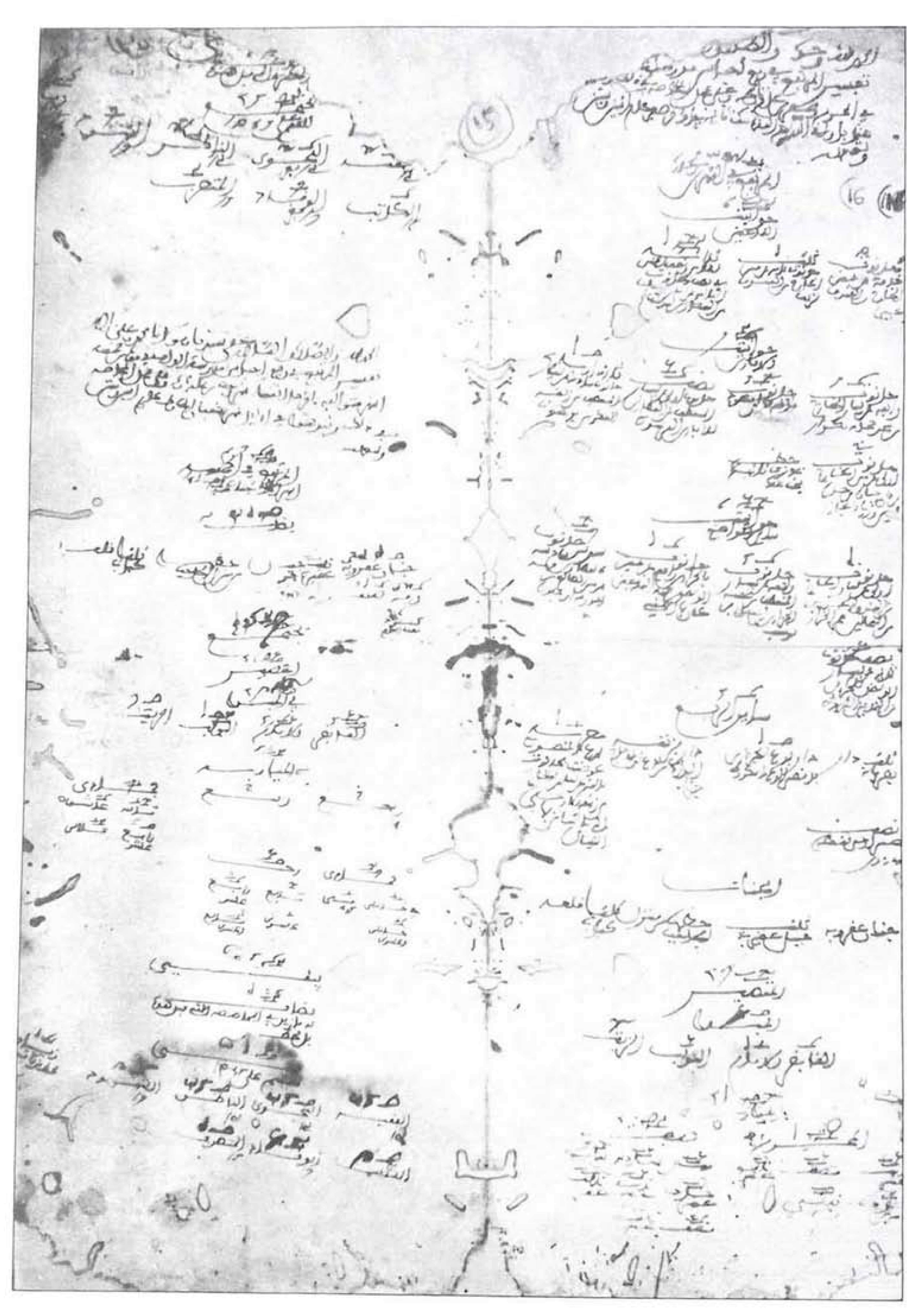
رقم (٣٣٨) ص ٤٦٠

جانب من حوالة ٩٦٢ الورقة الخاصة بدكاكين الموثقين ، ويلاحظ ان كل دكان يوجد بجانبه اسم العدل الذي كان يشغله .



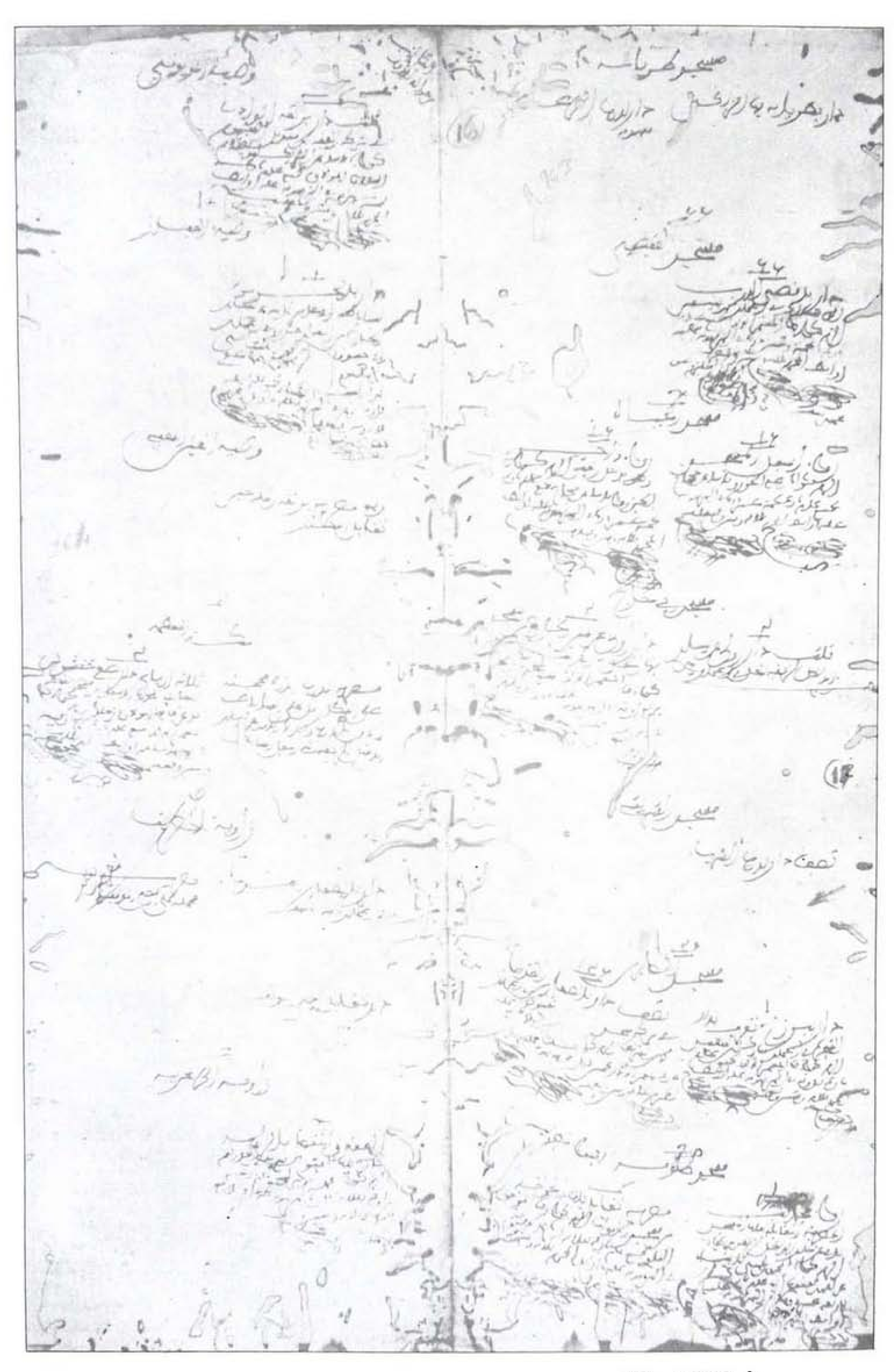
رقم (٣٣٩) ص ٤٦٠

جانب من حوالة ٩٦٢ وعلى هامشها تقييد يؤكد ما ورد عند ابن الوزّان في كتابه (وصف افريقيا) من ان اجرة القابض لا تتجاوز ربع العشر .



رقم (٣٤٠) ص ٤٦٠

حوالة ٩٦٢ تفسير المرتفع في ربع احباس مدرسة الوادي في مدن من خمسة اشهر متوالية . . .



رقم (٣٤١) ص ٤٦٠

حوالة ٩٦٣ ورقة تتضمن ذكر بعض مساجد فاس القديمة : طريانة - القفص - الحياة - بوحاج - الشريشي - الصابرين - طلوقة - زاوية تاحضريت - الحرة عربية .



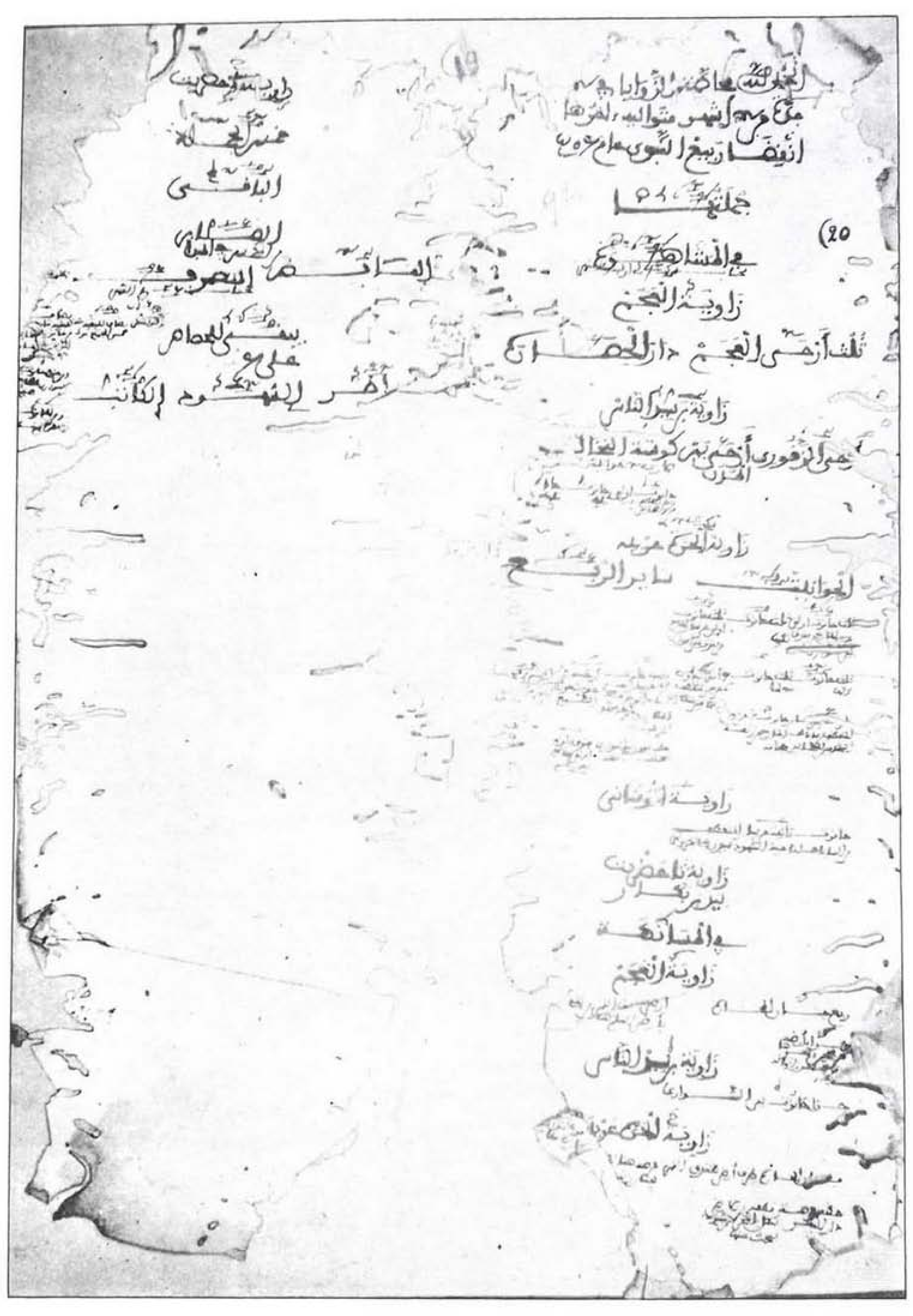
رقم (٣٤٢) ص ٤٦٠

حوالة ٩٧٣ مأخوذة من « حواويل قدام » وفي الحوالة ما هو بخط سيدي عبد الواحد الونشريسي وتبتدئ بتعداد مدارس القرويين ثم تذكر بعض المساجد القديمة . .

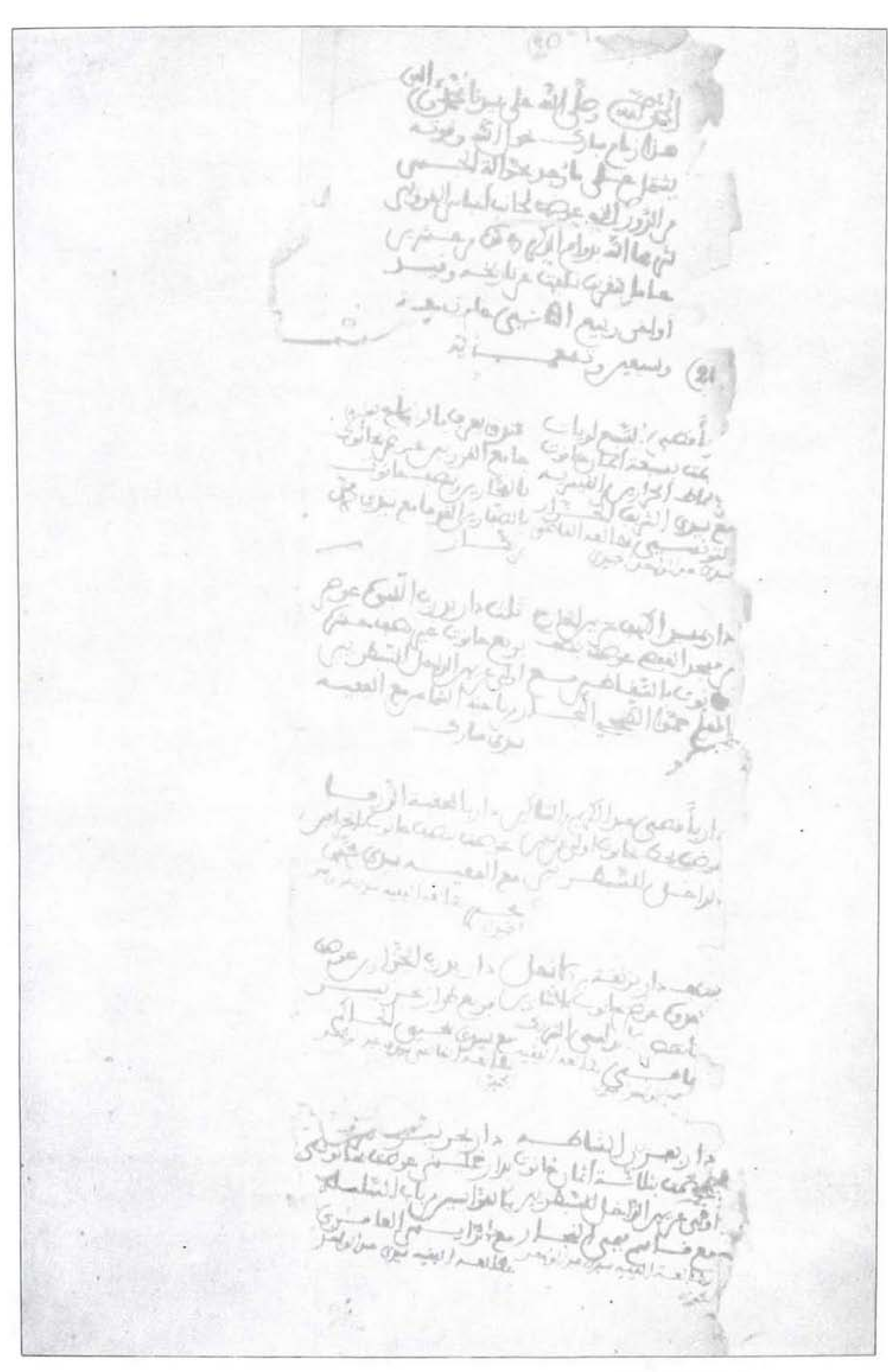


رقم (٣٤٣) ص ٤٦٠

حوالة ٩٧٤ : محاصة بعض المساجد ابن ابي مدين بزقاق الحجر – مسجد حجامة – القباقي – اللأرارين – مسجد برقشانه . .
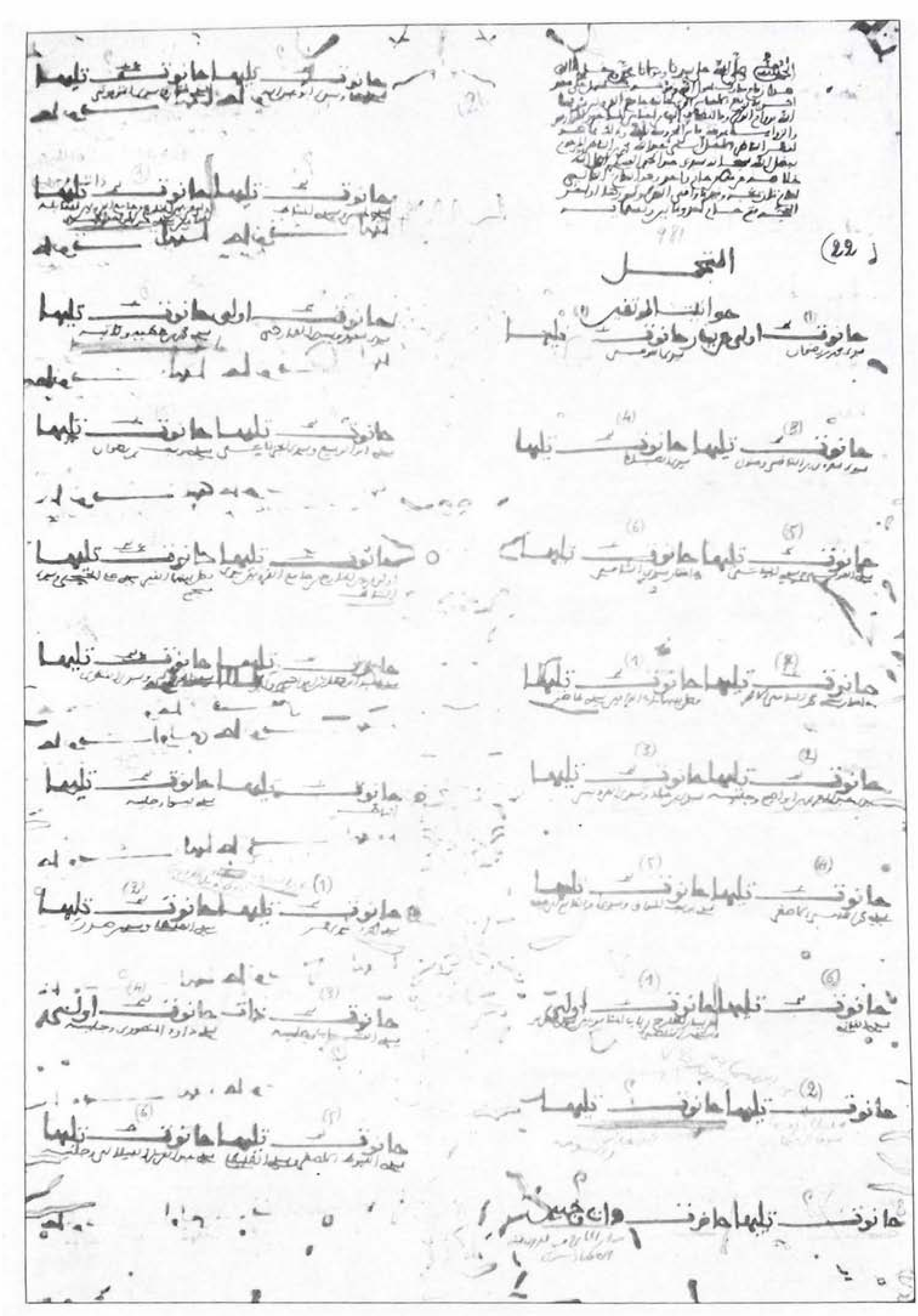


رقم (٣٤٤) ص ٤٦٠
حوالة عام ٩٧٥ صفحة خاصة بمحاضة بعض الزوايا . . زاوية ابن سيّد الناس - الموماني - زاوية العجم .



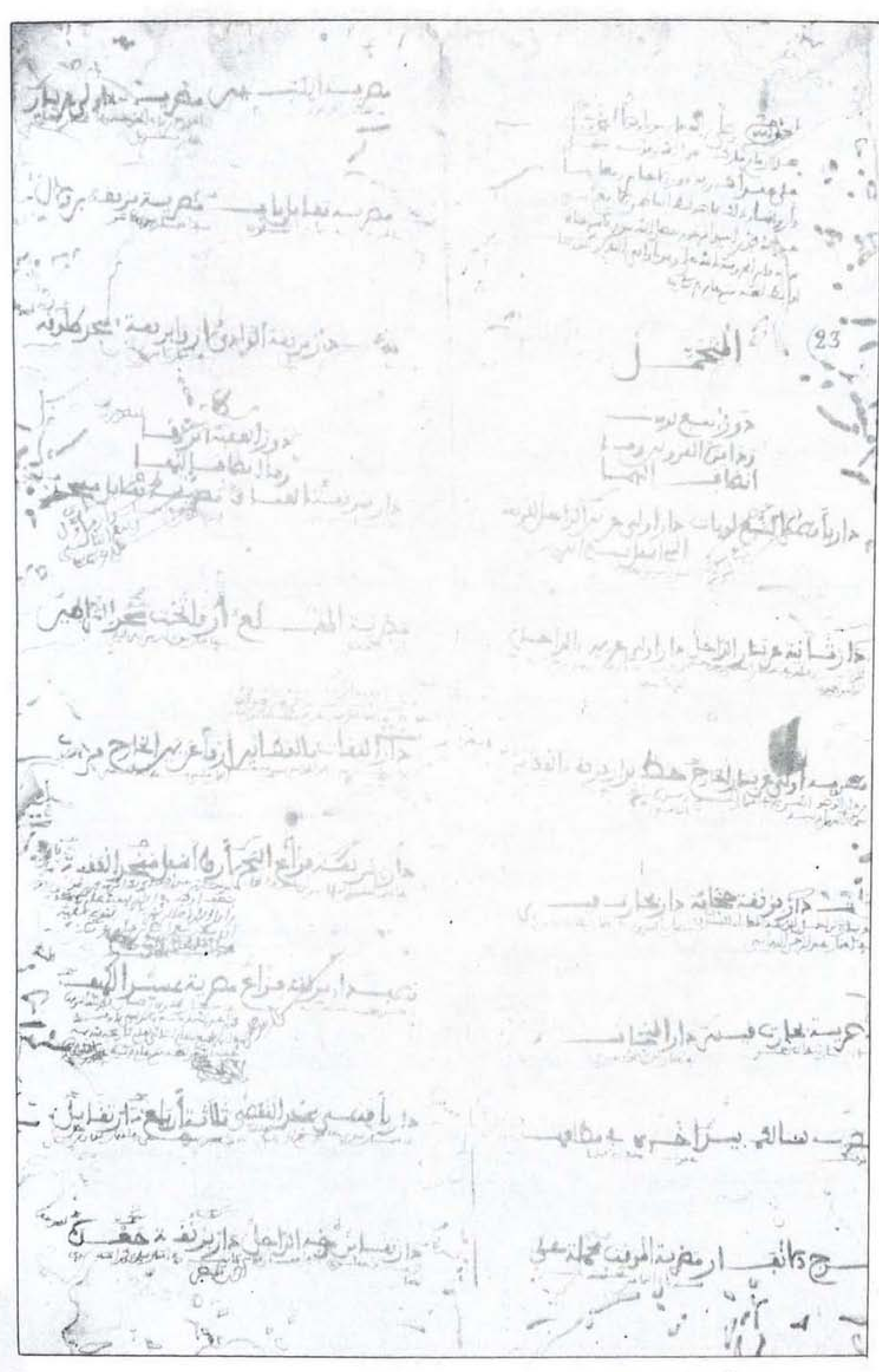
رقم (٣٤٥) ص ٤٦٠

حوالة ٩٧٩ تحتوي على عدّة زمامات فيها ما نقل من حوالة قديمة منذ عشرين عاما وفيها ذكر لبعض الامكنة . . مثلا فندق الرصّاع او الرضاع شرقي جامع القروين . . .



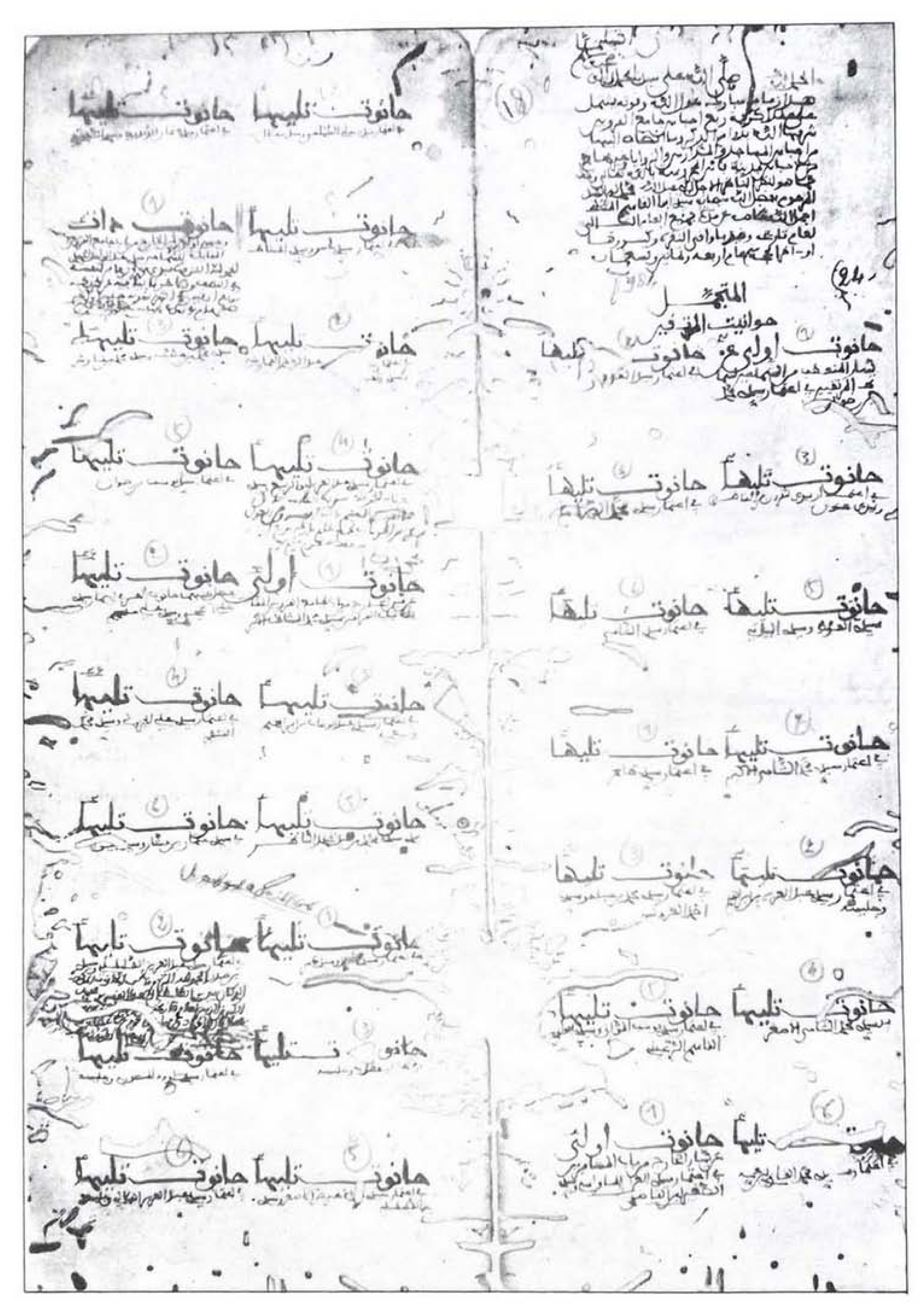
رقم (٣٤٦) ص ٤٦٠

حوالة ٩٨١ فيها تقايد الاكرية التي بجانب جامع القرويين شرّفها الله وما انضاف اليها من احباس المساجد والمدارس والزوايا وكانت تحت اشراف الناظر الاجل محمد بن عبد الحميد العسكري .



رقم (٣٤٧) ص ٤٦٠

حوالة ٩٨٤ حررت باشراف الناظر محمد المشاط يلاحظ من خلال لائحة العقارات وصف لحرم جامع القرويين .



رقم (٣٤٨) ص ٤٦٠

حوالة ٩٨٤ ايضا زمام يحتوي على تعداد مدقق لحوانيت عدول السماط الملاصق للجامع .

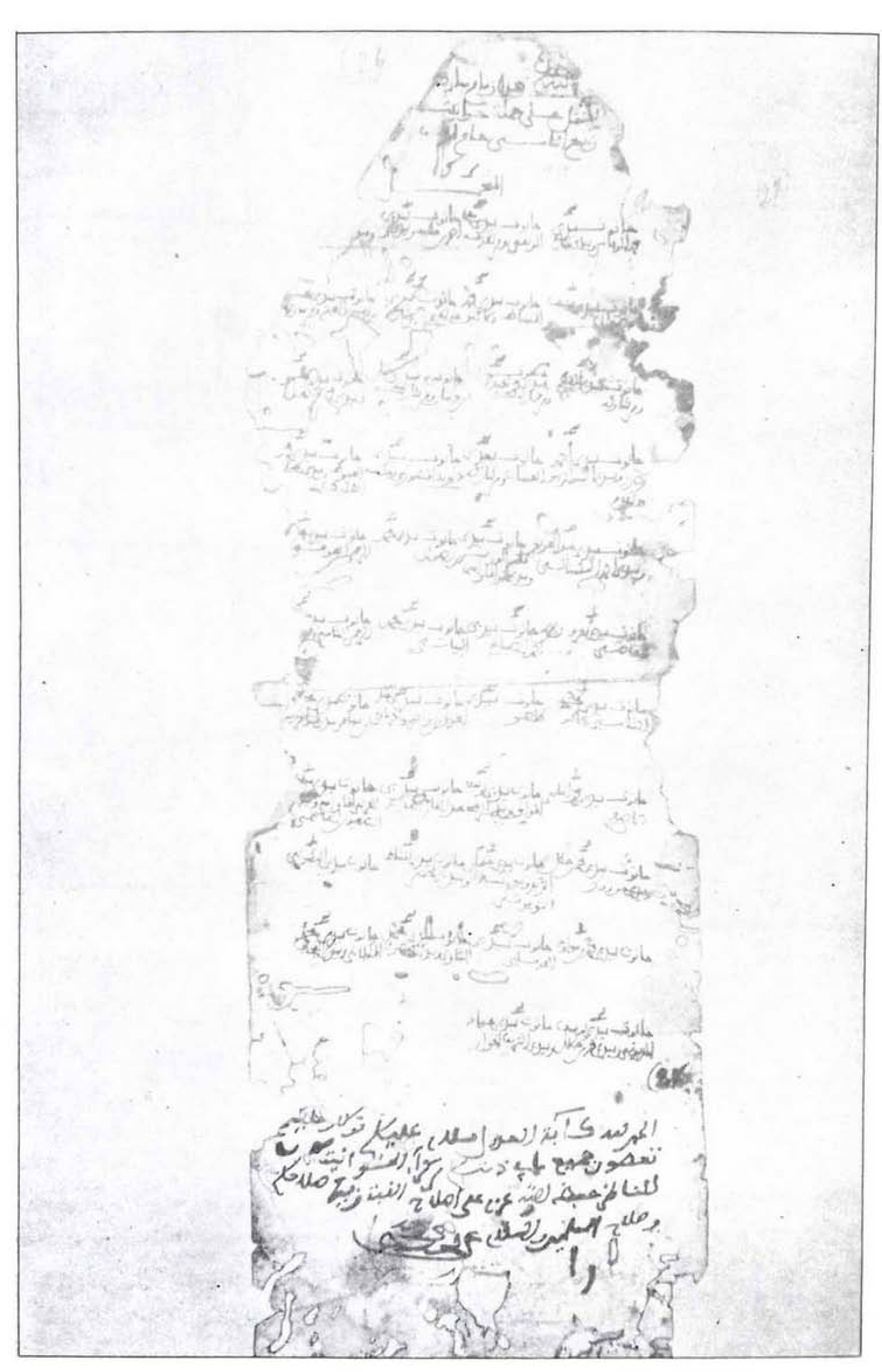


رقم (٣٤٩) ص ٤٦٠

حوالة ٩٨٧ زمام منها باكرية احباس جامع القرويين شرفها الله وما انضاف اليها من احباس المساجد والمدارس والزوايا . . .

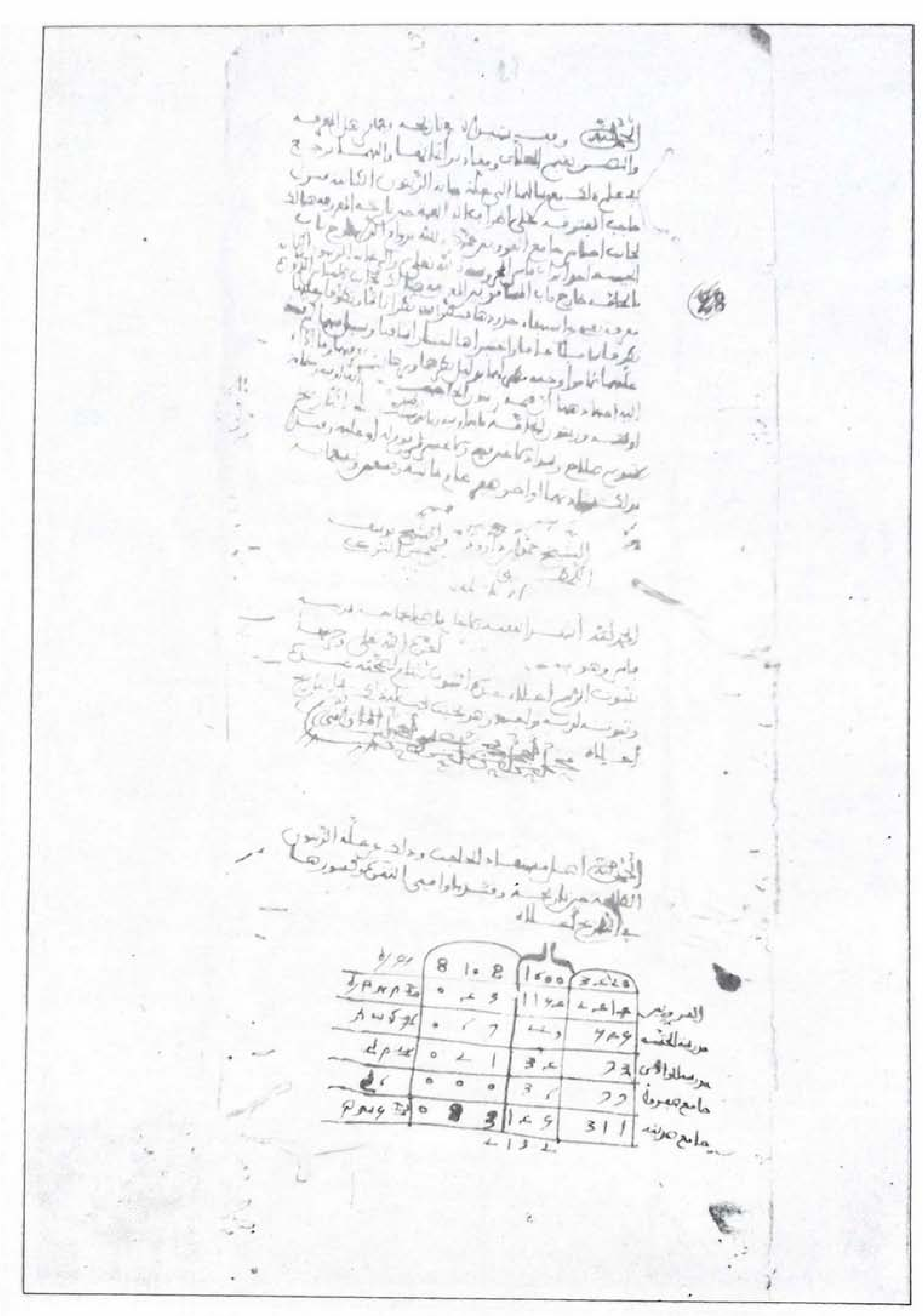


رقم (٣٥٠) ص ٤٦٠
حوالة ٩٩٠ تحتوي ايضا على عدة زمامات تتضمن عقد اكرية لمدة عامين شمسيين اولهما الحاجوز ٣١ يناير المصادف السادس المحرم ٩٩٠.



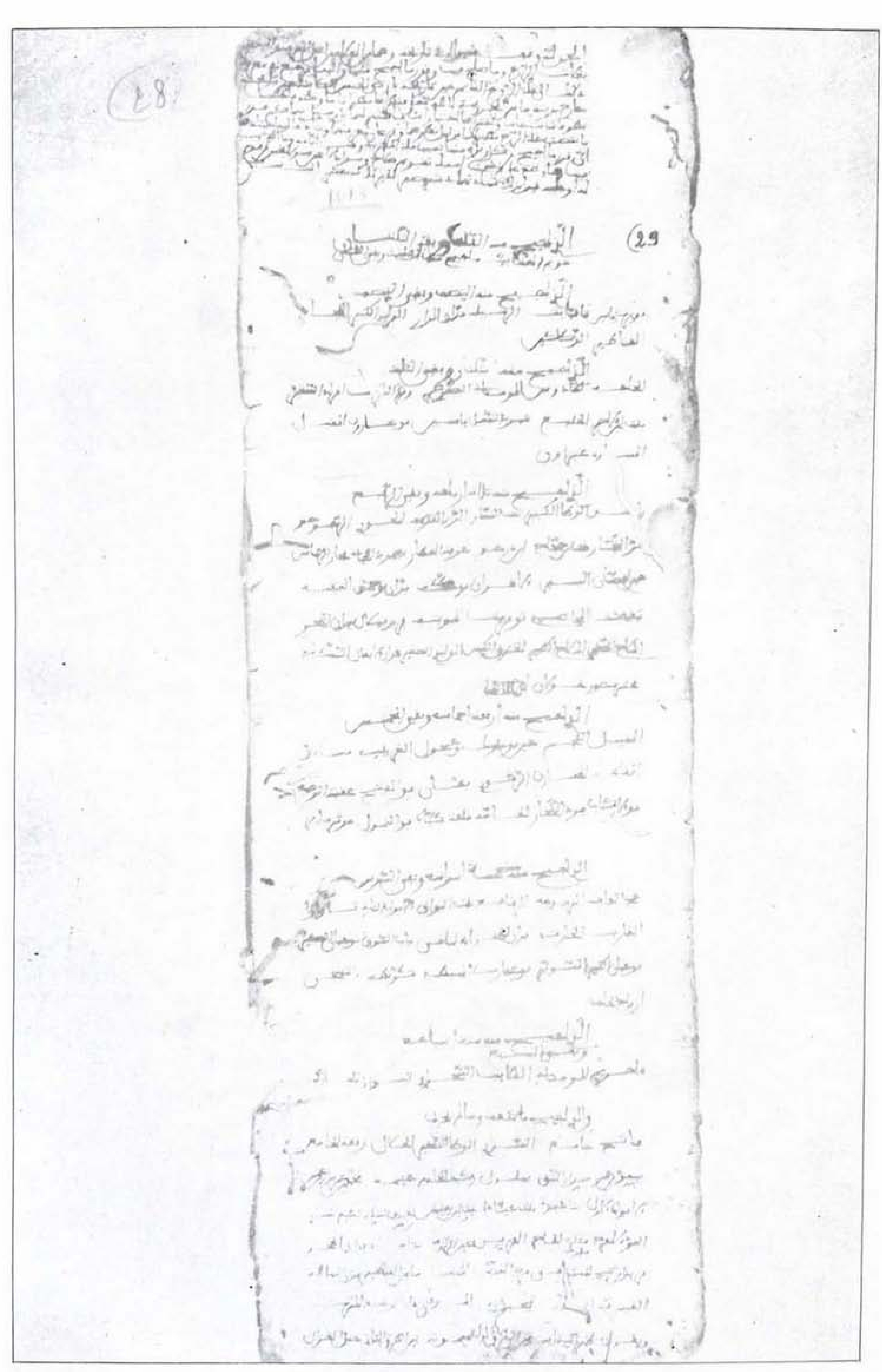
رقم (٣٥١) ص ٤٦١

حوالة ٩٩١ تتضمن وثيقة تدعو كافة العدول للتعجيل باداء جميع ما في ذمتهم من كراء الحوانيت للناظر حفظه الله الذي عزم على اصلاح القبة التي فيها صلاحهم . . .



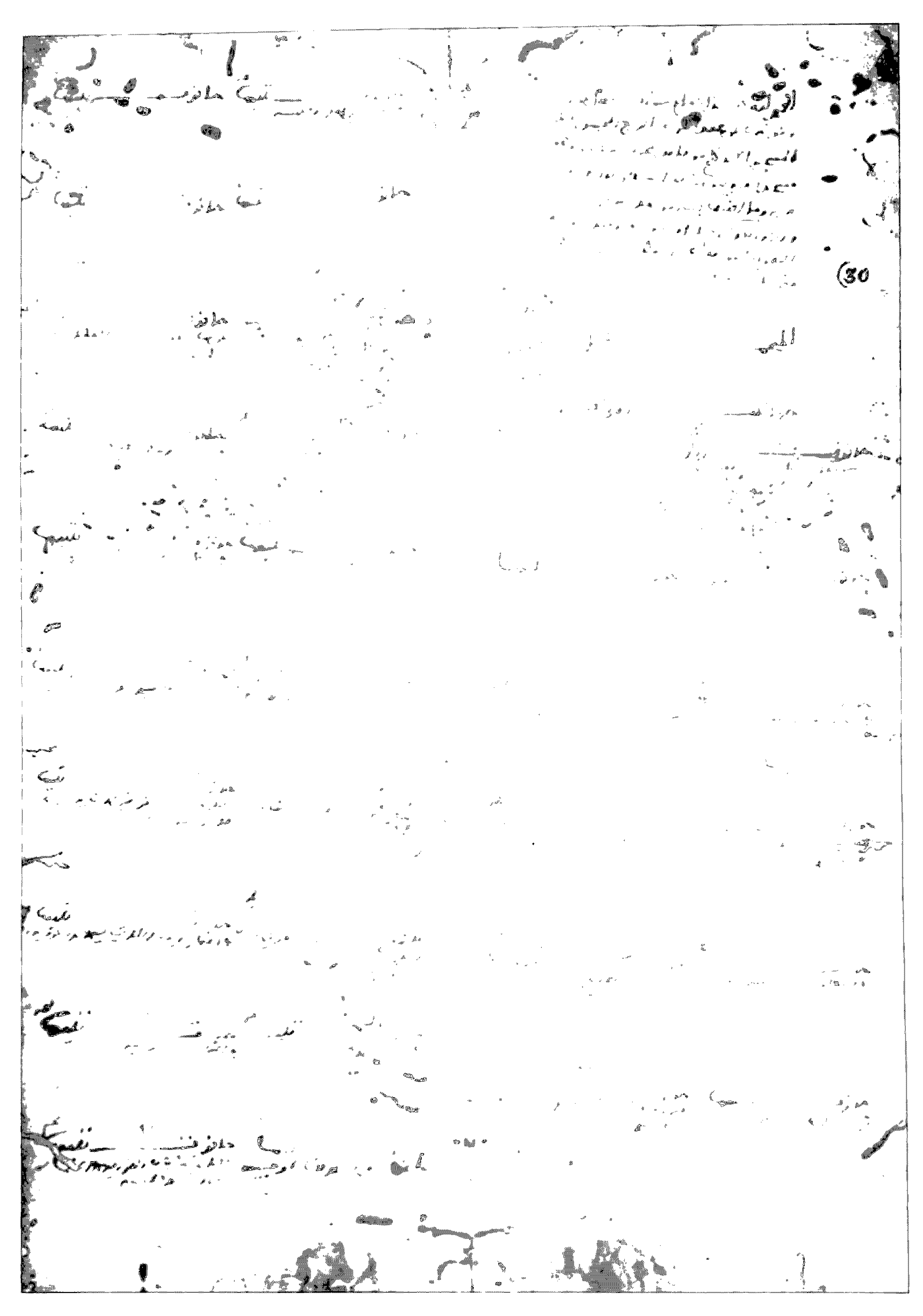
رقم (٣٥٢) ص ٤٦١

حوالة ٩٩٨ قوائم لغابات الزيتون التابعة لاوقاف القرويين ، يلاحظ استعمال الارقام الغبارية في الجدول اسفل الوثيقة .



رقم (٣٥٣) ص ٤٦١

حوالة ١٠١٣ تحتوي على زمامات كان منها زمام يتعلق بما للجامع من فوائد وما اصاب بعض المحاصيل الزراعية من جوائح .



رقم (٣٥٤) ص ٦١

حوالة ١٠٢٥ تتضمن عدة زمامات فيها ما يتعلق ايضا بالاكرية الراجعة للقرويين وما اضيف اليها من المدارس والمساجد والزوايا . .

CONTRIBUTION A L'HISTOIRE DU MAROC

LA MOSQUEE AL QARAOUIYYINE

La Mosqué-Université de Fès histoire architecturale et intellectuelle

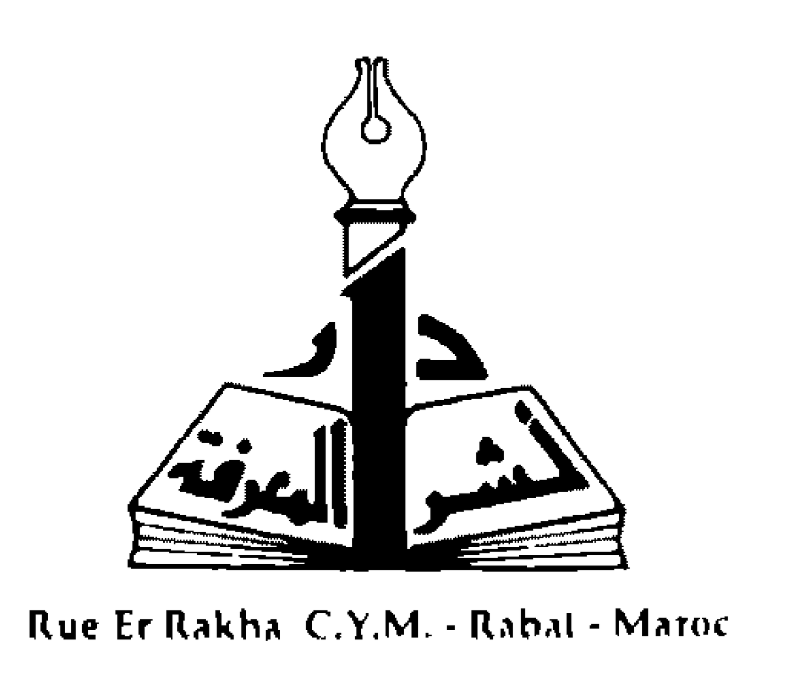
Par

ABD EL HADI TAZI


Docteur ès-Lettres

MEMBRE DE L'ACADEMIE DU ROYAUME DU MAROC

TOME 2



Rue Er Rakha C.Y.M. - Rabat - Maroc



CONTRIBUTION A L'HISTOIRE DU MAROC
LA MOSQUEE
AL QARAOUIYYINE
La Mosqué-Université de Fes
histoire architecturale et intellectuelle
TOME II
Par
Dr. ABDELHADI TAZI
DAR NACHR EL MAARIFA - RABAT-